الجمهورية العربية السورية
وزارة التعليم العالي
جامعة دمشق
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

تيمورلنك
وشخصيته السياسية والعسكرية

أطروحة أعدّت لنيل درجة الدكتوراه في تاريخ العرب والإسلام

إعداد
حفظ الله ناصر عبد الله مصلح

إشراف
الأستاذ الدكتور إبراهيم محمود زعرور

دمشق 1430هـ/2009م

لجنة المناقشة والحكم على

أطروحة الدكتوراه في قسم التاريخ

التي أعدها الطالب

حفظ الله ناصر عبد الله مصلح

بعنوان

«تيمورلنك وشخصيته السياسية والعسكرية»

شكلت لجنة المناقشة والحكم من:

أ. د. إبراهيم محمود زعرور/جامعة دمشق	عضواً مشرفاً.
أ. د. وفاء جوني/جامعة دمشق	عضواً.
أ. م. د. خولة الدجيلي/جامعة بغداد	عضواً.
أ. م. د. لكتمال إسماعيل/جامعة دمشق	عضواً.
م. د. أجفان الصغير/جامعة حلب	عضواً.

الإهـداء

إلى والدي العزيز رمز المحبة والعطاء..

إلى من أرضعتني الحب والوفاء... إلى والدتي العزيزة تغمدها الله بواسع رحمته..

إلى إخوتي وأخواتي الأعزاء...

إلى التي وقفت بجانبي زوجتي..

وأبنائي (أفنان، وخالد وصالح)..

إلى زملائي وأصدقائي... وإلى من شجعني على مواصلة العلم..

حفظ الله

شكر وتقدير

يسرّ الباحث أن يتقدم بعميق الشكر والامتنان والتقدير والعرفان للمشرف على هذه الاطروحة

الأستاذ الدكتور إبراهيم محمود زعرور

الذي أغنى البحث بمعلوماته القيمة وآرائه السديدة وملاحظاته العلمية ولم يدخر جهداً في تقديم النصح والتوجيه طيلة مدة البحث.

ويتوجه الباحث بجزيل الشكر إلى

الأستاذ الدكتور سهيل زكار

الذي كان له دور في اختيار الموضوع ودعم الباحث بعدد من المصادر الأساسية التي حققها وترجمها.

والشكر موصول

للدكتورة ندى حسون

لمساعدتها الباحث في ترجمة بعض النصوص الفارسية.

كما يتوجه الباحث بالشكر إلى

الأستاذ الدكتور شوقي المعري

لما قام به من جهد في تصحيح الرسالة لغوياً.

ويتوجه الباحث بالشكر والتقدير لبلده **اليمن** التي لم تبخل عليه بالدعم المادي والمعنوي.

والشكر موصول لبلده الثاني **سورية** التي احتضنته مدة الدراسة للدبلوم والماجستير والدكتوراه في جامعة دمشق الموقرة كلية الآداب - قسم التاريخ.

المحتويات

العنوان	رقم الصفحة
تمهيد	23
الفصل الأول: نشأة تيمورلنك وشخصيته، ثقافته، عقيدته وآراء المـؤرخين فيـه، وعلاقته مع الجته (الجغتائيين)	34
1 – أصل تيمورلنك – نشأته – ألقابه – عائلته – شخصيته–ثقافته– عقيدته– اراء المؤرخون فيه	36–60
2 – أوضاع بلاد ما وراء النهر السياسية والاقتصادية والاجتماعية	61
3 – سيطرة قزغن على بلاد ماوراء النهر سنة (747هـ/1346م)	65
4 – إعجاب قزغن بتيمورلنك	66
5– علاقة تيمورلنك مع تغلق تيمور	69
6 – إخراج الجته من بلاد ما وراء النهر وسيطرة تيمورلنك عليها	73
7 – أحداث معركة جسر سنكين	75
8 – معركة قبي متن	77
9 – تأمين الجبهة الشرقية بالحرب ضد الجته بزعامة قمر الدين دوغلات	81
الفصل الثاني: حروب تيمور لنك الخارجية نحو خوارزم، والهند والصين	86
1 – أسباب توجه تيمورلنك نحو خوارزم	88
2 – الحملة الأولى سنة (773هـ/1372م)	89
3 – الحملة الثانية سنة (774هـ/1373م)	91
4 – الحملة الثالثة سنة (777هـ/1375م)	91
5 – الحملة الرابعة سنة (780هـ/1378م)	92
6 – الصراع بين تيمورلنك والأمير حسين (767 – 771هـ/1365 – 1369م)	103
7 – ثورة كيخسرو ختلاني ومحمد بيان سلدوز سنة (769هـ/1367م)	105
8 – تنصيب تيمورلنك سيداً لبلاد ما وراء النهر (771هـ/1370م)	108
9 – غزو تيمور لنك للهند سنة (800– 801هـ/ 1389–1399م)	111
10 – إحتلال الهند	112
11– النتائج التي تمخضت عن غزو تيمور لنك للهند	114

12- توجه تيمور لنك نحو الصين (807هـ/ 1405م)	115
الفصل الثالث: حروب تيمورلنك في بلاد فارس	119
1- اوضاع خراسان قبيل الغزو التيموري	121
2- زحف القوات التيمورية على خراسان (782 - 786هـ/1280 - 1284م)	123
3 - حملة تيمورلنك وابنه ميرانشاه الأولى سنة (782هـ/1380م)	124
4 - الحملة الثانية على خراسان سنة (784هـ/1382م)	127
5 - الحملة الثالثة على خراسان سنة (785هـ/1383م)	129
6 - الحملة الرابعة على خراسان سنة (786 - 787هـ/1384 - 1385م)	131
7- أوضاع اصفهان وكرمان قبيل الغزو التيموري	135
8 - حكم زين العابدين لبلاد فارس (786 - 789هـ/1384 - 1387م)	137
9 - علاقة آل مظفر بتيمورلنك	138
10-أسباب غزو تيمورلنك لهمذان واصفهان وكرمان	140
11 - توجه قوات تيمورلنك نحو جيلان وهمذان	142
12 - توجه تيمورلنك نحو شيراز	143
13 - أوضاع آل مظفر بعد عودة تيمورلنك إلى عاصمته سمرقند	144
14 - هجوم تيمورلنك على بلاد فارس سنة (795هـ/1393م)	146
15 - النتائج التي ترتبت عن الغزو التيموري لبلاد فارس	150
الفصل الرابع: علاقة تيمورلنك مع العراق وبلاد الشام	152
1 - أوضاع العراق والمنطقة قبيل غزو تيمورلنك	154
2 - سياسة أحمد جلائري تجاه الغزو التيموري	156
3 - دخول القوات التيمورية بغداد	164
4- أعمال تيمورلنك في بغداد	166
5 - إخضاع واسط والبصرة وتكريت والموصل	168
6- النتائج التي تمخضت عن غزو تيمورلنك للعراق	175
7 - أوضاع بلاد الشام قبيل الغزو التيموري	178
8 - العلاقة بين تيمورلنك وبرقوق	182
9 - المراسلات بين تيمورلنك وبرقوق	190
10 - الأسباب التي اتخذها تيمورلنك ذريعة لغزو الشام	198
11 - التوجه نحو بلاد الشام	200

12- مفاوضات تيمورلنك مع نواب الشام	203
13 - سقوط حلب بأيدي قوات تيمورلنك ورجاله	207
15 - سيطرة تيمورلنك على حماة وحمص وبعلبك	211
16 - غزو تيمورلنك دمشق وتخريبها	213
17 - أعمال تيمورلنك في دمشق	226
18 - مقابلة ابن خلدون لتيمورلنك	233
19- أسباب سقوط بلاد الشام بأيدي تيمورلنك	236
20 - آثار الغزو التيموري على بلاد الشام	237
الفصل الخامس: تيمورلنك وعلاقته بالدولة العثمانية وأهم تنظيماته الإدارية والعسكرية	241
أولاً: علاقة الدولة العثمانية بتيمور لنك	243
أ- أوضاع الدولة العثمانية في عهد بايزيد الأول قبل الغزو التيموري	244
ب- استعداد العثمانيين للقتال	247
ج- التخطيط لمعركة أنقرة	249
د- أحداث معركة أنقرة	255
هـ- نتائج المعركة	259
ثانيا: تنظيمات الدولة التيمورية	261
- التنظيمات الادارية	261
- التنظيات العسكرية	269
الخاتمة	282
الملاحق	285
المصادر والمراجع	291
الملخص باللغة الإنكليزية	308

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

يرتبط تاريخ الجزء الشرقي من العالم الإسلامي بعلاقة وثيقة بتاريخ المنطقة العربية، ولا يقل أهمية في ذلك عن تاريخ الجزء الغربي منه في العصور الوسطى، فقد شهد المشرق تطورات سياسية واجتماعية أثرت في مسار الدولة العربية الإسلامية، تمثلت تلك التطورات في توجه السلاجقة إلى بلدان المشرق العربي وآسيا الصغرى، وقيام السلطنة السلجوقية، ومن ثم جاء الاجتياح المغولي من الشرق والغزو الصليبي من الغرب وظهور مشروع تحالف مغولي صليبي مرعب وضع المشرق العربي بين شقي رحى، وقد أحدثت تلك التطورات تغييراً سياسياً فقد ظهر عنصر جديد في معادلة القوى السياسية في المنطقة تجلى بقيام دولة المماليك في مصر والشام التي وقفت في وجه المد المغولي والصليبي، وفي النصف الثاني من القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي ظهر التيموريين من جديد وسيطروا على معظم أجزاء آسيا تحت قيادة تيمورلنك الذي شغل دوراً بارزاً ومثّل معلماً تاريخياً لفت أنظار المؤرخين المعاصرين له، وشغل حيزاً كبيراً من اهتمام الباحثين في العالم لدراسة سيرة وحروب هذا الغازي، الذي استطاع توحيد شعبه وتوجيه قواهم نحو الغزو الخارجي، وأقام إمبراطورية مترامية الأطراف على جماجم البشر وفق منهج «الغاية تبرر الوسيلة» خلال أقل من نصف قرن، فخضع له حكام العالم الإسلامي، واتصل به ملوك أوروبا يخطبون وده ويطمعون في صداقته.

وكان تيمورلنك قائداً ميدانياً بامتياز، لكنه استغل حقوق النصر بشكل جائر وعنيف، حيث أقام عاصمته على أنقاض المدن والعواصم الإسلامية وأصبح أبرز حكام عصره في آسيا الوسطى، لاسيما بعد تحقيقه الانتصارات على جيوش بلاد فارس والعراق وجورجيا والهند والعثمانيين والمماليك في الشام ومصر.

ومن هنا تبرز أهمية هذا الموضوع إضافةً إلى استمرار الارتباط الوثيق بين تاريخ الجزء الشرقي للعالم الإسلامي وتاريخ المنطقة العربية خلال المرحلة المتبقية من العصر الوسيط وجزء من العصر الحديث بظهور الدولة العثمانية وسيطرتها لأكثر من أربعة قرون على المنطقة العربية، هذا ما دفعني إلى دراسة تلك المرحلة التاريخية من حياة تيمورلنك السياسية والعسكرية، ولم يكن هذا بدافع إحياء ذكرى أليمة، كونها مرحلة مهمة وجديرة بالدراسة والاعتبار لما لها من معاني ودلالات لاسيما أن السبب الأساسي لسيطرة الغزاة على المنطقة يعود على تفرق الحكام وخلافاتهم

وتسليم مقدرات بلادنا لعناصر غريبة عن الأرض والوطن، لهذا نحن بحاجة إلى البحث عن صيغة جديدة من صيغ التلاحم والتلاقي العربي الذي بتنا في أمسّ الحاجة إليه في حاضرنا ومستقبلنا.

أما عن الصعوبات التي واجهت الباحث في هذه الرسالة فهي على نوعين:

الأول: متعلقة بالمادة العلمية التي تناولت شخصية تيمورلنك وأعماله السياسية والعسكرية، فكانت إما متحيّزة له وتمثل وجهة نظر الدولة التيمورية وأغلبها فارسية، أو مصادر متحيّزة ضده وتمثل وجهة نظر دولة المماليك الجراكسة وأغلبها عربية، لهذا وجد الباحث اختلافاً كبيراً بين المؤرخين حول هذه الشخصية؛ فحاول الباحث التدقيق والكشف عن المادة البعيدة عن التحيّز والخروج بمادة علمية مرضية إلى حدٍ ما بالاعتماد على مصادر متعددة من بلدان مختلفة.

الثاني: يتعلق بصعوبة تصنيف حروب تيمورلنك تصنيفاً تاريخياً متسلسلاً، حيث كان يحارب في عدة جبهات في السنة الواحدة.

ولا بد من التنويه أن الدراسة اعتمدت من الناحية المنهجية ذكر حروب تيمور لنك حسب الإطار الجغرافي للمناطق وليس بحسب تسلسلها الزمني حفاظاً على وحدة الموضوع وتسلسل أحداثه.

اشتملت الأطروحة بعد المقدمة على تمهيد تاريخي وخمسة فصول:

الفصل الأول: تناول تعريفاً بتيمورلنك، وأصل قبيلته والألقاب التي نوديَ بها من قبل أصدقائه وأعدائه إضافة للحديث عن زوجاته وأبنائه ومحاولة الكشف عن شخصية تيمورلنك الحقيقية ومناقشة ثقافته وعقيدته وأراء المؤرخين فيه، كما تمت الإشارة فيه إلى الأوضاع السياسية وما نجم عنها من صراع بين أمراء ما وراء النهر على من يتفرد بحكم البلاد وبرز حينها نجم تيمورلنك حيث تمكن من التخلص من منافسيه وبسط سيطرته على سمرقند وقام بتأمين الجبهة الشرقية لها.

الفصل الثاني: وتضمن تأمين تيمورلنك للجبهة الشمالية لسمرقند بشن أربع حملات عسكرية متتالية نحو خوارزم، وتمت الإشارة فيه إلى علاقة تيمورلنك بالأمير حسين وأسباب النزاع بينهما وكيف استطاع تيمورلنك التخلص من كل منافسيه وتنصيب نفسه سيداً لبلاد ما وراء النهر بدون منازع سنة (771هـ/1370م) وتبين فيه أسباب توجهه إلى الهند والاعمال والاحداث العسكرية التي قام بها تيمور لنك هناك ومناقشة العوامل الحقيقية وراء انتصاره على القوات الهندية والنتائج التي تمخضت عنها، كما تناولت مشروع تيمور لنك لغزو الصين سنة (807هـ/ 1405م) واسبابه.

الفصل الثالث: حوى هذا الفصل استعراض للأسباب التي كانت وراء توجه تيمورلنك نحو بلاد فارس مع دراسة الأوضاع السياسية هناك تحت حكم آل مظفر قبيل الغزو التيموري لها، حيث كان حكام بلاد فارس في نزاع مستمر بينهم، فاستغل تيمورلنك حالة الانقسام والفوضى وتوجه بحملاته العسكرية لاستعادة مجد الإمبراطورية المغولية تحت مسوغات مختلفة، كما استعرضت

الأعمال العسكرية العنيفة التي قام بها، لاسيما في أصفهان وشيراز والنتائج التي تمخضت عن اجتياح تيمورلنك لبلاد فارس.

الفصل الرابع: وقد تم في هذا الفصل مناقشة سياسة أحمد بن أويس تجاه الغزو التيموري ودراسة الأوضاع السائدة في العراق قبيل غزو تيمورلنك لها، واستنباط الأسباب الحقيقية التي دفعت القوات التيمورية لغزو بغداد سنة (795هـ/1393م) وعرض سير حملة تيمورلنك العسكرية على بغداد وواسط والبصرة وتكريت والموصل والأعمال التي قام بها والنتائج والآثار التي ترتبت جراء هذا الغزو المدمر.

كما تمت الإشارة الى الأوضاع السياسية لبلاد الشام ومصر خلال حكم دولة المماليك الجراكسة مع دراسة للعلاقات بين السلطان برقوق وتيمورلنك والمراسلات التي دارت بينهما ومناقشة الأسباب التي اتخذها تيمورلنك كمسوغ لغزو الشام، واستعراض سير القوات التيمورية نحو حلب والأعمال التي قامت بها أثناء احتلال حلب والمناقشات والمناظرات التي دارت بين علماء حلب وتيمورلنك، وتوضيح الإجراءات التي اتخذها تيمورلنك في حلب قبل مغادرته والتوجه نحو حماة وحمص وبعلبك والأحداث العسكرية التي جرت فيها، كما بيّن فيه موقف السلطات المملوكية بقيادة السلطان فرج بن برقوق المتخاذل في الانسحاب أمام القوات التيمورية التي كانت على أشراف دمشق، ومناقشة الصلح الذي دار بين وفد علماء دمشق وتيمورلنك وما ترتب عليه من أعباء مالية، ثم تدميره لحلب ودمشق.

وتناولت بالدراسة المقابلة التي دارت بين ابن خلدون وتيمورلنك، وأنهيت الفصل بالآثار والنتائج التي ترتبت جراء الغزو التيموري لبلاد الشام.

الفصل الخامس: وخصص لدراسة أوضاع الدولة العثمانية قبيل معركة أنقرة (804هـ - 1402م) بين العثمانيين وتيمورلنك، كما تم الحديث عن الاستعدادات والتخطيطات العسكرية من قبل الفريقين قبيل خوض المعركة، واستعرضت أحداث معركة أنقرة وبينت أهميتها والنتائج التي تمخضت عنها مع ذكر الأسباب التي أدت إلى انتصار قوات تيمورلنك، والدور الخفي الذي شغله الأوروبيون. وتضمن هذا الفصل لمحة عن التنظيمات الإدارية والعسكرية للدولة التيمورية في عهد تيمورلنك.

وجاءت **الخاتمة** متضمنة أهم النتائج التي خلص إليها البحث والأهداف والدلالات المتوخاة منها، ثم تلا الخاتمة **ملحق** تبع ذلك بعض **الصور والخرائط** ذات الصلة، ثم **ثبت للمخطوطات والمصادر والمراجع والدوريات.**

وأخيراً أرجو أن أكون قد وفقت في تناول هذا الموضوع..

والله الموفق

المصادر التاريخية

إن حياة تيمورلنك وما جرى على يده من أحداث جسام قد عالجتها عدد من المصادر التاريخية، بعضها مدّون والآخر يتمثل في آثار تبقت لنا من عصره كنقوش على الأبنية والقطع الفنية والنقدية المرتبطة باسمه، أما المصادر المدّونة فهي في الغالب مصنفات أُلفت أثناء حياته وبعد فترة وجيزة من مماته، ومدّونات أشبه ما تكون بالمذكرات الشخصية تركها أفراد رأوه رأي العين وتحدثوا معه، كما ترك لنا مذكرات كان قد دونها عن نفسه.

أولاً: المصادر الرسمية:

وهي مصادر لمؤرخين كانوا من بطانة تيمورلنك وأولاده من بعده، كتبوا عن أخبار تيمورلنك، وتحمل مؤلفاتهم طابعاً رسمياً تهدف إلى الدفاع عنه وتسويغ أعماله وربما كانت تعبر عن وجهة نظر الإدارة التيمورية، حيث كان هؤلاء المؤرخون يرافقونه في غزواته وكانوا يكتبون باللغتين الفارسية والإيغورية التي استمدها الأتراك الجغتائيين في عهد تيمور من العنصر الإيغوري ويطلق عليهم اسم بخشي. رسائل يومية عن حملات تيمورلنك وحوادث عهده كما كانوا يشاهدونها، ثم أخذ بعض الأدباء بتدوين هذه الأحداث بأسلوب أدبي.

ونعلم من سيرة حياة تيمورلنك أنه كان أمياً لا يعرف القراءة ولكنه كان واسع الاطلاع نسبة لأهل عصره وعلى علم جيد بتاريخ الأقطار الإسلامية، وقد اتخذ لنفسه مجلساً خاصاً كانوا يقرؤون عليه وقت فراغه سواءً بقصره أو خلال حملاته العسكرية الكتب التي تعالج الحديث في المسائل التي تهمه، وكان يجيد اللغتين التركية والفارسية، وتتمثل تلك المصادر الرسمية في الآتي:

كتاب جهانكشاي (تاريخ فاتح العالم):

للمؤلف عطا ملك الجويني (ت 679هـ/1280م) تناول أحوال المغول قبل جنكيز وعهده وعهود أبنائه.

كتاب جامع التواريخ:

للمؤلف رشيد الدين فضل الله الهمذاني ت (717هـ/1317م)، والذي تناول تاريخ المغول من بداية عهدهم حتى نهاية العهد الغازاني.

كتاب بزم ورزم (أي كتاب الحرب والسلم):

ألّفه بالفارسية عبد العزيز بن أدشير الاسترابادي (ت 801هـ/1379م)، كان نديماً لأحمد بن أويس الجلائري في بغداد وشاهد الغزو التيموري الأول لبغداد سنة (795هـ/1393م) وهرب مع السلطان أحمد بن أويس الجلائري إلى كربلاء فقبض عليه ميرانشاه وصار من ملازميه، ثم هرب إلى سيواس وأصبح من المقربين لحاكمها القاضي برهان الدين أحمد، فألّف كتابه هذا هناك، وقد تناول فيه غزو تيمورلنك لشرقي الأناضول وحالة الشام قبيل الغزو التيموري. ولا غنى للباحث في تلك الحقبة عن هذا الكتاب.

مذكرات تيمور أو تزوكات تيمور لتيمورلنك (ت807هـ/ 1405م)

وهي تلك المبادئ والقواعد التي تشكل تسويغات تيمورلنك وفكره السياسي والعسكري في مذكراته التي قيل أنه كتبها أو أملاها – بالمغولية. وقد وجد أبو طالب حسيني الذي عاش في النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي نسخة في مكتبة جعفر باشا (1016هـ/1607م) أحد الولاة العثمانيين في اليمن فترجمه إلى الفارسية – وترجم الميجر ستيورات الكتاب من الفارسية إلى الإنكيزية ونشره بأكسفورد، وترجمه إلى التركية.

وقد قام الدكتور سهيل زكار بترجمته إلى العربية سنة (1425هـ/2005م)، وهذه المذكرات وثيقة تاريخية خطيرة تظهر لنا أن تيمورلنك كان صاحب عبقرية عظيمة، وأنه امتلك فكراً إسلامياً خاصاً به، لكن مشكلته مثل غيره من الطغاة هي المطابقة والمفارقة بين القول والعمل.

اختلف المؤرخون في نسبة هذه المذكرات إلى تيمورلنك فاحتجّ البعض وهم المنكرون أن المؤرخين المعاصرين لتيمور أمثال الشامي واليزدي لم يذكروا هذه المذكرات ولا نوهوا بذكرها وقد شكك هارولد لامب في نسبة هذه المذكرات إلى تيمور، واحتجّ المؤيدون لصدور هذه المذكرات عن تيمورلنك بأن المادة توثق صورة عنه، كما أن مادتها بلغة واضحة بخلاف الأسلوب الفارسي المسجع، وعلاوة على هذا في أن الكاتب ليس له مصلحة في تأليف كتاب كبير ومهم ثم يعزو تأليفه إلى تيمورلنك، ويبدو رأي الفريق الثاني أكثر وجاهة، ولاسيّما بأن الشامي واليزدي قد اعتمدا على الوثائق الرسمية الموجودة في بلاط تيمور دون أن يوردا ذكراً لها، وربما تكون المذكرات من بين هذه الوثائق، وقد أفدت في دراستي من هذه المذكرات سواءً حول فكر تيمور وخططه ومبادئه أو حول مشاريعه وأعماله الإدارية والعسكرية.

كتاب ظفرنامه لنظام الدين شامي (ت 814هـ/1411م):

ويعد مصنفه ظفرنامه أي كتاب النصر أول ما وصل إلينا عن تيمورلنك وأول ما كُتب عنه، وذلك عندما كلفه تيمورلنك سنة (804هـ/1401م) بتدوين حملاته. ونظام الدين شامي، من شام إحدى ضواحي تبريز قطن ببغداد، ولما احتل تيمورلنك بغداد سنة (795هـ/1393م) خرج إليه الشامي وقدم فروض طاعته فألحقه تيمورلنك بحاشيته وصحبه في حملته على بلاد الشام وكان شاهد عيان لغزو تيمورلنك لبلاد الشام سنة (803هـ/1401م)، ويعد مصنف الشامي من أهم مصادر هذه الدراسة حيث تعرّض لجميع نشاطات تيمورلنك السياسية، وعرض بشكل مفصل سيرة حياته، كما تضمّن معلومات إدارية واقتصادية والتزم جانب تيمورلنك، وقد اتضح هذا في جميع أخباره عن غزوات تيمورلنك التي أعطاها صفة شرعية، وعدّ تيمورلنك من المجددين في عصره وظهر تحيّزه من عنوان كتابه.

وتكمن الأهمية غير العادية لكتابه في اعتماد كثير من المؤرخين على المادة التي جمعت فيه، ولكن على الباحث أن يميز بين ما يستحق الثقة في روايته من ناحية، وبين ما يمكن أخذه بعين النقد من ناحية أخرى، وقد استفدت منه في دراستي.

كتاب منتخب التواريخ لـ معين الدين نطنزي (ت 819هـ/1413م):

عاصر المؤلف تيمورلنك وكان يعمل ببلاط حفيده اسكندر بن عمر شيخ الذي كان والياً على بلاد فارس في السنوات من (812-817هـ/1409-1414م)، وبتكليف من اسكندر ألّف معين الدين نطنزي كتابه وعرض فيه الأحداث المتعلقة بتيمورلنك، ومصادره على ما يبدو لا علاقة لها بمصادر شامي – ويزدي، وأهميته ترجع إلى معرفته الجيدة بتقاليد وعادات شعوب آسيا الوسطى وإلى كونه من رجال الإدارة في البلاط التيموري، وعلى الرغم من أن نطنزي صنّف كتابه تحت ظل الدولة التيمورية؛ فإنه امتاز بدقته في عرض الأحداث التاريخية التي اتبع في ذكرها المنهج الحولي، وكان كتاب نطنزي من المصادر التي اعتمد عليها ابن عربشاه في كتابه عجائب المقدور، وقد دوّن نطنزي كتابه سنة (819هـ/1413 أو 1414م) قبل أحد عشر عاماً من مصنف شرف الدين يزدي، ورغم إن كتاب نطنزي إضافي فيما يتعلق بتاريخ تيمورلنك إلاّ أنه يتمتع بأهمية بالغة لأنه يحوي وقائع لا وجود لها البتة في المصادر الأخرى.

كتاب ذيل جامع التواريخ – زبدة التواريخ – بنج رسالة تاريخي:

للمؤرخ شهاب الدين بن لطف الله الخواقي. المشهور بحافظ ابرو ولد بخراسان سنة (763هـ/1361م) التحق بخدمة تيمورلنك ورافقه في غزواته، وبعد موت تيمورلنك قربه شاه رخ بن تيمورلنك إلى بلاطه في عاصمته الجديدة هراة حتى وفاته (834هـ / 1430م)، ألف حافظ آبرو ذيل جامع التواريخ استكمالاً لكتاب رشيد الدين الهمذاني (ت 718هـ/1316م) في كتابه جامع التواريخ الذي انتهت حوادثه عند سيرة الإيلخان والجايتو – وأكمله حافظ آبرو في تدوين الحوادث حتى سنة (820هـ/1417م). وقد تعرض لسيرة تيمورلنك، كما حوى تفصيلات دقيقة لغزو تيمورلنك لبغداد في الجزء الثاني منه الذي نشر تحت عنوان زبدة التواريخ بايسنقري براغ 1956م. أما كتابه الثالث المسمى بنج رسالة تاريخي فقد تناول فيه علاقة تيمورلنك مع ملوك آل كرت والسر بداريه في خراسان وقد اعتمد على مصادر شامي ونطنزي.

كتاب ظفر نامه لـ. شرف الدين علي يزدي (ت 850هـ/1446م).

دوّنه شرف الدين يزدي بعد موت تيمورلنك، وانتهى منه سنة (828هـ/1424م)، كان يزدي من أدباء بلاط شاه رخ بن تيمور. ويصرّح يزدي في كتابه أنه اعتمد على الوثائق التي قام بجمعها إبراهيم بن شاه رخ حاكم فارس والمتعلقة بحكم جده تيمور، ومن الجلي أن يزدي بالغ كثيراً في دور ولي نعمته تيمورلنك ويمكن إرجاع ذلك إلى طبيعة الصلة بين الأمير الحاكم ومؤرخ البلاط. وعلى الرغم من كثرة الشواهد الشعرية وميل يزدي لتيمورلنك، فإن الكتاب يعد من أهم المصادر الرسمية الفارسية التي ترجمت لعهد تيمورلنك، وقد اعتمد يزدي على مصنف نظام الدين شامي، غير أن كتاب يزدي يحفل بمادة واقعية أكثر مما هو الحال مع مصنف شامي ما يمكن إرجاعه إلى وجود مصادر إضافية تحت تصرفه فهو لا يعتمد على كتاب شامي وحده بل وعلى وقائع الحملات والحوليات المعروفة تحت عنوان تاريخ خاني التي صاغها شعراً الكتبة الأويغور باللغة الأويغورية، كما استقى يزدي مادته من عدد ممن كانوا طرفاً في حملات تيمورلنك الذي تحفل أقوالهم بتفاصيل غير موجودة في المدونات التي ذكرها، ومن عيوب مصنفه أسلوب التكلف بالمحسنات البديعية وزيادة الأشعار التي هي في غالب الأحوال من نظمه، كما يُعد أكثر من سلفه دفاعاً عن تيمورلنك خاصة عند حديثه عن تلك التصرفات التي اتصفت بالقسوة واللاإنسانية التي صدرت من تيمورلنك في سحق ثورة أصفهان دون رحمة، أو بقتل مائة ألف أسير هندي قبل التحامه مع سلطان دلهي، وفي ذلك كله تجد لدى يزدي المسوغ لأعمال تيمورلنك، وترجم كتاب يزدي إلى اللغة التركية ونقله المستشرق الفرنسي بيتي دولاكروا إلى الفرنسية سنة 1722م ونقل إلى الإنكليزية عن النص

الفرنسي على يد جون دربي ما زاد انتشاره في أوروبا وطبع من الأصل الفرنسي في طهران 1336هـ بإشراف محمد عباسي في جزأين وهي الطبعة التي اعتمدت عليها.

كتاب روضة الصفا في سير الأنبياء والملوك والخلفاء:

للمؤلف مير محمد بن سيد برهان الدين خواندشاه المعروف بميراخواند، ولد في هراة سنة (837هـ/1433م) وبها مات سنة (902هـ/1497م) تناول في الجزء السادس من كتابه روضة الصفا العصر التيموري حتى سنة (873هـ/1468م) اعتمد في أخباره على يزدي وقد نقل عنه بصورة ربما تكون حرفية حيث يظهر تحيّزه لتيمورلنك بشكل واضح في مبالغته في تمجيد انتصاراته التي أحرزها.

كتاب حبيب السير – ودستور الوزراء:

للمؤلف غياث الدين بن همام المعروف بخواندمير (ت 942هـ/1535م)، وقد أفدت من كتبه كثيراً لغناها بالمعلومات، خاصة فيما يتعلق بتاريخ بلاد فارس وحملات تيمورلنك عليها.

كتاب شرفنامه:

لصاحبه شرف خان البدليسي (1005هـ/ 1596م) وقد تناول العصر العثماني والتاريخ الفارسي والأسر التي تعاقبت على حكمه من الإيلخانيين حتى الصفويين.

تلك هي المصادر التي تحدثت عن تاريخ تيمورلنك والتي خرجت من وسط البلاط على عهد تيمورلنك والتي حملت طابعاً رسمياً.

ثانياً: المصادر العربية

الدّره المضيئة في الدولة الظاهرية:

لمحمد بن محمد بن صصري الدمشقي (ت 799هـ / 1396م)، وهو من المعاصرين لغزو تيمورلنك للعراق حيث يتناول حوادث تيمورلنك من السنة (791 إلى 799هـ/1389 – 1397م) وقد بيّن الأوضاع العامة لبلاد الشام قبيل غزو تيمورلنك والاستعدادات التي اتخذها السلطان برقوق في دمشق تحسباً من قدوم تيمورلنك وقد فصّل الحوادث بإسهاب تام، ولكن يؤخذ عليه كثرة الاستطراد والأشعار ومع ذلك يبقى مصدراً متميّزاً.

تاريخ الدول والملوك المعروف بتاريخ ابن الفرات:

لمؤلفه محمد بن عبد الرحيم بن علي بن الفرات (ت 807هـ/1404م) اتبع في كتابه المنهج الحولي في سرده للحوادث، وقد تبعثرت مجلدات هذا التاريخ في كثير من مكتبات العالم وفقدت بعض أوراقه فقام حسن محمد الشماع بتحقيق المجلد الرابع في قسمين، البصرة 1979م، وحقق قسطنطين زريق المجلد السابع والثامن والتاسع المطبعة الأميركانية بيروت 1936م، وقد اعتمدت عليه وقد تناول الغزو التيموري لبلاد الشام ولكنه قدّم دراسة لحالة الشام السياسية قبيل الغزو والمحالفات بين الجراكسة والقبيلة الذهبية.

تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر:

لمؤلفه عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت 808هـ/1406م) كان شاهد عيان حيث كان مرافقاً للسلطان فرج بن برقوق في حملته إلى بلاد الشام لصد الغزو التيموري وقد بقي في دمشق إثر انسحاب الحملة المصرية وشارك في عقد الصلح بين تيمورلنك والدمشقيين والتقى بتيمورلنك عدة مرات وتناقش معه وفي كتابه التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً الذي حققه الطنجي تناول والتر فيشل لقاء ابن خلدون بتيمورلنك بشكل مفصل في كتابه، وقد استفدت من مادة ابن خلدون في دراستي ولاسيما حول غزو دمشق وما ترتب على هذا الغزو من دمار وكيف تعامل معه ابن خلدون وما دار بينهما من نقاش حول شخصية وثقافة تيمورلنك من خلال الاستنباط.

روضة الناظر في أخبار الأوائل والأواخر:

لمؤلفه مجد الدين محمد بن محمود المعروف بابن الشحنه (ت 815هـ/1412م) كان شاهد عيان لاجتياح تيمورلنك حلب سنة (803هـ/1401م)، وقابل تيمورلنك وعقد المناظرات والمناقشات معه وصلى معه جنباً إلى جنب وقدم تفصيلات دقيقة عن معركة حلب وما تعرضت له هذه المدينة من تدمير وقتل لسكانها، وما تم من إجراءات إدارية أعقبت تيمورلنك إثر توجهه إلى دمشق، وقد استعنت بمادته الموجودة في حاشية الكامل في التاريخ لابن الأثير، الجزأين الحادي عشر والثاني عشر.

الذيل على تاريخ ابن كثير:

لمؤلفه شهاب الدين أبي العباس أحمد المعروف بابن حجي (ت 816هـ/1413م) كان معاصراً لأحداث تيمورلنك وقد اعتمد على مصدره ابن قاضي شهبه في تاريخه إلى حد كبير ولا سيّما فيما يتعلق بغزو تيمورلنك لبلاد الشام، وقدم تفاصيل في غاية الأهمة استفدت منها في دراستي وقد قام عمر بن علي ذياب الشامي بتحقيقه لنيل درجة الماجستير في الأردن.

صبح الأعشى في صناعة الإنشا:

لأحمد بن علي القلقشندي (ت 821هـ/1418م) من مواليد مصر، كان معاصراً لأحداث تيمورلنك، عمل في ديوان الإنشاء حيث اطلّع على الكثير من الوثائق وقدّم معلومات جيدة عن علاقة الدولة المملوكية بالدول الأخرى وذكر الرسائل مفصّلة المتبادلة بين تيمورلنك والسلطان برقوق وابنه فرج فيما بعد وقام بترجمة لتيمورلنك، وقد أفادني بما قدّم من معلومات ولاسيّما حول علاقة تيمورلنك بدولة المماليك الجراكسة.

الدر المنتخب في تاريخ حلب:

لمؤلفه علي بن محمد بن سعيد المعروف بابن الخطيب الناصريه (ت 843هـ/1440م) وتكمن أهميته في أن صاحبه كان شاهد عيان لغزو تيمورلنك لحلب وقد دوّن ما رأت عينيه وما سمعت إذنه في ترجمته لتيمورلنك، وتُعد مادته مصدراً أساسياً لدراستي وقد اعتمد على الجزء المحقق من الدر المنتخب في تاريخ حلب لخليل الحسين.

تاريخ ابن قاضي شهبه:

لتقي الدين أبي بكر بن أحمد (ت 851هـ/1447م)، اختصر كتابه من مؤلفه الكبير الذي جعله ذيلاً على تاريخ الذهبي وابن كثير كان معاصراً للهجوم التيموري على الشام وقدم لنا معلومات مفيدة عن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لبلاد الشام، اعتمد في مادته على الاستشهاد بابن حجي. يُعد كتابه مصدراً أساسياً لدراسة ولاسيّما عن الشام.

السلوك لمعرفة دول الملوك:

للمؤلف تقي الدين أحمد بن علي المعروف بالمقريزي (ت 845هـ/1441م)، وقد كان معاصراً للأحداث التاريخية التي تعرض فيها العراق وبلاد الشام للاجتياح التيموري سنة (803هـ/1400م)، يُعد هذا الكتاب من أغنى المصادر بالمعلومات والأحداث التاريخية إذ جاء شاملاً لعصور الدولة الإسلامية منذ عهد الخلفاء الراشدين وحتى أواخر عصر الدولة المملوكية فكانت الاستفادة من هذا المصدر كبيرة كما استفدت من كتابه المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار.

أنباء الغمر بأنباء العمر – وكتاب الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة:

للمؤلف شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني (ت 852هـ/1449م)، يُعد ما كتبه من المصادر الأساسية لدراسة الغزو التيموري لبلاد الشام فقد كان معاصراً لحوادث الغزو وشغل عدداً من الوظائف الهامة في الدولة الجركسية فسنحت له فرصة إدراك دخائل السياسة للمماليك الجراكسة وموقفهم من الغزو، وكذلك الاطلاع على الوثائق الخاصة بسلاطين الدولة ورجالها مما أعطى مؤلفاته قيمة كبيرة أفادت الدراسة، وترجم لرجال القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي من الملوك والعلماء ورجال الإدارة والأدب ممن عرفهم أو سمع عنهم لاسيّما في مصر والشام.

كتاب عجائب المقدور في نوائب تيمور:

لمؤلفه أحمد بن محمد بن عبدالله بن إبراهيم بن أبي نصر محمد بن عربشاه، ولد في دمشق سنة (791هـ/1389م) أجبر على الهجرة إلى سمرقند وهو في سن الثانية عشر سنة (803هـ/1401م) وتعلم اللغتين الفارسية والمغولية والتقى بعدد من علماء بلاد ما وراء النهر وعرف أخبار تيمورلنك، عُدّت مواد كتابه وثائقية وذلك على الرغم من موقفه المعادي لتيمورلنك ربما لما أبصره وقاساه في

حداثته، حدد موقفه من تيمورلنك فحفظه بكل جوارحه واتخذ موقفاً سلبياً من حملات تيمورلنك وسياسته المبنية على النهب والسلب، مما انعكس بشدة على صفحات كتابه هذا، على الرغم من أن ابن عربشاه لا ينكر لتيمورلنك حظه من الذكاء ونبوغه في التنظيم وعبقريته العسكرية، وكتاب ابن عربشاه بوصفه مصدراً أساسياً يعتمد على ملاحظات المؤلف الشخصية وذكرياته كما يعتمد على الروايات التي سمعها من معاصري تيمورلنك ممن شاركوا في حملاته العسكرية أو شاركوا في أعماله وكانوا شاهدين على أحداث حكمه. وقد اعتمد على الصنعة في عرض الأخبار، وزار ابن عربشاه البلاط العثماني للسلطان محمد بن بايزيد وأقام بها نحو عقد من الزمن حيث قام بأعمال الترجمة لبعض المؤلفات كما تسلم ديوان الإنشاء لهذا السلطان لاتقانه التركية ثم عاد إلى بلاد الشام فأقام في حلب لبعض الوقت ودخل دمشق سنة 825هـ/1422م ثم قصد مصر وأقام في القاهرة وفيهامات سنة 854هـ/1450م ومصنف ابن عربشاه استفدت منه ومن كتابه فاكهة الخلفاء وفيه مادة عن قوانين جنكيز خان وأخبار تيمورلنك.

عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان:

لمؤلفه العيني (ت 855هـ/1451م)، يُعدّ من أشهر مؤرخي عصر سلاطين المماليك وُلد بعينتاب بين إنطاكية وحلب تلقى علومه بحلب ثم ذهب إلى القاهرة وولي الحسبة عدة مرات آخرها سنة (846هـ/1443م)، قدّم معلومات قيّمة استفدت منها ولاسيّما فيما يتعلق بتيمورلنك وحملته على بلاد الشام وأحوال دولة سلاطين المماليك الجراكسة.

كتاب التاريخ الغياثي:

لمؤلفه عبد الله بن فتح الله البغدادي الملقب بالغياثي، من مواليد بغداد (ت891هـ/ 1486م)، هاجر إلى حلب واستقر فيها هرباً من سطوة التركمان، يُعدّ كتاب الغياثي من أهم ما دوّن عن تاريخ العراق خلال القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، إذ قدم معلومات عن أحوال العراق خلال حكم الجلائريين، وتناول الأحداث اعتماداً على اليزدي وابن حجر العسقلاني وقد تحدث عن غزو تيمورلنك لبغداد ولاسيّما الثاني وآثار التخريب والقتل الذي خلّفه الغزو.

وبعد مضي نصف قرن من الغزو التيموري ظهر عدد من المؤرخين ممن ترجموا لتيمورلنك مثل: ابن تغري بردي (ت 874هـ/1469م) في كتابه **المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي**.

الحنبلي (ت 1089/1668م) في كتابه **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**. والشوكاني (ت 1250هـ/1834م) في كتابه **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**. وقد قدّمت هذه التراجم عن تيمورلنك معلومات ربما تكون متشابهة إلى حدٍ كبير إلاّ أنها أفادتني في دراستي وتعد مصادر مهمة لهذه الحقبة.

المصادر الأجنبية والمترجمة:

سفارة إلى تيمورلنك (1403 - 1406):

للسفير الإسباني كلافيجو بن إنريكي الثالث القشتالي ملك إسبانيا هنري الثالث إلى تيمورلنك وتُعدّ رحلة السفير كلافيجو من أهم الوثائق التاريخية حول تيمورلنك وعصره وأسرته وجيوشه وحياته الخاصة ومشاريعه السياسية والعسكرية والعمرانية في سمرقند وقد قدم وصفاً تاريخياً وجغرافياً للقسطنطينية في سنينها الأخيرة كعاصمة للإمبراطورية البيزنطية ولأوضاع آسيا عامة في مطلع القرن الخامس عشر الميلادي.

كتاب شلتيبرجر:

The bondage and travels of Johann Schiltberger in Europe, Asia and Aferica (1396-1427) Translated by Telfer, London, 1879

شلتيبرجر أحد الفرسان البافاريين الذين رافقوا الحملة الصليبية التي التقت مع العثمانيين في معركة نيقوبولس سنة (799هـ/1396م) فأسره بايزيد الأول وأرسله كمبعوث له إلى الجراكسة بمصر وبعد عودته إلى الأناضول أسره تيمورلنك أثناء قتاله مع العثمانيين وجعله في حاشيته خادماً ومربيّاً لأبنائه وأحفاده وبعد فترة هرب إلى بافاريا ودوّن في مذكراته غزوات تيمورلنك، وكان شاهد عيان في معركة أنقرة بين العثمانيين وتيمورلنك، وتعد مادته في غاية الأهمية لأنها أقل تحيزاً من الكتابات التيمورية الرسمية.

خراب دمشق وحياة تيمورلنك:

للتاجر الإيطالي برتراندو دي ميجانللي، من سينا Siena وُلد في سنة (772هـ/1370م) من أسرة نبيلة وسافر من بلاده في شبابه إلى المشرق العربي واستقر في دمشق، حيث أصبح من رجال التجارة والمال وقد تعلّم العربية أثناء إقامته في دمشق لذلك عمل مترجماً لدى السلطان برقوق، وفي سنة (800هـ/1400 – 1401م) كان تاجراً في مدينة القدس سمع عن خراب دمشق على أيدي تيمورلنك ثم

هرب مع قوات الناصر برقوق المملوكي ثم عاد إلى دمشق عن طريق قبرص في سنة (804هـ/1402م) فشاهد دمشق وقد تهدمت، وبعدها عاد إلى ألمانيا وكتب هناك رسالتين واحدة عن خراب دمشق والأخرى عن وصول برقوق إلى السلطنة.

تنبع أهمية ما كتبه هذا التاجر من كونه كان شاهد عيان عما عانته دمشق وكان أيضاً على إطلاع على الموقف الرسمي للسلطنة المملوكية الجركسية ولذلك ترقى كتاباته إلى الدرجة الوثائقية الأولى، وقد ترجم من قبل الدكتور سهيل زكار، وترجمه أيضاً أحمد عبد الكريم سليمان، وقد اعتمدت على الترجمتين.

كتاب تاريخ بخارى:

للمؤلف أرمينوس قامبري عاش في القرن التاسع عشر الميلادي، وكان متخصصاً في الكتابة عن البلاد الشرقية عامة والتركية خاصة لتردده عليها وزيارته لبلاد تركمستان، وقد أفرد فصلاً عن تيمورلنك وأعماله الحربية، ويعد من المراجع الرئيسة للحقبة التيمورية.

كتاب تاريخ الترك في آسيا الوسطى:

للمؤلف برتولد المستشرق الروسي، كرّس جلّ حياته لدراسة المنطقة الممتدة من بحر قزوين غرباً إلى منغوليا شرقاً، وقد كتب مؤلفاته جلها عن هذه المنطقة، لهذا كانت مادته مفيدة لدراستي وفي غاية الأهمية.

وكتابه الآخر **العالم الإسلامي في عصر المغول**، ترجمه خالد عيسى.

كتاب بُلدان الخلافة الشرقية:

للمؤلف كي لسترنج المستشرق الإنجليزي، والذي تناول فيه صفة العراق والجزيرة وإيران وأقاليم آسيا الوسطى منذ الفتح الإسلامي حتى أيام تيمور ويُعد من البارزين في دراسة الجغرافية التاريخية للبلاد الإسلامية، ونشر وترجم الكثير من كتب الجغرافيا التاريخية، لهذا جاء كتابه في غاية الأهمية، وقد استفدت منه في التعريف بالأماكن ولاسيّما أقاليم آسيا الوسطى، والخرائط التي كانت على مستوى عالٍ من الدقة وبعض الفقرات التاريخية التي ذكرها عن تيمورلنك.

يويكوبوفسكي وهو مستشرق روسي:

كتب بحثاً عن تيمورلنك يُعدّ من الدراسات العلمية المنصفة ونشره في المجلة التاريخية السوفيتية رسائل التاريخ (Voprosyistorii) في 1946م، وتكمن أهمية هذا البحث في أن يكوبوفسكي من ألمع المؤرخين الذين عالجوا فترة البحث في تاريخ آسيا الوسطى الإسلامية وفي تاريخ الترك والمغول.

التاريخ السري للمغول:

لمؤلف مجهول هو ملحمة الشعب المغولي حيث إنه من المرجح أنه قد جرت صياغته أيام جنكيزخان من قبل بعض المغول ونقل بعد هذا إلى الصينية، وجرى تدوينه فيها، ويستحق هذا الكتاب كل عناية واهتمام نظراً ولأهميته وجرى نقله إلى أكثر من لغة، وقد قام الدكتور سهيل زكار بنقله اعتماداً على النسخة الخطية العربية التي تعود إلى المؤلف رشيد الدين الهذاني في كتابه جامع التواريخ . حيث كان من أوائل الذين استقوا المعلومات من هذا الكتاب. وقد استفدت منه ولاسيّما أثناء مشروع تيمورلنك لغزو الصين حيث قدم لي معلومات عن أوضاع وأحوال الصين قبل الغزو التيموري.

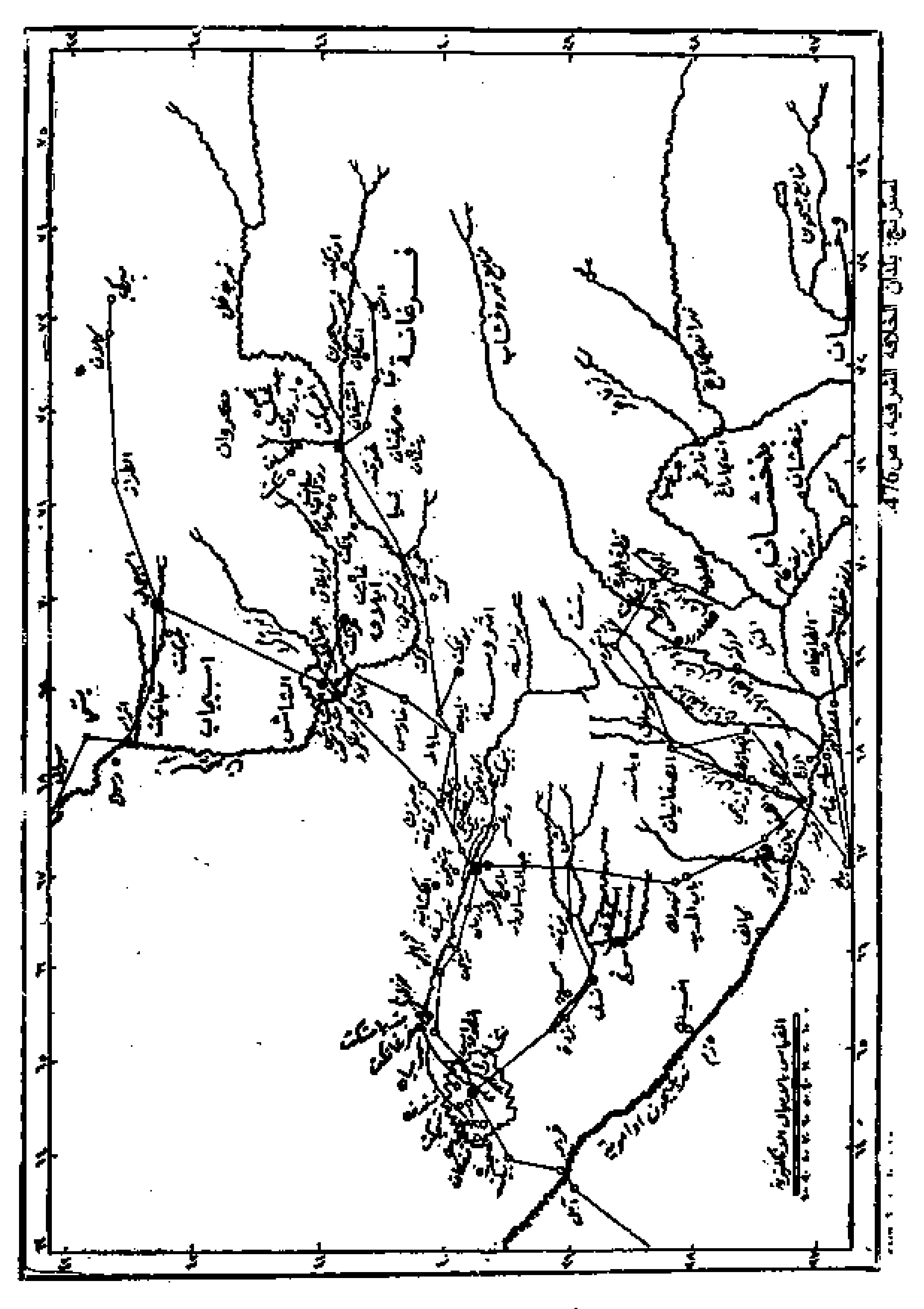


تمثال تيمور ممتطياً جواده في سمرقند www.google.com

تمهيد

التعريف جغرافياً بأهم مدن ما وراء النهر.

الصُّغد – سمرقند – بخارى – كش – خوارزم.



أقاليم نهري سيحون وجيحون

بلاد ما وراء النهر:

هي التسمية التي أطلقها العرب على المنطقة المتحضرة الواقعة في حوض نهري جيحون وسيحون، وكانت تُعد جزءاً من شرق ديار الخلافة العربية الإسلامية[1] وقبل الفتح العربي الإسلامي لهذه البلاد هناك تسمية شائعة عند العرب ذكرها بعض الجغرافيين باسم بلاد الهيطل[2] أما الفرس فكانوا يطلقون على هذه البلاد اسم توران[3] سكن هذه البلاد مزيج من الشعوب الآرية، والتركية، والمغولية[4] ويُعد نهر جيحون الحدّ الفاصل بين الأقوام الناطقة بالفارسية والتركية (إيران – وتوران)[5].

وأثناء السيادة العربية كانت أقاليم المشرق ذات جناحين، جناح في شرق نهر جيحون ويسمى بلاد ما وراء النهر وغرب نهرجيحون ويعرف باسم خراسان[6] ولم يدخل الجغرافيون المسلمون بلاد ما وراء النهر ضمن تركستان لأنهم كانوا يقصدون بهذا الاسم بلاد الترك عامة[7] ويبدو هناك شبه اتفاق حول حدود بلاد ما وراء النهر عند الاصطخري وابن حوقل والقلقشندي، حيث يجدها بها من الشرق قأمر وراشت وأرض الهند ومن الغرب بلاد الغزية والخزلجية حتى فاراب وبيكند وصُغد سمرقند وبخاري إلى خُوارزم ومن الشمال الترك الخزلجيّة من أقصى بلد فرغانه ومن الجنوب نهر جيحون من بذخشان إلى بحيرة خوارزم[8] وهذا ربما رجع إلى نقل البعض من الآخر فمن المتعارف

---

(1) ابن خرداذبه، عبيد الله بن عبد الله (ت280هـ / 893م): المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد، 230-231. ؛ برتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ترجمة صلاح الدين عثمان، الكويت 1981م، ص 145.

(2) المقدسي، محمد بن أحمد (ت380هـ/ 990م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار التراث العربي، بيروت، 1987م، ص 29.

(3) يزدي، شرف الدين (ت 858هـ / 1454م): ظفرنامة، بتصحيح واهتمام محمد عباس، طهران 1336، ج1، ص 424.

(4) القزويني، زكريا بن محمد (ت 682هـ /1418م): آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1960م، ص 557 ؛ الإدريسي، محمد: نزهة المشتاق في اختراق الافاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1979م، ج8، ص 467.

(5) لسترنج، كي: بلدان الخلافة الشرقية، نقله للعربية فرنسيس كوركيس، المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1954م، ص 476.

(6) البكري: كتاب المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان، الدار العربية للكتاب، 1992م، ج1، ص 441.

(7) القزويني: آثار البلاد، ص 514، ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار الكتاب العربي، بيروت، ج2، ص 387.

(8) الاصطخري، ابراهيم بن محمد (ت 336هـ/ 917م): المسالك والممالك، تحقيق، جابر عبد العال الحسيني، الجمهورية العربية المتحدة، 1961م، ص 161 ؛ ابن حوقل، حوقل النصيبي (ت381هـ/991م): صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، لبنان، 1979م، ص 381 ؛ القلقشندي، أحمد بن علي (ت821هـ/1418م): صبح

عليه ولا سيما في خلال تلك الحقبة من السيادة العربية أن حدود بلاد ما وراء النهر غير ثابتة. وتُعد هذه المنطقة من أنزه الأقاليم وأخصبها وأهلها فيهم خير وسخاء وذوي بأس وشدة ويذكر الجغرافيون أن القحط يظهر في المناطق المجاورة قبل أن يقحط ما وراء النهر[1] وقد أنجبت هذه المناطق عباقرة وعلماء كان لهم الريادة في كثير من العلوم أمثال: الخوارزمي عالم الرياضيات والأمـــام البخـــاري صاحب صحيح البخاري والفارابي الفيلسوف والموسيقى وابن سيناء الطبيب وغيرهم مـــن العلمـــاء والفقهاء والمحدثين علاوة على ذلك تأتي أهمية هذه المنطقة من موقعها المتوسط ومجاورتها للمغول والترك من جهة وقربها من الصين والهند من جهة ثانية[2].

ويمكن تقسيم بلاد ما وراء النهر إلى خمسة أقاليم:

1 – إقليم الصُغد وهو صُغْديان Sogdiana القديمة مع قصبتيه بخاري وسمرقند.

2 – إقليم خُوارزم في غرب الصغد وهو الإقليم المعروف اليوم بخيوه. ويـــشمل دلتـــا نهـــر جيحون.

3– إقليم الصغانيان: في الجنوب الشرقي ومعه الختل وغيرهما من الكور الكبير التي تقع في أعالي نهر جيحون وتعود إليه بذخشان.

4– إقليم فرغانة في أعلى نهر سيحون.

5– إقليم الشاش وهو اليوم إقليم طشقند الممتدة حتى مصب نهر سيحون مـــن منـــابع بحـــر آرال[3].

=الأعشى في صناعة الإنشاء، تعليق محمد حسين شمس الدين، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط1، 1987م، ج4، ص 430.

(1) الاصطخري: المسالك والممالك ، ص 161 ؛ المقدسي: أحسن التقاسيم، ص 214 ؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص 381 – ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص 45 ؛ القلقشندي، صبح الأعشى، المـــصدر الـــسالف، ج4، ص 430.

(2) الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت900هـــ/1495م): الروض المعطار في خبر الأقطار، ط بيروت، ص 131.

(3) لسترانج: بلدان الخلافة الشرقية، ص 476- 477 ؛ خطاب، محمـــد: بلـــدان الخلافـــة الـــشرقية، دار قتيبـــة، 1411هـــ/ 1990م، ص 6.

إقليم الصَغْد:

الصَغُد[1] أراضيها واسعة ذات بساتين وأشجار وفواكة ومياه ومدن عامرة ومدينتها تسمى الصَغُد وهي ذات قصور عالية وأبنية شاهقة والمياه تخترق أزقتها وشوارعها وقلَّ أن يكون بها قصر أو دار أو بستان بغير ماء[2] وهذا ربما مبالغ فيه. والصَغُد تُعد كورة[3] بين بخاري وسمرقند وإحدى جنات الدنيا حيث هناك قول مآثور يقول: جنات الدنيا أربعة غُوطة دمشق، وصغد سمرقند، وشعبُ بوّان[4] وأُبُلّة البصرة[5]. ويجري فيها نهر يعرف اليوم بنهر زرافشان (Zervashan)[6] وقد مجدَ الجغرافيون المسلمون هذه المنطقة ولا سيما من حيث موقعها وكثرة أشجارها وبساتينها ومدنها ومن أهمها سمرقند وبخارى[7].

سمرقند:

تعد سمرقند أكبر مدن ما وراء النهر تقع جنوب وادي الصُغد وصفها الجغرافيون والرحالة بالحسن والجمال فكثرة مبانيها من فنادق وخانات وحمامات وأسواق.. وخصوبة أرضها وأنهارها المتدفقة العذبة ووفرة محاصيلها الزراعية والحيوانية [8] ذكر السفير كلافيجو أن سكانها نحو مئة ألف نسمة أثناء سفارته لتيمورلنك[9] ومن يرى أنه بدأ بناءها تبَّع الحميري وأتم ذو القرنين حيث كان لها أربعة أبواب من الشرق باب الصين ومن الغرب باب النُوبهار ومن الشمال باب بخارى ومن الجنوب باب كش عليه صحيفة من الحديد عليها كتابة قديمة يزعم أهلها أنها بالحميرية وكان قد

---

(1) الصُغد: قد تكتب بالسين مكان الصاد في بعض المصادر الجغرافية وسكان الصَغد في الأصل من الترك وتتبع حالياً جهورية أوزبكستان.

(2) الوردي، عمر (ت861هـ/1456م): خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق محمد فاخوري، دار المشرق العربي، بيروت، 1411هـ/ 1991م، ص 60-61 ؛ القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص 543.

(3) الكورة: لفظ فارسي يعني كل صقع يشتمل على عدة قرى ويكون لتلك القرى من قصبة خطاب، محمد: قادة الفتح الإسلامي، دار الفكر، ط3، 1974من ص 344.

(4) شعب بوّان: أرض بفارس بظاهر همدان، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج1، ص 503.

(5) الاصطخري: المسالك والممالك، ص 165 ؛ القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص 543.

(6) نومكين: سمرقند، ترجمة صلاح صلاح، منشورات المجمع الثقافي أبو ظبي، ط1، 1996م، ص 13.

Barthold; Tarkestan down to the Mongol in vasion, London, 1928. P. 82.

(7) الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 351 – الحموي: معجم البلدان، ج3، ص 222.

(8) ابن حوقل: صورة الأرض، ص 406 – الاصطخري: المصدر السالف، ص 178.

– الحميري: المصدر السالف، ص 322 – الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت/ ط1، 1409هـ/ 1989م، م1، ص 497.

(9) كلافيجو: سفارة إلى تيمورلنك (1403-1406) نقله إلى العربية سهيل زكار، دمشق، 1426هـ/ 2005م، ص 304.

رأها الاصطخري وقد كتبت عليها المسافة من صنعاء إلى سمرقند[1]علاوة على أن بعض الحفريات كشف أن عمرها يقدر بالفين وخمسمائة سنة وهذا يؤيد الرأي الثاني[2] على كل حال فقد أصبح لسمرقند أهمية بالغة كوسيط تجاري بين الشرق والغرب ولا سيما في عهد تيمورلنك الذي اتخذ منها عاصمة لإمبراطوريته وجلب إليها كبار العلماء والفنانين والعمال من كل البلاد التي غزاها بهدف جعلها أكبر مدن العالم[3] ويلحق المدينة اثنا عشر رستاقاً[4] بحيث يتميز كل رستاق عن غيره وقد تحدث الجغرافيون عنها الكثير[5] أقدم وصف لسمرقند هو لابن الفقيه الهمذاني حيث قدر مساحتها بستة آلاف جريب[6] حكم الخطا[7] مدينة سمرقند من (1141 – 1209م) «قبل هزيمة خوارزم شاه أكثر من مائة ألف أسرة وكانت معظم الحقول والحدائق ملكاً للمسلمين لكنهم أرغموا على استخدام الصينيين والخطا والتنغوت ليتولوا القيام بالأعمال ولإدارة الممتلكات»[8] وهذا كلافيجو الذي زارها في عهد تيمور يقول: «أن سمرقند أكبر من مدينة أشبيلة»[9] اتخذها تيمورلنك الذي اتخذها عاصمة إمبراطوريته وكان يطمح أن يجعلها حاضرة العالم.

---

(1) الاصطخري: المسالك الممالك، ص 178-179 الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، م1، ص 498 – ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، مكتبة المثنى، بغداد، 1302هـ، ص 336، ص 337.

(2) نومكين، رفيتالي: سمرقند، ص 13، خلوصي: الطريق إلى سمرقند، مطبعة هاشم الحديثة، 1990م، ص 23.

(3) ابن عربشاه، أحمد بن محمد (ت854هـ 1450م): عجائب المقدور في نوائب تيمور، تحقيق سهيل زكار، دمشق، 2005م، ص 291-292 ؛ ابن بطوطة، محمد بن عبد الله: رحلة ابن بطوطة المسماه تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار- حققه، عبد الهادي التازي، أكاديمية المغرب، 1971م، ك3، ص 35 ؛ كلافيجو: سفارة إلى تيمورلنك (1403-1406)، ص 314. ؛ بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة أحمد سليمان، مكتبة الانجلو المصرية، 1958م، ص 228 – 229.

(4) الرستاق: كل موضع فيه مزارع وقرى وهو أخص من الكورة والاستان ؛ خطاب، محمد: قادة فتح بلاد فارس، دار الفكر، ط3، 1974م، ص 343.

(5) الاصطخري: المسالك والممالك، ص 180-181.

(6) جريب: مقداره يختلف بحسب الزمان والمكان حيث كان يساوي ثلاثة آلاف وستمائة ذراع مربع. ابن الفقيه: مختصر البلدان، ص 325.

(7) الخطا: لم أجد لها تعريف في الكتب التي بين يدي.

(8) لي شه شانغ: رحلة الراهب الطاوي شان شن إلى هندكوش بناءً على دعوة جنكيزخان، الموسوعة، زكار، ج 47، ص 411-433.

(9) سفارة إلى تيمورلنك، (1403-1406)، ص 311.

بخارى:

من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها، يُعبر إليها من آمُل الشطّ وبينها وبين جيحون يومان كانت قاعدة ملك السّامانيّة[1].

واسم بخارى نومجكث وهي مدينة على أرض مستويه وبناؤها من الخشب تحتوي على القصور والبساتين والمحال والطرق ولها سور يحيط بها[2] وهي مدينة عظيمة بينها وبين سمرقند سبعة أيام[3] وتعد مدينة بخارى من جملة مدن خراسان[4] وتتميز عن غيرها من المدن في الكبر وتزهو عليها في المحاسن نظراً لأرجائها الفسيحة فهي كثيرة الأشجار والثمار[5] أما فتحها فكان على يد سعيد بن عثمان في زمن الخليفة معاوية بن أبي سفيان ثم خرج منها يريد سمرقند فامتنعت عليه وبقيت حتى افتتحها سلم بن زياد أيام يزيد بن معاوية ثم انتفض أهلها وامتنعوا حتى سار إليها قتيبة بن مسلم الباهلي في أيام الوليد بن عبد الملك فافتتحها[6] وقد طرأ تطور على المدينة بعد ذلك في زمن آل سامان فقد أمر السعيد نصر بن أحمد بن إسماعيل الساماني ببناء قصر عظيم إضافة إلى بناء دور للعلماء إلى جانبه[7] وكان في بخارى دار للصناعة تقع بين السور والمدينة قرب الجامع يصنع فيها البسط والسرادقات والسجاد والبرد وكان يؤخذ خراجها إلى بغداد وقدره نحو مليون ومائة وثمانية وستين ألف درهم ثم خفض هذا الخراج ولم تبق هذه الدار على ما كانت عليه من جودة الصناعة ومهارة الصناع بل آل أمرها إلى الخراب[8] وكان لباسهم الأقبية والقلانس كزي ما وراء النهر وقد استقر في أذهان القدماء أن أهل بخارى هم أهل علم وأدب وفقه وديانة وأمانة

---

(1) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج1، ص 353.

(2) الاصطخري: المسالك والممالك، ص 171.

(3) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص 509.

(4) النرشخي، محمد بن جعفر (ت348هـ/959م): تاريخ بخاري، تعريب وتحقيق أمين بدوي، دار المعارف بمصر، 1965م، ص 27.

(5) الاصطخري: المسالك والممالك ، ص 171.

(6) الطبري، محمد بن جرير (ت 310هـ/922م): الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف القاهرة، ج2، ص 179-393.

(7) النرشخي: تاريخ بخاري ، ص 41.

(8) النرشخي: المصدر السالف، ص 37.

وخرج منهم طائفة من العلماء الذين يرجع إلى أرائهم ومؤلفاتهم[1] وهم أهل بأس وقوة لم تهزم لهم راية[2].

كش:

مدينة بقرب سمرقند حصينة وفيها ثمار أكثر من سائر بلاد ما وراء النهر وعماراتها حسنة غير أنها وبيئة[3] وبناؤها من طين وخشب وفواكهها كثيرة ولها أربعة أبواب باب الحديد وباب عبد الله وباب القصابين وباب المدينة الداخلية وهي مدينتان داخلية وخارجية ولها نهران كبيران نهر القصادين ونهر أسرود وهما يجريان على باب المدينة[4] وتعد كش من رساتيق سمرقند[5] وهي على جبل تبعد ثلاثة فراسخ من جرجان ولها قهندار وحصن وربض ومدينة حصينة وتأتي في المرتبة الثانية بعد مدينة بيكند وهي من أعظم مدن الصغد لكنها كانت في العصر الساماني بحالة تدهور ولعل مرد ذلك إلى ارتفاع شأن سمرقند وبخارى[6] ثم فتحها قتيبة بن مسلم الباهلي سنة (92هـ/710م) حيث كتب الحجاج بن يوسف الثقفي إلى قتيبة عليك بكش وانسف نسف نسفاً[7] ويصفها ابن بطوطة الذي مر بها سنة (733هـ/ 1332م) بأنها «مدينة صغيرة تحف البساتين والمياه بها»[8].

وكانت مسقط رأس تيمور في قرية تسمى خواجه ايلغار وهي من أعمال كش لذا كان تيمور يحب كشً ويقضي فيها فصل الشتاء في بعض الأحيان وبنى فيها لنفسه قصراً دعاه آق سراي القصر الأبيض لا يزال قائماً إلى اليوم[9] وجاء في مذكرات تيمور أن كش قد دعيت منذ (762هـ/ 1361م) بشهري سبز المدينة الخضراء لأن أرض المدينة تكتسي في فصل الربيع حلة من المروج

(1) من علمائها الإمام البخاري صاحب صحيح البخاري – ابن سيناء الفيلسوف الطبيب.

(2) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص 509. ؛ أبو الفضل، سميحة: السامانيون ودولتهم فيما وراء النهر، أطروحة دكتوراه، جامعة دمشق، 1992م، ص 57 – وفيها الكثير من التفاصيل عن الدولة السامانية في بخاري وأعمالهم من بناء ومساجد وعمارات وغيرها.

(3) ابن حوقل: صورة الأرض، ص 412 ؛ القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص 183.

(4) الاصطخري: المسالك والممالك، ص 181–182 ؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص 412 .

(5) المهلبي، الحسن بن أحمد (ت380هـ/990م): الكتاب العزيزي (المسالك والممالك) علق عليه تيسير خلف، التكوين للطباعة والنشر، ط1، 2006م، ص 163.

(6) الحميري: الروض المعطار، ص 323–472.

(7) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص 462 ؛ شوقي، خليل: فتح سمرقند، دار الفكر المعاصر، لبنان، ص 63.

(8) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص 354.

(9) برتولد: تاريخ الترك، ص 229.

الخضراء توشحها الكثير من المياه التي تنساب إليها من الجبال المجاورة[1] ويصف كلافيجو كش أثناء سفارته إلى تيمورلنك (1403-1406) حيث قال: «وفي يوم 28 من آب وجدنا أنفسنا قد وصلنا إلى قرب مدينة كبيرة معروفة باسم كش وهي قائمة من السهل والأرض من جميع الأطراف مروية بشكل جيد بمياه جداول وأقنية في حين هناك حول المدينة وبقربها من البساتين مع كثير من البيوت والمساكن وإلى الخلف وراء ذلك تمتد المنطقة السهلية حيث هناك الكثير من القرى والمزارع المسكونة بشكل جيد وهي جميعاً قائمة فيما بين المروج والأراضي المروية وفي الحقيقة المشهد كله جميل جداً في فصل الصيف من هذا العام ففي هذه الأراضي يجنون خمسة محاصيل من القمح في السنة ومن الكروم وهناك الكثير من القطن المزروع لأن المياه كثيرة للسقاية وحقول البطيخ هنا محاطة بالأشجار المثمرة في البساتين المجاورة»[2].

ومدينة كش محاطة بسور ترابي ولها خندق عميق جداً يتم عبوره من الأبواب بواسطة جسور ممدودة وتيمور نفسه هو من أهالي كش ووالده طرغاي كان أيضاً منها وفي المدينة كثير من البيوت الجميلة والمساجد وأعظم هذه المساجد المسجد الذي أمر تيمور ببنائه ويشاهد فيه المزار الذي دفن فيه والده وإلى جانب مزار آخر قيد الإنشاء قرره تيمور لنفسه ويشاهد في هذا المسجد ضريح الأمير جهانكير الابن الأكبر لتيمور الذي مات في سنة (774هـ/1372م) وقد عمل هذا الجامع مع المزارين بشكل جميل، هو مكسو ببلاطات زرقاء وذهبية ويجري هنا يومياً – بناءً على أوامر تيمور – طبخ عشرين شاة ويوزع هذا اللحم صدقة على روح أبيه وابنه وفور دخولنا إلى مدينة كش أخذونا إلى هذا المسجد وهناك قدموا إلينا طعام الغداء مع أطباق اللحم والفواكه بكميات كبيرة ثم أخذونا إلى قصر فخم حيث جرى إعداد أماكن للإقامة لنا ويشاهد عند المدخل صورة الأسد والشمس على كل قوس من الأقواس المحيطة بالساحة وكان رنك الأسد والشمس، كما أخبرونا هو، شعار الحاكم السالف لسمرقند الذي منه انتزعها تيمور أما الشعار الذي يحمله تيمور فهو ثلاث دوائر وضعت على صورة شكلت فيها مثلثاً متساوي الإضلاع: وقد قال بعضهم إن هذا الشعار يشير إلى أن تيمور هو سيد ثلاثة أرباع الدنيا وقد أمر تيمور وضع هذا الشعار على النقود التي ضربها وعلى الأبنية التي شيدها[3].

إقليم خوارزم:

اتفق الجغرافيون في تحديدهم لإقليم خوارزم فذكروا أن حدوده من الغرب بلاد الترك الغزية ومن الجنوب خراسان ومن الشرق بلاد ما وراء النهر ومن الشمال بلاد الترك. وهو إقليم منقطع

---

(1) Prawdin: L'Empire Mongol et Tamerlane Paris. 1937. p. 173.

(2) سفارة إلى تيمورلنك، ص229.

(3) كلافيجو: سفارة إلى تيمورلنك، ص 229-230.

عن خراسان وبعيد عن ما وراء النهر يشمل ضمن أراضيه عدداً كبيراً من المدن منها كاث وخيوة وهزاراسب وجكربند والطاهرية ودرغان وأعظم مدنها هي كركنج العاصمة التي تقع على الجهة الجنوبية لنهر جيحون وقد أطلق عليها اسم الجرجانية[1].

وخوارزم ليس اسماً للمدينة إنما هو اسم للناحية بجملتها وتقسم كلمة خوارزم إلى مقطعين خوار بمعنى اللحم ورزم بمعنى الحطب والمعنى الاجمالي أنها أرض اللحم والحطب إلى الطعام الموفور[2] ويؤكد ياقوت الحموي الذي زارها سنة (616هـ/ 1219) حيث قال: «ما رأيت ولاية قط أعمر منها فإنها على ما هي عليه من رداءة أرضها وكونها سيخه كثيرة النذور متصلة العمارة متقاربة القرى كثيرة البيوت المفردة والقصور في صحاريها فلم يقع نظرك على موضع لا عمارة فيه»[3].

ينتمي الخوارزميون من حيث الأصل إلى الجنس التركي الذي غلب على معظم أجزاء آسيا الوسطى ويتكلمون اللغة التركية[4] وقد أوضح المقدسي أنه وجد في بداية العصور الإسلامية حزام زراعي ربط خوارزم – بخراسان وما وراء النهر[5] وخوارزم قليلة المعادن فلا يوجد بها ذهب ولا فضة وكل يسار أهلها والأموال الطائلة في حوزتهم مردها إلى التجارة واقتناء المواشي إذ يشتغل أغلبهم بالتجارة مع بلاد الترك والخزر[6].

ويصف ابن فضلان دراهم خوارزم بأنهم كانت مزيفة ورصاصاً وزيوفاً وصفراً ويسمون الدرهم طازجة ووزنه أربعة دوانيق ونصف[7].

ويقع إقليم خوارزم على جانبي نهر جيحون فهو أقرب اتصالاً ببلاد ما وراء النهر لذا اعتبرناه إقليماً من أقاليم بلاد ما وراء النهر[8].

---

(1) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج2، ص 697 ؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص 451-452-453 ؛ لسترانج: بلدان الخلافة الشرقية، ص 489 .

(2) ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج2، ص 395 ؛ القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص 525.

(3) ياقوت الحموي: المصدر السالف، ج2، ص 396.

(4) الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج2، ص 699 ؛ مهنا، أسامة: نشاط الخورازميين في الشام والجزيرة، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، 2007م، ص 19.

(5) أحسن التقاسيم، ص 343.

(6) الاصطخري: المسالك والممالك، ص 170.

(7) ابن فضلان، أحمد بن العباس: رسالة ابن فضلان، تحقيق سامي الدهان، مديرية أحياء التراث العربي، دمشق، ص 112-113.

(8)خطاب: قادة الفتح الإسلامي ، ص 40

وقد اكتفيت بذكر هذه المناطق الجغرافية ولاسيما التي نشأ فيها تيمورلنك، دون الإشارة إلـــى الأقاليم الثلاثة الأخرى.

الفصل الأول

نشأة تيمورلنك وشخصيته وثقافته وعقيدته وآراء المؤرخين فيه وعلاقته مع الجته (الجغتائيين)

1 - أصل تيمورلنك - نشأته - ألقابه - عائلته - شخصيته-ثقافته- عقيدته- اراء المؤرخين فيه.

2 - أوضاع ما وراء النهر السياسية والاقتصادية والاجتماعية

3 - سيطرة قزغن على بلاد النهر سنة (747هـ/1346م)

4 - إعجاب قزغن بتيمورلنك

5- علاقة تيمورلنك مع تغلق تيمور

6- إخراج الجته من ما وراء النهر وسيطرة تيمورلنك عليها

7 - أحداث معركة جسر سنكين

8 - معركة قبي متن.

9 - تأمين الجبهة الشرقية بالحرب ضد الجته بزعامة قمر الدين دوغلات.

1 – أصل تيمورلنك:

يسمى من قبل بعض المؤرخين تيمور وتعني باللغة المغولية حديد وأضاف إليه من أرادوا النيل منه والحط من قدره كلمة لنك وتعنى بالفارسية أعرج وآخرون أضافوا إلى اسمه بدافع الاحترام كلمة بك وتعني الأمير أو السيد[1].

أما المؤرخون العرب فقد اعتادوا أن يشيروا إلى تيمور بالأمير أو السلطان أو الملك[2] أما الأوربيون فيطلقون عليه اسم تامرلان «Tamerlan»[3] اختلفت آراء المؤرخين حول نسب وانفرد المؤرخون الفرس بذكر نسب مطول له يرجع إلى قراجارنويان الذي كان في عهد جنكيزخان رأس قبيلة برلاس المغولية المتتركة[4].

وقد جاء نسبه كما ورد على شاهدة قبر بالعربية «هنا مرقد السلطان الأعظم – الخاقان الأكرم أمير تيمور كوركان ابن الأمير ترغاي[5] بركل بن ايلانكير بن إيجل بن قراجاد ابن برولا بن ايرزمجي الملقب برلاس الذي تنتسب إليه قبيلة برلاس»[6].

أما المؤرخون العرب فقد ذكروا أنه «تيمور بن أيتمش قتلغ بن زنكي بن سيبا بن طارم ابن طغريل بن قليج بن سنقور بن كنجك بن طغرسبوقا بن التاخان المغولي الأصل»[1].

---

(1) كلافيجو: سفارة إلى تيمورلنك (1403–1406م)، ص 154 القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج7، ص 330.

(2) ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ/1405م): تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر من تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط حواشيه خليل شحادة، دار الفكر، دمشق، ج7، ص 734 ؛ ابن تغري بردي، يوسف (ت874هـ /1469م): المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق نبيل عبد العزيز، مركز التراث، ج4، ص 103 .

(3) دي ميجانللي: حياة تامرلان، ترجمة أحمد سليمان، ضمن كتابه تيمورلنك ودولة المماليك الجراكسة، دار النهضة العربية، مصر، ط1، 1405هـ/ 1985م، ص 7 ؛ فامبري: تاريخ بخاري، ترجمة أحمد الساداتي، مطبعة شركة الإعلانات الشرقية، ص 206؛

The Encyclopadia Britannica, Eleventh Edition, 1911, Volum, 11, p. 784.

(4) نشأ تيمور في قبيلة مغولية متتركة هي قبيلة بارلاس المغولية وكانت هذه القبيلة تحكم وقتذاك الأماكن الواقعة على نهر كشكه ويحدثنا رشيد الدين بأن قاراجار وهو أمير جغتاني ويعد جداً لتيمور كان منسوباً إلى برلاس ولكن رشيد الدين لا يشير إلى أن قاراجار أو ذريته القريبة قد اشتركوا بأي قسط في الحكم هذا بينما تتواتر الروايات في عهد تيمور بأن قاراجار وخلفاءه كانوا – من بين خوانين الجغتائية – أصحاب قدرة وشوكة مثلهم في ذلك كمثل تيمور نفسه. انظر: بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة أحمد سليمان، ص 217.

(5) أبو تيمور تورغاي وليس ترغاي أو تارغاي تركية بمعنى طير الدج. أنظر: إقبال، عباس: تاريخ إيران بعد الإسلام، نقله إلى العربية، محمد منصور، ص 590.

(6) دائرة المعارف الإسلامية، دار المعرفة، بيروت، م 6، ص 159.

وقد حاول بعض المؤرخين ربط نسب تيمورلنك بكبير المغول جنكيزخان[2] من جهة أبيـــه[3] بينما ابن عربشاه ربط نسبه من جهة أمه[4] لكن المصادر الرسمية المعاصرة لتيمور لا تؤيد ذلك إذ اكتفت بذكر وجود قرابة بين قبيلة برلاس وأسلاف جنكيزخـــان مـــع تبيـــان المكانـــة الاجتماعيـــة والسياسية لأسلاف تيمور.

إن ما قيل عن تيمور إنه مغولي سببه أن الفرس ظلوا طويلاً يعدون خانية جغتاي عند الجانب البعيد من جيحون جزءاً مكملاً للدولة المغولية وهو استنتاج طبيعي بني على رسوم المغـــول هنـــاك فضلاً عن استعمال القوم للأبجدية الأويغورية في كتابة التركية[5] يؤكد هذا كلافيجـــو بقولـــه: كـــان هناك مقدم تتاري اسمه جنكيزخان ويعني بلغتهم كنز الدنيا وقد سيطر هذا الرجل على الشطر الأكبر من الأراضي غربي آسيا وعند وفاته خلف أربعة أولاد أسماؤهم كانت تولي، وأوكتـــاي وجـــوجي، وجغتاي وقد ترك لولده جغتاي منطقة سمرقند وما حولها وأوصاهم بجمع الكلمة والتوحد وقد كـــان جغتاي رجلاً جريئاً وصاحب مطامح كبيرة لذا وقع الحسد بينه وبين إخوانه وقاد هذا إلـــى فـــسادهم وخرابهم ودخلوا في حروب أحدهم ضد الآخر ثم إن الأعيان لمدينة سمرقند عنـــدما شـــاهدوا هـــذه الوقائع قاموا بثورة ضد جغتاي وقتلوه مع كثير من أسرته وأتباعه ثم اختاروا أحدهم ليكون ســـلطاناً عليهم وكان رجلاً من تلك البلاد وقد بقي عدد كثير من أولاد جغتاي يعيشون في تلك البلاد وكلهـــم رجال أغنياء وبحوزتهم كثير من الممتلكات هناك وقرر هؤلاء الرجال إثر قتل مولاهم جغتاي دعوة قبائل التتار من الخارج لأنه بات معروفاً أنهم حافظوا على اسم جغتاي سيدهم السالف ومـــن هـــذه القبائل جاء في مستقبل الأيام جمع يحملون اسم جغتائيين وتيمور نفسه جاء من هذا النـــسب حيـــث انحدر من واحد من هؤلاء الجغتائيين التتار وبالفعل فإن عدداً من سكان المناطق المجاورة لـــسمرقند

---

(1) ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفى بعـــد الـــوافي، ج4، 103 ؛الحنبلـــي، عبـــد الحـــي بـــن العمـــاد (ت1089هـــ/1668م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق الأرناؤوط، دار ابـــن كثيـــر، دمـــشق/ ط1، 1413هـــ/ 1993م، ج9، ص 96 .

(2) جنكيزخان: بن بيسوكاي بهادر ولد ربيع الآخر سنة (562هـــ/1166م) ويعد المؤسس الحقيقـــي لإمبراطوريـــة المغول الذي وضع لهم اليساق أو الالياسة، توفي (625هـــ 18 آب 1227م) أنظـــر: الهمـــذاني، رشـــيد الـــدين (ت717هـــ/1318م): التاريخ الغازاني، من جامع التواريخ، تحقيق زكار، دمـــشق، 1425هـــــ/ 2005م، ص 180.

(3) البدليسي: شرف نامه، ترجمة محمد عوني، دار إحياء الكتب العربية، 1962م، ج2، ص 55.

(4) ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص 12.

(5) فامبري: تاريخ بخاري، ص 206، حاشية رقم 2.

اتخذوا لأنفسهم هذا الاسم مع أنهم ليسوا من قبيلة جغتاي الحقيقية لكنهم فعلوا هذا بسبب الشهرة الكبيرة التي يتمتع بها الذين يحملون هذا النسب[1].

ومن هنا أرجع المؤرخون الفرس نسب تيمور إلى جنكيزخان اعتقاداً بأن ربطه بهذا النسب سوف يرفع من قيمته ويزيد من عظمته ويرفع من شأنه بين قومه وأنه عن طريق هذا النسب يحق له أن يكون خاناً على ما وراء النهر.

ويؤكد بعض المؤرخين أن تيمور نفسه لم يدّع بأنه من سلاله جنكيزخان ولم يلقب نفسه بعد توليه الحكم بلقب خان اعترافاً منه باختصاص الخانية بأحفاد جنكيزخان واكتفي بلقب الأمير ولكي يتقرب إلى الجغتائيين فإنه صاهرهم فحاز لقب كوركان أي صهر الملوك ويؤيد هذا النقش الموجود في مقبرة تيمور ولكنّ أحفاده ينفون أنّ تيمور من سلالة جنكيزخان بل ينتمي إلى قبيلة برلاس[2].

وكان الأمير قزغن[3] يقول لتيمورلنك: «أنت من أصحاب النسب الشريف ولكنك لست من نسب جنكيزخان وقد صار الاتفاق بين أجدادك وأبناء جنكيزخان أن يكون أبناء جنكيزخان الملوك وأن تكونوا أنتم أمراء الجيش وقد اتبعت هذا الاتفاق وقمت بموجبه أحسن قيام»[4] وبالفعل استمر تيمور في تبعيته لخانات المغول وشملت غزواته التي قام بها المناطق التي أخضعها المغول سابقاً وجعل تحركاته باسمهم ومما يؤكد استمرار تبعيته لهم حتى أواخر أيامه هو الحوار الذي دار بينه وبين ابن خلدون أثناء لقائه له حيث قال: «أنا نائب من نواب صاحب التخت وهو هذا وأشار إلى الصف القائمين من ورائه وكان واقفاً معهم وهو ربيبه الذي تقدم أنه تزوج أمه بعد أبيه سيورغتمش[5] وجعل نفسه وزيراً له»[1].

---

(1) كلافيجو: سفارة إلى تيمورلنك (1403-1406) ترجمة زكار، ص 236.

(2) ابن عربشاه: عجائب المقدور من نوائب تيمور، تحقيق سهيل زكار، ص 20 ؛ اومنياكوف: سمرقند، موسكو، دار التقدم، 1972، ص 116.

(3) يعد قزغن أو قازغان صانع الملوك في بلاد ما وراء النهر حيث كان وزيراً للخان قازان بن ساور ولم يرض الأمير قزغن على ما كان عليه هذا الخان من الظلم والقسوة وسفك الدماء ونجح في قتله بعد معارك دامية بين الطرفين وظل الأمير قزغن بعد ذلك يولي ويعزل من يشاء من خانات الجغتائيين حتى تمكن صهره تغلق تيمور من قتله. يزدي: ظفر نامه، ج1، ص 28 – 30.

(4) لامب هارولد: تيمورلنك، ترجمة عمر أبو النصر، المطبعة الوطنية، بيروت، 1934م، ص 27 – 28.

(5) سيورغتمش بن دانشمدجة من خانات جغتاي، أجلسه تيمورلنك على عرش الخان أثناء حربه مع الأمير حسين لأنه أدرك أن المغول لا ينقادون لغير أسرة جنكيزخان وجعل تيمور نفسه وزيراً له حتى توفي سنة 790هـ عين ابنه محمود حتى سنة 800هـ وقد سك تيمورلنك النقود باسم هذين الخانين وأن كان حكمهما اسمياً فقط إلا أن اسم محمود بقي في النقود حتى وفاته سنة 806هـ/1403م. انظر: لين بول، ستانلي: الدول الإسلامية، نقله إلى العربية، محمد صبحي، مطبعة الفلاح، دمشق، 1974م، م2، ص 589.

ومن خلال الدراسة والإطلاع على المصادر المختلفة ومنها المعاصرة للحدث والحديثة المتخصصة في المغول تبين لي أنّ نسب تيمورلنك كان تركيا من جهة أبيه من قبيلة برلاس التي هاجرت من مغولستان[2] إلى ما وراء النهر سنة (664/ 1266م) واستقرت جنوبي سمرقند. ومن جهة أمه تكينه خاتون[3] كان مغولياً ينتمي إلى جنكيزخان كما دون على قبره.

نشأته:

اختلف المؤرخون في السنة التي ولد فيها تيمورلنك، تقول رواية حافظ آبر وميرخوند ليلة الثلاثاء 5 شعبان سنة (736هـ/ 1335م) في كش[4] أما المؤرخون العرب فذكروا أن مولده كان في سنة (728هـ/ 1327م) وكانت خواجه ايلغار هي مسقط رأسه من أعمال كش[5] في بلاد ما وراء النهر[6] وقد أطنب المؤرخون في بيان ما وقع أيام ولادته أو ما شوهد في يده من دم ويقصدون لفت الأنظار بتنبؤات وأساطير تدل على عظمته منذ ولادته فقد جرت العادة مع الرجال الذين أصبحوا من المشاهير أن يبذل المادحون محاولاتهم ليظهروهم بالمظهر الرفيع ويحيطوا مولدهم من ناحية أخرى بكل الأعاجيب التي تشير إلى ما سيكون من شأنهم في المستقبل[7] .

---

(1) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج7، ص 734.

(2) مغولستان: إقليم واسع تمتد حدوده الغربية مع امتداد إقليم الشاش حتى خجندة ويحدها من الشمال الغربي إقليم تركستان ويعد نهر تارين الحد الجنوبي لها.

Mirza Haider: Tarikhi Rashidi, rr. From Persian by E.D.Ross (London press 1973). p. 53.

(3) ابن عربشاه: عجائب المقدر في نوائب تيمور، ص 12.

(4) حافظ آبرو، شهاب الدين عبد الله (ت834هـ/1430م): زبدة التواريخ، تحقيق فلكس تاور (براغ 1956) ص 186 ؛ ميرخوند مير بن محمد (ت 903هـ/1497م): روضة الصفا في سيرة الأنبياء والملوك والخلفاء (طهران) كتاب فرو شبهاى 1339، ج6، ص 10 – 11.

The New Encyclopadia Britannica, volume II, p. 784.

(5) ابن عربشاه: عجائب المقدر، ص 9 ؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي والوافي بعد الوافي، ج4، ص 103 ؛ الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج9، ص 96 ؛ العزاوي، عباس: موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين، الدار العربية، م2، ص 284.

(6) قرية خواجة إيلغار تعد من أعمال كش تبعد عن سمرقند مسيرة ثلاثة أيام، القرماني: أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، تحقيق أحمد حطيط، عالم الكتب، م2، ص 499، وهي تقع الآن في دوسه أوزبكستان.

(7)روي عن جنكيزخان الكثير من الروايات الخيالية التي تشير إلى عبقريته ودوره المستقبلي . انظر: التاريخ السري.

على كل حال اتفق بعض المؤرخين على أن والد تيمورلنك كان من أسرة نبيله[1] من قبيلة برلاس وأن والده كان أميراً وشيخاً لتلك القبيلة[2] وبالفعل قد يكون هذا الرأي الأقرب إلى الصواب حيث كان عم تيمورلنك حاجي برلاس من أبرز الشخصيات البارزة في كش كما كان والده ترغاي أحد مشايخ القبيلة. وقد أخطأ شامي عندما ذكر حاجي برلاس أنه شقيق تيمور[3] ويذكر تيمور في مذكراته «أن أباه قد نشأه على التمسك بسنن الإسلام القويمة فقط بل وأشرب فيه مشاعره السياسية التي كانت تهدف إلى تقويض أركان الدولة المغولية وأخذت منذ الثانية عشرة من عمري أستوعب كتب الحكمة العالية والقوة الخارقة، كما حملت نفسي على الإباء والرزانة بازاء من حولي وحين بلغت الثامنة عشرة وكنت شديد الاعتزاز بما بلغته من المهارة في الصيد وألعاب الفروسية كما كنت أمضي وقتي في قراءة القرآن ولعب الشطرنج وهوايات أخرى مختلفة»[4] وكان أباه يقدر فيه الرجولة لما بلغ العشرين من عمره فأخذ يشجعه على اتخاذ طريقة في المعارك والصعاب[5].

وقد تعلق تيمورلنك بالمشائخ وحرص على مجالستهم ويذكر أنه كان في بلده كش شيخ يسمى شمس الدين الفاخوري[6]ذهب إليه تيمورلنك وقام بتقبيل يديه ورجليه وطلب العون منه وقد رق الشيخ لحاله وقال لمن معه: «إن هذا الشاب بذل عرضه وعروضه واستمدنا في طلب ما لا يساوي عند الله جناح بعوضه، فنرى أن نمده ولا نحرمه ولا نرده فأمدوه بالدعاء»[7] أما والدة تيمور فالمعلومات عنها قليلة وقد ذكر يزدي أن اسمها تكينه خاتون[8] ولم يذكر المؤرخون التيموريون شيئاً عن نسبها إلا المؤرخ العربي ابن عربشاه حيث أشار: إنه قرأ في كتاب فارس أن نسبها ينتهي إلى جنكيزخان[9] وقد تأثر تيمورلنك بوفاة والدته حيث فقد عطفها وحنانها وتأثر

---

(1) كلافيجو: سفارة إلى تيمورلنك، ص 232 ؛ فامبري: تاريخ بخارى: ص 207.

(2) البغدادي، أحمد بن عبد الله (ت1102هـ/ 1690م): عيون أخبار الأعيان ممن مضى من سالف العصور والأزمان – مخطوط مصور بدار الكتب القاهرة، برقم 3810 – الورقة 447.

(3) الشامي، نظام الدين (ت814هـ/1411م) : ظفر نامه، تحقيق فلكس تاور ، بيروت، 1937م، ص16.

(4) تيمور: مذكرات تيمور مدبر العالم، نقله إلىالعربية سهيل زكار، دمشق، 1425هـ/ 2005م، ص 56، فامبري: تاريخ بخاري، ص 207.

(5) فامبري: تاريخ بخاري، ص 207 ؛ إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، ص591 ؛ 592، لامب، تيمورلنك، ص 22 – 23.

(6) ويعرف باسم شمس الدين كيلان ولعل عمر تيمور عندما قابله كان قرابة الثانية والعشرين وعليه يكون اللقاء قد حدث ما بين (759 أو 761هـ/ 1358 – 1360م. انظر: ابن عربشاه: عجائب المقدور، الحاشية، ص 11.

(7) ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص 11 ؛ القرماني: أخبار الدول وآثار الأول، ص 388 ؛ الغياثي: التاريخ الغياثي، ص 171.

(8) يزدي: ظفر نامه، ج1، ص 8.

(9) ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص 12.

والده أيضاً بوفاة زوجته واعتزل الحياة السياسية حزناً عليها وأقام في صومعة يتعبد ويتقرب إلى الله وانعكس هذا الوضع على تيمورلنك الذي أصبح يقضي معظم وقته وحيداً[1] بينما والده بقي حياً حتى سنة (761هـ/ 1360م) ولم يلبث أن توفي وتم دفنه في كش[2] وقد أمر تيمورلنك فيما بعد سنة (775هـ/ 1374م) بنقل رفات أبيه إلى مقبرة ضخمة أقامها له بجوار المسجد الكبير في مدينة كش[3] وعاش تيمور صباه بين قبيلة البرلاس ، وأتقن فنون الحرب الشائعة عند القبائل الصحراوية وبين أفرادها وهي عملهم الرئيس من رسوم الصيد والفروسية ورمي السهام حتى غدا فارساً ماهراً وراميا للسهام وكان عالي الهمة طموحاً فلم يقنع بذلك وخطا في طريق العلو والرئاسة[4].

وتميز منذ نشأته الأولى بالشجاعة والجرأة وحب المغامرة[5] ويروي تيمور عن نفسه في مذكراته بالقول: «منذ كنت في الثانية عشرة من عمري سافرت عبر البلدان وقاتلت المصاعب وعملت المغامرات وقهرت الأعداء وواجهت أعمال العصيان وصرت معتاداً على لغة عدم الطاعة وتصديت لهم بالتغافل والتحمل وخاطرت بنفسي في ساعة المخاطر إلى أن تمكنت أخيراً من قهر الولايات والممالك وأسست المجد لاسمي»[6].

والشواهد التاريخية تؤكد بالفعل أن تيمورلنك كان لا يجاريه أحد من أقرانه في عشق المغامرة والمخاطره. ويبدو أن أوائل حياة تيمور غير معروفة على وجه الدقة وما يقرب إلى اليقين أنه لم يحدث في هذه الحقبة المبكرة من حياته شيء ذوبال لأنه كان إذ ذاك مغموراً ويحيا حياة أفراد قبيلته العادية لكي يهتم بإثباتها مؤرخ وإنما بدأت أحداثه التاريخية في التقييد والذكر بعد مدة من الزمن وهذا ما يفسر لنا اضطراب وغموض الأخبار عن حياته ولا سيما مرحلة الطفولة.

وهذا متوقع لأن نظام الدين شامي لم يتعرف على تيمور إلا في سنة (795هـ) أثناء غزوه بغداد ولهذا لم يورد شيئاً عنه في أيامه الأولى ولم يكلفه تيمور بتأليف كتاب عنه إلاّ من سنة (804هـ/ 1401م) ولم يتم التأليف إلا في سنة (806هـ/ 1403م) وتعد أول ترجمة علمية لحياة تيمور. كما وردت أخبار تيمور الأولى عند بقية المؤرخين التيموريين بشكل مقتضب.

---

(1) لامب: تيمورلنك، ص 18 – السيد، فرج: قاهر العالم تيمورلنك، دار الفكر، القاهرة، ط2، ص 22.

(2) يزدي: ظفرنامة، ص 35.

(3) Barthold (w.): Ulugh Beg (translated from the Russian by v. and T. Minordky). London, 1963, p. 16.

(4) إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، ص 591-592.

(5) فامبري: تاريخ بخاري، ص 270.

Prawdin, M. The Mongol Empir, Its rise and Legacy. London. P 415.

(6) تيمور: مذكرات تيمور مدبر العالم، ص 56.

ألقاب تيمورلنك:

أطلق على تيمورلنك عدد كثير من الألقاب والصفات التي كان يصفه بها رجال دولته وأعداؤه ولم يكن تيمورلنك يهتم بالألقاب الإسلامية المعتادة التي كانت تطلق على حكام المسلمين في عصره.

بينما كان العلماء وخطباء المساجد يلقبونه بألقاب منها – العادل – والراشد – والأمير – والمجيد..

وكان تيمورلنك في أثناء امتداد وتوسع دولته يغيّر من ألقابه ولكنه لم يتلقب بلقب خان[1].

ويبدو أن تيمورلنك لم يتخذ ذلك لنفسه خوفاً من غضب خانات جغتاي ومراعاة لحقوق أولاد جغتاي[2].

وقد ذكر تيمور في مذكراته بعض الألقاب التي كانت تطلق عليه منها: لقب أمير[3] كما جاء في نص الفتوى «وفقاً لسيرة الخلفاء الراشدين (رض) وبناء على إجماع أهل الإسلام والعلماء والمشايخ والعساكر والرعية قد جرى تعيين الأمير تيمور – أيّده الله – قطباً للسلطنة وحاكماً لأنهم رأوه نبيلاً وأهلاً لذلك»[4] لقب صاحب القران[5] «إنه منذ زمن هجرة الرسول الأعظم حتى يومنا هذا قد مرت ثمانمائة سنة ولما كان الله تعالى قد ألهم في كل قرن وأرسل مجدداً للدين ومروجاً وإنه في سبيل رواج عقيدة رسوله وحبيبه ومن أجل تجديد دينه الحمد لله تعالى الذين جعل الأمير صاحب القران في بداية القرن الثامن الهجري هو المجدد والمشجع للدين المحمدي والمروج لدين الإسلام»[6].

---

(1) ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص 20 – الشامي: ظفر نامه، ص 68-69 ؛ لامب: تيمور لنك، ص292.

Prawdin; The mongol Empire. P. 438.

(2) إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، ص 600.

(3) الأمير: كانوا يطلقون عليه هذا اللقب لأنه كان نائباً عن سرغتمش الذي نصبه على عرش سمرقند، العلبي أكرم: تيمورلنك وحكايته مع دمشق، ص 23.

(4) تيمور: مذكرات تيمور مدبر العالم، ص 12.

(5) صاحب القران: أي سيد التقارن السعيد بين الكواكب وقد ذكرته سابقاً في لقاء ابن خلدون تيمورلنك، انظر – ابن خلدون، التعريف بابن خلدون، ص 37 – والشامي في كتابه ظفر نامه دائماً يتناول تيمور بلقب صاحب القران وأيضاً اليزدي، وحافظ آبرو.

(6) تيمور: مذكرات تيمور مدبر العالم، ص 62.

ولَما استولى تيمور على ما وراء النهر وفاق الأقران تزوج بنات الملوك فزادوه فـــي ألقابـــه كوركان[1] ويعني بلغة المغول الختن لكونه صاهر الملوك[2].

وقد أطلق بعض المؤرخين العرب والمسلمين على تيمـــور الطاغيـــة فـــي عهـــد المماليـــك الجراكسة[3] أما ابن خلدون فقد انفرد في منح تيمور الألقاب المختلفة دون تمييز فيـــسميه بـــالأمير وسلطان العالم، وملك الدنيا، والأمير العظيم، وسلطان المغل والتتر[4] ومن الصفات التـــي أطلقـــت على تيمور من قبل السلطان فرج بن برقوق[5] السلطان العظيم المقام، الشريف العادلي، المظفـــري، قطب الإسلام والمسلمين تيموركوركان[6].

كما لُقّب سليل جنكيزخان[7] وخليفة جغتاي وقهرمان الماء والطين وقاهر الملوك والـــسلاطين وقطب الدين وعبد الله تيمور[8] ولقب بالسلطان سنة (790هـــ/ 1388م) وبعد وفاته لُقّب جنت مكان أي ساكن الجنة[9].

---

(1) كُوركان اوكر: وتعني صهر الملوك ولقب به عندما اقترن من بنات الملوك في بداية حياته. انظر: فيشل: لقـــاء ابن خلدون لتيمورلنك، ص 89 ؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج7، ص 329 الحاشية.

(2) ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص 12 ؛ البدليسي: شرفنامه، ترجمة محمد هاني، دار الزمان، ج2، ص 55 – دائرة المعارف الإسلامية، م6، ص 159.

(3) المقريـــزي: الـــسلوك لمعرفـــة دول الملـــوك، ج3، ق3، ص 1111 – ابـــن حجـــر، أحمـــد بـــن علـــي (ت852هـــ/1448م): أنباء الغمر بأنبا العمر، تحقيق محمد دهمـــان ، دمـــشق، 1970) ج2، ص 299 – ابـــن تغري بردي: المنهل الصافي، ج4، ص 103 – الحنبلي: شذرات الذهب، ج9ن ص 96 الشوكاني: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع، تحقيق حسين العمري، دار الفكر، دمشق، ط1، 1419هـــ/ 1998م، ص 188.

(4) ابن خلدون، التعريف بابن خلدون، تحقيق الطنجي، ص 366 – 372. فيشل: لقاء ابن خلدون تيمورلنك، ترجمة محمد توفيق، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص 89.

(5) كل هذه الأوصاف التي كالها سلطان المماليك الجراكسة لتيمورلنك ناسياً ما فعله تيمور ببلاد العرب والمـــسلمين من تخريب ودمار في رسالة بعثها إليه مع كثير من الهدايا الثمينة لكي يكسب وده ويضمن بقاءه علـــى عرشـــه بمصر.

(6) القلقشندي: صبح الأعشى، ج7، ص 350.

(7) أطلق عليه هذا اللقب عندما جلس على عرش بلخ سنة (773هـــ/ 1371م) أنظر:

Grousset; The Empire of the steppes Ahistory of Central Asia. P. 409.

(8) ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص 278 ؛ شيخو، محمد: حقيقة تيمورلنك العظيم، حققه عبد القـــادر الـــديراني، دار نور البشير، دمشق، 2006م، ج1، ص 13-14 – وقد مجد تيمور إلى درجة كبيرة وبتعصب أعمى.

(9) دائرة المعارف الإسلامية، دار المعرفة، بيروت، م6، ص 159 – العلبي أكرم: تيمورلنك وحكايته مع دمـــشق، دار المأمون للتراث، ط4، 1987، ص 23.

والحق أن تيمورلنك لم يهتم بالألقاب والصفات كغيره من السلاطين[1] بينما الألقاب والصفات التي أطلقت عليه لم تكن جزافاً بل كانت تعبيراً صحيحاً عن حقائق مخيفة حيث تمكن هذا القائد العسكري من السيطرة على أكبر الدول في العصور الوسطى وخلال فترة وجيزة مما أذهل الملوك والسلاطين فشهد على عبقريته العسكرية الأعداء قبل الأصدقاء.

وبهذا لا نستغرب أن يلقب تيمورلنك بكل هذه الألقاب والصفات فالحقيقة أنه لم يصل أحد من الحكام والسلاطين الذين في عصره إلى ما وصل إليه من التوسع والنفوذ والسلطة بغض النظر عن كل السلبيات التي سببها غزواته المدمرة.

عائلة تيمورلنك:

كانت أولى أزواجه أولجاي توكان آغا وتُنسب إلى قبيلة جلائر وربما كان قبلها نساء أخريات في حياة تيمور لكنها أول من عرفت منهنّ. وسراي ملك هانم وألوس أغابنت خضر وإسلام آغا بنت خضر وطغى تركان خاتون والأربع أرامل السلطان حسين[2]. ودلشاد آغا وهي ابنة خصمه قمر الدين وتدعى الملكة الكبرى وقد توفيت سنة (785هـ/ 1383م) وتومان آغا بنت موسى جلائر أمير نخشب وجليان آغا نجمة الصباح وكالبدر عند الكمال قتلها في حياته لوشاية بلغته عنها ثم تبين براءتها بعد أن سبق السيف العذل[3] وتكل خانم تزوجها سنة (800هـ/1397م) وتلقب بالملكة الصغرى وتدعى خانم وهي أميرة صينية ويذكر كلافيجو أن تيمور عندما وزع الهدايا التي جلبها السفراء أعطى القسم الأكبر منها لزوجته خانم[4] ومن أبرز من بقي منهن بعد وفاته سراي ملك خانم وتومان آغا وتكل خانم وقد اقترن تيمور ببعض هؤلاء النسوة لأسباب سياسية كما هو الحال مع نساء السلطان حسين وكان له الكثير من

---

(1) وقد تبين لي هذا من خلال مراسلاته للملوك والسلاطين وخلوها من هذه الصفات والألقاب.

(2) السلطان حسين هو ابن مسلا بن قزغن حفيد الأمير قزغن تزوج تيمور من أخته والجاي توركان آغا سنة (757هـ/ 1356م) وقد أنجبت هذه الزوجة بنتاً هي سلطانة بخت أصبح حسين حاكماً على بلخ وامتد نفوذه حتى أطراف تركستان وكان حسين قد قتل كيقباذ أخا كيخسرو أمير ختلان فلما أسر حسين طالب كيخسرو تيمور بدم أخيه بموجب القصاص فتم قتله. الشامي: ظفر نامه، ص 60 – ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص 12 – تيمور: مذكرات تيمور، ص 24.

(3) ابن عربشاه: عجائب المقدور من نوائب تيمور، تحقيق سهيل زكار، ص 292 – العلبي: تيمورلنك وحكايته مع دمشق، ص 31.

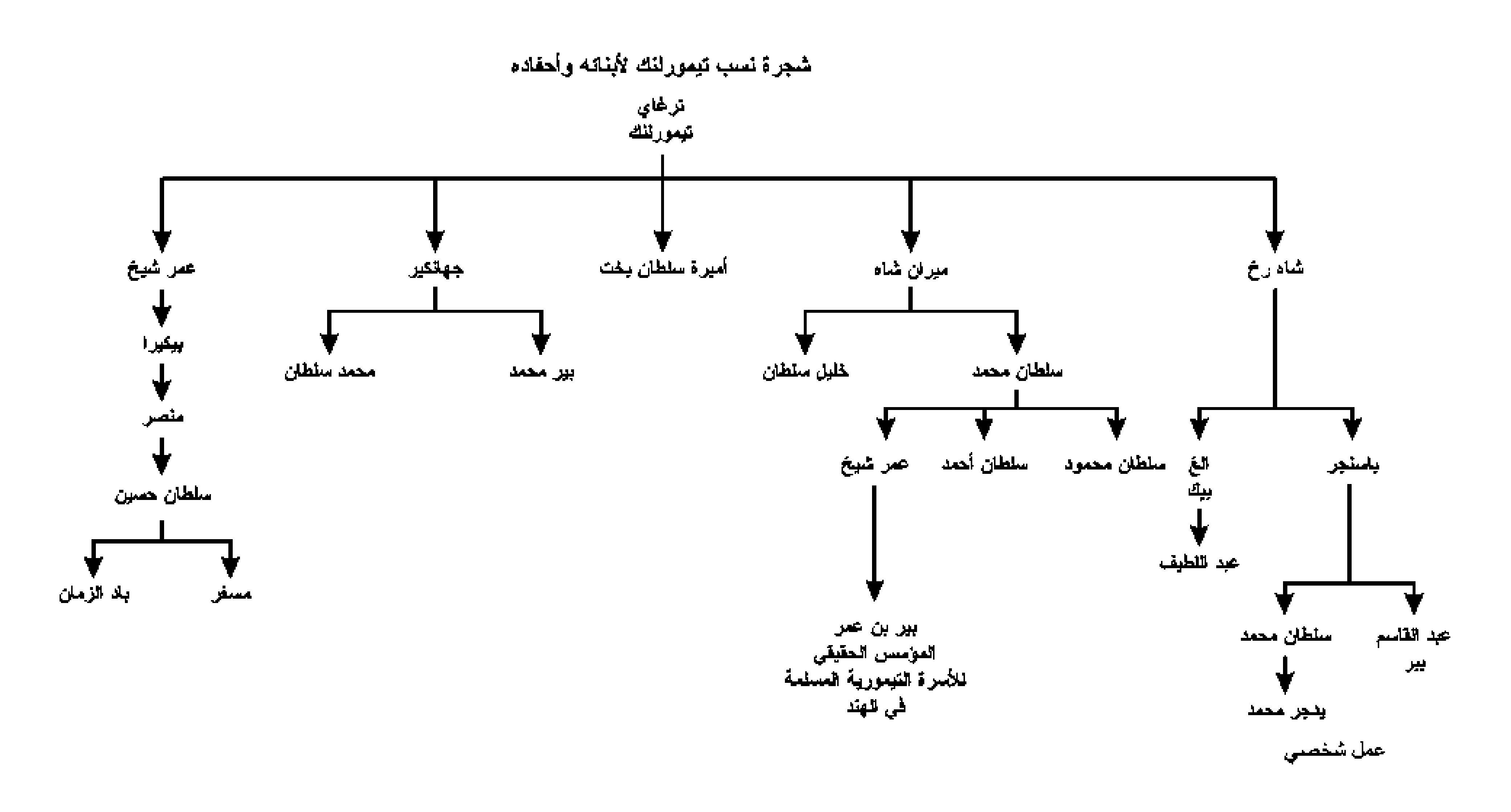
(4) كلافيجو: سفارة إلى تيمورلنك (1403-1406م) ص 248.

الجواري ولم يكن بين أزواجه جميعاً امرأة فارسية لأن الأتراك، يتهمون الفرس بالجبن وينظرون إلـــيهم نظرة ازدراء واحتقار[1].

---

(1) العلبي: تيمورلنك وحكايته مع دمشق، ص 32.

شجرة نسب تيمورلنك لأبنائه وأحفاده



عمل شخصي

أما أولاد تيمورلنك فهم خمسة:

1 – غياث الدين جهانكير (توفي 779هـ/1377م) وكان ولي عهده وعينه تيمور على رزق اثني عشر ألف فارس وجباية مناطق كافية يتحمل النفقات.

2 – معز الدين عمر شيخ (توفي 797هـ/1394م) وعينه على رزق عشرة آلاف فارس مع أراضٍ تتوافق بالعطاء المقرر.

3 – ميرانشاه (توفى 811هـ/1408م) وعينه على أرزاق تسعة آلاف فارس مع ولاية تتحمل نفقات الجنود.

4 – شاه رخ وهو آخر أولاده (توفى 851هـ/1447م) وعينه على أرزاق سبعة آلاف فارس مع ولاية تسدد النفقات[1].

5 – سلطانة بخت وقد تزوجها سليمان باشا وكانت مترجلة لا تحب الرجال على حد قول ابن عربشاه[2].

ويذكر تيمور في مذكراته أيضاً أنه سلم أحفاده أرزاق وأراضي تتراوح بين ثلاثة آلاف إلى سبعة آلاف فارس لكل واحد وفقاً لمقدرته وإمكاناته وعلاوة على ذلك أمر أنه إذ ما تطلع أي واحد من أولاده إلى مرتبة السلطنة ينبغي عدم إعدامه ولا أن يوضع بالأغلال ولا أن يؤذوه في أعضائه أو أطرافه بل ينبغي أن يحبسوه في السجن إلى أن يعود إلى رشده حتى لا تقوم الحروب الأهلية ولا تنتشر الأحقاد فيما بينهم ويذهب ملكهم[3].

شخصية تيمورلنك:

اختلفت نظرة المؤرخين حول شخصية تيمورلنك إلى فريقين من المعارضين[4] والمؤيدين[5] فيرى الفريق الأول أن تيمورلنك كان صاحب عاهة قصاباً سفاكاً مجرماً طاغية أقام إمبراطوريته

(1) تيمور: مذكرات تيمور، ص 82.

(2) ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص 282.

(3) تيمور: مذكرات تيمور ، ص 82.

(4) ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص 12 ؛ ابن حجر: أبناء الغمر، ج2، ص 299 ؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج4، ص 103 – الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج9، ص 96 ؛ الغياثي: التاريخ الغياثي، ص 151.

(5) الشامي: ظفر نامه، ص 330 ؛ يزدي، ظفر نامه، ج1، ص 14 ؛ ميرخوند، روضة الصفاء، ج5 – 6، ص 241.

على أبراج من جماجم البشر يعشق التدمير والتخريب والسلب والنهب أرضاءً لطموحاته ولمطالب أتباعه وجنده.

أما الفريق الثاني فكان يصف تيمورلنك بالفاتح العظيم والشخصية الخارقة الموهوبة وأنه كان رجلاً عصامياً مثل الرجال في الجمال صنع مجده بنفسه ووصل إلى الشهرة التاريخية بفضل ما تمتع به من صفات القيادة الفذة وأن مواهبه المتعددة هي التي جعلت منه حاكماً يشار إليه بالبنان.

يصفه ابن عربشاه وكان قد شاهده عندما كان حديث السن بالقول: «كان تيمور طويل القامة كبير الجبهة عظيم الهامة شديد القوة أبيض اللون مشرباً بحمرةٍ عريض الأكتاف غليظ الأصابع مسترسل اللحية أشلَّ اليد أعرج اليمنى تتوقد عيناه جهوري الصوت لا يهاب الموت»[1] بينما يصفه فامبري بصفات أخرى يقول: «كان تيمور في الأرجح متوسط القامة، متين البناء، قوي البنية، منتصب القامة حتى لا يكاد الناظر إليه يدرك ما كان به من عرج وصوته كان جهورياً حتى ليطغى على ضجيج القتال في المعارك ويتجاوز أسماع من حوله»[2].ويروي كلافيجو عن تيمورلنك أثناء سفارته إلى سمرقند أنه أصبح «يعاني من ضعف البصر وقد أصبح عجوزاً حتى إن جفنيه ساقطتان وبصعوبة كان يمكنه رفعهما ليرى»[3].

والواقع أن تيمور كانت تظهر عليه وهو ما زال صغيراً مؤهلات السلطان والزعامة حيث كان شديد الإيمان بنفسه وقوته[4] ويقارنه فامبري من حيث طموحه الذي لم يكن ليعترف بحدود ولعبقريته الحربية وقوةإرادته بقيصر، والاسكندر المقدوني، وجنكيزخان، ويضيف قائلاً: لولا ما كان له من عبقرية عسكرية لا تنكر إلى جانب مواهبة الشخصية العالية ما بلغ درجة غزاة العالم. ويذكر من أقوال تيمور في الشخصية قوله: «أن الحاكم الذي يهاب الناس سوطه أكثر من شخصيته غير جدير بمنصبه»[5] ويؤكد هذا السخاوي بقوله «أن تيمورلنك كانت هيبته لا تداني»[6] حيث كان

(1)عجائب المقدور، ص 276 – ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج4، ص 131 الحنبلي: شذرات الذهب، ج9، ص 100 ؛ القرماني: أخبار الدول وآثار الأول، م2، ص 499.

(2) تاريخ بخاري، ص 239.

(3) سفارة إلى تيمورلنك (1403-1406)، ص 243.

(4) لامب: تيمورلنك، ص 29.

(5) فامبري: تاريخ بخارى، ص 220-221-236.

(6) السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، الموسوعة، زكار، ج47، ص 407.

يسلك الجد مع القريب والبعيد ولا يحب المزاح[1] واللهو والكذب وكـان نقـش خاتمـه «راسـتي روستي» أي الصدق منجاة[2].

هذا وقد أشار المؤرخون التيموريون إلى أن تيمورلنك كان وقوراً مهيب الطلعة وصفه شامي بأنه رجل مكتمل الرجولة[3] وقال عنه يزدي إن هيبته كانت تلقي الرعب في قلوب أعدائه[4].

وقد أصيب تيمورلنك بالعرج في بداية حياته واختلف المؤرخون في أسباب عرجه. حيث ذكر المؤرخون العرب أن تيمورلنك أول ما عرف كان يتجرم فسرق في بعض الليـالي غنمـة وحملهـا ليهرب بها فانتبه له الراعي وضربه بسهم أصاب كتفه ثم ردفه بآخر فلم يصبه ثم ضربه بسهم ثالث فأصاب فخذه فجرحه حتى عرج منه طوال حياته[5].

ويذكر تيمور في مذكراته «عندما رأيت أن حاكم سجستان لم يلتزم بعهده لم يكن أمامي مـن خيار فزحفت ضدهم واشتبكت معهم في القتال وجاء سهم وخرق ذراعي وجاء سهم آخر وأصـاب قدمي»[6] ويذكر ابن خلدون الذي شاهد تيمور في دمشق أن ركبة تيمور اليمنى عاطلة، يعرج عليها عرجاً خفيفاً ويجرها في قريب من المشي ولكنه يحتاج إلى مساعدة من حوله من الرجال عند طـول المسافة ويقول إن تيمور قد ذكر له عن علته هذه كانت بسبب إصابته في إحدى الغارات فـي أيـام صباه[7]. ويتفق ابن عربشاه وكلافيجو مع المصادر التيمورية في تحديد المكان الـذي وقعـت فيـه الحادثة وهو سجستان ويختلفان مع هذه المصادر في الأسباب التي أدت إليه، وهناك رأي ثالـث[8]. يرجح أن سبب عرج تيمورلنك ليس بدافع السرقة حيث كان تيمور قد نشأ في أسرة عريقة ومعروفة

---

(1) الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج9، ص 100، صفا، محمد: تيمورلنك، دار النفائس، لبنان/ ط1، 1410هـ، 1990م، ص 49.

(2) ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص 277.

(3) الشامي: ظفر نامه، ص 94.

(4) يزدي: ظفر نامه، ج1، ص 123.

(5) ابن حجر: أبناء الغمر بابنا العمر، ج1، 17 ؛ ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص10 ؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج4، ص 104 ؛ القرماني: أخبار الدول، ص 500.

(6) تيمور: مذكرات تيمور مدبر العالم، ص 18.

(7) ابن خلدون: التعريف بابن خلدون، ص382 – 383.

(8) قامت بعثة تنقيبية روسية بفتح قبر تيمور سنة 1941م فوجدوا أن رجل تيمور اليمنى أقصر مـن اليـسرى وأن الخنصر والبنصر من يده اليمنى مقطوعان أو منياكوف: سمرقند، موسكو، دار التقدم، 1972م، ص 117.
ومن فحص الهيكل العظمي تبين أن تيمورلنك طويل القامة عريض المنكبين. يويكوبوفسكي: تيمورلنك، ترجمـة صلاح، مجلة دراسات، م15، العدد السابع، الأردن، 1988م، ص139.

في بلاد ما وراء النهر حيث كان والده شيخ قبيلة. وبهذا ربما يكون أصحاب هذا الرأي الأقرب إلى الصواب.

لأن حروب تيمورلنك مع حاكم سجستان مسجلة ومكتوبة بين صفحات تاريخ بلاد ما وراء النهر حيث تؤكد المصادر الفارسية والغربية أن تيمورلنك قد أصيب في تلك المعركة.

على كل حال هنا سؤال في غاية الأهمية فهل أثر هذا العرج على شخصية تيمورلنك؟

لاشك أن تيمورلنك كان يشعر بالنقص والضعف من هذه العاهة. ويورد ابن الشحنة قول تيمورلنك وأحساسه بالنقص حيث قال: «إني رجل نصف آدمي وقد أخذت كذا وكذا وعدد سائر ممالك العجم»[1]. ولذلك لقبه أعداؤه الفرس الأعرج وهي كلمة لنك الفارسية التي تلحق عادة باسمه ليصبح تيمورلنك كما دعاه أعداؤه من الأتراك أقصق التي تحمل المعنى نفسه في اللغة التركية[2].

ويبدو أن تيمورلنك كان يعتقد أن من حوله ينظر إليه نظرة العطف والإشفاق لذلك أراد أن يجعل الجميع يهابونه ويحسبون له ألف حسلب لذا أثبت أن هذا العرج لا يُعد ضعفاً ما دام صاحبه قوي البنية شديد العزيمة عظيم الطموح وهو يؤكد صحة المثل القائل كل ذي عاهة جبار لذلك كان تيمورلنك يظهر في أكثر الأحيان وكأنه يفوق كل البشر في طغيانه وتدميره وانعكس ذلك على شخصيته التي اتصفت بحب القتل والانتقام وإقامة أهرامات من جماجم البشر!!.. وبهذا خالف القائد الأصيل الذي يخوض الحرب بفنونها بحسب ما هو متعارف عليه في فنون الحرب بكل جدارة وتكتيك وليس بدك المدن وتخريبها والاعتداء على حرماتها ونهب ممتلكاتها وهدر كراماتها وهتك حرمات مساجدها. بالفعل كانت شخصية تيمورلنك متناقضة ولا شك أن الظروف التي أحاطت به كان لها أثر فعال في تحديد معالم شخصيته والصفات التي تحلى بها، والمصادر التاريخية توضح أن هناك شواهد كثيرة على ما كان يتمتع به من فطنة وذكاء[3].

اتخذ من جنكيزخان قدوة له مما دفعه للتطلع إلى سياسة توسعية هذا إلى جانب طموحاته التي كانت أيضاً دافعاً آخر إلى تلك السياسة ودليلنا على هذا ما سبق أن ردده «أن العالم لابد أن يحكمه سلطان واحد»[4] وعظمة تيمورلنك وارتفاع شأنه ورهبة الآخرين له توضح مدى ما كان عليه من قوة الشخصية ليس فقط مع أعوانه ورجاله وحكام الأطراف التابعين له وإنما أيضاً مع حكام دول

---

(1) روضة الناظر في أخبار الأوائل والأواخر في حاشية ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، القاهرة، د.ف، 1303هـ/1883م، ج12، ص 193.

(2) القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج7، ص 330.

(3) ابن حجر: أبناء الغمر بأبناء العمر، ج2، ص 303 ؛ ابن عرب شاة: عجائب المقدور، ص 283، دائرة المعارف الإسلامية، م6 – ص 159 ؛ فيشل: لقاء ابن خلدون بتيمورلنك، ص 188.

(4) تيمور: مذكرات تيمور مدبر العالم، ص 31 ؛ بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ص228.

أخرى مستقلة عنه ويبدو أن غارات تيمورلنك على المناطق المجاورة قد أدخل الرعب والخوف في قلوب الحكام وسلاطين الأكناف[1] فأصبحوا يهابونه. وقد ظهر ذلك على ملوك الأطـراف وملـوك أوروبا أيضاً عندما اقترب من بلادهم حيث أسرع ملوكهم يخطبـون وده ويرسـلون إليـه الرسـل والكتب والهدايا فهذا هنري الرابع ملك انكلترا الذي كان يحارب زعماء الجرمان كتب إلى تيمورلنك يهنئه بانتصاراته وهذا شارل السادس ملك فرنسا بعث بتقديره وإعجابه إلى تيمورلنك أمير المغول.

أما إمبراطور القسطنطينية فقد طلب مساعدته وفعل مثل ذلك كثير من الأمراء والقواد وهـذا دليل على عظمة تيمورلنك في تلك الحقبة وما أثارته انتصاراته الهائلـة مـن الخـوف والإجـلال والإكبار[2] وقد أشار سفير ملك أسبانيا وهو شاهد عيان والتقى مع عدد من سفراء الدول في بـلاط تيمورلنك في عاصمته سمرقند[3] وظهرت شدة وصرامة تيمورلنك ولا سيما في التعامل مـع قـادة جيشه والمقربين إليه في أثناء إدارته للمعارك الحربية خاصة أنـه قـد عـودهم علـى التـضحية والشجاعة[4] وعدم التهاون أمام الأعداء بل كان يشترك مع جنوده في القتال ويضرب لهم مثلاً أعلى في الإقدام حيث توجه لمبارزة خصمه[5] دون خوف أو وجل وكان دائماً ينادي «أن الحكومة لا تقوم إلا بحد السيف»[6] ولا يستحق العالم كله أن يملكه حاكمان[7] وكان يردد أنه سيملك الأرض ويقتـل ملوك الدنيا[8] ووصل شعور الاعتداد بالنفس عند تيمور كما يرى توينبي – إلى حد مرضي وانقلـب إلى جنون عظمة ظهر في المجازر وأعمال التخريب التي قام بها بـدافع الرغبـة بالإسـاءة إلـى

---

(1) من هؤلاء الملوك والأمراء: الشيخ إبراهيم ملك بن لك شروان – وخواجه علي بن المؤيد الطوسـي سـلطان ولايـة خراسان، واسفنديار الرومي وابن قرمان ويعقوب بن علي شاه حاكم كرمان وحاكم منتشا وطهـارتن أميـر ارزنجـان وسلاطين فارس وأذربيجان وملوك الرشت والخطا وتركستان. أنظر: ابن عربـشاه: عجائـب المقـدور، ص 288 – 289.

(2) لامب، تيمورلنك، ص 11–12 ؛ الموسوعة العربية، دمشق، ط1، 2003م، ج7، ص 258.

(3) كلافيجو: سفارة إلى تيمورلنك (1403 – 1406)، ص 240–242.

(4) تيمور: مذكرات تيمور مدبر العالم، ص 5.

(5) تروي بعض المصادر التاريخية أن حاكم خوارزم يوسف صوفي طلب مبارزة تيمور على انفراد لكي يـوفروا بذلك وقوع الصدام بين الجيشين وقد سرّ تيمور بهذا الاقتراح برغم معارضة سيف الدين برلاس له في تعـريض حياته للخطر ولم يعبه تيمور بذلك وكان أول من برز للقاء خصمه وأخذ يناديه بصوت عال ليخرج إليـه لكـن يوسف لم يظهر له أثر وخاف من اللقاء وندم على اقتراحه – انظـر: يـزدي: ظفـر نامـه، ج1، ص 294 – فامبري: تاريخ بخاري، ص 219.

(6) ابن عربشاه: عجائب المقدور في نوائب تيمور، تحقيق أحمد فايز الحمصي، مؤسسة الرسالة دمشق، والملحـق، ص 527.

(7) بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ص 228.

(8) لامب، تيمورلنك، ص 94 ؛ فياض، محمد: تيمورلنك، مطبعة المعارف، القاهرة، 1980، ص 127.

الإنسانية[1] فكانت آلام الآخرين تشعره بنوع من اللذة والمتعة وتسهم في إرواء غروره وميله إلى الغطرسة حيث يقول ابن الشحنة وهو شاهد عيان إن من دواعي سروره واغتباطه – أن تقام أبراج الرؤوس البشرية إظهاراً لعظمته كقائد منتصر[2] وقد شعر بالمتعة الغامرة بعد انتصاره في معركة أنقرة عندما سيق إليه السلطان العثماني بايزيد الأول الذي وقع في أسرة فأخذ يلاطفه ويترفق به تارة ثم يسخر منه ويضحك عليه[3].

وقد كشفت حروبه عن عبقرية عسكرية في التخطيط والتعبئة والإستراتيجية والحرب النفسية وفاق تيمور جنكيزخان في عمليات القتل والتدمير[4] حيث كان سفاكاً محباً للدماء لا يعرف للعهود والوعود قيمه[5] يؤمن بالغاية تبرر الوسيلة لذا لم يكن الجندي الذي يستحق التقدير والتوقير فقد نزل بمستوى سيفه وجعله في الحضيض[6] والحق أنه كان على قدر كبير من الذكاء وقد أفاض المعاصرون في القول على اختلاف مواقفهم منه ومن أعماله فطنته واتقاد فكرة وحبه للإطلاع كما أشاروا إلى صدق حدسه وفراسته وقدرته على إدراك الحقائق وكشف خفايا الأمور وحل المعضلات وتكلموا على حضور بديهيته وسيلة إلى كثرة الجدل واللجاج [7] وكتب عنه البعض بالقول: «لم يسبق لفاتح أسيوي في التاريخ كله أن أعد مثل هذه الجيوش الهائلة ومن ثم لا يصل لمدارج شهرته وتفوقه أحد.. وإن فعالة لترتفع إلى ما فوق مستوى البشر» فقد أنشأ إمبراطورية عظمى من تفكيره وتدبيره وحده ولم يخض معركة إلا كسبها ولم يقدم على مشروع إلا كان النجاح حليفة، فهو لم يعرف الهزيمة قط[8]!.

ويذكر بعض المؤرخين العرب القدامى والمحدثين وكذلك مؤرخو تيمور من الفرس أن كثيراً من الأوامر التي كان يصدرها إنما يبالغ في تنفيذها وأن ثمة أفعالاً ارتكبت في حلب ودمشق دون علمه وقد بكى حينما علم بها. ونقول إنه لا صحة لذلك إطلاقاً لأن تيمورلنك كان يسيطر تماماً على جيشه ولا يتم شيء إلاّ بإذنه وعلمه لأن هيبته تحول دون وقوع أية تجاوزات من أي فرد من أفراد

---

(1)Toynbee; Astudy of history (X volumes) ox Ford – New – York Toronto, 1963, IV. P. 500.

(2) ابن الشحنة: روضة الناظر، حاشية الكامل في التاريخ، ج12، ص 195.

(3) ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص 181.

(4) الموسوعة العربية، دمشق، ط1، م7، ص 259.

(5) شلبي، أحمد: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ط1، 1983م، ج8، ص 137 ؛ وجدي، محمد: دائرة معارف القرن العشرين، دار الفكر، م2، ص 229.

(6) فرج، السيد: قاهر العالم تيمورلنك، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1957م، ص 107.

(7) يزدي: ظفر نامه، ج1، ص 14، ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص 280، – ابن خلدون: التعريف بابن خلدون، 382–383.

(8) فرج: قاهر العالم تيمورلنك، ص 14، شيخو: حقيقة تيمورلنك،ج1، ص 58.

جيشه. ويؤكد ابن عربشاه من أنه لو سرق أحدٌ من قادته أو جنده قبل الإذن العام بالنهب فإن تيمورلنك كان يحاسبهم حساباً عسيراً وينزل بهم أشدّ العقاب ولو كانوا من ذوي الرتب العالية وأما بعد الإذن فإنه يشجّعهم على القتل والنهب ولا يعاقب منهم أحداً أبداً.. [1].

ومن هنا نرى أن كل ما حققه تيمورلنك من انتصار وتفوق يُعزى في الدرجة الأولى إلى ما كان يتمتع به من كفاءة عسكرية لا تنكر إلى جانب مواهبه الشخصية المتعددة وقد اتخذ سبيله إلى المجد الشخصي على جثث ضحاياه وأنقاض المدن الزاهرة التي داسها بحوافر خيله وضربها واعتدى على حرماتها وهو بلا شك شخصية متناقضة وتاريخه حافل بالأمجاد العسكرية والخراب لحضارات كانت قائمة وإن أعماله الحربية لم تحل دون مواصلة الحضارة الإسلامية مهمتها التاريخية في آسيا فقد قامت دولة سلاطين المغول المسلمين في الهند على يد ظهير الدين بابر في أواخر القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي أحفاد تيمور وسعى حكام هذه الدولة إلى نشر الإسلام والحضارة على نطاق واسع لم يسبق له مثيل في العصور الإسلامية ومن المشاهد الباقية إلى يومنا تاج محل[2].

هكذا تتجلى أمامنا قوة شخصية تيمورلنك ورهبة الآخرين منه وقد قام عدد من الرسامين الهنود والفرس برسم صور له وربما كانت هذه الصور غير صادقة تماماً في تصوير ملامح تيمور ولكنها في الوقت نفسه لا تخلو من الحقيقة[3].

ويصف كلافيجو ملابس تيمورلنك وقد شاهده في سمرقند وكان مرتدياً ثوباً من الحرير غير المطرز وعلى رأسه قبعة بيضاء طويلة على قمتها جوهرتان من الياقوت البلخشي كما كانت هذه القبعة مزينة باللآلئ والأحجار الكريمة[4] كما شوهد في بعض الاجتماعات العامة في خراسان يلبس ثياباً حمراء اللون[5] ولتيمورلنك ثيابٌ خاصة للحرب وتتصف هذه الثياب كما تظهر على الصور التي رسمها المصورون الفرس والهنود[6] وهي ملابس ضيقة كان يعلق حول وسطه نطاقاً جلدياً فيه خنجر وسيف ويحمل وسطه قوساً وجعبة للسهام ويضع على رأسه خوذة معدنية ذات شكل بصلي لها حافة عريضة مغطاة بصفائح ذهبية مزخرفة وتزينها عند الجهة ريشة عالية[7].

---

(1) عجائب المقدور، ص 277.

(2) انظر الملحق رقم (1).

(3) انظر الملحق رقم (2).

(4) سفارة إلى تيمورلنك (1403-1406) ص 242 ؛ فامبري: تاريخ بخاري، ص 240.

(5) ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص 36.

(6) انظر الملحق رقم (3).

(7) شهاب: تيمورلنك، ص 484. Prawdin: The Mongol Empire. P. 194

ثقافة تيمورلنك:

اختلفت الأقوال حول معرفة تيمور القراءة والكتابة وتذهب بعض الروايات إلى أن تيمور كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ولا يعرف العربية ولكنه يعرف من اللغات الفارسية والتركية والمغولية[1]، ويؤكد بارتولد هذا الرأي بالقول أن: «تيمور كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ولكنه كان على قسط من الثقافة»[2].

لكن مذكرات تيمور تشير في مواضع كثيرة أنه كان يحرر الرسائل إلى أتباعه وأصدقائه ويتلقى منهم رسائل يتولى قراءتها بنفسه دون أية إشارة تفيد أن كتابتها وقراءتها كانت تتم بمساعدة أحد[3]، ويذهب ولبر إلى القول إن: «تيمور كان ضعيف القراءة والكتابة[4]، ويبدو في أحد الرسوم التي رسمها المصورون الهنود وهو يقرأ من رقعة في يده»[5].

ومن هنا فإن ما دونته المذكرات من إشارات عن قراءته كتب الحكمة لا أصل له ولم يكن يفقه شيئاً من العربية إلا ما يصلي به من القرآن الكريم ومما يدل على ذلك أنه عندما اجتمع تيمورلنك بوفد علماء دمشق كان الفقيه عبد الجبار بن النعمان[6] يقوم بمهمة الترجمة بين علماء دمشق وتيمورلنك وهذا يؤكد أن تيمور لم يكن يعرف اللغة العربية، فلو كان يعرفها لتحدث مع العلماء مباشرة دون الحاجة إلى مترجم[7]، وقد سُمع وهو يتكلم الفارسية خلال المناقشات التي دارت مع علماء حلب[8].

---

(1) ابن عربشاه: عجائب المقدور، تحقيق زكار، ص280 – 281.السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، الموسوعة الشاملة، سهيل زكار، ج47، ص408، الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج9، ص100. ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ج4، ص133. لامب، تيمورلنك، ص127.

(2) تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ص230.

(3) تيمور: مذكرات تيمور، ص31 – 36 – 40.

(4)Wilber (N.D): Iran past and Present Princeton 1967, p. 59.

(5)علي، رشاد: تاريخ عمومي، استانبول، 1341هـ، ص306.

(6) عبد الجبار بن عبد الله المعتزلي الحنفي الخوارزمي عالم الدشت كان صاحب تيمور وإمامه وعالماً فاضلاً فقيهاً محققاً ولد في نحو سنة 770هـ، وقدم مع تيمور إلى بلاد الشام وكان مترجمه أثناء مناظرة مع رجال الدين في حلب ودمشق، ويحسن الحديث بالعربية والفارسية والتركية، وكان له ثروة ووجاهة، توفي سنة 805هـ. انظر: ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص145 – 146. الحنبلي: شذرات الذهب، ج7، ص50.

(7) ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص145.

(8) قال تيمور لابن الشحنة بعد إجابته عن سؤاله: من الشهيد قتيلنا أم قتيلكم فقال ابن الشحنة إن هذا السؤال قد سئل عنه رسول الله (ص) فقال: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله ومن قاتل منا ومنكم لإعلاء كلمة

وهذا ابن خلدون وقد التقى معه يصفه وصفاً دقيقاً بالقول: «كان تيمور من زعماء الملوك وفراعنتهم والناس ينسبونه إلى العلم وآخرون إلى اعتقاد الرّفض لما يرون من تفضيله أهل البيت وآخرون إلى انتحال السّحر وليس ذلك كلّه في شيء، إنما هو شديد الفطنة والذكاء كثير البحث واللّجاج بما يعلم وما لا يعلم»[1]، ولكنه «كان قوي الحافظة قليل الحظ من العلم»[2].

وكان يحب مجالسة أرباب الأخبار والقصص التاريخية الذين يمتلكون المعلومات والأسرار وقصص الأنبياء والأولياء وأخبار السلاطين القدماء وأخبار الحوادث التي وصلوا بها إلى السلطنة وأسباب زوال الدول[3]، ودارت بينه وبين ابن خلدون في دمشق مناقشة تاريخية حول الأصل الذي ينحدر منه الملك بختنصر ورجح تيمور أن يكون منحدراً من أصل فارسي بينما أصر ابن خلدون على أن بختنصر هو من ملوك بابل المتأخرين[4]، ويعتقد بارتولد أن تيمور ربما كان مطلعاً على تاريخ الاسكندر المقدوني فقد نسبت إليه العبارة التي قالها الاسكندر: «لا يستحق العالم كله ليملكه حاكمان»[5].

لاشك أن تيمور كان عارفاً بالتواريخ حتى صار يردّ على القارئ إذا أخطأ في شيء وكانت الفارسية هي اللغة التي يُقرأ له بها[6]، وقد أدهشت معلومات تيمور التاريخية والجغرافية لبعض المناطق في المغرب ابن خلدون عندما طلب من ابن خلدون أن يحدد له مواقع كل من طنجة وفاس وسبته وسجلماسه قبل أن يطلب منه أن يكتب له بلاد المغرب كلها، قراها وأمصارها وأنهارها وجبالها حتى كأنه يشاهدها[7]، وقد أشار أيضاً إلى كون إسبانيا بلد بعيد[8].

وعلى الرغم من ثقافة تيمورلنك الحربية وتعلقه بأمور الحرب والقتال إلا أن ذلك لم يمنعه من مجالسة العلماء ومناقشتهم ومباحثتهم في مختلف القضايا التاريخية والدينية وتقريب الحكماء

=الله فهو الشهيد، فقال تيمورلنك «خوب» وهي كلمة فارسية تعني حسن. ابن الشحنة: روضة الناظر في حاشية الكامل في التاريخ، ج12، ص192 – 193.

(1) ابن خلدون: التعريف بابن خلدون ، ص382.

(2) دائرة المعارف الإسلامية، م6، ص163.

(3) تيمور: مذكرات تيمور مدبر العالم، ص72 ؛ ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص278 ؛ بيكان، جان: تاريخ أدبيات إيران، ترجمة عيسى الشهابي، طهران، 1354هـ/ص443.

(4) التعريف بابن خلدون ، ص373.

(5) تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ص228.

(6) ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص278 ؛ الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج9، ص100 ؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج4، ص132.

(7) التغريف بابن خلدون، ص370.

(8) كلافيجو: سفارة إلى تيمورلنك، (1403 – 1406)، ص243.

والأطباء والمنجمين والمهندسين الذين يعدهم ضروريين لرقعة السلطنة[1]، وكان مغرماً بأرباب الصناعات والحرف حيث جلبهم من كل البلاد التي غزاها[2]، كما أمر بنقل مكتبة بأكملها على متون البغال من بورصة[3] إلى سمرقند[4].

وينسب إلى تيمور وضع مؤلف يشتمل على مذكراته وعلى الأنظمة والأساليب الإدارية والعسكرية التي طبقها في إمبراطوريته وقد اشتمل القسم الأول من المذكرات على اسم الملفوظات وضم القسم الثاني، على الأنظمة ووصف المؤسسات العسكرية والإدارية المسماة تزكات.

وتنبع أهميتها في كشف سمات تيمور النفسية ومعرفة الأسباب الحقيقية التي أثرت في سلوكه في المجالات السياسية والعسكرية المختلفة وشرح الكثير عن حياته وشخصيته وأعماله وحروبه بشكل واضح وجلي لا يصادف في بقية المصادر التي تحدثت عن تاريخ تيمورلنك[5]، وكانت كتابتها بأسلوب تركي رصين على حد قول فامبري كما يرجع إليه الفضل في إشاعة الاهتمام الجدي بالحركة العقلية والعلمية حتى بلغ بذلك العنصر المغولي (التركي) درجة من العزة لم يعرفها من قبل[6].

هواياته:

كان تيمور ماهراً في لعب الشطرنج وكان له شطرنج خاص زاد فيه صفاً فأصبح 11 × 10 وزاد في هذا الصف جملين وزرافتين ودبابتين وفرساً وأشياء أخرى[7].

ويصف كلافيجو الألعاب المختلفة التي جرى عرضها أمام تيمور وكان يتسلى بمشاهدتها منها المصارعة بين رجلين وكان كل واحد من هذين المتصارعين يرتدي ثوباً من الجلد. كما كان يشاهد الفيلة المطلية جلودها بالأخضر والأحمر والألوان الأخرى وعلى ظهر كل واحد منها هودج وكان

---

(1) تيمور: مذكرات تيمور مدبر العالم، ص72. ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص280.

(2) كلافيجو: سفارة إلى تيمورلنك (1403 – 1406)، ص314، تيمور: مذكرات تيمور مدبر العالم، ص73 ؛ ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص280.

(3) بورصا: هي عاصمة العثمانيين آنذاك وقد نهبها تيمور إثر انتصاره في معركة أنقرة وحمل المكتبة مع الأبواب. انظر كلافيجو: سفارة إلى تيمورلنك، الحاشية، ص398.

(4) كلافيجو: سفارة إلى تيمور لنك، ص295. فامبري: تاريخ بخارى، ص241.

(5) عزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، ج2، ص272 – 273 ؛ فامبري: تاريخ بخارى، ص255.

(6) فامبري: تاريخ بخارى، ص254 – 255؛ بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ص226. لامب: تيمورلنك، ص11.

(7) ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص280؛ بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الصغرى، ص230.

هؤلاء الفيلة دربت لتأدية بعض الألعاب الرياضية وفي الوقت نفسه كان هناك حشد من الموسيقيين الذي يغنون بأصوات مرتفعة ولعبوا على مختلف الأدوات الموسيقية[1].

عقيدة تيمورلنك:

اختلفت آراء المؤرخين حول عقيدة تيمورلنك كما تضاربت الآراء حول مذهبه، وللوصول إلى أوضح صورة لطبيعة الدين عند تيمورلنك بعيداً عن نفاق المعجبين به وبغض الكارهين له وأهم الآراء التي جاءت في هذا الصدد لنقرر حقيقة أمره.

رأي الفريق الأول من المؤرخين الفرس والمغول:

تذكر المصادر الفارسية أن تيمور كان يذكر في كل مكان ومناسبة أنه مسلم وعميق الإيمان ويشهد يزدي بأنه كان يحرص على أداء واجباته الدينية[2]، كما يقول تيمور في مذكراته: «بأنه قد تلقى من المشائخ وأهل العرفان والحكمة وجلس معهم وسمع كلام الله وحصل على المعرفة المباركة والسرور والرضى من أحاديثهم»[3].

كان تيمور يحرص على التقرب من الله عز وجل طالباً منه العون والمساعدة في تصريف أموره ودائماً كان يتوسل إلى الله قائلاً: «اللهم مهما قمت بفتح ونصر حتى الآن فقد حدث ذلك بمساعدة قضائك وقدرك، وإلا ماذا كان سيحدث من يد عاجز مثلي؟ والآن فأنا أرجو كرمك مرة أخرى وأتمنى المساعدة والنصر من لطفك يا رب خذ بيد عبدك المريض هذا وإذا لم تأخذ بيدي فإن ذلك سوف يكون يوم هلاكي»[4].

كما كان تيمور يعطف على رجال الدين وينعم عليهم بالهبات والإقطاعات لأنهم من حملة القرآن الكريم[5]، كما حرص على تشييد المساجد والمدارس في كل من سمرقند وأصفهان

---

(1) سفارة إلى تيمورلنك (1403 – 1406)، ص282.

(2)الشامي: ظفرنامه، ص300، ويزيد خواندمير بالقول: إن التيموريين جاؤوا إلى الحكم وهم على دين الإسلام حيث كان رأس أسرتهم تيمور كوركان مسلماً شديد التعصب للإسلام. خواندمير: المؤرخ الإيراني الكبير: دستور الوزراء، ترجمه إلى العربية حربي أمين سليمان، 1980م، ص70؛ ظفرنامه، ج2، ص144.

(3) تيمور: مذكرات تيمور مدبر العالم، ص73.

(4) الشامي: ظفرنامه، ص330 – 334.

(5) خواندمير: حبيب السير ، ج3، ص4.

وتبريز[1]، وكان يحمل معه دائماً نسخة من مصحف القرآن الكريم للتبرك بها[2]، وذكر ابن الشحنه أنه صلى المغرب وصلى تيمور إلى جانبه قائماً ويركع ويسجد[3]، وأنه كان لا يشاهد إلا والسبحة في يده ولا يفتأ في مجلسه يكثر من ذكر الله والاستغفار[4]، وأشار ابن عربشاه أنه عندما دخل تيمور دمشق من الباب الصغير صلى الجمعة في جامع بني أمية وقدم الحنفية على الشافعية وخطب به قاضي القضاة محيي الدين محمود بن العز الحنفي[5].

أصحاب الرأي الثاني:

تختلف نظرة الاسترابادي عمن سبقه من مؤرخي الفرس حيث قال: «إن تيمورلنك كان يخالف منهاج الشرع والملة الإسلامية، وينسلخ عن شعائر الأمانة والديانة ويحرص على هتك الأستار وقتل الأحرار وأنه كان مدعياً الإسلام وأن تصرفاته وأفعاله تؤكد ذلك فعندما عاهد تيمورلنك أهالي مدينة آمد[6] وضع يديه على القرآن الكريم وأقسم بقوارع آياته وزواجر محكماته ألا يضرهم وألا يسلك معهم سوى طريق الرحمة والشفقة وأن القرآن الكريم يشهد على كلامه وهو القاضي بينه وبينهم وأنهم إذا دخلوا في طاعته وسلموا المدينة له، سوف يعفون من عقاب جنده وتعهد لهم أنه لو أصابهم ضرر منه أو من أتباعه يكون قد أشرك بالله وبرسوله محمد عليه الصلاة والسلام، والواقع أن تيمورلنك لم يفِ بوعده وقسمه، بل سلط عليهم كفرة المغول وظلم الجغتائيين الذين هجموا على هؤلاء الضعفاء من أهل آمد وأسروهم جميعاً وطالبوهم بمطالب باهظة، ومصادرات كبيرة من ذهب وفضة ومتاع، وسحبوا حرائر البيوت ومخدرات القصور، ودنسوهن بالأفعال الشنيعة والحركات غير المشروعة، وأسروا الذراري والجواري والغلمان وقتلوا ما يقرب من عشرة آلاف من المسلمين! وبهذا العمل أثبت تيمورلنك على نفسه أنه كان كافراً»[7]، كما وصمه السلطان العثماني بايزيد الأول بالكفر[8].

---

(1) إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، ص625.

(2) Stewart: The Mulfuzat Timury Of Autobiographical Memoirs of The Mongol Emperor, London, 1830, p. 135.

(3) ابن الشحنة: روضة ، ج12، ص192.

(4) ابن إياس، محمد بن أحمد (ت930هـ/1523م): بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة، ط2، 1432هـ/ 1983م، ج1، ص331.

(5) عجائب المقدور ، ص143.

(6) آمدُ: من أعظم مدن ديار بكر وأجلّها قدراً قديمة وحصينة، مبنية بالحجارة السوداء على نهر دجلة محاطة بأكثر من مستديرة به كالهلال، وينسب إلى آمد خلق من أهل العلم في كل فن. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، م1، ص56.

(7) بزم ورزم، استانبول، مطبعة الأوقاف سي ، 1928م، ص450 – 453.

(8) فريدون، بيك أحمد، (ت991هـ/1583م): مجموعة منشآت الملوك والسلاطين، استانبول، ط5، 1265هـ، طبعة القسطنطينية، 1264هـ، ص118.

ويقال إن تيمور كان يعتقد بالقواعد الجنكيزخانية ويقدمهاعلى قواعد الإسلام، فأفتى كل من الشيخ حافظ الدين البزاري والشيخ علاء الدين محمد البخاري بكفر تيمورلنك[1].

ويذكر الشوكاني أن: «تيمورلنك كان يتظاهر بالإسلام وشعائره على الرغم من أنه أفنى العالم بدون سبب»[2]، وقال عنه زعيم قبيلة الشاة السوداء التركمانية قرا يوسف: «إنه مشرك»[3].

وصرح ابن عربشاه بكفر تيمورلنك وجنده بالقول: «فهجمت أولئك الكفرة الفجرة على ذلك أشد الهجوم وانقضوا على الناس بالتعذيب والتثريب والتخريب انقضاض النجوم واهتزوا وربوا، وفتكوا وسبوا، وصالوا على المسلمين وأهل الذمم، صولة الذئاب الضواري على ضواني الغنم وفعلوا ما لا يليق فعله»[4]، وفي الوليمة في سمرقند كان تيمور يشرب الخمر مع زوجاته[5].

وتضعف قيمة هذه الأقوال لكون أصحابها من أعداء تيمور أو من الذين اندفعوا مع عواطفهم على إثر ما قامت به جيوشه من أعمال في غاراتها على مدن بلاد الشام والعراق وغيرها[6].

نستطيع أن نقول إن معظم كتابات المؤرخين العرب المعاصرين لتيمورلنك قد كفروه وكانوا يشيرون أنه كان مدعياً للإسلام، ربما للأعمال التي قام بها وهي كما يلي:

– إهدار دماء المسلمين وقتلهم وإقامة الأهرامات من رؤوسهم وانتهاك أعراض المسلمات وهدم المساجد وإحراقها وتدنيسها بمختلف الفواحش والمفاسد دون حياء أو خوف من الله إضافة إلى الخيانة والغدر وعدم الوفاء حتى بعد إعطاء المواثيق على كتاب الله وبغضه لبعض الصحابة وسبهم ولعن بعضهم أمام علماء حلب أثناء المناظرة. علاوة على عدم تحكيم الشريعة الإسلامية وتفضيل قوانين المغول الإلياسة[7].

---

(1) ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص281؛ السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، من الموسوعة، زكار، ج47، ص408؛ الغزي، كامل حسين: نهر الذهب في تاريخ حلب، تصحيح شوقي شعث، دار القلم العربي، حلب، 1993م، ج3، ص166.

(2) البدر الطالع، ص193.

(3) فريدون: مجموعة منشآت الملوك والسلاطين، ص166.

(4) عجائب المقدور ، ص152.

(5) كلافيجو: سفارة إلى تيمورلنك، (1403 – 1406)، ص293.

(6) شهاب: تيمورلنك، ص472.

(7) الياسا: وتسمى اليساق، وهي: مجموعة من القواعد والأنظمة وضعها جنكيز خان عندما لم يكن لقوم المغول خط يكتبون به فقد أمر أن يتعلم أطفال المغول الخط الأوريغوري وأن تدون هذه القوانين على طوامير، ودعيت كتاب القواعد الكبير (ياسا) وأصبحت لدى المغول بمنزلة الكتاب الديني؛ الجويني، عطا الله (ت679هـ/1280م): تاريخ فاتح العالم جهانكشاي، نقله إلى العربية محمد التونجي، دار الملاح للطباعة والنشر، 1405هـ/1985م، م1، ص62 – 63؛ القلقشندي: صبح الأعشى ، ج4، ص310 – 312.

رأي المستشرقين حول عقيدة تيمورلنك:

كانت وجهة النظر الغربية حول عقيدة تيمورلنك متضاربة فقد اتفق بعض الباحثين الغـربيين على أن تيمورلنك كان مسلماً بينما يرى البعض الآخر أنه كان متظاهراً بالإسـلام، ومـن هـؤلاء المؤرخين الذين تحدثوا عن إسلامه.

بارتولد الذي يرى: «أن تيمور كان ملماً بالإسلام كعقيدة وقد استدعى العلماء من كـل مكـان إلى سمرقند»[1].

ويوافقه الرأي Malcolm بالقول: «أن تيمورلنك كان شديد التمسك بالشريعة الإسـلامية وأنـه ملتزم بأداء واجباته المقدسة[2]، وكان يمضي بعض وقته في قراءة القرآن الكريم وقد طلب في آخر أيام حياته وهو يحتضر أن يقرأ القرآن على فراشه»[3].

أمّا Prawdin فيقول: «كان تيمورلنك يحرص على أداء الصلوات ودائماً يطلـب مـن الله أن ينصره كما أظهر اهتماماً كبيراً بالأماكن المقدسة وحرصاً على عدم إلحاق الضرر بها»[4].

أما البعض الآخر فقد شكك في عقيدته تيمورلنك نظراً لما قام به من أعمال أساءت للإسـلام من أجل تحقيق مآربه السياسية والعسكرية وتؤكد أن تيمورلنك كان يفهم الإسـلام علـى طريقتـه الخاصة وأن إيمانه كان مشوباً بالكثير من التراخي والتساهل واللامبالاة[5].

ويشير ميجانللي أن: «إيمانه في الحقيقة بمحمد (ص) كان أقل من إيماني أنا ميجانللي»[6].

في حين يذكر Grousset أن: «تيمورلنك كان يرتكب أقسى الجرائم باسم الإسلام على الـرغم من أنه كان مدعياً بالإسلام»[7].

ويروي Otakar أن: «تيمورلنك لم يكن متعمقاً في إسلامه لأن حملاته الأخيرة اتصفت ضـد المسلمين بالقسوة والتدمير وينمُ تصرفه عن تظاهره بالإسلام»[8].

---

(1) بارتولد: تاريخ الترك ، ص226.

(2)Malcolm: History Of Persia, London, 1815, Vol. P. 482.

(3) فامبري: تاريخ بخارى، ص207 – 236.

(4)Prawdin; The Mongol Empire Its Riseandlegacy. P. 438.

(5)Sykes; History of Perasi, (Two Volumes) London, 1958, Vol II, p. 134.

(6) دي ميجنانللي: وصف خراب دمشق، الموسوعة الشاملة، تحقيق زكار، ج47، ص428.

(7)Groust; The Empire of the stepps. P. 434.

(8)Otakar; History of Iran in Literature. 1960. p. 279.

إن الكوارث التي حلّت بالمسلمين على يد تيمورلنك من الهند إلى الشام على مــدى أربعــين عاماً والأبراج البشريّة التي أقامها من المسلمين وتدميره لمدارس المــسلمين ومــساجدهم ومــدنهم وقراهم تدميراً تاماً يجعلنا نرى أنه إذا كان مسلماً وكان الحكام المسلمون على شاكلته لانتهى الإسلام والمسلمون من وجه الأرض منذ عدة قرون لقد كان تيمورلنك واحداً من مُدّعي الإسلام الــذين أذّل الله تعالى بهم الإسلام وأهله.

2 – أوضاع بلاد ما وراء النهر السياسية والاقتصادية والاجتماعية:

كانت بلاد ما وراء النهر تحت حكم الجغتائيين[1] خلال النصف الأول من القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي وكان للوضع الاقتصادي والاجتماعي فيها أثره الكبير في التطورات السياسية التي حدثت في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري. ولا سيما ظهور تيمورلنك وتوسعه الخارجي كانت بلاد ما وراء النهر تقطنها قبائل مغولية ومغولية متتركة أشهرها جلائر[2] ارلات وقوجين وبرلاس التي ينتسب إليها تيمورلنك. ولا توجد عوائق طبيعية في بلاد ما وراء النهر لحمايتها من غارات الرعاة لذا خضعت لسيطرة القبائل التركية[3] معظم الوقت[4] وتشد هذه القبائل بعضها إلى بعض الأخر روابط عرقية ولغوية[5]. وزعامات أسرية معتمدة على أواصر القربى والمصاهرة بالإضافة إلى أن الطبيعة الجغرافية فرضت عليهم في أغلب الأحيان الاعتماد على أساليب عيش متشابهة تقوم على الصيد والرعي والغزو. وكانت تلك الروابط المحيطية والاجتماعية المشتركة من جملة العوامل التي كان من شأنها أن تسهل مهمة انضواء هذه القبائل البدوية تحت زعامة موحدة أحياناً. كما أن رخاء المناطق الحضرية يستهوي دائماً تلك القبائل التي تسعى جادة أحياناً إلى الاستمتاع به عن طريق التوغل السلمي فيها أو عن طريق الغزو المسلح أن استدعى الأمر ذلك وكانت هذه النظرية

---

(1) الجغتائيون: ينتسبون إلى جغتاي ثاني أبناء جنكيزخان إذ قطع له أبوه مغولستان وما وراء النهر فقامت دولة باسم جغتاي سنة 1259/657م. وكان لجغتاي ثمانية من الأبناء. الهمذاني: جامع التواريخ، نقله إلى العربية فؤاد الصياد، دار النهضة العربية، بيروت، ط 1، 1983م، ص 136 – 156.

(2) جلائر: قوم يعود أصلهم إلى الترك تشبه صورهم وأشكالهم ولغاتهم المغول لأن المغول فيها كانت شعبه من شعب الأتراك وهذه الأقوام كان لكل شعبه منهم أمير يتولى أمورهم ويدبر أحوالهم منذ عهد جنكيزخان إلى عهد مؤلف هذا الكتاب. الهمذاني: التاريخ الغازاني، تحقيق سهيل زكار، دمشق، 2005م، ص 52 ؛أرلات: معنى يعود إلى أرلات الابن المدلل عند والديه وجميع قوم أرلات من نسله ومنهم الأمراء والخوانون وفي عهد جنكيزخان كان من هؤلاء القوم برقوجي نوريان؛ الهمذاني، التاريخ الغازاني، ص102.

(3) سكنت هذه القبائل الأودية والجبال والصحاري تسلطوا على كثير من بلاد الصين والهند، وكشمير، وبلاد فارس، والروم، والشام، والعراق، بقوتهم وكثرتهم وتفرقوا في الصحاري والأقاليم وتشعبت هذه الأقوام على مرور الأيام إلى شعب كثيرة وكل شعبة تتشعب إلى شعب أخرى مثل قوم الغوز الذين يسميهم الناس التركمان ويتشعبون إلى قبجاق وقلج، وقنقلي وقاولوق، وشعب أخرى ينتسبون إليهم والأقوام الذين اشتهروا باسم المغول مثل قوم تاتار وجلائر وأويرات ومركريت وغيرهم ومثل الأقوام الذين يشبهون المغول مثل تايمسان وكرايت وأنكوت وأمثالهم والأقوام الذين يعرفون الأن باسم قيقوارت، وقورلاس وآيكيراس وايلجكين وأوريا انكقت وكلنكوت وغيرهم من الذين كانوا ملقبين مغول دزلكين وأقوام نيرون؛الهمذاني، التاريخ الغازاني، ص33.

(4) أمين، محمد: الغزو المغولي لديار الإسلام، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، 2005م، ص 16.

(5) يذكر الهمذاني: أن الأتراك والمغول لغتهم في الأصل واحدة، التاريخ الغازاني، ص 22 ؛ ويؤكد هذا كلافيجو: سفاره إلى تيمورلنك (1403 – 1406)، ص 18.

مصداقاً لما جاء به ابن خلدون عن حركة التاريخ بأنه حركة انتقال مستمرة من البداوة إلى الحضارة وإن البداوة تغزو الحضارة[1] وبالفعل أدى غزو الترك لآسيا الوسطى إلى حدوث انقلابات عرقية مختلفة كان أهمها رجحان كفة العناصر التركية على غيرهم في جميع أجزاء بلاد ما وراء النهر فلقد قدم الترك إلى هذا الإقليم أصلاً بوصفهم أصدقاء وحلفاء المغول وسرعان ما استقروا على ضفاف جيحون حيث وجدوا إخواناً وبني جلدة لهم كانوا قد سبقوهم إلى هناك وكان لهؤلاء نصيب من التشريف والتقدير لدى الأسر الحاكمة وبهذا لم يجدوا صعوبة في أن يوائموا أنفسهم مع الجغتائيين وقد نزل هؤلاء عند أطراف الأراضي التي يحكمها جغتاي بأقصى الشرق والشمال منها وما لبث أن صار زعماء الترك ببلاد ما وراء النهر نواباً وعمالاً للجغتائيين المتأخرين بل بلغ تأثرهم بالترك إلى أن باتوا لا يكادون يعون اللغة المغولية وصارت التركية هي لسان البلاط والمجتمع عندهم. ولم يعد لخلفاء جنكيزخان أيام قوتهم ونفوذهم من خدام أهلاً لثقتهم إلا الترك. وحين أخذ سلطان هؤلاء الأمراء في الاضمحلال جهد هؤلاء الترك أنفسهم في كل مكان ليغتصبوا مكان سادتهم السابقين فتفسخت بذلك دولة جغتاي واستأثرت قبائل جلائر وسولدوز [2] بالسلطة لنفسها عند شمال سمرقند في حين عمد بيت برلاس في الجنوب عند كش ونخشب إلى رفع راية الاستقلال بدورهم فوق أنقاض دولة المغول الجغتائيين[3].

وقد حكم أولاد جغتاي بلاد ما وراء النهر نحو ستة وثلاثين ومائة عام من (624هـ حتى 760هـ) وكان عددهم نحو الثلاثين خاناً ويعد براق أول خان للبلاد الجغتائية آثر الإسلام ديناً لكن رعاياه لم تُؤثِر عمله هذا فعادت أكثريتهم لملتهم السابقة بعد موته ودخل الإسلام أحد خلفاء براق وهو ترمشيرين (722هـ/1322م) [4] ودخل أكثر الجغتائية الإسلام وأصبح الإسلام من حينها فيما بعد الدين الرسمي لخانات ما وراء النهر، ومغولها[5].

دب الانحلال في المغول الجغتائيين في بلاد ما وراء النهر منذ أوائل القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي. بفعل عوامل عديدة أهمها زيادة نفوذ الأرستقراطية العسكرية في الدولة، وضعف شخصية الخانات والخلاف بين سكان البلاد المسلمين والمغول[6] إضافة إلى الاختلافات الحضارية بين المستوطنين المغول فيما وراء النهر وإخوانهم من القبائل الشرقية أدت إلى انقسامات سياسية وحروب

---

(1) كتاب العبر وديوان المبتدأ، ج1، ص 214، 243 – 254.

(2) سلدوز: ويقال سلدوس كان منهم كثير من الأمراء في خدمة جنكيزخان. الهمذاني: التاريخ الغازاني، ص 106.

(3) فامبري: تاريخ بخارى، ص 205 – 206.

(4) ترمشرين: خان جغتائي مسلم شن حملات على الهند وخوارزم سبب انتقاله إلى بخارى ثورة البدو فقر إلى غزنة وبها قتل ؛ الشامي: ظفرنامة، ص 13 – فامبري: تاريخ بخارى، ص 201.

(5) سليمان: تيمورلنك ودولة المماليك الجراكسة، دار النهضة العربية، ط 1، 1405هـ/1985م ص 12، صفا: تيمورلنك، ص 41.

(6) سليمان: تيمورلنك ودولة المماليك الجراكسة، ص 12، صفا: تيمورلنك، ص 41.

متداخلة بين شطري دولة الجغتاي الشرقي والغربي عصفتهم طوال النصف الأول من القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي حتى ظهر تيمورلنك[1].

عانت بلاد ما وراء النهر من ظروف اقتصادية سيئة وصراعات قبلية كان لها الأثر الواضح في التطورات السياسية التي تمثلت في ظهور الشخصيات العسكرية ابتداءً من كيبك[2] الذي حاول معالجة أوضاع ما وراء النهر بإدخال تنظيمات مالية ووضع أسس لدولة موحدة مشابهة لما هو كائن في الدولة الإيلخانية فقام بعمل تقسيمات إدارية لما وراء النهر إذ قسم الأراضي إلى وحدات إدارية تسمى كل منها تومان[3] أراحت هذه التقسيمات سكان المراكز الحضرية وقوبلت بعداء من القبائل البدوية التي اعتبرت الاستقرار في المدن خروجاً على الياسا دستور جنكيزخان وبعد وفاة كيبك استغل البعض اعتناق أخيه ترمشرين. الإسلام ونقل حاضرته إلى بخارى فجددوا الاضطراب فيما وراء النهر فأسفر عن مقتل ترمشرين وانفصال مغولستان عن ما وراء النهر واستمرت الاضطرابات عقداً من السنين تعرضت فيها المراكز الحضرية للخراب والدمار[4] وهذا ما جعلهم يستنجدون بالأمراء المسلمين في الأقاليم المجاورة لهم وحينها برز فيها حسين كرت[5] وقد أحرز انتصارات على المناطق التي يسكنها الترك والتابعة لبخارى فوقف هؤلاء الترك في وجه حسين كرت لكنه هزمهم حتى استنجدوا بأميرهم قازان خان[6] أو بوزيرهم الأمير قزغن[7] على الأصح

---

(1) القلقشندي: صبح الأعشى ج 4، ص 45.

(2) كيبك: خان جغتائي تولى العرش بعد فترة الفوضى التي شهدتها بلاد ما وراء النهر من سنة (1303 – 1309م) ونقل حاضرته إلى ما وراء النهر اشتهر بعدله وتنظيماته المالية والإدارية.

Barthold: Fourstudis on the history of Central, Asia, tr, from Russian by Minorisky (Leidn, Brill 1962, Vol. 2. P. 93.

(3) ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص 23؛ تومان: كلمة مغولية تعني عشرة آلاف استعملت مصطلحاً عسكرياً قصد به عشرة آلاف فارس يرأسها نويان أي أمير تومان ومصطلحاً إدارياً تعني منطقة إقطاعية يخرج منها عشرة آلاف مقاتل وكان التومان معمولاً به عند المغول.

القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج 4، ص 433 –

(4) بارتولد: تاريخ الترك من آسيا الوسطى، ص 208 ؛ فامبري: تاريخ بخارى، ص 201.

(5) حسين كرت لم أجد له تعريف في المصادر.

(6) قازان: هو ابن يسور أعلن على عرش بلاد ما وراء النهر سنة (733هـ/1332م) وهو أحد أحفاد جغتاي ويعد آخر خان من نسل جغتاي حكم هذه المنطقة وقد عرف بقوة شخصيته وظلمه للرعية ونجح في فرض سيطرته على البلاد بالقوة؛ يزدي: ظفرنامة، ج 1، ص 27 – فامبري: تاريخ بخارى، ص 201.

(7) قزعن: اختلف المؤرخون في تسميته عند شامي: ظفرنامة، ص 14 يعرف باسم قازغن وعند يزدي أيضاً ج 1، ص 32 – وأورد حافظ آبرو: في زبدة التواريخ، ص 6، باسم قزغن وعند بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى باسم قازاغان، ص 225. على كلٍ كان وزيراً لقازان وهو أحد رؤساء قبيلة برلاس عرف بقوة

الذي نجح في قهر حسين كرت[1] ولم يرضَ بتصرفات الخان قازان غير اللائقة تجاه رعيتــه ورأى ضرورة التكاتف مع الأمراء والقيام بثورة ضده والإطاحة بحكمه وتمكن قزعن مـــن تـــشكيل قـــوة موحدة من معظم الجند لعزل هذا الخان[2].

رفع قزغن راية العصيان وأخذ يعد العدة لمحاربة قازان ودارت رحى الحرب بين الجـــانبين في صحراء قرية دره زنكي[3] سنة (746هـ/1345م) تمكن الخان قازان من هزيمة الثوار[4] وعاد منتصراً إلى مدينة قَرْشي[5].

وقد كان للظروف المناخية دور كبير فيما بعد في ضعف قوة جيش الخان قازان أثناء عودتــه أثر البرد الشديد القارص الذي أودى بحياة عدد من أفراد جيشه وخيوله ومواشيه ممـــا ســـبب فـــي إضعافه فاستغل الأمير قزغن تلك الظروف التي كان يمر بها الخان فرتب صفوفه وجمع جنده مـــن جديد وأعاد الكرة مرة ثانية لمحاربة الخان قازان ودارت معركة بين الطرفين عنـــد قرشـــي ســـنة (747هـ/1346م) انتصر خلالها الأمير قزغن وتمكن من قتل الخان قازان بعد حكم اســـتمر أربـــع عشرة سنة لبلاد ما وراء النهر[6].

شخصيته وشجاعته وعدم السكوت على الظلم كما عرف بحسن السياسة حتى إن المؤرخين كانوا يلقبونه بـــصانع الملوك، فامبري: تاريخ بخارى، ص 201.

(1) فامبري: تاريخ بخارى، ص 201.

(2) Sykes: History of Persia 1958. P. 118.

(3) دره زنكي: تقع على نحو ستين ميلاً جنوب طبس العناب في إقليم قوهستان وبها قلعة قديمة وتقع على جبل وتعد من الأماكن المنيعة فيها عين ماء ويكثر فيها شجر العناب؛ لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص 403.

(4) يزدي: ظفرنامة، ج 1، ص 21 ؛ فامبري: تاريخ بخارى، ص 201.

(5) قرْشَي: كان العرب يسمونها نسف والفرس يسمونها نخشب وتعد من مدن ما وراء النهر بين جيجون وســـيحون وبينها وبين سمرقند ثلاث مراحل تمتاز بزراعتها وأرضها الخصبة وبساتينها الكثيرة ؛ ياقوت الحمـــوي: معجـــم البلدان، م5، ص 276 – 285، لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص 513.

(6) يزدي: ظفرنامة، ج 1، ص 21 ؛ فامبري: تاريخ بخارى، ص 202.

3 – سيطرة قزغن سنة (747هـ/1346م) على بلاد ما وراء النهر:

أصبحت السلطة الفعلية لبلاد ما وراء النهر بيد قزغن ولم يحاول إزالة سلطة الجغتائيين نهائياً بل [1] اختار خاناً ليتولى الحكم واكتفى قزغن بأن يكون الأمير المسؤول عن تصريف شؤون الحكم في المنطقة لذلك أجلس الأمير دانشمندجه وهو من نسل أوكداي ليكون خاناً[2] وأقسم الأمراء يمين الولاء له.

وقد اعتبر الخان الجديد دانشمندجة بما حدث للخان السابق ولذلك ترك مقاليد الحكم للأمير قزغن الذي سار كما يذكر المؤرخون التيموريون وفق مبادئ العدل فأنصف العلماء وقربهم منه وكان متمسكاً بواجباته الدينية الصلاة والعبادة ثم يتفرغ لأعمال الدولة وسعى لتخليص الرعية مما كانوا يعانونه من مظالم في أيام قازان خان[3].

وربما كان إبقاؤه لسلطة الجغتائيين الاسمية محاولة منه لتخليص البلاد من الفوضى السياسية والإرباك في المعاملات التجارية.

كما سك النقود باسمهم في ما وراء النهر في حين جعل السلطة الفعلية بيده. وأعاد الأملاك التي استولى عليها الخان السابق بشكل غير شرعي إلى أصحابها وعمل على نشر الإسلام بين قبائل جغتاي التي كانت لا تزال على الوثنية[4] كما أن قزغن نجح في فرض سيطرته واحترامه على الأمراء وسعى لتوثيق العلاقة بينه وبين جيرانه حيث كانت القبائل تطيع أوامره وكان من بين تلك القبائل قبيلة برلاس[5].

وبعد عامين من تنصيب دانشمندجة قتل مظلوماً ربما بإشارة من الأمير قزغن بعدما لمس من السكان تعلقهم بأبناء جغتاي بن جنكيزخان[6].

وحلَّ محله خان آخر هو بيان قولي الذي استمر على عرش ما وراء النهر عشر سنوات[7] كان خلالها قزغن ثم ابنه عبدالله الحاكمين الفعليين في بلاد ما وراء النهر[8] قام خلالها الأمير قزغن بتدبير أمور الدولة ومراعاة متطلبات الرعية وقد اتسعت حدود بلاد ما

---

(1) لامب: تيمورلنك، ص 28 ؛ فامبري: تاريخ بخارى ، ص 202.

(2) يزدي: ظفرنامة ، ج 1، ص 22.

(3) شامي: ظفرنامة، ص 14 ؛ يزدي: ظفرنامة ، ج 1، ص 22.

(4) شامي: المصدر السالف، ص 16 – 17، شهاب: تيمورلنك، ص 85.

(5) Prawdin: The mongol empire, P. 414.

(6) يزدي: ظفرنامة، ج 1، ص 22 ؛ حافظ آبرو: زبدة التواريخ، ص 9.

(7) يزدي: المصدر السالف، ج 1، ص 22.

(8) إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، ص 590.

وراء النهر وامتدت من خراسان إلى أقصى حدود تركستان[1] حيث قام بنفسه بغزو مملكة هَـراةَ[2] سنة (752هـ/1351م) ووجه ابنه عبدالله على رأس حملة نحو خوارزم[3] ويرى بارتولـد أن ابنـه عبدالله هاجم مدينة خوارزم دون إذن منه وقد لامه على عمله لوماً شديداً[4].

4 – إعجاب قزغن بتيمورلنك:

حرص الأمير قزغن على أن يكون رجاله على معرفة تامة بـأمور الحـرب والقتـال ولمَّـا وصلت إليه أخبار تيمورلنك وبراعته في استخدام السلاح وركوب الخيل طلب منه أن يحضر إليـه وكان تيمورلنك يحظى بمحبة الفرسان وتقديرهم له وكان هؤلاء الفرسان يحكون للأمير قزغن كـل ما يرونه منه من شجاعة وفروسية فيزداد إعجابه به ولهذا زوجه بإحدى حفيداتـه تقـديراً لـه[5]. وتبرز أهمية قزغن في أنه أول أمير من الأتراك الجغتائيين يتولى السلطة الفعلية في ما وراء النهـر من دون حكامه الشرعيين من أبناء جغتاي بن جنكيزخان، الذين ظلوا – كما رأينا – يتربعون علـى العرش كخانات دُمى، لا يتمتعون بسلطة حقيقية، وذلك للمحافظة بصورة شكلية على الشرعية فـي حصر رئاسة الدولة في أسرة جغتاي بن جنكيزخان[6]، وكان وصول قزغن إلـى الحكـم بمـساعدة زعماء القبائل الأتراك الجغتائيين الآخرين الذين أخذوا يؤدون دوراً بارزاً في مصير بلادهم بعـد أن كانت مقاليد الأمور بيد المغول. ولا شك في أن العمل الذي أقدم عليه قزغن كان من جملة الأسباب التي دفعت تركياً جغتائياً آخر كان يعيش في حاشيته هو تيمورلنك لأن يترسم خطاه للوصـول إلـى السلطة بعد وفاة قزغن بمدة قصيرة.

وقد رأى قزغن في تيمورلنك شاباً يفيده في حروبه ضد أعدائه وكان في بلاطه بعض الأمراء والقواد الأقوياء الذين استقامت أحوالهم وعظم شأنهم بعد ثورة قزغن وكان بعضهم يمـشي حولـه

---

(1) Prawdin: The Mongol Empire, P. 414.

(2) هرَاةَ: مدينة مشهورة من أمهات بلاد ما وراء النهر فيها بساتين كثيرة ومياه غزيرة وقراها متصلة مقدار مرحلة على طريق سجستان واستمرت هراة على ازدهارها وعمرانها حتى اجتيـاح المغـول لهـا فقـاموا بتخريبهـا. وأصبحت حينها فيما بعد مملكة آل كرت لمؤسسها شمس الدين محمد كرت الذي أسـند إليـه منكوخـان حكـم خراسان واستمر آل كرت في حكمها حتى 783هـ/1381م. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج 5، ص 393.

(3) حافظ آبرو: بنج رسالة تاريخي، تحقيق فلكس تاور (براغ 1965) ص 38 – 39.

(4) بارتولد: تاريخ الترك في آسيا، ص 225.

(5) Prawdin: The Mongol Empire, P. 416.. لامب، تيمورلنك، ص 31

(6) شهاب، تيمورلنك، ص 87.

عشرة آلاف فارس وكان هؤلاء الأمراء يقدمون طاعتهم الاسمية للخان الذي عينه قزغن كما عمل بذكائه وحسن سياسته على حمل أولئك الأمراء على القبول بسلطته وعدم الثورة عليه وتمكن بمساعدة تيمورلنك من النجاح في عدة حملات شمالاً وغرباً فلذلك أهداه الأمير قزغن قوسه الخاصة وقربه منه وأولاه اهتمامه[1].

ويذكر المؤرخون أن الأمير قزغن كان مغرماً بالصيد ورمي السهام وبينما كان يصطاد ذات يوم في سنة (759هـ/1358م) هجم عليه قتلق تيمور[2] وقتله ولكن أمرائه الذين كانوا في صحبة الأمير قزغن تمكنوا من القبض عليه وقتله[3].

ولمّا علم الأمير عبدالله بن قزغن بمقتل والده قدم من سمرقند وحل محل والده وكان الخان بيان قولي على عرش السلطة[4].

أدت سياسة عبدالله المركزية التي ورثها عن أبيه إلى تذمر زعماء القبائل ولم يكن عبدالله بالمستوى القيادي الذي كان لوالده. فقد اقترف عدة أخطاء أودت به إلى نهاية مؤلمة فلم يحاول إلهاء القبائل كما فعل أبوه باستئناف الغزو الخارجي الذي يشكل مورداً معاشياً لتلك القبائل كما أنه فضل أن يجعل سمُرقند عاصمة له بدلاً من بخارى الأمر الذي لم يرض حاشية والده صاحبة المصالح هناك[5] وقد انتهز الأمراء المتذمرون حادثة قتله الخان بيان قولي وتنصيبه تيمور شاه مكانه فأعلنوا ثورتهم وزحفوا على سمرقند فانفرط عقد وحدة البلاد من جديد. كما يذكر أنه وقع في غرام زوجة الخان بيان قولي فأقدم على قتله ويصور المؤرخون التيموريون الخان القتيل على أنه خرّ شهيداً ضحية أغراض عبدالله الدنيئة وحملت جثتهِ إلى بخارى حيث دفن فيها[6].

ويذكر أن الأمير عبدالله قام بمجزرة قتل فيها بعض رؤساء القبائل بدون أي سبب وقد أدى ذلك إلى تخوف أمراء ورؤساء القبائل من سطوته[7] وبسبب مقتل الخان جمع الأمير بيان سلدوز

---

(1) بازوكي رضا: تاريخ إيران از مغول تاافشارية، أرزوي برنامة، وزارات معارف جاب أول ردى ماه، 1316م، ص 184؛ لامب، تيمورلنك، ص 29.

(2) قتلق تيمور: زوج ابنة الأمير قزغن كان يحقد على عمه ويرغب في أن يصبح خاناً، فامبري: تاريخ بخارى، ص202.

(3) فامبري: تاريخ بخارى، ص 202.

(4) يزدي: ظفرنامة، ج 1، ص 30.

(5) يزدي: المصدر السالف، ص 30 ؛ حافظ آبرو: زبدة التواريخ، ص 11.

(6) يزدي: المصدر السالف ، ج 1، ص 30.

(7) بازوكي: تاريخ إيران، ص 184.

جيشاً وخرج من حصار شادمان[1] متوجهاً إلى سمرقند وقد انضم إليه الأمير حاجي برلاس من هزيمة الأمير عبدالله وإجباره على الهرب إلى اندَراب[2] مفضلاً النجاة على السلطنة والحكم وقد ظل في أندراب حتى وافته المنية[3].

انتعشت سلطة أمراء القبائل مرة أخرى ولا سيما حاجي برلاس فأخذ كل أمير يتولى إدارة المنطقة التي اقطعت له مع قبائله، فكان يسيطر بايزيد على قبيلة جلائر في مدينة خجندة[4] وتوابعها، وتحصن أمراء بدخشان[5] في الجبال وسيطروا على ما في عهدتهم من أقاليم واستولى حسين حفيد قزغن أمير قبيلة ارلات على شمال أفغانستان أما حاجي برلاس وابن أخته تيمور فقد انفردا بولاية كش وتوابعها مع قبيلتهما برلاس[6].

كان لفترة التمزق هذه وما رافقها من ملابسات سياسية واقتصادية، الأثر الكبير في ظهور تيمورلنك وتعاظم شخصيته لا سيما وأن البلاد خلت من حاكم قوي يستطيع أن يعيد الهدوء والاستقرار إليها حينها كان تيمورلنك منذ وفاة والده يحكم مدينة كش ومن الطبيعي أن يكون له موقف تجاه تلك الفوضى السائدة في المنطقة فأخذ يوسع الخلافات بين قادة ورؤساء القبائل ونجح تيمورلنك في كسب تأييد بعض القوى الصغيرة وضمها إليه وتحالف سراً مع رؤساء بعض القبائل[7].

---

(1) شادمان قلعة عظيمة تقع ما وراء نهر جيحون يوجد حولها نبات الزعفران ويحمل إلى سائر البلدان يوصف أهلها بالقوة والمنعة ويطلق عليها أحياناً شادمان. ياقوت الحموي: معجم البلدان، م3، ص 373 – 374 – كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص 483.

(2) أنْدَراب: بلد بين غزنين وبلخ توجد فيها الفضة ومنها تدخل القوافل إلى كابل وتُعد ثالث مدن بخارستان وذلك بعد الطالقان ورواليز. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ترجمة صلاح الدين عثمان، الكويت، 1981.ص 149.

(3) Sykes: History of Persia. P. 119.

(4) خُجَنْدَة: بلدة مشهورة في بلاد ما وراء النهر على شاطئ سيحون بينها وبين سمرقند عشرة أيام يوجد في وسطها نهرجار والجبل متصل بها وكلها دور وبساتين. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج 2، ص 347.

(5) بدخشان: إقليم في ما وراء النهر يقع على الجهة اليسرى لنهر جيمون يشتهر بإنتاج البلور واللازورد أهله من الإسماعيلية. القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص 306 – دائرة المعارف الإسلامية، ج 2، ص 476.

(6) ميرخوند: روضة الصفافي ، ج 6، ص 10 – 11.

(7) Prawdin: The Mongol Empire. P. 417.

Grousset: The Empire of the Steppes, A History of Central Asia. Translated from the French. P. 409.

وأدى ذلك إلى حدوث بعض المصادمات والمنازعات بين الأمراء ودفع إلى تفاقم الفوضى والاضطراب داخل المنطقة بصورة كانت تتطلب ظهور شخصية قوية تعيد الأمن والاستقرار إلى بلاد ما وراء النهر.

5- علاقة تيمورلنك مع تغلق تيمور[1]:

أدت الفوضى السياسية التي شهدتها بلاد ما وراء النهر وتحول طرق التجارة مع الصين من الطريق الخراساني الذي يمر بما وراء النهر إلى الطريق الشمالي الذي يبدأ من القرم متجهاً عبر القبيلة الذهبية وما رافق هذا التحول من أثر اقتصادي في مغولستان وما وراء النهر كل ذلك دفع تغلق تيمور إلى اغتنام الفرصة لضم المنطقة إلى دولته فتوجه في حملة على ما وراء النهر سنة (761هـ/1359م) ولمّا وصل خجندة استسلم له أميرها بايزيد الجلائري فانطلق نحو سمرقند فأخضعها أما حاجي برلاس وتيمورلنك فقد اختلفا في موقفهما من الغزو فآثر الأول الانسحاب بقبيلته إلى خراسان[2] ويذكر تيمورلنك: «أنه لمّا عزم تغلق تيمورخان بالسيطرة على بلاد ما وراء النهر أصدر مرسوماً استدعاني به إليه واستدعى الأمير حاجي برلاس والأمير بايزيد الجلائري طلب هذان المقدمان مني النصيحة قائلين: هل علينا الفرار إلى خراسان مع أسرنا ومواشينا وقطعاننا أم علينا أن نذهب ونرى تغلق تيمورخان ونلتقي به؟ ونصحهم قائلاً: هناك منفعتان في رؤية تغلق تيمور وضرر واحد، أما الفرار إلى خراسان فهناك ضرران ومنفعة واحدة ولم يوافقا على نصيحتي وانصرفا نحو خراسان وكنت أنا متردداً في داخل نفسي ولا أعرف هل عليّ الانسحاب إلى خراسان أم يتوجب علي رؤية تغلق تيمور؟ وفي هذه المناسبة طلبت من شيخي الذي كتب إليّ بقوله: أن اذهب إلى الخان. ولكن مع ذلك كنت في كل عمل من أعمال حياتي التي صممت عليها أن أحصل على الفأل من القرآن الكريم وعملت بناءً على التوجيهات الصادرة عنه والمستلهمة من سورة يوسف»[3].

وربما فكّر تيمورلنك بتعقل في هذا الأمر فرأى أن الدخول في معركة مع تغلق تيمور لا يكون في صالحه نظراً لاختلاف موازين القوى بينه وبين قوة الخان تغلق ورأى أن السياسة الحكيمة تستطيع أن تحقق نتائج طيبة. فقرر أن يقدم خضوعه لتغلق تيمور لأنه سيحفظ حينئذ بما أقطع

---

(1) تغلق تيمور: هو ابن أوغل خواجه بن دواخان ينحدر أصله إلى جغتاي بن جنكيزخان عاصر الفوضى التي شهدتها ما وراء النهر حكم القسم الشرقي من خانية جغتاي رأى أن الفرصة سانحة له لكي يمد نفوذه ويبسط سلطانه على بلاد ما وراء النهر، الشامي: ظفرنامة، ص 18 - تيمور: مذكرات تيمور ، ص 8.

(2) الشامي: ظفرنامة ، ص 18.

(3) تيمور: مذكرات تيمور ، ص 9.

لقبيلته في كش وسيضفي على أعماله المقبلة صفة شرعية ممثلاً للجتغتائيين فتوجه إلى الخان تغلق تيمور حاملاً معه الهدايا رمزاً لطاعته فاستقبله الخان بحفاوة وأقطعه تومان باش[1] وأسند له حكم ما وراء النهر حتى مياه جيحون عند عودته إلى بلاده[2] الجتة[3] ويُعد هذا التحول أول نشاط سياسي وعسكري لتيمورلنك في ما وراء النهر. ولم تلبث أن عادت الاضطرابات والعصيان من قبل الأمراء في ما وراء النهر فاضطر تغلق تيمور للزحف بجيشه سنة (762هـ/1360هـ) على بلاد ما وراء النهر واتخذ فيها عدة إجراءات لوضع حل لجميع الاضطرابات والمنازعات التي كانت سائدة في المنطقة وتقليم أظافر من كان يقوم بإثارتها لذلك لم يلتفت إلى الأمراء الذين قدموا خضوعهم له فقبض على بايزيد الجلائري وقتله[4] وأمر بقتل بيان سلدوز ولمّا علم حاجي برلاس بمقتل الأميرين السابقين خشي على نفسه وتوجه إلى كش ومنها إلى خراسان ومعه أسرته وأهالي بلدته ولما وصل بالقرب من سبزوار هجم عليه جمع من الأشرار وقتلوه[5].

وقام تغلق تيمور بقتل بعض الجماعات المفسدة والمخربة وأدرك في الوقت نفسه خطر تيمورلنك المتنامي فنصب ابنه الياس خواجه حاكماً على بلاد ما وراء النهر وجرد تيمورلنك من صلاحياته العسكرية وجعله مستشاراً لابنه[6].

كان تيمورلنك يأمل في أن خضوعه للجغتائيين سيحفظ وحدة بلاده فلم يقتنع بما أسند إليه كناصح لأمير جغتائي فبدأ يتحين الفرصة لنيل هدفه. وقد أدرك الياس خوجا نواياه فبعث برسالة إلى أبيه يخبره فيها بأن تيمورلنك قد رفع لواء العصيان فما كان من خان تغلق تيمور إلا أن أصدر أمراً

---

(1) تومان باش: تعني رتبة قائد عشرة آلاف. لامب: تيمورلنك، ص 29؛

Prawdin: The Mongol Empire. P. 420.

(2) الشامي: ظفرنامة، ص 18 ؛ تيمور: منكرات تيمور ، ص 11.

(3) الجتة: علم كان يعرّف به عرق يقطن حدود منغوليا ولم يبقَ منهم اليوم إلا البروت ولا يزال هؤلاء المغول يعرفون حتى اليوم في آسيا الوسطى باسم جته ؛ فامبري: تاريخ بخارى، الحاشية، ص 208.

(4) الشامي: ظفرنامة، ص 21.

(5) Grousset: The Empire of the steppes, Paris, 1948. p. 410.

(6) تيمور: مذكرات تيمور مدبر العالم، ص 11 ؛ فامبري: تاريخ بخارى، ص 209.

The New Encyclopadia Britannica, London, Founded 1968, Volum 11, p. 784.

وقد تظاهر تيمورلنك في البداية باللامبالاة وظل يظهر الإخلاص لتغلق تيمور معتمداً على قدرته وحيلته في استغلال الأحداث الطارئة فلمّا طلب الخان رأيه في الطريقة التي يجب اتباعها في القضاء على الثورة التي نشبت ضده في بلاده القفجاق زين تيمور للخان مرة أخرى أن يسير بنفسه للقضاء عليها وهكذا استطاع إبعاد الخان مرة ثانية عن ما وراء النهر. تيمور: مذكرات تيمور، ص 10 – 11.

بقتله. وقد اكتشف تيمورلنك ذلك فغادر في السر بلاط سمرقند مع أصحابه إلى الصحراء التي تمتد فيما بين بخارى وخيوه وواجه خلال هذه المدة أقسى المحن[1].

حاول جمع الأنصار ونجح في استقطاب بعض العناصر المستاءة من اضطراب الأوضاع السياسية والاقتصادية في ما وراء النهر ومن ثم ذهب إلى بدخشان والتقى بالأمير كلال[2] الذي نصحه بالتوجه نحو خوارزم ولمّا وصلت أخبار وصوله إلى خوارزم إلى مسامع الياس خواجه كتب إلى تكل بهادر حاكم خيوة[3] بأن ينقض على تيمورلنك وبالفعل زحف نحوه مع ألف من الفرسان وقد تصدى له مع الستين مقاتلاً الذين كانوا معه بمعاونة الأمير حسين دست قزغن الذي التحق به وكان النصر حليف تيمورلنك ولما وصلت أخبار نجاحاته إلى مسامع الياس خواجه وإلى أمراء جته قالوا في أنفسهم: تيمورلنك رجل عجيب وصاحب إقبال ومعه تأييد رباني وحظوة[4] تعد هذه الرواية فيها مبالغة. وكان من أسباب الثورة حدوث بعض الأعمال السيئة من قبل الياس خواجه وجنوده كان لها أكبر الأثر في تذمر الأهالي وإعلان عصيانهم وعدم رضاهم عن الأعمال التعسفية التي كان يقوم بها في المنطقة وكان من أهم تلك الأعمال:

– تمادي ظلم الياس خواجه وجنوده لأهالي سمرقند وتعذيبهم[5].

– تعدي الجند على ممتلكات وأموال المسلمين بصورة بشعة للغاية وإشاعة التخريب والتدمير في كل أرجاء المدينة[6].

– اختطاف النساء وبيعهن كالجواري وأسر المواطنين البارزين ومطالبتهم بتقديم فدية لإطلاقهم وإجبارهم على الاعتراف بأماكن الأموال المخبأة لديهم[7].

أدت تلك الأفعال السيئة إلى تذمر الأهالي واستيائهم كما أن علماء الدين قد فزعوا من تلك الأعمال الوحشية وأصدروا فتوى تحرض على دفع وطرد طائفة قبيلة الأوزبكية الجته من البلاد وقد أيد الأمراء والأهالي هذه الفتوى التي كانت تنص على أن «أهل الإسلام والعلماء والمشايخ

---

(1) تيمور: مذكرات تيمور ، ص 11 – 12 ؛ فامبري: تاريخ بخارى، ص 209.

(2) كلال: كان من كبار رجال الدين المشهورين بالزهد والتقوى. تيمور، مذكرات تيمور ، ص 13.

(3) خيوة وهي خيواف القديمة وأهل خوارزم يسمونها خيْوَه وتعد قصبة خوارزم تقع على يسار نهر جيحون أهلها على المذهب الشافعي دون جميع بلاد خوارزم فإنهم حنفية وقد أمر تيمور بتجديد أسوارها – الحموي: معجم البلدان، ج2، ص 415.

(4) تيمور: مذكرات تيمور، ص 13، 14 ؛ يزدي: ظفرنامة، ج 1، ص 45.

(5) بازوكي: تاريخ إيران، ص 158 ؛ إقبال: تاريخ إيران، ص 593.

(6) تيمور: مذكرات تيمور، ص 11 ؛ صفا: تيمورلنك، ص 41.

(7) لامب: تيمورلنك، ص 40 ؛ فرج: قاهر العالم تيمورلنك، ص 28 ؛ صفا: المرجع السالف، ص 65.

والعساكر والرعية قد قرروا تعيين الأمير تيمورلنك – أيده الله – قطباً للسلطنة وحاكماً لأنهـم رأوه نبيلاً وأهلاً لذلك ولسوف يسعون بأموالهم وبأنفسهم ويبذلون كل جهد لطرد قبيلة الأوزبكيـة ونفيهـا وإبعادها وإزالتها وقمعها وتدميرها لأن رجالها مدوا يد الظلم والتعدي علـى العـرض والنـاموس وسلبوا الثروات وتسلطوا على ممتلكات المؤمنين وخرقوا حرماتها ولسوف نكون متمسكين بعهـدنا وقتوانا وإذا ما تخلينا عن عهدنا ووعدنا سوف نكون محرومين من نعمة الله ولسوف يعهد بنا إلـى قوة الشيطان وحوله وطوله»[1] سرّ تيمورلنك من موقف العلماء والأمراء والأهـالي مـن مـوقفهم تجاهه لذلك أعلن عصيانه وحربه لإلياس خواجه ورأى أن حياة التشرد والتنقل فـي الـصحراء لا تحقق أهدافه ومطامحه كما رأى أنه لا يستطيع مواجهة مغول الجتة وهو في هذا الوضع مـن قلـة الرجال والزاد ففضل التوجه صوب خراسان وفي الطريق انضم إليه حاكم ماجان[2] الأمير مبـارك شاه سنجري وكان معه مائة فارس كما قدم إليه بعض الخيول الجيدة وانضم إليه السيد حسن ضـياء الدين وبعض السادات والأهالي فأصبح في صحبته ما يقارب المئتين من الفرسان والمشاة[3].

ولما رأى تيمورلنك تحسن وضعه اتفق معهم على زيادة نشاطهم السياسي مـن أجـل إزالـة السيطرة الجغتائية عن ما وراء النهر ووجه بهم نحو ضواحي بخارى لكسب الأنصار وتوجـه هـو نحو سمرقند حيث أخذ يعمل على لم شمل أتباعه فتمكن من إحراز ولاء ألفـي شـخص وبعـد أن اكتشف أمره خرج من سمرقند إلى كش حيث التحق به دعاته وأنصاره الـذين تـم كـسبهم خـلال وجودهم في بخارى فتوجه منها نحو خوارزم سنة (763هـ/1361م) وقد انضمت إليه جماعات من قبيلة برلاس[4] وسار تيمورلنك وأعوانه جنوباً عبر جيحون متجهاً إلى جبال أفغانستان حيـث كـان ينتظره الأمير حسين بن قزغن في كابل[5].

فأخذت قوته في النمو وبدأ خطره يزداد على الجتة إذ نجح في استمالة بعض قبائل ما وراء النهـر إلا أنه وجد نفسه عاجزاً عن تأمين موارد اقتصادية لأنصاره، فاستغل حدوث ثورة في سجستان[6] سـنة

---

(1) تيمور: منكرات تيمور ، ص 12.

(2) ماجان يسمى أيضاً ماخان ولعله تصحيف النساخ وكان يطلق على الربض الغربي في مرو، لـسترانج، بلـدان الخلافة الشرقية، ص 445.

(3) تيمور: منكرات تيمور، ص 15 – 16.

(4) يزدي: ظفرنامة، ج1، ص 60. ؛ صفا: تيمورلنك، ص 72. Prawdin: The Mongol Empire, P. 425.

(5) كابل: وهي من ثغور طخارستان وهي حالياً عاصمة أفغانستان. البغدادي، صفي الدين (ت779هـ/1377م): مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علـي محمـد البجـاوي، دار المعرفـة ، بيـروت، ط1، 1373هـ/ 1654م ج 3، ص 1141.

(6) سجستان: اسم للمدينة والإقليم معاً كانت قصبة الإقليم تسمى زرنج ثم أطلق اسم الإقليم عليها ويسميها الـبعض سمستان يحدها من الشمال والغرب خراسان ومن الجنوب يفصلها الصحراء عن فارس وكرمان، أبـو الفـداء،

(765هـ/1363م) على أميرها جلال الدين محمود الذي استغلته لقمع التمرد وتعهد له مقابل ذلك بتقديم عطاء ستة أشهر لأنصاره. فتوجه تيمورلنك نحو سجستان واستطاع أن يسيطر على خمس قلاع من القلاع السبع للمتمردين فتسرب الخوف إلى قلب أمير سجستان ودفعه خوفه إلى التحالف مع بقية أعدائه وقد قالوا فيما بينهم: إذا مكث تيمورلنك في هذه البلاد فإن إقليم سجستان سوف يروح من بين أيدينا لذلك حشدوا الناس والجنود وجمعوهم من جميع أنحاء بلاد سجستان وزحفوا ضده ووصلوا إليه ولم يلتزم حاكم سجستان بالعهد واشتبك الطرفين في معركة تمكن تيمورلنك من النصر وقد جاء سهم وخرق ذراعه وجاء سهم آخر وأصاب قدمه[1] وغنم تيمورلنك وحليفه حسين بن قزغن غنائم وأتباعاً نتيجة لانتصارهم[2].

6 – إخراج الجتة من ما وراء النهر وسيطرة تيمورلنك عليها:

على كل حال رغم المتاعب التي حلت بتيمورلنك لم ينسَ هدفه الحقيقي وهو تخليص ما وراء النهر من حكم الجته وحينها عندما أخذ يتماثل للشفاء في وادي أرصوف بجوار بلخ بدأ يعيد تنظيم قواته ويعدّها للقتال وكانت هذه القوات في تزايد مستمر حتى نسب إلى تيمورلنك «ما فتحت أبواب السعادة والدولة علي ولا ضحكت عروس فتوحات الدنيا إلي إلاّ من فتوحات سجستان»[3] وسعى تيمورلنك من أجل الحصول على الطعام والعتاد لجنده إلى مد نفوذه على المناطق المجاورة ولكنه كان يحرص في الوقت نفسه على عدم الإضرار بمصالح السكان المحليين ولا سيما المزارعين ولما أنسى هؤلاء بتيمورلنك وجنده أخذوا يقدمون إلى معسكره جميع ما تنتجه مزارعهم من المحاصيل[4] والتقى في وادي أرصوف بالأمير حسين بن قزغن الذي كان قد انفصل عنه بعد معركة سجستان. فاعتقد تيمورلنك أن مواجهة أعدائه الجته قد حان وقته فتوجه إلى بلخ[5] ومنها إلى ترمذ[1] وانضم

=اسماعيل، (ت732هـ) تقويم البلدان، اعتنى بتصحيحه رينود والبارون مالك كوكين ديسلان ، دار الطباعة السلطانية، باريس، د.ط، 1840، ص341.

(1) شامي: ظفرنامة، ص 22 ؛ تيمور: منكرات تيمور مدبر العالم، ص 17 – 18 ؛ يزدي: ظفرنامة، ج 1، ص 56 ؛ هناك اختلاف بين المؤرخين حول حادثة إصابته وقد بينته سابقاً ؛ فامبري: تاريخ بخارى، ص 209 ؛ إقبال: تاريخ إيران، ص 593.

(2) إقبال: تاريخ إيران، ص 593.؛ صفا: تيمورلنك، ص 73.

(3) ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص 13 – 14.

(4) يزدي: ظفرنامة ، ج 1، ص 58.

(5) بلخ: مدينة مشهورة تُعد من أجل مدن خراسان كانت تسمى قديماً بالإسكندرية بينها وبين ترمذ 12 فرسخاً (72كم) تشتهر بخصوبة أرضها وزراعتها التي توزع إلى خراسان وخوارزم ؛ الحموي: معجم البلدان، م 1، ص 479 – 480.

إليه بعض قادة قبيلة برلاس ممن كانوا في جيش الجته منهم صديق برلاس من أولاد يلدرين قراجار نويان ومعه خمسة عشر فارساً وخادم تيمورلنك القديم قرانجي بهادر ومعه مائة فارس وقد انفصلا عن جيوش الجته[2] ووصلت الأخبار إلى تيمورلنك عن طريق العيون التي بثها لاستطلاع أخبار العدو تفيد بتقدم جيش إلياس خواجه بعدد عشرين ألف لاجتياح منطقة ترمذ[3] وكان قد انضم إلى هذا الجيش عدد من الحكام المحليين الذين رفضوا الانضواء تحت لواء تيمورلنك وتعهد بعض هؤلاء الحكام لإلياس خواجه بأن يسلموه تيمورلنك وحسين مكبلين بالحديد. تقدمت قوات الجته وحلفائهم إلى ضفة النهر في مواجهة المنطقة التي كان تيمورلنك يعسكر فيها مع قواته التي كانت لا تتجاوز الربع لقوات إلياس[4] وحدث أول صدام بين قوات تيمورلنك وقوات إلياس خواجه سنة (764هـ/1362م) بجوار ترمذ فانقشع الصدام عن انكسار الجته وفرار أميرهم إلياس خواجه وقد كان لانتصار تيمورلنك هذا صدى واسع في ما وراء النهر إذا سقطت هيبة حاكم الجته من أعين سكان البلاد وشجعهم على مقاومته بالانضواء تحت الحركة المسلحة الرامية إلى تحرير ما وراء النهر التي يقودها تيمورلنك[5].

وقام على إثر انتصاره بعبور النهر مع قواته على زوارق من معبر بالقرب من ترمذ وأرسل طلائعه من هناك لتعقب الجته واستطلاع أخبارهم. ويبدو أن إحدى هذه الطلائع قد ارتكبت شيئاً من التهاون وعدم الحيطة فلم تنتبه إلى تقدم جيش جديد للأعداء كان إلياس خواجه قد دفعه إلى الجنوب عند سماعه بالنصر الذي حققه تيمور على قواته في شمال بلخ وتمكن جيش الأعداء الجديد من مفاجأة تيمورلنك وهو على الضفة الشمالية واضطر تيمورلنك الذي لم تنفعه الشجاعة وإخلاص الأتباع في هذه المرة[6] أن يقاتل متراجعاً عبر النهر إلى الضفة الجنوبية كما أصدر أمره على الفور لإحراق الزوارق حتى لا تقع في أيدي أعدائه واضطر هو نفسه أن يعبر النهر على خشبة[7] ولما بلغ الجته ضفة النهر ظل الطرفان يراقب أحدهما الآخر من خلال النهر شهراً كاملاً دون أن

---

(1) ترمذ: مدينة مشهورة من أمهات المدن تقع على نهر جيحون من جانبه الشرقي في ما وراء النهر متصلة بالصغانيان يحيط بها سور وتشتهر بأسواقها. خضعت للغزنويين والسلاجقة والقرخطائيين والخوارزميين على التعاقب دمرها المغول سنة (617هـ/1220م) إلا أنها انتعشت خلال القرن 8هـ/14م ؛ الحموي: معجم البلدان، م 2، ص 26 – دائرة المعارف الإسلامية، ج 5، ص 203.

(2) تيمور: مذكرات تيمور مدبر العالم، ص 18 – 19.

(3) يزدي: ظفرنامة، ج 1، ص 59.

(4) يزدي: ظفرنامة ، ج 1، ص 60 – 61.

(5) تيمور: مذكرات تيمور، ص 24.

(6) Prawdin: L'Empire Mongol et Tamerlane, Paris 1937. P. 185.

(7) شهاب: تيمورلنك، ص 134.

يتجاسر أحدهما على العبور إلى الطرف الآخر للقتال[1] ووجد تيمورلنك وحسين أنه من الأفضل لهما الابتعاد عن النهر والتوغل جنوباً واستقر رأيهما على أن يتوجها إلى بدخشان فاستعد أمراء بدخشان لقتاله فسارع تيمورلنك في تحركه متجهاً إلى طالقان[2] لمواجهتهم قبل أن يتمكنوا من جمع قواتهم وجيوشهم ولما علم أمراء بدخشان بوصول جيش تيمورلنك فضلوا الصلح معه والدخول في طاعته[3] وتوغل تيمورلنك مع قواته في إقليم بدخشان حتى بلغ مدينة تلخان[4] وقدم له حكام المنطقة برهاناً على صدق تأييدهم ألفين من الخيول[5].

7 – أحداث معركة جسر سنكين[6] (قنطرة الحجارة):

اتخذ تيمورلنك عدة إجراءات استعداداً لخوض المعركة حيث أدرك من البداية أن قواته غير متجانسة الوحدة وفي سبيل توحيد صفوفه استخدام أساليب النفاق السياسي والمخادعة من جهة وأظهر اللطف والإغراء بالثروات والمناصب والوعود المستقبلية من جهة أخرى.

فلما وصلته الأخبار عن طريق عيونه تفيد أن تغلق سلدوز وكي خسرو اللذين كانا من أتباعه قد توليا إمرة ستة آلاف فارس من الجته وكانا يقودانهم للهجوم عليه ازداد الرعب والخوف في صفوف أتباعه.

فقام على الفور باجتماع سري جمع جاكو، وإيكو تيمور، والأمير سليمان والأمير جلال الدين ولكي يضمن ولاءهم المطلق جعلهم شركاء له في الخير والشر. كما اجتمع مع الذين كانوا غير راضين مع كل واحد على انفراد فالذين اتسموا بالطمع والشره أغواهم بالثروة والمال والذين وضعوا أعينهم على الجاه والمنصب والولايات تقاسم معهم البلدان والأقاليم التي أخضعها

---

(1) تيمور: منكرات تيمور، ص 24.

(2) طالقان: بلدتان أحدهما بخراسان بين مرو وبلخ أكبر مدينة بطخارستان والأخرى كورة وبلدة بين قزوين وأبهر – الحموي: معجم البلدان، ج 4، ص 6 ؛ البغدادي: مراصد الإطلاع، ج 2، ص 876.

(3) تيمور: منكرات تيمور ، ص 25 – يزدي: ظفرنامة، ج 1، 63.

(4) تلخان: تقع في أقصى شرق إقليم دخشان ؛ يزدي: ظفرنامه، ص63.

(5) يزدي: المصدر السالف، ج 1، ص 63.

(6) جسر سنكين أو بول سنكين يقصد به قنطرة الحجارة المشهورة على نهر وخشاب أكبر روافد جيحون ويسميها الفرس بول سنكين وباسمها التركي تاش كوبرك وقد وصفها الرحالة بطول لا يزيد على عشر خطوات وهي معلقة بين جبلين عاليين قائمين الانحدار لا تتجاوز الفجوة التي يمر منها النهر بينهما ثلاثين خطوة، لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص 482.

وأبقاهم جميعاً متعلقين بين الرجاء والخوف وقد عين كوتل[1] إلى كل واحد منهم[2] حينها وصلته الأخبار بأن جيشاً للجته يبلغ عدده ثلاثين ألفاً يعسكر قرب ممر جسر سنكين. وكان هذا الجـيش إبان تحركاته ينشر الرعب بين الأهالي ويسلب أموالهم وقد حزن تيمورلنك لما سمع وصمم على مواجهة جيش إلياس خواجه[3] على الرغم من قلة رجاله وعدم تكافؤ قواته مع قوات إلياس التي تفوق عدداً وعدة ومؤنة.

فاتفق تيمورلنك وصهره حسين على خطة للعمل العسكري وقبل حسـين علـى أن يـشاغل بقواته الجزء الرئيسي من جيش الأعداء ويهتم تيمورلنك بطليعة ذلك الجيش التي يبلغ عـددها سـتة آلاف جندي والتي كانت بقيادة كي خسرو وتغلق تيمور وتمكن تيمورلنك أن يخـدع طليعـة جـيش إلياس خواجه بعبور نهر الوخش ومن ثم فاجأهما بهجوم خاطف بألفين من فرسـانه عنـد غـروب الشمس فأجبرهما على التراجع عبر القنطرة واستطاع أسر قائديهما كيخسر والثـاني تغلـق تيمـور وغنم تيمورلنك أعداداً كثيرة من الخيول ولما حُمِلَ الأسيران إليه أحسن استقبالهما وأوقـف جـزءاً من قواته عند رأس القنطرة لمنع أعدائه من محاولة مرور القنطرة مرة ثانية[4] وبعد استراحة عـدة أيام عبر تيمورلنك النهر سراً في إحدى الليالي مع قلة من جنده قـدرها بعـض المـؤرخين بـألف وخمسمائة جندي وترك عند القنطرة قوة أخرى بمثل العدد[5].

ويذكر تيمورلنك في مذكراته «أنه ترك ألفين من الفرسان عند رأس جسر سنكين في مواجهة إلياس خواجه وعبر النهر شخصياً مع خمسة آلاف فارس وتقدم نحو أعلى هضبة من جيش إليـاس خواجه وأصدر أوامره لرجاله بأن يشعلوا أثناء الليل كثيراً من النيران ولمّـا شـاهد جـيش الجتـه النيران ظنّ الجيش قوياً وكثيراً فبات خائفاً وأمضت قوات إلياس خواجـه تلـك الليلـة سـاهرين». وحينها لم يلبث أن رأوا إلياس خواجه وأمراءه يمتطون خيولهم وهم هاربون فوجاً بعد فوج فأصـدر أوامره لجنده وللأمراء بمطاردتهم حتى يتبين وجهتهم»[6].

وهكذا استطاع تيمورلنك إرغام عدوه على التراجع بالسياسة والفن العسكري فانضمت أعـداد كبيرة من الأهالي إلى صفه وهم يهتفون بنصره[7] وربما كانت سياسة إلياس خوجه إرغام تيمورلنك

---

(1) كوتل: كلمة مغولية تعني تعيين شخص لتولي ولاية ما عند وفاة واليها أو عزله ؛ تيمـور: مـذكرات تيمـور، ص65، الحاشية

(2) تيمور: المصدر السالف، ص 26 – 27.

(3) يزدي: ظفرنامة، ج 1، ص 65 – 66. ؛ صفا: تيمورلنك، ص 76.

(4) Stewart: The Mulfuzat Timury or Autobiographicall Memoirs of the Mongle Emperor. P.37.

(5) الشامي: ظفرنامة، ص 25. ؛ يزدي: ظفرنامة ، ص 65.

(6) تيمور: مذكرات تيمور ، ص 28.

(7) لامب: تيمورلنك، ص 49.

على ترك موقعه والاشتباك معهم في القتال وجهاً لوجه. حيث كان يجهل العدد الحقيقي لأعدائه فقد فضل الانسحاب مع جيشه بعد أن غضب شديداً وأقسم سوف يرجع لقتال تيمورلنك إلى أن يتمكن من أسره.

8- معركة قبي متن[1]:

انسحبت قوات الياس خواجه باتجاه كش وعسكر في مكان اسمه قُبي متن يقع على الطريق بين كش وسمرقند. وحينها أدرك تيمورلنك بفراسته أن قوات الجته سوف تعود لمحاربته لا سيما إذا علموا بقلة عدد جنده واكتشاف خديعته. فأسرع بالتحرك مع من تبعه من أصحابه نحو ألفين من الفرسان نحو باب الحديد وانتقى من هؤلاء ستمائة فارس وعين قائداً لهم وهو سليمان برلاس وأمرهم بالتقدم نحو كش ولما بلغ هؤلاء ضواحي المدينة أخذوا يطوفون حولها وهم يسحبون على الأرض أغصان الأشجار فأثاروا غباراً كثيفاً مما أوهم حاكم المدينة بضخامة عدد المهاجمين فترك المدينة مع جنده على عجل[2] ثم رتب تيمورلنك والأمير حسين صفوفهما لمواجهة إلياس فكان حسين على الميمنة وتيمورلنك على الميسرة واستعدا لمواجهة إلياس خواجه وجيشه الذي كان يعسكر في أتاش أريفي، على بعد أربعة فراسخ (24 كم) من كش والتقى الجيشان عند مكان يسمى قُبي متن وكان النصر حليف تيمورلنك على الرغم من قلة عدد رجاله إذا قورنوا برجال إلياس خواجه من أعداد كبير وأسلحة وعتاد.

ويذكر أن إلياس خواجه والأمير بيكيجيك[3] وعدداً من الأمراء الجته وقفوا في أسر تيمورلنك إلا أن الرجال الذين أسروهم أطلقوا سراح إلياس حين علموا به وأبقوا على أسر الآخرين ومن المحتمل إن تيمورلنك أطلق سراح بيكيجيك[4] وقد عمل ذلك ربما لكي يكسب عدداً كبيراً من الأنصار والأعوان بسماحته وعفوه.

ويقال إن تيمور هو الذي أطلق سراح إلياس خواجه خوفاً من أن يكون أسره دافعاً لاستقدام المزيد من قوات الجته وتعريض البلاد إلى مزيد من أعمال التنكيل – وفي الوقت نفسه أعطى برهاناً على أنه لا يزال يخدم الشرعية التي تتجسد في بيت جغتاي – حكام البلاد الأصليين – وإن ثورته لم تكن إلا ضد الأمراء الجته الذين كانوا يسيؤون إلى أهالي البلاد بما كانوا يرتكبونه من

---

(1) قبي متن: تقع على بعد أربعة فراسخ من كش (24 كم) في سهل يدعى تاش أريفي بين سمرقند وكش. ؛ يزدي: ظفرنامة، ج1، ص ص 65-66. ؛ الشامي: ظفرنامة، ص 26.

(2) يزدي: ظفرنامة ، ج1، ص 66 – 67. ؛ خواندمير: حبيب السير، ج3، ص 8.

(3) بيكيجيك: كان أحد الأمراء الكبار والقادة المتمرسين الذين يثق بهم الخان تغلق تيمور. ؛ الشامي: ظفرنامة ، ص 26. ؛ خواندمير: حبيب السير، ج 3، ص 6.

(4) شامي: ظفرنامه، ص 26. ؛ يزدي: ظفرنامه، ج1، ص 70 – 71.

أعمال الخطف والسلب والنهب. وربما كان للخبر الذي وصل إلى إلياس خواجه قبيل المعركة بموت والده تغلق تيمورخان ودعوته لاستلام العرش[1] أثر في جعل تيمورلنك يتصرف بهذا الأسلوب مع إلياس خواجه، والذي كان له أثرٌ في تصرفات إلياس خواجه تجاه تيمورلنك حيث نبذ فكرة الانتقام من تيمورلنك وقفل عائداً إلى بلاده لاستلام العرش قبل أن يحل به أحد الطامحين[2].

ويمكن أن نعزو أسباب انتصار تيمورلنك وأتباعه على خان الجته إلياس خواجه إلى ما يأتي:

- قدرة تيمورلنك في التخطيط السليم حيث كان يختار الزمن والمكان للهجوم على خصمه.
- اتخذ سياسة التعمية والمخادعة على خصمه فكان لها مردود جيد في تحقيق انتصاراته.
- استطاع تيمورلنك بإمكانياته القليلة شن حرب نفسية على عدوه لإيهامه في أكثر من مكان بأن لديه القوات الكبيرة.
- نجح في خلق انسجام بين صفوف أتباعه عن طريق معرفة نفسية أمرائه فتبع سياسة الإغراء بالأموال والهدايا والوعود والمناصب وبالفعل كان رجال تيمورلنك أكثر إخلاصاً لسيدهم وكانت لديهم رغبة في تخليص بلاد ما وراء النهر من الجته بينما كان قادة الجته قد غلب عليهم حب جمع المال وكسبه بطرقه المشروعة وغير المشروعة وكان ينقصهم التخطيط الجيد والصبر والتروي بحسب مقتضيات المعركة رغم امتلاكهم إمكانيات كبيرة تفوق أضعاف عدوهم.
- وفاة الخان تغلق تيمور التي كان لها أثر في معنويات قوات إلياس خواجه فاضطر عائداً إلى بلاده ليتولى منصب الخانية خلفاً لأبيه.

وكان من نتائج انتصاره على الخان إلياس خواجه.

زوال نفوذ الجته على ما وراء النهر وإخفاق محاولاتهم التالية لاستعادتها.

افتقار بلاد ما وراء النهر إلى السلطة المركزية فكان تيمورلنك هو المرشح الأول لهذه السلطة إلا أنه خشي بقية منافسيه ولا سيما صهره حسين بن قزغن فاتفق مع بقية الأمراء على اختيار خان مغولي من سلالة جنكيزخان اسمه كابل شاه[3] ونصبه خاناً على ما وراء النهر سنة (765هـ/1363م) وأخذ تيمورلنك يمارس نفوذه من ورائه واتخذ سمرقند حاضره له ثم أسند حكم ولاية بلخ إلى الأمير حسين وعين كيخسرو أميراً على ولاية ختلان[4] وقد هدف تيمورلنك من ذلك

---

(1) يزدي: ظفرنامة ، ج1، ص 67-68.

(2) Prawdin: L'Empire Mongol et Tamerlane, Paris, P. 185. شهاب: تيمورلنك، ص 137.

(3) كابل شاه: ينسب إلى جغتاي بن جنكيزخان كان في أول حياته زاهداً يلبس ثياب الدراويش ويهوى الشعر لم تكن له خبره بشؤون الحكم والقيادة وهو حفيد الخان دوا وابن شقيق الخان ترمشيرين. يزدي: ظفرنامه، ج 1، ص 73.

(4) خَتْلانُ: بلاد تقع في ما وراء النهر بالقرب من سمرقند. الحموي: معجم البلدان، م 2، ص 346.

محاولة كسب ولائهم وفي الوقت نفسه إبعادهم وإبطال أي محاولة لإثارة الفوضى من جديد في البلاد. وربما كان تيمورلنك يهدف من تنصيب أحد أفراد بيت جَغَتاي بن جنكيزخان على العرش في ما وراء النهر لمنع إلياس خواجه الذي أضحى الخان على القسم الشرقي من خانية جغتاي – من التدخل في شؤون بلاد ما وراء النهر عندما يعلم أن قريباً له يتربع على ذلك العرش.

إلا أن ذلك لم يمنع إلياس خواجه المتربع على عرش الخانية في القسم الشرقي أن يتوجه إلى ما وراء النهر إذا سمحت له الظروف بذلك[1].

وكان تيمورلنك يدرك أن إلياس خواجه سوف يعود ثانية لمحاربته لذلك بعث إلى الأمير حسين يخبره بأن معلومات وصلته تفيد أن هناك استعدادات وترتيبات مكثفة من قبل إلياس خواجه للهجوم على المنطقة وأن الأمر يتطلب منهما مواجهة العدو المشترك بكل بسالة وشجاعة حتى لا يفاجئهم فأصدر الأمير حسين أوامره بأن يخرج الأمراء مع جيش كبير لينضموا إلى تيمورلنك ومساعدته[2].

ولما وصل جيش الأمير حسين توجه الجميع لمواجهة جيش إلياس خواجة فتحركوا إلى خجندة ومنها عبروا نهر جيحون والتحق الأمير حسين بتيمورلنك وعندما وصلوا إلى شاطئ النهر كانت مقدمة جيش إلياس خواجه قد اقتربت وتقدم تيمورلنك عند الشاطئ بين جيناس[3] وطشقند[4]. ونزل جيش إلياس على الضفة الأخرى من النهر وكانت أعداده كبيرة[5].

قسم تيمورلنك جيشه إلى ميسرة وميمنة وقلب وكانت كل فرقة مؤلفة من قسمين قسم للقتال والقسم الآخر كان احتياطياً لا يتحرك من مكانه إلا عند الحاجة. وقاد الأمير حسين الميمنة وتيمورلنك الميسرة وفي أثناء السير كانت الظروف المناخية قاسية حيث هطلت الأمطار وهبت العواصف وامتلأت أرض المعركة بالطين والمستنقعات وفاضت مياه النهر على ما حولها من الأراضي فعاقت الخيول من التحرك السريع كما أنها حدت من تحركات الجند ومواصلة السير[6].

---

(1) Grousset: The Empire of the steppes, A History of Central Asia. Translated From the French. P. 480.

(2) يزدي: المصدر السالف، ج 1، 87.

(3) جيناس: قامت هذه المدينة في المكان الذي كانت فيه مدينة اشتوركت أو شتركت أي مدينة الجمل وكان عليها حصن وتعد ثالث مدن الشاش. لسترانج: بلدان الخلافة الشرقية، ص 525 – 526.

(4) طشقند أو تاشكند وهي الشاش القديمة على ضفة نهر سيحون وتاشكند معناها مدينة الحجر وهي اليوم عاصمة أوزبكستان. لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ، ص 519، 523.

(5) الشامي: ظفرنامة، ص 28. ؛ يزدي: ظفرنامة ، ج 1، ص 78. ؛ فامبري: تاريخ بخارى، ص 210.

(6) يزدي: ظفرنامة، ج 1، 78 ؛ 76، لامب، تيمورلنك، ص 52.

وبالرغم من تلك الظروف لم تمنع تيمورلنك وحسين من مواصلة السير في حينها ظل إلياس خواجة في موقعه لا يتحرك محافظاً على أسلحته وخيوله وملابس جنده من المطر وفي حالة استعداد وبالفعل حدثت المعركة بين الفريقين تمكن تيمورلنك من الانتصار على ميمنة إلياس فدفع ذلك إلى التخوف والتراجع في حين تمكنت ميسرته من هزيمة ميمنة حسين فتغير موقف الطرفين[1]. وفي اليوم الثاني عمل تيمورلنك خطة جديدة حيث طلب من حسين ضم الميمنة إلى الميسرة في صف واحد لمواجهة أعدائهم إلا أن حسين لم يقبل ذلك وأساء القول لمبعوث تيمورلنك قائلاً: «أيجسر تيمورلنك أن يصدر إلي أمراً أمام رجالي»[2].

ويقدر بعض المؤرخين خسائر تيمورلنك وحسين في تلك المعركة التي دارت في الأول من رمضان سنة (766هـ/حزيران 1364م) بعشرة آلاف جندي وبعد مداولة بين تيمورلنك وقواده تم الاتفاق على الانسحاب باتجاه كش[3] إن من أهم أسباب هزيمة تيمورلنك وحليفه حسين يمكن إيجازها فيما يلي:

– نقل المعركة إلى أرض عدوه في حينها كانت الظروف الطبيعية والمناخية سيئة مما أدى إلى إرهاق قواته بينما كانت قوات إلياس خواجة في حالة جيدة وبكامل استعدادها.

غرور الأمير حسين وتخاذله ضيع على تيمورلنك فرصة النصر برفضه الانصياع لخطة تيمورلنك الأخيرة بدمج الجيشين الميمنة مع الميسرة. وقد أدى هذا التنازع والاختلاف إلى تمكن خان الجته إلياس خواجه من تنظيم صفوفه والتوجه بجيشه إلى سمرقند سنة 766هـ/1364م. وقد وجد الطريق أمامه مفتوحاً ولمّا علم العلماء في سمرقند قاموا بتحريك أهالي المدينة وتعبئتهم على المقاومة ضد العدو المغير بكل الوسائل الممكنة دفاعاً عن مدينتهم وقد شاءت إرادة الله تعالى أن تنقذ أهالي سمرقند من جيش إلياس الجته إذ تفشى مرض الطاعون فقضى على دوابهم ومعظم مواشيهم ولم يبق إلاّ القليل منها واضطر جيشه للعودة سيراً على الأقدام خوفاً من أن يصابوا بعدوى المرض[4] ولما هرع تيمورلنك لنجدة أهل المدينة الذين أرسلوا يطلبون العون منه شاهد الكثير من جند الجته وهم يسيرون على أقدامهم ويحملون أمتعتهم على ظهورهم خلال انسحابهم فأرسل تيمورلنك قواته لمتابعتهم ومطاردتهم وأرسل أتباعه للدخول سمرقند[5].

---

(1) يزدي: ظفرنامة ، ج 1، ص 78. ؛ فياض: تيمورلنك، ص 39.

(2) يزدي: المصدر السالف، ج 1، ص 78. ؛ الصفا: تيمورلنك، ص 80. ؛ فامبري: تاريخ بخارى، ص 211.

(3) يزدي: ظفرنامة، ج 1، ص 82.

(4) يزدي: المصدر السالف، ج 1، ص 84. ؛ خواندمير: حبيب السير، ج 3، ص 93.

(5) شهاب: تيمورلنك، ص 140؛ صفا: تيمورلنك، ص 81.

9 – تأمين الجبهة الشرقية بالحرب ضد الجته بزعامة الأمير قمر الدين دوغلات[1]:

رأى تيمورلنك سنة (772هـ/1370م) أن قبائل الجته الجغتائيين دائماً ما يغيرون على حدود بلاده فينشرون الخوف والاضطراب فيها لذا حرص على حماية حدود دولته الجديدة وهذا دفعه إلى القيام بتوجيه ضربات متوالية ضد جيرانه الجته خلال هذه المرحلة الأولى من حكمه في الشرق والخوارزميين في الشمال وقد امتدت حملاته على قبائل الجته خلال السنوات العشر (772 – 782هـ/1370 – 1380م) [2].

وربما لم يكن يهدف من ورائها تحقيق مكاسب إقليمية أو دينية بل هدف إلى تأمين جبهته الشرقية كي يتفرغ للمراكز الحضارية الأكثر ثراءً في الشمال والغرب. ولا سيما مدن مغولستان موطن الجته البدو وأرضها قليلة الزراعة لمقاومة المغول للحياة المستقرة[3] لذلك فإنها لا تدر على تيمورلنك وقواته غنائم كبيرة إذا ما فكر في غزوها، بل أن مغولستان نفسها قد أضحت منطقة طرد بشري وهذا ما دلت عليه الهجرات المتكررة التي قام بها الجعتائيين إلى بلاد ما وراء النهر[4].

وعلى الرغم من أن هدف تيمورلنك الأصلي من حروبه في بلاد الجته هو رد غارات هؤلاء عن بلاده، إلاّ أنه وجد في الوقت نفسه أن هذا الهدف لن يتحقق إلا بالخلاص من قمر الدين دوغلات. وكان لقبيلة دوغلات المغولية المتركة دور كبير في تسيير الأمور في خانية جغتاي الشرقية منذ أيام تغلق تيمورخان بسبب نشاط زعمائها واتساع نفوذها[5] عزم تيمورلنك في سنة (772هـ/1370م) على الخروج لمحاربة قبائل الجته وعبر نهر سيحون وتمكن من إدخال كمرة[6] تحت طاعته وعين تيمورلنك كبك تيمور حاكماً على تلك القبائل ثم عاد إلى سمرقند[7]. لكن كبك تيمور لم يحسن سياسة تلك القبائل

---

(1) قمر الدين دوغلات: اغتنم الفرصة إثر وفاة الخان تغلق سنة (764/1363م) وأخذ في تسخير الأمور لصالحه وقام بالانتقام من ابن الخان تغلق إلياس خواجه الذي كان عائداً لتوه من بلاد ما وراء النهر بعد خسارته وجنوده فلم يكتف قمر الدين بقتل إلياس خواجه سنة (766هـ/1364م) قتل المخالفين واستأثر بالحكم لنفسه وأطلق على نفسه لقب خان وحاكم لمغولستان. إقبال: تاريخ إيران، ص 595 .

Grosset: The Empire of the steppes. P. 422.

(2) الشامي: ظفرنامة، ص 69 – 72 ؛ فامبري: تاريخ بخارى، ص 217 ؛ إقبال: تاريخ إيران، ص 595.

(3) Hookham; Tamburlaine the conqueror. London, Hooder and Stoughton, 1962. P. 87.

(4) إنه صراع على السلطة وإلاّ كيف وهو الذي عينه لأول مرة حكمها ما وراء النهر عندما قفل عائداً لإخماد الخارجين عليه في دشت القفجاق ثم عزله عن الحكم وعين ابنه إلياس خواجه وجعل تيمورلنك مستشاراً لابنه إلياس خواجة. تيمور:

(5) يزدي: ظفرنامة، ج 1، ص 189 ؛ ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص 24.

(6) كمرة: أو كمرى: قرية من قرى بخارى ؛ بارتولد: تركستان، ص 35.

(7) فامبري: تاريخ بخارى، ص 217.

حيث طغى وظلم وشق عصا الطاعة على تيمورلنك مما دفعه إلى أن يرسل إليه جيشاً بقيـادة مجموعـة من الأمراء الكبار للقضاء عليه وحينها الأمراء لم يتمكنوا من تحقيق ذلك وقاموا بعقد صلح مع المخالفين من الجتَه لم يرضَ به تيمورلنك[1]. ويبدو أن الأمراء فعلوا ذلك دون علم أو استشارة تيمورلنـك. بـدليل أن تيمورلنك وعلى وجه السرعة أمر بجمع الجيش من جميع الأطراف وخرج بنفسه لقمع تلـك الفتنـة ولما علم المخالفون بقدومه لاذوا بالفرار وتقدم بنفسه واجتاح منازلهم وأسر أعداداً كبيـرة مـن الجتـه وأعمل السلب والحريق فيها يميناً وشمالاً ثم عاد آخر الأمر إلى موطنه محملاً بالغنائم[2]. وبعـد مـرور أربع سنوات توجه تيمورلنك بحملته إلى بلاد الجتَة في شعبان سنة 777هـ/كانون الثاني 1375م وهدفـه القضاء على مطامع قمر الدين إلا أن هذه الحملة لم تحقق مآربه في القضاء عليهم بسبب اشـتداد البـرد وسقوط الثلج مما أدى إلى إعاقة تحركه وقتل عدد كبير من رجاله فاضطر للعودة من موقـع قطغـان[3] إلى سمرقند[4]. ولم تطل مدة انتظار تيمورلنك لمعاقبة الجتة أكثر من شهرين حيث توجـه إلـيهم ومعـه مجموعة كبيرة من الأمراء وعند سيرام[5] تمكنوا من أسر أحد أفراد الجته وأرسلوه إلى تيمورلنك وبعـد التحقيق معه أخبرهم الرجل بمكان قمر الدين الذي جمع جيشه عند موضع يسمى كوك تيه. ولـم يكـن قمر الدين يعلم بقدوم جيش تيمورلنك الذي أمرهم بزيادة سرعتهم قبل أن يأخذ قمـر الـدين حـذره ويهرب[6].

وبالفعل عندما علم قمر الدين بتوجه جيش تيمورلنك إليه لجأ وجنده إلى مكان حصين يـسمى بركة غوريان[7] وهو ممر جبلي حصين حيث دارت هناك معركة ثبت فيها قمر الدين خلال النهـار وتمكن من الهرب أثناء الليل فتعقبهم الأمير جهانكير بن تيمورلنك ورجاله الذين تمكنـوا مـن قتـل أعداد كبيرة منهم ولما رأى قمر الدين شدة متابعتهم له اضطر إلى الانفصال عن أهله فظفـر جنـد

---

(1) يزدي: ظفرنامة ، ج 1، ص 171 ؛ فامبري: تاريخ بخارى، ص 217.

(2) يزيدي: المصدر السالف، ج 1، ص 170 ؛ فامبري: المرجع السالف، ص 217.

(3) قطغان: تذكر قطوان قرية من قرى سمرقند على بعد خمسة فراسخ منها ؛ الحموي: معجم البلدان، م 4، ص 375.

(4) الشامي: ظفرنامة، ص 96 ؛ يزدي: ظفر نامه، ج 1، ص 188.

(5) سيرام: هي اسبيجاب التي ذكرها جغرافيو القرن العاشر الميلادي. تقع على نحو ثمانية أميال شرق جمكنت على نهر أوليس وهو رافد من روافد نهر سيحون تحتوي على مدينة وقلعة وربض وفي خارجها مياه وبساتين وكـان لها أربعة أبواب كان اسمها قبل الغزو المغولي اسبيجاب. الاصطخري: المسالك والممالك، ص 291. لـسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص 527.

(6) يزدي: ظفرنامة ، ج 1، ص 189 – 190.

(7) بركة غوبان: تقع عند المجرى الأعلى لنهر إيلي في السفوح الشمالية لجبال الآتاو Ala-Taou وإلـى الـشمال الغربي من بحيرة آيسيق – كول قريباً من مدينة كاستيك..Grousst; L'Empire des Steppes, p. 501

تيمورلنك بالكثير من أمواله وممتلكاته وأسروا زوجته نوبان آغا وابنته دلشاد آغا وأرسلوهما إلى تيمورلنك[1].

ويذكر المؤرخون أن تيمورلنك تزوج من دلشاد آغا بنت قمر الدين وأقام الاحتفالات بهذه المناسبة ثم عاد إلى سمرقند[2] وربما كان تيمورلنك يهدف من وراء تلك المصاهرة إلى إنضمام عدوه إليه ولكنه لم يبلغ بذلك إلى مكان يرمي إليه وهو ضم القسم الشرقي من دولة جغتاي السابقة إلى حكمه عن طريق هذا الزواج السياسي.

وإذ توجه تيمورلنك وللمرة الرابعة لمحاربة الجته سنة (777هـ/1375م) وكان بسبب أن اثنين من أتباع تيمورلنك عاد لشاه جلاير وساربوغا قد فرا إلى قمر الدين وأخذا يحرضانه للإغارة على ما وراء النهر فتوجه في سنة (777هـ/1375م) بقواته على أندكان[3] واستولى عليها قمر الدين وكانت تحت حكم ابن تيمورلنك الثاني عمر شيخ الذي أخفق في مقاومة قمر الدين بعد انفصال قبيلة هزارة عنه وانضمامها إلى قمر الدين وأدى هذا الأمر إلى ضعف قوته فبعث عمر شيخ رجلاً من طرفه ليخبر تيمورلنك بما آل إليه الأمر حيث كان الهجوم مباغتاً فاضطر عمر شيخ إلى ترك المدينة والاعتصام بالجبال المجاورة ولما وصلت الأخبار تيمورلنك تحرك بسرعة وسلك في هذه المرة طريقاً جديدة غير التي سلكها في حملاته السابقة، فانطلق شمالاً عبر سهول فرغانة بحيث انضمت إليه قوات عمر شيخ في المناطق التي تعتصم بها في الجبال وتقدما في إثر قوات قمر الدين التي آثرت التراجع والانسحاب لما علمت باقتراب قوات تيمورلنك منها واختبأ في كمين مع أربعة آلاف فارس[4].

وتشير المصادر إلى أن تيمورلنك لما تقدم من ذلك المكان لم يعلم بكمين قمر الدين وكان قد سبق لتيمورلنك أن أعطى أوامره لجنده بتعقب الجته ولم يبق معه سوى مائتين من رجاله وثلاثمائة حصان وظهر قمر الدين فجأة وحرص على عدم ضياع هذه الفرصة من يده ولم يجد تيمورلنك أفضل من الاعتماد على شجاعته في الدفاع عن نفسه وبرغم قلة عدد رجاله إلا أنهم تمكنوا ببراعتهم وشجاعتهم من إلحاق الهزيمة بقوة قمر الدين الذي قرر الهروب واضطر جنده إلى أن

---

(1) يزدي: ظفرنامة ، ج 1، ص 189.

(2) يزدي: المصدر السالف، ج 1، ص 191. ؛ ابن عربشاه: عجائب المقدور في نوائب تيمور، ص 24. ؛ القرماني: أخبار الدول وآثار الأول، ص 521. ؛ فامبري: تاريخ بخارى، ص 217. ؛ خواندمير: حبيب السير، ج 3، ص 19.

(3) أنْدُكان: قرية من قرى فرغانه. وتعرف بأندريجان الحالية وقد اتخذها كيدوخان حفيد أكتاي بن جنكيزخان قصبة لفرغانة في النصف الأخير من القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي ؛ الحموي: معجم البلدان، م 1، ص 261 – 262، لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص 521.

(4) يزدي: ظفرنامة، ج 1، ص 197 و198؛ بازوكي: تاريخ إيران، ص 193.

يلحقوا به[1] ولما عاد تيمورلنك إلى سمرقند وجد ابنه جهانكير قد توفي حيث تركـه مريـضاً قبـل مغادرته سمرقند فحزن عليه أشد الحزن[2].

قرر تيمورلنك في العام نفسه (777هـ/1375م) القيام بحملة خامسة على بلاد الجتـه لعلـه يحسم الصراع مع الجته ويظفر بقمر الدين ويستولي على غنائمهم لا سيما أنه كان يحـرص علـى الإغارة على الجته كلما أمن جانب خوارزم.

وبالفعل توجه تيمورلنك على الطريق الشمالي عبر سيحون إلى منطقة بحيرة ايسيق – كـول حيث دارت بينه وبين قمر الدين معارك في الشعاب الجبلية[3] الواقعة إلى الغرب من البحيرة ولحق به حتى قوجقار تكامشي[4] إلاّ أن قمر الدين كعادته فضل الهرب لما رأى عدم مقدرته على مواجهة قوات تيمورلنك حينها وصلته الأخبار من سمرقند تقول: إن توقتمش[5] أحد أمراء البيت الحاكم فـي بلاد القبجاق قد قدم إلى سمرقند فاراً من أروس خان حاكم بلاد القبجاق. لذلك اضطر تيمورلنك إلى الرجوع إلى عاصمته سمرقند[6] وكلف ابنه عمر شيخ لملاحقة قمر الدين الـذي لاذ بـالفرار إلـى الصحراء وتفرق جيشه ولا يعلم أحد ماذا حدث بعد ذلك وعاد عمر شيخ إلى سمرقند.

ويتضح من خلال تلك الحملات التي قام بها تيمورلنك بنفسه أو بواسطة أمرائه للقضاء علـى الجته وزعيمهم قمر الدين الذي استطاع بالفعل أن يرهق تيمورلنك وقواته باستخدامه أسلوب الكـر والفر مستفيداً من طبيعة الأرض الجغرافية فقد أثار بالفعل الاضطراب إلى حد كبير في بـلاد مـا وراء النهر خلال مدة تأسيس وتوطيد عهد تيمورلنك لحكمه في المنطقة.

صحيح أنّ تيمورلنك حقق انتصارات عديدة ومغانم كثيرة من خلال حملاته على الجته لكنـه أخفق في القبض على خصمه قمر الدين وترك الأمر لابنه عمر شيخ الذي تابعه ولم يفلح في إلقـاء القبض عليه وقفل عائداً إلى سمرقند.

---

(1) يزدي: ظفرنامة ، ج 1، ص 198، حطيط، أحمد: دراسة في الاستراتيجية العسكرية للمغول من أيام جنكيزخان حتى عهد تيمورلنك، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط 1، 1994م، ص 86.

(2) الشامي: ظفرنامة، ص 72 – يزدي: ظفرنامة ، ج 1، ص 198 – 199.

(3) يزدي: ظفرنامة ، ج 1، ص 203.

(4) قوجقار تكامشي: يقع عند الطرف الغربي من بحيرة ايسيق – كول.

Grousset; L'Empire des steepes. P. 501.

(5) تُوقتمش بدلخان: هو خان القبيلة الذهبية في سهوب القبجاق القائمة حول الشواطئ الشمالية لبحر الخزر امتـداداً نحو الغرب وينحدر من حيث النسب من جوجي الذي كان أكبر أولاد جنكيزخان الأربعـة وقـد ورث مقدميـه معسكرات القبائل البيضاء والزرقاء التي اتحدت في سنة (780هـ/1378م) مع القبيلة الذهبية. كلافيجو: سـفارة إلى تيمورلنك (1403 – 1406) – الحاشية. ص 399.

(6) يزدي: ظفر نامه، ج 1، ص 203. – تيمور: مذكرات تيمور ، ص 40.

وبذلك لم يحقق تيمورلنك رغباته في ضم القسم الشرقي من دولة جغتاي السابقة إليه. وظل هذا القسم في حالة عداء مع تيمورلنك مما دفعه إلى العودة والتوجه نحو مناطق أخرى. لا سيما وقد قدم إليه الأمير تقتمش الذي سوف يتيح لتيمورلنك مدّ نفوذه إلى بلاد القبجاق ويحقق له إتقاء أخطار الغارات التي تأتيه بين حين وأخرى من الجته.

ويتضح هذا من منح تيمورلنك توقتمش حكم مدينتي صبران وسغناق الواقعتين على نهر سيحون مقدار اهتمام تيمورلنك بتأمين حدود بلاده مع بلاد القبجاق بإقامته حكم موال له عند الحدود الفاصلة بين الدولتين.

وعلى الرغم من إخفاق توقتمش في توطيد حكمه في صبران وسغناق وهزيمته أمام ابن منافسه قتلق بوغا بن أروس خان وإقامته في بخارى حتى شفي من جراحه التي أصيب بها خلال المعركة مما اضطر تيمورلنك إلى القيام بتجهيز قوات جديدة بعد أن رفض طلباً لأروس خان لتسليمه له وتوجه بنفسه على رأس قواته إلى مكان على سيحون يقع بين سغناق وأترار وخاض المعركة ضد قوات خان القبجاق انتهت بانتصاره ودعم حليفه توقتمش الذي نجح في ضم شطري القبجاق الشرقي والغربي تحت حكمه بشكل لم يحدث للحاكم من نسل جوجي بن جنكيز خان قبله[1].

ويشير تيمور في مذكراته بتفاصيل مختلفة عن الشامي ويزدي حيث قال: «كان التدبير الذي اتخذته في سبيل استئصال أروس خان وإخضاع دشت القبجاق فلما لجأ إليّ تقتمش بداخان بعد هزيمته من أروس خان وهرب تشاورت مع نفسي: هل عليّ إرسال جيش مع تقتمش؟ أو يتوجب عليّ الذهاب بنفسي؟ ووصل في حينها رسول من قبل أروس خان فرأيت أن منفعتي هي في التصرف بشكل لطيف مع هذا الرسول ثم أصرفه وبعد ذلك أغلق الطريق إلى الدشت وكلف جيشاً ينطلق بعد الرسول مباشرة وفي اليوم الذي سوف يدخل فيه الرسول على أروس خان ويمثل بحضرته يكون أروس حينها غافلاً غير متوقع لأي شيء تقوم قواتي بمهاجمته وبالفعل عندما تصرفت هكذا تبرهن أن الترتيب كان ناجحاً وكأن مصيبة نزلت على رأس أروس خان ولم يمتلك بعد ذلك القدرة على مواجهتي والتصدي لجيوشي ولاذ بالفرار وتم إخضاع دشت القبجاق»[2].

---

(1) الشامي: ظفرنامة، ص 74 – 75 ؛ يزدي: ظفرنامة، ج 1، ص 204 – 208.

(2) مذكرات تيمور، ص 40 – 41.

الفصل الثاني

حروب تيمور لنك الخارجية نحو خوارزم، والهند والصين

تأمين الجبهة الشمالية بالحرب ضد خوارزم

1 – أسباب توجه تيمورلنك نحو خوارزم

2 – الحملة الأولى سنة (773هـ/1372م)

3 – الحملة الثانية سنة (774هـ/1373م)

4 – الحملة الثالثة سنة (777هـ/1375م)

5 – الحملة الرابعة سنة (780هـ/1378م)

6 – الصراع بين تيمورلنك والأمير حسين (767 – 771هـ/1365 – 1369م)

7 – ثورة كيخسرو ختلاني ومحمد بيان سلدوز سنة (769هـ/1367م)

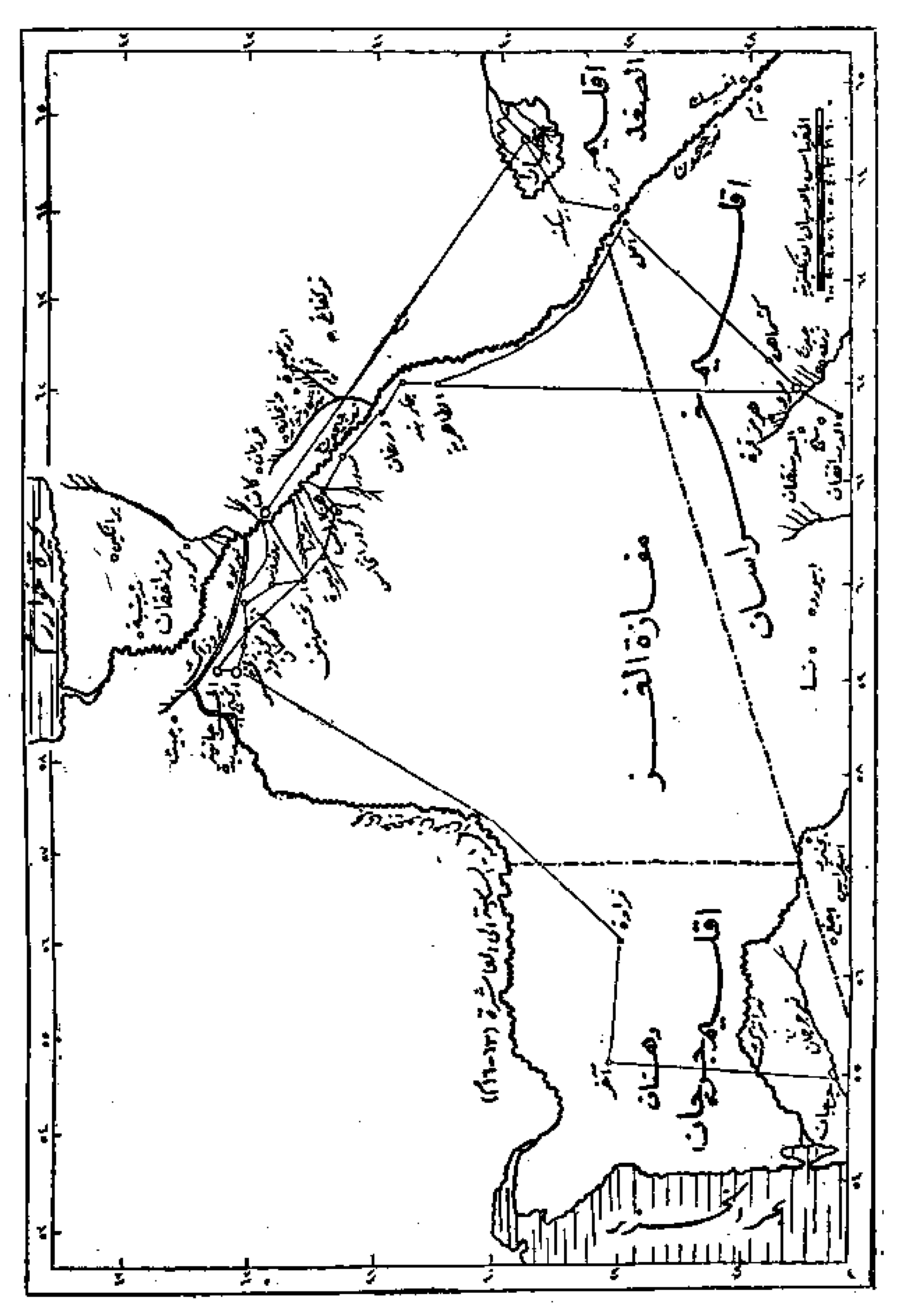
8 – تنصيب تيمورلنك سيداً لبلاد ما وراء النهر (771هـ/1370م)

9 – غزو تيمور لنك للهند سنة (800- 801هـ/ 1389-1399م)

10 – إحتلال الهند

11- النتائج التي تمخضت عن غزو تيمور لنك للهند

12- توجه تيمور لنك نحو الصين (807هـ/ 1405م)



كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص489.

تأمين الجبهة الشمالية بالحرب ضد خوارزم:

1 – أسباب توجه تيمورلنك نحو خوارزم:

وجد تيمورلنك أن من الضروري استقرار الحكم في بلاد ما وراء النهر فقام في الوقت نفسه بحملات ضد الجته في الشرق والخورازميين في الشمال وكان يرى أن السيطرة على خوارزم من الأمور المهمّة التي يجب أن تتم لأنه يُعدها تابعة لبلاد ما وراء النهر[1].

كانت خوارزم في تقسيم البلاد الجنكيزية من نصيب جوجي الابن الأكبر لجنكيزخان وخلفه عليها أولاده واستولى الحكام الجغتائيون عليها بعد ذلك[2] وكانت مرتبطة من الناحية الإدارية بالوس جغتاي[3] وكانت الضرائب التي يدفعها سكانها تذهب إلى خزانة خانيته[4].

كما كانت خوارزم على اتصال وثيق مع خانات القبجاق حيث تم تقسيمها بين خانات القبجاق وخانات جغتاي فحكم القبجاق منطقة دلتا نهر سيحون والأرجيش وحكم الجزء الجنوبي ويشمل كاث[5] وخيوق[6] الجغتائيون وفي سنة (761هـ/1360م) استطاع أحد زعماء قبيلة عونكرات[7] التركية الأصل واسمه حسين صوفي تأسيس مملكة مستقلة مستفيداً من الفوضى والاضطراب في خانية القبجاق والحروب كذلك في ما وراء النهر. فضم كاث وخيوق إلى أملاكه[8] وشجع التجارة حتى صارت خوارزم محطة للقوافل التجارية المتجهة للصين. والتي تعرف بطريق الحرير وتعد من أقدم الطرق التجارية بين الشرق والغرب.

---

(1) الشامي: ظفرنامة، ص 65 – 69 ؛ فامبري: تاريخ بخارى، ص 217 – 218. ؛ شيخو: حقيقة تيمورلنك، ج 1، ص 239.

(2) إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، ص 594.

(3) يزدي: ظفرنامة، ج 1، ص 173.

(4) فامبري: تاريخ بخارى، ص 218.

(5) كاث: هي بلدة كبيرة من نواحي خوارزم تقع شرقي جيجون. الحموي: معجم البلدان، م 4، ص 427.

(6) خيوق: بلد من نواحي خوارزم وحصن وأهل خوارزم يقولون خيوَه. الحموي: معجم البلدان، م 2، ص 415 – وخوارزم تقع اليوم في دولة أوزبكستان.

(7) عونكرات: عند يزدي. ويسميهم الهمذاني قنقرات وهم أتراك مغول الذين يقال لهم درلكين وإن أقوام المغول صنف من عموم أقوام الأتراك ويشبه بعضهم بعضاً في الأشكال واللغات والرسوم والعادات وجميعهم من نسل يافث بن نوح وهو الذي يقال له أبو لجة خان ويعد جد جميع طوائف الأتراك. الهمذاني: التاريخ الغازاني من جامع التواريخ، تحقيق سهيل زكار، ص 84 – 94.

(8) يزدي: ظفرنامة ، ج 1، ص 173. ؛ شيخو: حقيقة تيمور لنك، ج1، ص 239.

وقد أدى استيلاء حسين صوفي على تلك المدينتين إلى غضب تيمورلنك الذي كان يعدهما ضمن أملاك دولته الموروثة منذ حكم الجغتائيين[1].

يذكر المؤرخون أنه سبقت الحرب بين تيمورلنك وحسين صوفي مراسلات بدأت سنة (772هـ/1371م) حيث أرسل تيمورلنك تباجي علقمة إلى حسين ومعه رسالة يخبره فيها بأن كاث وخيوق تعدان من أملاك ألوس جغتاي ويطلب منه التخلي عنهما إن أراد صداقته وكسب وده ومحبته وعدم الاصطدام به[1] كما طالبه بدفع الخراج[2] وكان رد حسين صوفي قاسياً حيث لم يكن يسمح بالمقارنة بين خوارزم الذين يمثلون الحضارة الإسلامية تمثلاً كاملاً وبين الجغتائيين الذين يشبهون المشركين زياً وتقاليد ورفض الحديث مع سفير تيمورلنك الموجود بخوارزم قائلاً: بخشونة «إن بلادكم دار حرب وإن مجاهدتكم فرض على المسلمين»[3].

ورفض طلبه قائلاً: «لقد استوليت على تلك الولايات بالسيف ولا يمكن أن تؤخذ مني إلا بالسيف»[4].

قرر تيمورلنك أن يزحف إلى خوارزم ولكن أحد الشيوخ أقنعه بالتريث والانتظار ريثما يذهب للتداول مع حسين صوفي وهو الشيخ جلال الدين الكش الذي نصحه بالحفاظ على دماء المسلمين أملاً في التوصل إلى اتفاق معه بشأن الخلاف بين الطرفين دون إهراق الدماء ولكن حسين اعتقل ذلك الشيخ الموفد من قبل تيمورلنك وأودعه السجن[5]. اعتبر تيمورلنك إقدام حسين صوفي على اعتقال وفده سبباً كافياً للإغارة على خوارزم.

يتفق المؤرخون على أن تيمورلنك غزا إقليم خوارزم أربع مرات منذ سنة (773 – 780هـ/1371 – 1378م) [6].

---

(1) يزدي: ظفرنامة ، ج 1، ص 173. ؛ خواندمير: حبيب السير، ج 3، ص 18. ؛ فامبري، تاريخ بخارى، ص 218.

(2) ابن عربشاه: عجائب المقدور ، ص 26 ؛ فامبري: تاريخ بخارى، ص 218.

(3) بارتولد: تاريخ الترك، ص 229.

(4) الشامي: ظفرنامة، ص 65 – 66؛ يزدي: ظفر نامه، ج 1، ص 173 – 174. ؛ فامبري: تاريخ بخارى، ص 218.

(5) الشامي: ظفرنامة ، ص 65 ؛ يزدي: ظفرنامة ، ج 1، ص 174. ؛ فامبري: تاريخ بخارى ، ص 218 – شيخو: حقيقة تيمورلنك، ج1، ص 240.

(6) دائرة المعارف الإسلامية، م 6، ص 160.

2 – الحملة الاولى:

كانت في سنة (773هـ/1371م) بعد إخفاق مراسلاته وتوجه عبر الصحراء نحو خوارزم وتمكن من دحر طليعة حسين صوفي بالقرب من جيحون وواصل زحفه وأفلح في الاستيلاء على مدينة كاث ومن ثم أرسل طلائعه إلى خوارزم وتمكن جنده من الإغارة عليها من كل جانب حينها أدرك حسين عدم قدرته على مواجهته وفضل الانسحاب إلى داخل القلعة وبعث برسول إلى تيمورلنك ليعرض عليه رغبته في الصلح ووقف القتال.

إلاّ أن هذا الصلح لم يتم إذ بعث الأمير كيخسرو واحداً من رجاله دون علم تيمورلنك إلى حسين صوفي يحذره من الصلح وحثه على مواصلة القتال بقوله: «احذر تيمورلنك ولا تثق به لا تعقد صداقة معه وأجمع الجنود وفتح باب القلعة وسوف أصل لمساعدتك لنحارب العدو معاً»[1]. وكان تيمورلنك قد أرسل معظم قواته للإغارة على ولايات خوارزم وعبر بقواته نهر قارون ودارت بالقرب من العاصمة أوركنج[2] معركة ضارية كان جند تيمورلنك خلالها يغيرون على أعدائهم وينتزعونهم عن ظهور خيولهم وتمكنوا من هزيمتهم وإجبارهم على العودة إلى قلعتهم وضرب رجال تيمورلنك حصاراً للقلعة وظل حسين صوفي داخلها نادماً على سوء تصرفه وسماعه مشورة كيخسرو وأمرائه[3].

وبعد عدة أيام خرج رجل من القلعة وأخبر تيمورلنك أن حسين توفي وأن المدينة سوف تستسلم وأن شقيق حسين يوسف خلف أخاه في الحكم. وكان الغموض يكتنف سبب موته المفاجئ وهو في أوج القوة والبأس فلعل أمراءه وقادة حربه دبّروا له مكيدة فقتلوه وذلك بالاتفاق مع أخيه يوسف صوفي الذي خلفه[4] والذي أسرع إلى استرضاء تيمورلنك وعرض عليه أن يزوج ابنة شقيقه وتدعى بلقب خان زادة من ابنه جهانكير تأكيداً لحسن النية ورغبة بالتمسك بالصداقة[5] ولكن تيمورلنك اشترط لقبول العرض أن يحكم يوسف صوفي خوارزم وأن يتنازل له عن مدينتي كاث

---

(1) الشامي: ظفرنامة، ص 67. ؛ يزدي: ظفرنامة، ج 1، ص 187 – 179.

(2) أوركنج: مدينة كبيرة في خوارزم تقع على شاطئ جيحون من الشرق ويسميها العرب الجرجانية ازدهرت في العصر العباسي خربها المغول سنة (617هـ/1220م) ثم انتعشت بفعل التجارة الخارجية وقد خربها تيمورلنك ثم جُدد بناؤها سنة 790هـ/1388م. الحموي: معجم البلدان البلدان، م 2، ص 122. ؛ لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص 491.

(3) الشامي: ظفرنامة ، 178 ؛ يزدي: ظفرنامة ، ج 1، ص 178 – 179.

(4) شيخو: حقيقة تيمورلنك، ج1، ص 246.

(5) الشامي: ظفرنامة ، ص 67 ؛ يزدي: ظفرنامة ، ج 1، ص 180. ؛ ابن عربشاه: عجائب المقدور في نوائب تيمور، ص 36 ؛ فامبري: تاريخ بخارى، ص 218.

وخيوق فوافق يوسف على ذلك كله وعاد تيمورلنك إلى سمرقند سنة (774هـ/1372م) مكتفياً بما حققه من تبعية آل صوفي إليه.

لم يغفل تيمورلنك أمر كيخسرو لما بدر منه في أثناء القتال فأمر بالقبض عليه ومحاكمته وبعد أن ثبت إدانته أصدر تيمورلنك أوامره بمعاقبته وسلمه لأتباع حسين بن قزغن ليقتصوا منه لأميرهم المقتول[1] لكي يكسب تأييدهم ويبعد التهمة عنه، ولكن لماذا لم يسلمه من قبل؟!!

3 – الحملة الثانية على خوارزم سنة (774-1372م):

لم يستمر ذلك الصلح والعلاقة المصطنعة بين تيمورلنك ويوسف صوفي طويلاً على إثر ما شعر به تيمورلنك من عدم إخلاص نية يوسف صوفي في تعهده وذلك من خلال وقائع محاكمة كيخسرو واعترافاته، ويعزو بعض المؤرخين السبب إلى أن بعض الأمراء ذهبوا من سمرقند إلى خوارزم وقاموا بتحريض يوسف صوفي على تيمورلنك فاستجاب لهم وقام بالهجوم على مدينة كاث وتمكن من تخريبها وتشتيت أهلها[2].

ولمّا وصلت الأخبار إلى تيمورلنك قرر على الفور العودة إلى خوارزم على رأس حملة ثانية في رمضان (774هـ/1372م) وما أن علم يوسف صوفي بقدوم جيش تيمورلنك حتى أصابه الخوف وطلب الأمان[3] فأرسل إلى تيمورلنك يطلب العفو على أفعاله وتعهد له بأن يبعث ابنة أخيه خان زادة في أسرع وقت[4]. وقد عفا تيمورلنك عنه وعاد إلى سمرقند دون أن يصيب خوارزم بأي خسائر. كما أن خان زادة أُرسلت عروساً إلى سمرقند محملة بالهدايا إلى سمرقند كبرهان على عزم يوسف صوفي على إتمام الزواج المقترح وقد أحسن تيمورلنك استقبال الأميرة خان زادة وبعث وفداً مكوناً من خيرة العلماء والأمراء لمراقبة الأميرة عند قدومها إلى سمرقند وعقد لها احتفالاً كبيراً يتناسب مع مكانتها[5].

---

(1) يزدي: ظفرنامة ، ص 181 ؛ خواندمير: حبيب السير، ج 3، ص 18.

(2) يزدي: ظفرنامة، ج 1، ص 182 ؛ بازوكي: تاريخ إيران، ص 192.

(3) الشامي: ظفرنامة، ص 68 ؛ فامبري: تاريخ بخارى، ص 219.

(4) الشامي: ظفرنامة ، ص 68 ؛ يزدي: ظفرنامة ، ج 1، ص 187.

(5) ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص 36 وقد وصفها بالحسن والجمال. ؛ فامبري: تاريخ بخارى، ص 219 – شيخو: حقيقة تيمورلنك، ج1، ص 247.

4 – الحملة الثالثة على خوارزم سنة (777هـ/1375م):

لا يذكر المؤرخون سبباً لقيام تيمور بهذه الحملة على خوارزم حيث إن الدلائل كانـت تـشير إلى تحسن العلاقة بين الطرفين بعد رابطة المصاهرة التي تمت بينهما غير أن تيمورلنك توجه فـي سنة (777هـ/1375م) إلى كاث فوصلته أنباء من حاكم سمرقند بأن جماعات مـن قبيلـة جلائـر تحاول الإغارة على سمرقند فقرر العودة سريعاً وأرسل ابنه جهانكير ليسبقه إليها فتمكن من القضاء على المغيرين[1]. وهكذا عاد تيمورلنك إلى سمرقند دون أن يحقق أي غرض من هذه الحملة.

5 – الحملة الرابعة على خوارزم سنة (780هـ/1378م):

أعقب الحملة الثالثة حقبة من الهدوء والسلم استغلها تيمورلنك لشن الحملات على بلاد الجتـه. لكنه اضطر للعودة مرة رابعة إلى خوارزم سنة (780هـ/1378م) لتضافر عـدة أسـباب دفعـت تيمورلنك إلى القيام بهذه الحملة منها:

أدت وفاة محمد جهانكير سنة (777هـ/1375م) زوج الأميرة خان زادة إلى اعتقاد يوسـف صوفي أنه بذلك قد انقطعت صلة المصاهرة التي كانت تربطـه بتيمورلنـك لـذلك أعلـن تمـرده وعصيانه كلما سنحت له الفرصة وكانت الدلائل تشير إلى قرب وقوع صدام مسلح بـين الطـرفين نتيجة سوء تصرفات يوسف الحمقاء الذي عاد إلى سياسة التعالي إلى حد دفعه إلـى سـجن موفـد تيمورلنك وكان قد جاء ليذكره بضرورة التمسك بالاتفاق الذي كان قائماً بينه وبـين تيمورلنـك[2]. كما دفعه غروره على حد قول يزدي إلى الإغارة على بخارى[3] وأطراف سمرقند ونهبهـا لـذلك رأى تيمورلنك ضرورة وضع حد لتصرفات يوسف صوفي فتوجه على رأس قواتـه فـي (شـوال 780هـ/شباط 1378م) إلى خوارزم وحاصر جيشه مدينة أوركنج كما قام بعض جنوده بمحاصـرة المناطق القريبة من خوارزم واستولى على غنائم وفيرة من خيل وأغنام وجمـال وأخـذت قواتـه تسلب وتنهب وتأسر الرجال وتسبي النساء[4] وفي خضم هذه الأحداث نادى يوسف بفكـرة غريبـة حيث عرض على تيمورلنك حقناً للدماء ولتجنب البلاد الخراب والدمار المبـارزة هـو وتيمورلنـك على انفراد فيوفر بذلك وقوع الصدام بين الجيشين فكتب إلى خصمه يتساءل إلى متى تظـل الـبلاد

---

(1) الشامي: ظفرنامة ، ص 71، 72. ؛ يزدي: ظفرنامة ، ج 1، ص 193 .

(2) الشامي: ظفرنامة، ص 67 ؛ يزدي: ظفرنامة، ج 1، ص 180. ؛ حافظ آبرو: زبدة التواريخ، ص 34 ؛ ابـن عربشاه: عجائب المقدور، ص 36. ؛ فامبري: تاريخ بخارى، ص 219.

(3) يزدي: ظفرنامة ، ج 1، ص 215.

(4) الشامي: ظفرنامة ، ص 81. Grousset; L'Empire des steppes, p. 499.

كلها تغرق في الآلام والبؤس بسبب رجلين وأن من صالح الإنسانية ومصلحة بلديهما أن يتلاقيا وجهاً لوجه منفردين ويجربا حظهما معاً[1].

وافق تيمورلنك ولكنه لما تقدم إلى أسوار أوركنج في الموعد المحدد المتفق عليه لإجراء المبارزة جبُن يوسف صوفي عن اللقاء ولم يحضر[2] ويبدو أن يوسف صوفي لم يضع في حساباته أن تيمورلنك سوف يوافق على اقتراحه لذلك فضل الإبقاء على حياته وعدم الخروج لمواجهة تيمورلنك. ويشير المؤرخون إلى أنه بعد ذلك نشبت معركة بين الطرفين قتل خلالها عدد كبير من الجانبين تمكن التيموريون في النهاية من فرض الحصار على الحصن الذي هربوا إليه وأمر تيمورلنك بقصف قصر يوسف بالمنجنيق، إلا أنّ يوسف صوفي تمكن من الانتقال إلى مكان آخر واستمر الحصار ثلاثة شهور وستة عشر يوماً تمكن التيموريون أخيراً من اقتحام المدينة وجعلوا عاليها سافلها على حد قول يزدي وقاموا بأعمال القتل والنهب على نطاق واسع[3]. ويشير كل من الشامي ويزدي إلى وفاة يوسف صوفي بعد احتلال المدينة بأيام قليلة متأثراً بعارض نفسي بسبب ما حل به من الخوف والهلع خلال الحصار ويؤكدان أن الوفاة كانت بتقدير إلهي ولا دخل لتيمورلنك في ذلك[4].

أمّا ابن عربشاه فيذكر: «أن تيمورلنك صب جام غضبه على خوارزم فأخذها وقتل سلطانها وهدم أركانها وخرب بنيانها وولى على ما بقي منها نائباً من عنده ونقل جميع ما أمكنه منها إلى سمرقند وتاريخ خراب خوارزم عذاب كما أن تاريخ خراب دمشق خراب»[5].

ويشير إلى أنه وقع بأيدي تيمورلنك كنوز هائلة فيها حيث حمل معه كذلك كثيراً من مهرة الصناع وأرباب الحرف وعدداً كبيراً من العلماء كما شيد هناك قصراً تذكاراً لانتصاراته[6] وعاد إلى سمرقند وباتت آسيا الوسطى كلها تخضع له وانتظم له بذلك ملك بلاد ما وراء النهر.

---

(1) فامبري: تاريخ بخارى، ص 219.

(2) يزدي: ظفرنامة ، ج 1، ص 216 – 217 – 218.

(3) يزدي: ظفرنامة، ج 1، ص 220 – 221.

(4) ظفرنامة، ص 81 ؛ يزدي: ظفرنامة ، ج 1، ص 219.

(5) عجائب المقدور في نوائب تيمور، ص 36 – 37.

السخاوي: الضوء اللامع، ج 47، ص 403.

(6) فامبري: تاريخ بخارى، ص 219 – 220.

6 – الصراع بين تيمورلنك والأمير حسين (767 – 771هـ/1365 – 1369م)

بعد انسحاب الجته الذي ساقته الأقدار من ما وراء النهر سنة (766هـ/1364م) كانت أول مشكلة واجهت تيمورلنك حينها هي تطلع الأمراء الذين شاركوه في قتال الجته نحو السلطة. وكان من المتوقع أن ينشب الصراع ولا سيما بين تيمورلنك وشريكه الأمير حسين ابن قزغن باعتبارهما أكبر شخصيتين في البلاد. وقد توافرت عوامل وظروف جعلت الاصطدام بين الاثنين أمراً لا مفر منه. ولا سيما أن صلة المصاهرة التي تصل حسين بتيمورلنك قد انقطعت بوفاة أخته أولجاي تركان خاتون[1].

لقد بدأ الأمير حسين في مراحل الصراع الأولى أنه الأقوى من تيمورلنك فلما دخلا سمرقند استبد الأمير حسين بشؤون الحكم ولا يتفق ذلك مع طموحات تيمورلنك حينها بدأت العلاقات بينهما تسوء وسيطرت الكراهية وسوء النية المتبادلة على تصرفاتهما.

أما أهم الأسباب التي أدت إلى تفاقم الصراع بينهما فتعود إلى.

– تطلع الأمير الحسين للسلطة إذ لم يقتنع ببلخ التي أسند حكمها إليه فأخذ يتهيأ لمحاربة تيمورلنك فانضوى تحت لوائه الأمراء المناوئون لتيمورلنك فسيطر على قلعة قرشي وعزز القلعة بسبعمائة فارس فصارت ولاية بلخ وتوابعها تحت سلطانه[2] واتخذها عاصمته الجديدة.

– حرص الأمير حسين على جمع المال ولتحقيق ذلك طالب الأمراء ولا سيما أتباع تيمورلنك ولم يكن في استطاعة الأمراء دفع ذلك المبلغ لما لحق بهم في المعركة من خسائر كبيرة لذلك طلبوا من تيمورلنك مساعدتهم ولم يبخل تيمورلنك عليهم فقدم لهم الكثير من الذهب والفضة الخاصة به وبزوجته أولجاي تركان شقيقة الأمير حسين وعلى الرغم من معرفة الأمير حسين لمجوهرات أخته إلا أنه أخذها دون خجل كما أنه لم يتنازل عن بقية المبلغ المطلوب دفعه من الأمراء وهو ثلاثة آلاف دينار[3].

– ظهور تباين في النهج السياسي والعسكري بينهما ولا سيما عقب الانتصار على الجته في معركة قبي متن سنة (766هـ/1364م) واسر عدد من قواد الجته فقد أمر تيمورلنك بإطلاق سراح البعض منهم مما أدى إلى غضب الأمير حسين بن قزغن[4].

---

(1) يزدي: ظفرنامة ، ج 1، ص 91 ؛ إقبال: تاريخ إيران، ص 589.

Prawdin: The Mongol Empire, P. 430.

(2) تيمور: مذكرات تيمور، ص 30 – 33.

(3) الشامي: ظفرنامة، ص 33 ؛ يزدي: ظفرنامه، ج 1، ص 86. ؛ فياض: تيمورلنك، ص 124.

(4) شهاب: تيمورلنك، ص 144 ؛ لامب: تيمورلنك، ص 49 ؛ فياض: تيمورلنك ، ص 38.

– سعى بعض الأمراء[1] لإثارة الفتنة بينهما حيث بعثوا إلى الأمير حسين رسالة يتهمون فيها تيمورلنك بخيانته ورغبته في الانفصال عنه فلما وصلته عرضها على الخان كابل شاه الذي أمر باستدعاء تيمورلنك والأمراء وعقد المحاكمة بينهم لمعرفة الحقيقة وعلى الرغم من معرفة تيمورلنك بكراهية حسين له فإنه ذهب لمقابلة الخان حينئذٍ هرب الأمراء إلى خجندة خشية افتضاح أمرهم[2]. ويبدو أن هؤلاء الأمراء كانوا يُريدون أن تظل العلاقات بين حسين وتيمورلنك متوترة وعدائية لأنهما في نظر هؤلاء الأوفر حظاً للفوز بالسلطة العليا – الأمر الذي يمكن باقي الأمراء الاحتفاظ باستقلالهم في المناطق التي تحت حكمهم لذلك سعوا إلى إفساد العلاقات بينهما بالدس والوشاية والوقيعة[3].

– انعدام الثقة بين الطرفين مما دفع تيمورلنك من وقت لآخر من مطالبة حسين بأن يقسم له على المصحف على الإخلاص والوفاء وقام حسين من تلقاء نفسه بأداء هذه الأيمان[4].

– ويشير ابن عربشاه إلى العلاقة السيئة بين تيمورلنك وزوجته – شقيقة حسين فلمّا حصل شجار بينهما عيرت تيمورلنك بوضاعة أصله فسل السيف وقتلها[5]. ربما يكون لهذا الحادث أثر في توتر العلاقة بين تيمورلنك وحسين.

أدت كل تلك الأسباب إلى تأزم الوضع بين الأميرين تيمورلنك وحسين وقد نصح بعض المقربين من تيمورلنك الحذر من حسين ومحاربته وعدم السكوت عن أفعاله ولا سيما بعد أن بسط حسين نفوذه على بخارى فاضطر تيمورلنك إلى الخروج من بلاد ما وراء النهر عبر سيحون وأخذ يعد وينظم قواته فتحالف مع كيخسرو أمير ختلان بطريقة المصاهرة فتعهد الحليف أن يقف إلى جانبه كما تحالف مع مجموعة من الأمراء وأعداد كبيرة من اليسوريين[6] واستعد لمحاربة حسين توجه حتى بلغ ضواحي سمرقند بجيش كبير فخرج إليه أهالي سمرقند لاستقباله والترحيب به

---

(1) الأمراء الذين بعثوا برسالة إلى الأمير حسين بن قزغن من الأمير علي درويش والأمير أردو خاتون، والأمير فرها. يزدي: ظفرنامة ، ج 1، ص 98 – 99.

(2) الشامي: ظفرنامة ، ص 56 – يزدي: ظفرنامة ، ص 79.

(3) الشامي: المصدر السالف، ص 56 – صفا: تيمورلنك، ص 84.

(4) تيمور: مذكرات تيمور، ص 35.

(5) ابن عربشاه: عجائب المقدور في نوائب تيمور، ص 12.

(6) ينتسب هؤلاء إلى الأمير خضر بن يسوري وقد انضم إلى تيمورلنك الأمير علي شقيق خضر يسوري مع عدد كبير من اليسوريين الجته. يزدي: ظفرنامة، ج 1، ص 90.

وسألوه أن يعين أحد أتباعه حاكماً فيها[1] ولما وصلت هذه الأخبار إلى مسامع حسين لجأ إلى طريق المكر والخداع والحيلة حتى لا يتورط في حرب لا يعلم نتائجها لا سيما وهو يعرف مدى ما يتمتع به تيمورلنك من قدرة حربية فجنح إلى الصلح وأرسل رسالة مع مصحفاً عليه أقسم إنه لم يكن بقلبه نحوه سوى الصداقة وعواطف الإخوة وأرفق ذلك برسالة قال فيها: إنه إذا كان في قلبي نقيضٌ لما قلته وإذا ما اقترف شراً بحقه ليكن كتاب الله هذا عليه وضده. كما بعث شخصياً إليه رسالة يقول فيها: إذا كان من الممكن رؤية بعضنا في ممر جكجك[2] وتجديد عهدنا السالف حقاً سيكون هذا هو الأفضل[3] لم يستطع تيمورلنك رفض هذا الصلح لإلحاح الأمراء عليه بقبوله ولكنه مع ذلك كان يشك في صدق نوايا حسين، ولكنه أراد أن يضع حسيناً أمام الأمر الواقع.

فترك تيمورلنك جيشه في خزار[4] واختار ثلاثمائة من الفرسان لمقابلته حيث ترك مائتين منهم عند ده نو واصطحب المئة الأخرين إلى مضيق جكجك[5] واتخذ بعض الاحتياطات وأمر مجموعتين من أنصاره أن تكمنا عند طرفي ذلك الشعب. وكما توقع تيمورلنك لم يكن حسين صادق النية في طلب الصلح حيث خرج ومعه ثلاثة آلاف فارس وقد أعد خطة لحصر تيمورلنك في ذلك الممر الضيق واعتقاله. ولكن القوات التي أوكل إليها تحقيق هذا الهدف واجهت تدخلاً فورياً من أنصار تيمورلنك ودارت معركة قاسية في الشعب انتهت إلى هزيمة أتباع حسين الذي كان يقف عند طرف الشعب يتلهف لرؤية تيمورلنك مكبلاً بالحديد ومرمياً عند أقدامه[6]. ولما علم بقدوم جيش حسين ارتاب في الأمر وعرف أنه نقض العهد وعلى الفور توجه لمحاربته رغم قلة عدد جنده لكنه اضطر إلى الانسحاب من المعركة لكثافة جيش خصمه وعاد إلى قارشي من جديد[7] وأراد حسين في إثر إخفاقه هذا القضاء على تيمورلنك في معركة حاسمة فحشد لذلك جيشاً كبيراً 12 ألف فارس وضع على قيادته الأمير موسى جلايري الذي عاد من خجندة وكان قد فر إليها بعد افتضاح خطته للإيقاع بين تيمورلنك وحسين وأمره بالاتجاه إلى قرشي وبعد مشاورات سريعة بين تيمورلنك

---

(1) يزدي: ظفرنامة ، ج 1، ص 90.

Unknown; Modern History: Bieng A continuation of the Uniaersal History, London Published after 1923, Vol 5, P. 222.

(2) جكجك: يقع قريباً من قرية خزار في ضواحي قارشي. يزدي: ظفرنامة، ج 1، ص 93.

(3) تيمور: مذكرات تيمور مدبر العالم، ص 35.

(4) خزار: موضع يقع بالقرب من نسف أو نخشب فيما وراء النهر وتعد خزار من أهم رساتيق كش. لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص 513.

(5) الشامي: ظفرنامة، ص 37 ؛ يزدي: ظفرنامة ، ج 1، ص 93.

(6) خواندمير: حبيب السير في أخبار البشير، ج 3، ص 11 ؛ بازوكي: تاريخ إيران، ص 188.

(7) يزدي: ظفرنامة، ج 1، ص 95.

وقواده تم الاتفاق على الانسحاب من وجه هذه القوات الكبيرة إلى الجنوب بعبور جيحون واللجوء إلى منازل إحدى القبائل التي كانت تقيم في ماخان في خراسان حيث تقرر ترك أسر الجند في حماية هذه القبيلة وتدعى قبيلة سنجر ومكن انسحاب تيمورلنك من قارشي الأمير موسى من دخولها دون مقاومة[1].

خرج تيمورلنك من مدينة قرشي مكرها وكان يرغب أن تكون هذه المدينة وقلعتها ضمن أملاكه فهو الذي قام ببناء قلعتها من قبل والتي كانت موضع اعتزازه وإعجابه لما كانت تمتاز به من الحصانة والمتانة[2].

ولما عبر مياه أمُورية[3] وصلت قافلة من خراسان مسافرة نحو قرشي وأثناء تقديم الهدايا إلى تيمورلنك من قبل قائد القافلة سأله عن أحوال أمراء خراسان وعن مدى حصانة مدينة هراة وأخبره أنه مسافر إلى بلاد خراسان ثم صرفه[4]. كان تيمورلنك يهدف إلى تضليل رجال القافلة بأنه سوف يتوجه إلى هراة وأنهم بذلك سوف يذيعون هذا الخبر عند وصولهم لقرشي.

وقد أرسل جاسوساً مع رجال القافلة للاطلاع ومعرفة مدى استعداد الأمير موسى حاكم المدينة بالفعل لما سمع الأمير موسى ومعه قوات حسين هذه الأخبار فرحوا فرحاً كبيراً ونشروا في الخارج بساط الفوضى والإسراف[5]. وخرج موسى بقسم كبير من قواته يبلغ 7000 رجل إلى أحد السهول المجاورة لإقامة المزيد من الحفلات ابتهاجاً بابتعاد خطر تيمورلنك وأقام ابنه محمد بيك نائباً عنه. ولما سمع تيمورلنك بهذه الأخبار انتقى من أتباعه مائتين وأربعين رجلاً من الشجعان والأشداء ذوي الخبرة وعبر بهم أمورية جيحون باتجاه قرشي[6] وتوقف على مسافة فرسخ من قلعة قرشي وأمر تيمورلنك رجاله بعمل سلالم وأن يربطوها بعضها ببعض بالحبال وحينها انتظر حتى وصول باقي قواته المتأخرة وفي الوقت نفسه خطر بباله فكرة وجوب ذهابه وحده لفحص القلعة وأخذ معه أربعين مقاتلاً وذهب نحو قلعة قرشي وأثناء الليل أمر عساكره بالتوقف أخذ معه مبشر وعبدالله اللذين ولدا في بيته وكانا تحت رعايته ولما وصل إلى طرف الخندق رأى أن الخندق مليء بالماء

(1) يزدي: المصدر السالف، ج 1، ص 95 ؛ شهاب: تيمورلنك، ص 147.

(2) ابن عربشاه: عجائب المقدور في نوائب تيمور، ص 16. Prawdin: The Mongol Empire. P. 431.

(3) أمّورية: تسمى آمل الشط وهي مدينة مشهورة في غربي جيحون على الطريق إلى بخاري. ومدينة آمل ربما سميت أموية أو أمو نسبة إلى اسم محلي فارسي للنهر العظيم الذي حل محله اسم جيحون العربي ومن ثم فإن أكسس أي أمودريا هو نهر أمو. وكان يعرف بنهر بلخ. ؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، م 1، ص 85 – 255. ؛ لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص 477، 478.

(4) تيمور: مذكرات تيمور مدبر العالم، ص 34.

(5) تيمور: مذكرات تيمور، ص 34.

(6) يزدي: ظفرنامة، ج 1، ص 98 – تيمور: مذكرات تيمور، ص 34.

ونظر هنا وهناك فرأى أنبوب ماء وأن الماء يجري خلال ذلك الأنبوب إلى القلعة وقد نصبوه عبر الخندق وأعطى حصانه إلى مبشر وعبر الخندق على ذلك الأنبوب حتى وصل إلى أسفل السور وذهب إلى باب الدخول وقرع على الباب بيده فاكتشف بأن حراس الباب كانوا نائمين كما اتضح له بأنهم ملؤوا المدخل خلف الباب بالطين والتراب ونظر إلى سور القلعة وتفحصه ورأى أماكن يمكن أن تثبت السلالم عليها ومن ثم عاد وركب حصانه إلى عساكره[1].

وخلال ذلك وصل الفوج الذي كان قد تأخر ومعه السلالم وتوجه صوب القلعة وعبر الخندق على الأنابيب ووضعوا السلالم في المكان المعد وتمكن أربعون من الرجال من دخول القلعة وصعد تيمورلنك ودخل القلعة[2] وأرسل تيمورلنك ثلةً من الجند سيطرت على البوابة وفتحتها وتمكن تيمورلنك من قتل حراس القلعة ومن تصدى لهم من الجند والأهالي وفي الصباح طلب من جنده دق الطبول ونفخ الأبواق ولما استيقظ الأهالي تساءلوا عن السبب فعلموا أن تيمورلنك استولى على المدينة وهم نيام ولم يستطع أمراء قرشي وجندهم مقاومته فرضوا بالهزيمة وتقدموا إليه وسلموا بالأمر الواقع[3]. وقام تيمورلنك بعد سيطرته على المدينة بهذه العملية السريعة، بتوزيع قواته القليلة على أبواب القلعة وأبراجها، استعداداً لزحف موسى المنتظر مع قواته عندما سيسمع بما فعله تيمورلنك في قرشي وكان خطة تيمورلنك لمقابلة موسى مع قواته تعتمد على الحيلة والمباغتة. فأمر أن تظل أبواب القلعة مفتوحةً لإيهام الأعداء بكثرة أتباع تيمورلنك في داخل المدينة.

ودأب خلال الليلتين التاليتين لقدوم موسى وقواته وحصارهم قلعة قارشي على إرسال مفارز من قواته لمباغتة الأعداء، وقتل أو أسر من تصل يدها إليه منهم. وتمكنت إحدى هذه المفارز من الوصول في إحدى غاراتها الجريئة إلى خيام الأمير موسى وأسر بعض حراسه كما عادت مفارز أخرى بغنائم وخيول. ولم تنفع محاولات موسى اقتحام أبواب القلعة وتمكن جند تيمورلنك من صد تلك المحاولات بعد أن أمرهم بإغلاق الأبواب أدرك تيمورلنك بعد ثلاثة أيام من القتال صعوبة البقاء في القلعة بهذا العدد القليل في الوقت الذي كان فيه موسى يتلقى نجدات جديدة فجمع مائة من قواته وخرج للأعداء في هجمة جريئة وتقدم موسى نحوه بجيش كبير من 4000 فارس وأرسل قوة كبيرة أخرى مكونة من5000 فارس لمهاجمة الأسوار من الناحية المقابلة، وكان حظ تيمورلنك كبيراً عندما أصيب موسى بسهم في جبينه جعله يترك القتال ويلوذ

(1) تيمور: مذكرات تيمور، ص 35.

(2) يزدي: ظفرنامة ، ص 98 - 102.

(3) Sykes: History of Persia. London, 1969. P. 122.

بالفرار إلى معسكره ولحقت به قواته التي أخذ جند تيمورلنك يطاردونها حتى بلغت حدود شِعب جكجك كما تمكنت قوات تيمور من صد القوات المهاجمة[1].

وعلى الجانب الآخر كان تيمورلنك قد أحكم قبضته على قرشي وتصدى بنفسه لحماية بوابة المدينة ومعه مجموعة من الأمراء وأمر مجموعة أخرى بحماية بوابة خزار ومجموعة ثالثة لحماية أسوار القلعة[2]. وأبدى تيمورلنك ورجاله شجاعة كبيرة في مواجهة أعدائهم وأنزلوا بهم خسائر جسيمة وحينئذ فضل موسى الانسحاب والتوجه إلى حسين بن قزغن[3].

وفي الوقت الذي يشير فيه المؤرخون التيموريون إلى صحة الوقائع التي حدثت أثناء عملية استرجاع تيمورلنك لقارشي. وكان وصفهم لما حدث وقولهم خالياً من المداهنة[4].

نرى ابن عربشاه يصور عملية استرجاع قارشي على أنها غارة سلب ونهب قام بها تيمورلنك وجماعته بعد وصولهم من خراسان ملاحقين من قبل غياث الدين بن الملك حسين آل كرت حاكم هراة بسبب ما ارتكبوه من الموبقات هناك وبعد أن عبر هؤلاء جيحون في ظروف صعبة على ظهور خيولهم أغاروا على قارشي وسرقوا خيول وأسلحة الأمير موسى وردوا النجدات التي أرسلها السلطان حسين دست قزغن وتمكنوا من الاستقرار في المدينة وبلغ عددهم بعد أن تلاحق بهم بعض المغامرين ثلاثمائة رجل[5].

قرر تيمورلنك أن يقضي الشتاء في قرشي وقام بتعمير المدينة وأرسل أحد أتباعه ليتولى حكم بخارى وهو الأمير محمود شاه وكتب إلى بقية أنصاره ليوافوه إلى قرشي وأرسل جنده لكي يستدعوا أسرهم التي تركوها في خراسان وأخذ في الوقت نفسه يدرس الحالة التي انتهت إليها علاقاته مع الأمير حسين[6].

ويمكن أن نعزو أسباب نجاح تيمورلنك واستيلاءه على قرشي إلى رغبته الجادة في تحديد هدفه في استرداد هذه المدينة وقلعتها مهما كلفه الأمر حيث قال: «إنه بالقرب من مدينة نخشب قرشي وهي مدينة مصونة مسورة مكنونة لئن ظفرنا بها لتكونن لنا ظهراً وملاذاً وملجأً ومعاذاً وإن

---

(1) الشامي: ظفرنامة، ص 38 – 40 ؛ يزدي: ظفرنامة، ج 1، ص 98 – 100.

(2) يزدي: ظفرنامة ، ج 2، ص 104 – الشامي: ظفرنامة ، ص 40.

(3) تيمور: مذكرات تيمور مدبر العالم، ص 35.

(4) يزدي: ظفرنامة ، ج1، ص 103.

(5) عجائب المقدور ، ص 17.

(6) يزدي: ظفرنامة، ج 1، ص 106.

حاكمها موسى لو حصلناه وأخذنا ماله وقتلناه لتقوينا بماله من خيول وعدة لحصل لنا فرج بعد الشدة»[1].

– استخدم أساليب التمويه والخداع لإخفاء وجهته وموقعه بالفعل نجح في خطته حيث كان خصمه موسى في حالة من الفرح والغفلة خارج القلعة فقام بالهجوم على مدينة قرشي ليلاً ويُعد استيلاؤه عليها نصراً كبيراً له.

تجدد الصراع بين تيمورلنك وحسين بن قزغن:

بعدما تمكن تيمورلنك من الاستيلاء على قرشي هرب موسى إلى حسين وقص عليه كيفية استيلاء تيمورلنك عليها فوجه عشرة آلاف جندي وأمره بقتال تيمورلنك مرة أخرى وعسكر جيشهم بالقرب من مضيق جكجك ولمّا علم تيمورلنك تقدم إلى ممر جكجك الواقع إلى شمال باب الحديد مع قوات قليلة لم يتجاوز عدده المئتين فارس.

وفاجأها حينها عندما كانت تعبر هذا الممر الجبلي وتنزل سهل جكداليك المجاور[2]. رأى تيمورلنك عدم تكافؤ قوته مع قوة خصمه ففضل الانسحاب والعودة إلى قرشي لأنّ قواته كانت تتميز بسرعة الحركة.

وهنالك وبعد مشاورات أجراها مع قواده قرر الانسحاب والعودة إلى بخارى من جديد بعد أن ترك في المدينة قوة للدفاع عنها وحاول بعض الأمراء منعه من التوجه إليها إلا أنه لم يستمع لمشورتهم وأكمل سيره نحوها وقد استقبله الأميران علي بيسوري ومحمود شاه استقبالاً يليق بمكانته[3]. ولما اقترب جيش الأمير حسين من بخارى بقيادة موسى اقترح تيمورلنك على الأميرين خروج الجيش من المدينة والتوجه للإغارة عليهم ليلاً إلا أنهما فضلاً لقاءهم داخل المدينة لحمايتها فحس تيمورلنك على وجوههم آثار الخوف والقلق فتوجه إلى خراسان[4] وتمكن جيش الأمير حسين من الانتصار على أهالي بخارى والاستيلاء عليها ولم يستطع الأميران مقاومته فتركا ساحة القتال هاربين إلى ماجان وقدما اعتذارهما لتيمورلنك على تقصيرهما نحوه وعدم الأخذ بمشورته فقبل اعتذارهما[5].

---

(1) ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص 16.

(2) يزدي: ظفرنامة، ج 1، ص 107 – تيمور: مذكرات تيمور، ص36.

(3) يزدي: ظفر نامه، ج 1، ص 109 – 110.

(4) يزدي: المصدر السالف، ج 1، ص 10.

(5) يزدي: المصدر السالف، ج 1، ص 110؛ خواندمير: حبيب السير، ج 3، ص 12.

حاول تيمورلنك أن يطلب مساعدة الملك معز الدين حسين آل كرت في هراة وكان قد ساعده على استرجاع ملكه في تلك المدينة قبل اثنتي عشرة ولكن تيمورلنك كان لا يأمن غدره على الرغم من أن الرسول الذي أرسله إليه قد عاد وهو يحمل رسالة من الملك حسين تفصح عن المحبة والإخلاص وأبدى استعداده لمعاونته ومناصرته ضد أعدائه وبالغ في إظهار الحفاوة برسول تيمورلنك الأمير جاكو رايش[1].

ويذكر المؤرخون أن الملك معز الدين حسين طلب من جاكو أن يخبر تيمورلنك برغبته في التوجه إلى سرخس[2] وعلى تيمورلنك أن يقابله هناك ليثبت كل منهما للآخر حسن الثقة المتبادلة[3] غير أن تيمورلنك لم يطمئن تماماً إلى رد حاكم هراة ورأى أن عليه أن يتأكد من نيته نحوه ففضل عدم التوجه إليه واكتفى بأن أرسل إليه ابنه الأمير جهانكير مع الأمير شاه مبارك قائلاً له: «إنني أرسل إليك ابني لأنني عزمت على العودة إلى دياري»[4].

توجه تيمورلنك مع ستمائة من أتباعه شمالاً وعبر نهر جيحون وبعد استراحة قصيرة على ضفة النهر الشمالية تابع السير إلى الشمال حتى بلغ ضواحي قارشي وانقض من هناك فجأة على الأمير موسى بقواته في قارشي فتمكن من تمزيقها وأسر عدد كبير من أفرادها ولما حاول أعداؤه تنظيم صفوفهم للمقاومة لم يكن نصيبهم سوى الهزيمة في المعركة التي دارت في موقع قوزي، جنوب قارشي[5] فتم له النصر. ثم اتجه إلى كش وسيطر عليها وعين عليها حاكماً ثم انعطف شمالاً إلى سمرقند[6] ولما اقترب منها واجهه الأمير «أوج قرابهادر» الذي لم يقبل الانضمام إلى تيمورلنك وحالت أسوارها بينه وبين اقتحام المدينة فقرر الابتعاد عنها وأخذ ينتقل في ضواحيها وكان حسين بن قزغن قد علم بأعمال تيمورلنك في قارشي وكش وسمرقند فتقدم بقواته مرة ثانية وبعد أن استرجع قارشي وكش[7] زحف على سمرقند لإنقاذها من تهديد تيمورلنك وتردد الأخير مدة بين ملاقاة حسين وبين الانسحاب إلى خجند ولكنه فضل الرأي الثاني وسمح لمن يرغب من الجند أن يذهب إلى أهله ولما استعرض ما تبقى من قواته وجدها تبلغ الألف حصان يقودهم ستمائة فارس فسار بهم إلى ضفاف سيحون وسمع هناك أن اثنين من الأمراء وهما بهرام جلاير وكيخسرو

---

(1) يزدي: ظفرنامة، ج 1، ص 112 – 113.

(2) سَرَخْس: مدينة قديمة من نواحي خراسان بين نيسابور ومرو وهي قليلة المياه وجيدة التربة والهواء ؛ الحموي: معجم البلدان، م 3، ص 208.

(3) يزدي: ظفرنامة ، ج 1، ص 113.

(4) يزدي: ظفرنامة ، ج 1، ص 113 – 114.

(5) يزدي: المصدر السالف، ج 1، ص 114 – 115 ؛ شهاب: تيمورلنك، ص 151.

(6) يزدي: ظفر نامه، ج 1، ص 117.

(7) يزدي: المصدر السالف، ج 1، ص 118 – 119.

ختلاني اللذان كانا من رجال تيمورلنك وحسين إبان تحالفهما قد انفصلا عن قوات الأمير حسين لسوء سلوكه وتصرفاته معهما وفضلا التوجه إلى خان الجته وطلبا مساعدته فأمدهما الخان بقوة يصل عددها إلى سبعة آلاف فارس من الجتة وعسكرا عند طشقند وأصبح الأمير بهرام صاحب الكلمة العليا في هذه المدينة[1].

كان تيمورلنك يظن أن بهرام سوف يساعده ويمده بالعون والرجال لمواجهة الأمير حسين بن قزغن إلا أن بهرام تنكر لتيمورلنك ولم يحسن استقباله ومعاملته. أما الأمير كيخسرو ختلاني فقد سر بلقاء تيمورلنك واصطحبه معه إلى منزله وقدم له الهدايا وتزوج ابن تيمورلنك جهانكير بابنة الأمير كيخسرو رقية خانيكة[2] واتفقا على محاربة الأمير حسين وكانت أخبار تحركاته تصل إلى تيمورلنك فقد علم بأنه عبر مدينة كش شهرسبز مع جيش يقدر عدده بأحد عشر ألف فارس بقيادة الأمير موسى وعسكر على ضفاف نهر بيلانغور[3] وأطلق من هناك طليعتين لتسقط أخبار تيمورلنك وبعد دراسة الموقف قرر تيمورلنك مع حليفه أن يهاجما الطليعتين أولاً، ثم يتقدم لقتال موسى فترك طشقند وعبر سيحون وتمكن من هزيمة القوتين كل واحدة منهما على حدة وأجبر أفرادها على الفرار والانسحاب جنوباً نحو معسكرات الأمير حسين في جنوب سمرقند[4].

اندفع حسين بقواته شمالاً للانتقام حينها انسحب تيمورلنك من أمامه وعبر سيحون ثانية باتجاه طشقند ولما كانت مقدمة قوات حسين تعبر النهر في إثر قوات تيمورلنك كانت الثلوج كثيفة والبرد شديداً فشلت حركتها وأجبرتها على التوقف فتفرق الجند لإتقاء خطر الثلوج عندئذٍ وصل تيمورلنك مع قواته طشقند[5]. ويذكر المؤرخون أنه بحلول فصل الشتاء سنة (770هـ/1368م) أوقفت الحرب بين تيمورلنك وأعدائه. فاتجه كيخسرو حليف تيمورلنك إلى أترار[6] واتجه تيمورلنك إلى طشقند ومعه ستمائة من رجاله وعاد حسين بجيشه إلى سمرقند.

---

(1) يزدي: ظفرنامة، ج 1، ص 120.

(2) يزدي: المصدر السالف، ج 1، ص 120. ؛ خواندمير: حبيب السير، ج 3، ص 13. ؛ فامبري: تاريخ بخارى، ص 212.

(3) بيلانغور: أحد روافد نهر الصغد. ؛ شهاب: تيمورلنك، ص 152.

(4) يزدي: ظفرنامة ، ج 1، ص 121 – 122. ؛ فامبري: تاريخ بخارى، ص 212.

(5) يزدي: ظفر نامه، ج 1، ص 123.

(6) أترار: مدينة عند معبر سيحون وكانت يسمى قديماً فاراب أو باراب وفيها توفي تيمورلنك في سنة 807هـ/1405م وهو في طريقه لغزو الصين. لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص 528.

الصلح بين تيمورلنك وحسين بن قزغن سنة (769هـ/1367م):

انزعج حسين من محاولة تيمورلنك طلب المساعدة من الجته ورأى أن تحالفهم مع تيمورلنك سوف يزيد من قوته ومركزه[1].

فسعى لإثارة الرأي العام في البلاد على تيمورلنك وتشاور مع علماء الدين في طشقند وخجندة وطلب منهم أن يتوسطوا بينه وبين تيمورلنك ورجاهم قائلاً: «اذهبوا إلى الأمير تيمورلنك وابذلوا المساعي لإنهاء التوتر وعقد الصلح بيننا»[2].

توجه وفد علماء الدين إلى تيمورلنك حاملين معهم المصحف الذي أقسم عليه الأمير حسين وتقدم العلماء إلى تيمورلنك وقالوا له: «إن وضع الجيش في حالة استعداد للحرب يعد سبباً لخراب المملكة وتشتيت الرعية، وإن الصلح خير لكما للحفاظ على استقرار وأمن البلاد وإن استمرار الجفوة بينكما سيؤدي إلى تفوق وانتصار الكفار على المسلمين فاستصوب تيمورلنك رأيهم واستجاب لطلبهم»[3]. يبدو أن تيمورلنك قد أذعن لنصيحة العلماء لكسب ودهم.

ويذكر فامبري أن تيمورلنك قبل الصلح ورحب به لأنه هو نفسه لم يكن ليرتاح لرؤية الجته أعدائه السابقين يزجون بأنفسهم في شؤون بلاد ما وراء النهر بعد أن دخلوها بقوة السلاح أو لأنه لم يريد كما يقول مؤرخوه رؤية المؤمنين يقتل بعضهم بعضاً لذلك سارع بقبول الصلح[4]. وقد يكون هذا الرأي بعيداً عن حقيقة تيمورلنك الذي لا يفرق في حروبه بين المسلم وغير المسلم في سبيل تحقيق أهدافه.

وأيا ما كان واقع الأمر أرسل تيمورلنك رسُلاً من قبله ليقفوا على مدى جدية حسين في طلب الصلح وتم الاتفاق على أن يتم الاجتماع في سمرقند ثم توجه تيمورلنك لمقابلته وعبر سيحون من جديد وعندما قرب من ضواحي سمرقند سمع بشائعةٍ تقول بوفاة الأمير حسين وأظهر تيمورلنك عدم الاكتراث بهذا الخبر ولم يتعجل بدخول المدينة وتوجه إلى شادمان وأرسل من هنالك أحد أتباعه إلى سالي سراي حيث يقيم الأمير حسين للاطلاع على حقيقة الأمر. وظل تيمورلنك يتجول في المناطق المحيطة بسمرقند ومعه رجال الدين حتى عاد رسوله من سالي سراي ومعه الخبر اليقين بأن حسيناً سليم معافى هناك وأنه على استعداد يتعهد بالتمسك بالسلم والصداقة وسوف يقسم على ذلك[5]. ويروي يزدي أن اللقاء قد تم بين تيمورلنك وبين مندوبين عن الأمير حسين هما الأميران موسى

(1) الشامي: ظفرنامة ، ص 49 – 50. ؛ فامبري: تاريخ بخارى، ص 212.

(2) يزدي: ظفرنامة، ج 1، ص 124 – 125. Grosset: The Empire of the Stepps. P. 413.

(3) الشامي: ظفرنامة ، ص 49 – 50 ؛ يزدي: ظفرنامة ، ج 1، ص 125.

(4) فامبري: تاريخ بخارى، ص 212 – 213.

(5)ظفرنامة، ج 1، ص 127 – 128.

وأولجايتو بالاتفاق على تجديد المودة والصداقة وأقيم احتفال بهذه المناسبة وتوجــه تيمورلنــك إلــى كش[1].

وبهذا الصلح تبدل العداء بين الطرفين إلى تحالف وبدأ أول تعاون بين الأميرين بالهجوم على مدينة كابل حاول حسين أن يستغل كفاءة تيمورلنك وخبرته العسكرية فــي ســبيل القــضاء علــى خصومه. وبالفعل بادر تيمورلنك بعبور جيحون وأعان حسين على إخضاع عماله الخارجين عليــه في بدخشان كما أظهر شجاعة في الهجوم على كابل فتحقق النصر[2]. ثم أبدى حــسين لتيمورلنــك رغبته في اتخاذ بلخ مركزاً له وتعمير قلعة هندوان[3] فأجابه تيمورلنك بقوله: «لــيس مــن حــسن التدبير والسياسة أن تتخذ مركزاً لك في موطن غير موطنك الأصلي ولكن حسين أصر على التوجه إلى بلخ واصطحب معه تيمورلنك وأمر بتعمير القلعة في سنة (769هـ/1367م)» [4].

محاربة تيمورلنك للجته الذين طلب مساعدتهم سنة (769هـ/1367م):

قدم مغول الجته من الشمال استجابة لطلب تيمورلنك من أجل مساعدته لمحاربة حــسين ابــن قزغن ولكن الصلح الذي تم بينهما غير موقفه تجاه الجته فلما علم بقدومهم توجه مع حسين إلى مــا وراء النهر وعبرا نهر جيحون لمواجهتهم عند طشقند[5]. وربمــا كــان هــدف حــسين مــن وراء الاستعانة بتيمورلنك هو دفعه ليتلقى الهزيمة على يد هؤلاء ويكون طريقاً للخــلاص منــه. ولكــن تيمورلنك قبل المهمة واستطاع بحنكته أن يوقع المنافسة والشحناء بين اثنين من قواد الجته فانقــسم الجيش على نفسه ودارت مناوشات بين المتنافسين الذين فضلوا الانــسحاب مــن وجــه تيمورلنــك والعودة إلى ديارهم[6].

---

(1) يزدي: المصدر السالف، ج 1، ص 129.

(2) يزدي: المصدر السالف، ج 1، ص 130 ؛ فامبري: تاريخ بخارى، ص 213.

(3) هُندوان: قلعة حصينة في ظاهر أسوار بلخ كان تيمورلنك قد جدد بناءها واتخذها مقاماً لعامله. لسترنج: بلــدان الخلافة الشرقية، ص 464.

(4) يزدي: ظفرنامة ، ج 1، ص 131.

(5) يزدي: المصدر السالف، ج 1، ص 132 – بازوكي: تاريخ إيران، ص 189.

(6) يزدي: ظفرنامة، ج 1، ص 133 ؛ خواندامير: حبيب السير، ج 3، ص 14.

7 – ثورة كيخسرو خُتّلاني ومحمد بيان سلدوز سنة (769هـ – 1367م):

كان تيمورلنك مقيماً في بدخشان بعد أن أخمد الثورة التي نشبت ضد حسين في تلك المنطقة بسبب سوء سياسته. لكن حسين كان في الوقت نفسه يشك في نوايا تيمورلنك ويخشى أن يعلن العصيان هنالك أخذ يستحثه على العودة إلى سالي سراي بحجة انفجار ثورة جديدة[1] يقودها كيخسرو ومحمد بيان سلدوز في جنوب جيحون ليتشاوروا في كيفية مواجهتهما.

ويروي يزدي أن كيخسرو وبيان سلدوز بعثا رسالة إلى تيمورلنك يطلبان منه العون والانضمام إليهما للثورة على الأمير حسين[2]. وجاء في الرسالة قولهما: «إننا خائفان من قسوة الأمير حسين ومراوغته ونرى أن سموك غير مشتبه به الآن وبعد قليل سوف تسقط ضحية حيله وخداعه ونحن نتكلم الآن وقد رفعنا صوتنا بصراحة الأتراك»[3]. لكن تيمورلنك ظل على إخلاصه ووفائه للأمير حسين وتوجه إلى أرهنك[4] لمقابلة حسين الذي أبدى إعجابه وتقديره بحليفه ظاهرياً لكنه كان ينوي الفتك به سراً وأجبر مؤقتاً على مهادنة تيمورلنك وتأخير التخلص منه، فهو في حاجة إليه لمواجهة المتمردين عليه[5].

ومع ذلك فقد قبل تيمورلنك طلب حسين لمساعدته ضد الأميرين الثائرين وكان أحدهما كيخسرو ختلاني حليفا لتيمورلنك قبل مدة وجيزة وسار مع حسين بقواته إلى حيث كان يعسكر الثوار على ضفاف جيحون وقد عبر تيمورلنك النهر وأجبر الثوار على الفرار ونجح في تحقيق النصر فاتجه كيخسرو إلى جبال آلاي وفرّ محمد بيان سلدوز شمالاً إلى خجندة ومنها إلى أترار وعاد تيمورلنك بعد ذلك إلى كش[6].

عودة النزاع بين تيمورلنك وحسين بن قزغن مما أدى إلى مقتل الأخير:

كانت العلاقة بين تيمورلنك وحسين بين مد وجزر بحسب المصلحة وما تمليه الظروف فتارة يسودها العداء الشديد فتنشب بينهما الحروب ومرة أخرى يظللها الوفاق ويصبحان رفاق سلاح

---

(1) يزدي: المصدر السالف، ج 1، ص 134 – 135.

(2) يزدي: المصدر السالف، ج 1، ص 137 ؛ خواندمير: حبيب السير، ج 3، ص 14.

(3) شهاب: تيمورلنك، ص 154؛ Stewart: The Mulfuzat Timury or Autobiographical Memoirs of the Mongol Emperor... P.122.

(4) آرهنك: تقع على الشط الجنوبي لجيحون. بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص 152.

(5) يزدي: ظفرنامة ، ج 1، ص 138 ؛ خواندامير: حبيب السير، ج 3، ص 14.

(6) الشامي: ظفرنامة، ص 57. ؛ يزدي: ظفرنامة ، ج 1، ص 139 – خواندامير: حبيب السير، ج 3، ص 14.

ويخوضان معاً الحروب ضد أعدائهما ورغم كل ذلك فكل واحد كان في حالة توجس من الآخر ويتربص الفرصة المناسبة للانقضاض على خصمه. وبالفعل لم تمض مدة طويلة على عقد الصلح حتى أخذ حسين يتحين الفرص للإطاحة بتيمورلنك. فقام بعدة أعمال قصد بها إثارته فطلب من سكان ولاية كش التي يحكمها تيمورلنك بالانتقال إلى بلخ وأرسل جماعة للقبض على أخت تيمورلنك لشروع زوجها بجريمة قتل كما أنه بعث جهانكير ابن تيمورلنك الذي كان مقيماً عنده رهينة إلى أبيه فاعتبر تيمورلنك خرقاً لشروط الصلح[1] ويذكر تيمور في مذكراته «عندما شاهد حسين آثار انتصاراتي وفتوحاتي تزايد حسده لي، والنيل مني وابتغى الاستيلاء على بلاد ما وراء النهر وانتزاعها مني واتخذ قراره وعزم على قتلي وتقدم مراراً للقتال معي وقد هزم في كل مرة. وقد قام بقتل هموجي أخي الأمير كيخسرو فثار عليه وبات أمراؤه في حالة عداوة له. وقد صمم على اقتلاعي وقتلي فوصلتني هذه المعلومات لذلك رأيت أن المصلحة تقتضي وجوب القيام بمهاجمة حسين قبل أن يتمكن من التحرك»[2].

تقدم تيمورلنك سنة (771هـ/1369م) على رأس قواته إلى ممر باب الحديد واتجه من هناك إلى ترمذ حيث استقبله رجال الدين وكان على رأسهم السيد بركة[3] إلى خارج ترمذ ورحبوا بمقدم تيمورلنك وسلّمه راية وطبلاً ذكر أنهما للأمير حسين لأن الرسول (ص) قد ظهر له في الحلم وأمره بتسليمها إلى تيمورلنك[4].

وحين وصل تيمورلنك إلى جغان رود[5] أمر الأمير جاكو بجمع الجنود من الأماكن القريبة فجمع أعداداً كبيرة من قبيلة سلدوز ثم تقدم تيمورلنك إلى موضع خُلْم[6] وهناك انضمت إليه قبيلة هزار والتحق به شيخ محمد والي بدخشان والأمير أولجايتو وكان تيمورلنك قد طلب منهما الانضمام

---

(1) الشامي: ظفرنامة، ص 54 - 56.

(2) تيمور: مذكرات تيمور مدبر العالم، ص 38.

(3) السيد بركة: هو من أشراف مكة وينتمي لآل البيت. يزدي: ظفرنامة، ج 1، ص 145. أما ابن عربشاه فيقول عنه: «هذا السيد اختلف القول فيه فمن قائل إنه كان مغربياً بمصر حجاماً فذهب إلى سمرقند وتسيد بها وعلا قدره ومن قائل إنه كان من أهل المدينة ومنهم من يقول إنه من أهل مكة وكان من أكبر الأعيان في بلاد ما وراء النهر وخراسان». ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص 22.

(4) يزدي: ظفرنامة، ج 1، ص 145 ؛ خواندامير: حبيب السير، ج 3، ص 15.

(5) جغان رود: أحد روافد نهر جيحون ويعرف الآن باسم سرخن. دائرة المعارف الإسلامية، م 14، ص 69.

(6) خُلْم: بلدة بنواحي بلخ على عشرة فراسخ من بلخ وهي بلدة للعرب نزلها بنو أسد وبنو تميم وقيس أيام الفتوح وهي مدينة صغيرة ذات قرى وبساتين. الحموي: معجم البلدان، م 2، ص 385.

إليه مع جيشهما فانضما إليه. كما انضم إليه الأمير كيخسرو الذي كان قد سبق أن حاربـــه اســتجابة لطلب الأمير حسين وكذلك انضم إليه أمراء أولوس جغتاي[1].

ولما وصل تيمورلنك بلخ تقدم الأمير حسين بقواته لمحاربته ومحاولة إبعاده عن المدينة لكنـــه أخفق وتراجع نحو بلخ وتحصن بالقلعة بعد قتال عنيف لم يكن يتصوره حسين من قـــوة تيمورلنـــك وإعداد جيشه الكثيف وعلى الرغم من ذلك استمر في المقاومة ولم يستسلم إلا بعدما سقطت بلخ[2].

ثم تقدم تيمورلنك نحو القلعة وحاصرها ولما شدد عليها الحصار، لجأ حسين إلى طلب الصلح وأبدى استعداده للاستسلام لقاء حفظ حياته والسماح له بمغادرة البلاد إلى مكة. فقبل تيمورلنك ذلـــك ولكن حسيناً خشى من أن يحنث تيمورلنك بعهده فخرج من القلعة واختفى في مدينة بلخ وأخفى نفسه في منارة مسجدها ولكن جند تيمورلنك عثروا عليه وأحضروه أمام قائدهم حيث حكم عليـــه أمـــراء تيمورلنك بالقتل بموجب القصاص كما قتلوا الخان كابل شاه لتعاونه مع حسين وأمر تيمورلنك بهـــدم قلعة بلخ وتسويتها بالأرض[3].

ويذكر بعض مؤرخيه أن تيمورلنك لما رأى الأمير حسين في مثل هذا الموقف حـــزن عليـــه وأمر بعدم التعرض له إلا أن الأمراء أولجايتو وكيخسرو ومؤيد أرلات قاموا بقتله[4] وعلى النقيض من مؤرخيه نجد ابن عربشاه والغياثي يلصقان التهمـــة بقتـــل الأميـــر حـــسين بتيمورلنـــك ســـنة (771هـ/1369م)[5]. ويبدو أن تيمورلنك سعى إلى قتله ليتخلص من منافس قوي وصلت طموحاته إلى الرغبة في الانفراد بالحكم، لذلك لم يعاقب القتلة الذين قاموا بقتله كما أنه لم يظهر الاستياء مـــن قاتليه.

وعلى الرغم من ذلك كله فإن تيمورلنك لم يعامل أمراء وجند الأمير حسين معاملة سيئة فهـــو يذكر في مذكراته: «لما وقع الأمير حسين بين يدي عبده مع أمرائه الذين ارتاب بهم خيل إليهم أنني سوف أقتلهم ومع أنني قررت قتلهم وإعدامهم رأيت أنهم محاربون لذلك رأيت أن مـــن المفيـــد هـــو انتزاع الخوف منهم واستخدامهم في الحرب»[6]. أما أبناء حسين فقد قتل أربعة وهرب اثنـــان إلـــى

---

(1) يزدي: ظفر نامه، ج 1، ص 148.

(2) تيمور: مذكرات تيمور مدبر العالم، ص 38. ؛ فامبري: تاريخ بخارى، ص 213.

(3) الشامي: ظفرنامة ، ص 60. ؛ يزدي: ظفرنامة، ج 1، ص 151 – 152. ؛ ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص 14. ؛ فامبري: المرجع السالف، ص 213.

(4) الشامي: ظفرنامة ، ص 60. ؛ خواندامير: حبيب السير، ج 3، ص 15. ؛ يزدي: المصدر السالف، ص 154.

(5) الغياثي: التاريخ الغياثي، ص 176؛ ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص 14.

The New Encylopadia Britannica. Volume. 11. P. 784.

(6) تيمور: مذكرات تيمور مدبر العالم، ص 38.

نواحي الهند وأصدر تيمورلنك أمراً بمصادرة أموال وكنوز الأمير حسين وتوزيعها على أتباعه وأنصاره في الوقت الذي خص تيمورلنك بأربع من زوجات حسين ووزع باقي الزوجات على قواده[1].

8 – تنصيب تيمورلنك سيداً لبلاد ما وراء النهر سنة (771هـ/1369م)

بعد تحقيق النصر وقتل الأمير حسين اجتمع رؤساء القبائل وأمراء المناطق وكبار رجال الدين كان على رأسهم سيد بركة في بلخ ومن الأمراء كيخسرو حاكم ختلان وشيخ محمد بن بيان سلدوز زعيم قبيلة سلدوز ومحمد شاه حاكم بدخشان وألجايتو وسربغا من بيت جلائر وجاكو من قبيلة برلاس وعلى الرسم التركي أجلس تيمورلنك على لباد أبيض بمكان مرتفع ووقف سيد بركة خطيباً حمدالله وأثنى على نبيه ونادى بتيمورلنك أميراً على ما وراء النهر وقام بتتويجه ومنحه لقب صاحب قران وذلك في رمضان سنة (771هـ/أيار 1370م) [2]. وكان تيمورلنك في الخامسة والثلاثين من العمر. وجدد البيعة سيورغتمش[3] الذي نصبه تيمورلنك قبل أن يلتقي بحسين خاناً على ما وراء النهر[4]. ولم يلقب تيمور نفسه خاناً بل ثبت سيورغتمش في الخانية واكتفى هو بلقب أمير مع إضافة كوركان وذلك بعد زواجه من أرملة حسين وغادر بلخ إلى كش ومنها إلى سمرقند واتخذها حاضرة له[5]. وبعد ذلك أصبحت السلطة الحقيقية في ما وراء النهر بيد تيمورلنك بعد أن قضى على الفوضى السياسية التي كانت سائدة في بلاده وما نتج عنها من إنهاك لاقتصاد ما وراء النهر. ولم تكن إعادة تنظيم حكومة بلاد ما وراء النهر بالأمر اليسير وهي التي مضى عليها أكثر من قرن في فوضى شاملة.

---

(1) يزدي: ظفرنامة، ج 1، ص 154.

(2) يزدي: المصدر السالف، ج 1، ص 156–157. ؛ فامبري: تاريخ بخارى: ص 214.

(3) سيورغتمش وهو ابن دانشمندجة من نسل أوكداي الذي رفع إلى العرش ليؤدي دور الخان الدمية في أيام الأمير قزغن سنة (747هـ/1346م) ولم يلبث أن قتل بعد عامين خوفاً من نقمة الناس لأنه لم يكن من أحفاد جغتاي بن جنكيزخان. لكن تيمورلنك أراد أن يتخطى العقبة التي وقف عندها الأمير قزغن فاستدعى سيورغتمش ابن الخان القتيل دانشمندجة لتسلم العرش وذلك قبل المعركة النهائية مع الأمير حسين في بلخ. الشامي: ظفرنامة، ص58. ؛ يزدي: ظفرنامة ، ج 1، ص 149.

(4) ابن عربشاه: عجائب المقدور في نوائب تيمور، ص 20.

(5) الشامي: ظفرنامة ، ص 56. ؛ يزدي: ظفرنامة ، ص 160.

وكان من الطبيعي أن يجري هذا الإصلاح بالتدريج وبالفعل اتجه تيمورلنك منذ البداية إلى إقرار الأمور الداخلية في دولته[1]. حيث حدد بعض المبادئ السياسية التي سيعمل على تطبيقها في الدولة من خلال تصريح أعلنه على الملأ نص في هذا الإعلان على أنه يمنح الأمان والعفو عن جميع من أشهروا السلاح في وجهه وناصبوه العداء في الماضي في سائر المناطق الخاضعة لحكمه. وهو يعد أن جميع الناس هم أصدقاء له. كما يؤكد على منح العفو لجميع أتباع الأمير حسين فهم آمنون منذ الآن[2]. وأصدر مجموعة من التعليمات على شكل مرسوم عام لتتخذ أساساً في التعامل في المجال الإداري المدني وفي الجيش[3].

كان تيمورلنك حريصاً على التمسك بشكل ظاهري بالشرعية التي تتمثل بوجود أحد أحفاد جغتاي بن جنكيزخان على رأس الدولة لذلك كان عليه أن يبحث عن شخص مناسب لملء هذا المنصب، تتمثل فيه الشرعية بنوع خاص لأن تطبيق الشرعية برفع أحد أحفاد جغتاي بن جنكيزخان إلى العرش قد يضعف مركز تيمورلنك كحاكم فعلي للبلاد أمام الحاكم الشرعي ولذلك وجد تيمورلنك أن من المناسب أن يرفع إلى هذا المنصب أحد الأمراء من بيت جنكيزخان ولكنه ينتمي إلى فرع آخر من فروع هذا البيت هو فرع أوكداي ثالث أبناء جنكيزخان. فنصب سيورغتمش بن دانشمندجة من سلالة أوكداي (625 – 640هـ/1227 – 1242م)[4] الخان الأكبر وبذلك فإن لسيورغتمش أن يدعي أنه ليس وريث أملاك الجغتائيين فحسب بل وأملاك المغول عموماً فقد كان كل خان من خانات المغول يتطلع إلى توحيد إمبراطورية المغول تحت قيادته وهذا ربما ما دفع بتيمورلنك إلى تنصيب خانٍ من سلالة أوكداي الذي له وحده الحق في أن يكون خاناً أكبر ووارثاً لكل الأقاليم المغولية وقد يفتح هذا الحل أمام تيمورلنك المطالبة بحق حكم المناطق المخصصة لأبناء أوكداي في مناطق أخرى من إمبراطورية المغول الواسعة.

ومن الخطوات التي اتخذها تقريب العلماء والمشائخ من سلالة الرسول (ص) والعقلاء والمحدثين بالأخبار والمؤرخين ورفع من مقامهم وعاملهم باحترام وكان يُدخل عدداً منهم في مجلسه[5]. ويبدو أن تقريبه رجال الدين مسألة يدخل فيها العامل السياسي إذ هدف إلى تعزيز سلطته بإضفاء صبغة دينية على حكمه في الداخل والخارج وفي التوفيق بين الاتجاهات الدينية الإسلامية والتقاليد المغولية التي كان لها تأثير واضح في سكان ما وراء النهر فضلاً عن تبني تيمورلنك لباسا

---

(1) فامبري: تاري بخارى، ص 216.

(2) تيمور: مذكرات تيمور مدبر العالم، ص 38 – 39.

(3) سوف نتناوله بالتفصيل في الفصل الخامس.

(4) الشامي: ظفرنامة، ص 58. ؛ يزدي: ظفرنامة، ج1، ص 149. ؛ الغياثي: التاريخ الغياثي، ص 157.

(5) تيمور: مذكرات تيمور مدبر العالم، ص 57 ؛ ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص 280.

جنكيزخان[1] فإنه كان يؤدي الفرائض الإسلامية ويزور الصوفية ويكرمهم أينما حل ويـــزور قبـــور أوليائهم. وفي مقابل هذا قام الصوفية وبعض علماء الدين بتأييد وترويج سلطته حتـــى إنهـــم عـــدوا ظهوره وتوسعه الخارجي كرامات صوفية وإنها تصدر عن الإلهام الإلهي والهاتف السماوي[2].

وفسروا آية ((أَطِيعُوا اللهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ)) [3] أن ولي الأمر هو تيمورلنك وأنه المجدد للدين الإسلامي على رأس القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي[4]. ولـــذلك فـــإن طاعته واجبة وإن الانضواء تحت لوائه والاشتراك في فتوحاته يعد عملاً جهادياً. وهكذا كـــان لكـــل حاكم ظالم علماء سلطان. وبذلك نجح تيمورلنك في إحكام سيطرته على ما وراء النهر كمـــا وجـــه اهتمامه لإصلاح وتعمير عاصمته سمرقند حيث عين للإشراف على أعمال البناء عدداً من مساعديه وقد هدف تيمورلنك من أعماله في المدينة إزالة ما حلَّ بها من خراب خلال حوادث الـــصراع مـــع الجته[5]. ومن ثم قام بتوجيه أمراء البلاد نحو تأمين الجبهتين الشرقية والشمالية لما وراء النهر.

---

(1) يذكر ابن عربشاه أن تيمورلنك كان معتقداً للقواعد الجنكيزخانية وهي كفرع الفقه من الملة الإسلامية وكذلك كل الجغتاي وأهل الدشت والخطا وتركستان كلهم يمشون بقواعد جنكيزخان. ص 281.

(2) الشيبي كامل: الفكر الشيعي والنزعات الصوفية، بغداد، مطبعة العاني، 1966، ص 168 – 170.

(3) سورة النساء، آية رقم 59.

(4) تيمور: مذكرات تيمور مدبر العالم، ص 62.

(5) الشامي: ظفرنامة، ص 61 – يزدي: ظفرنامة، ج 1، ص 162. وسوف نتناول أعمال تيمورلنك في عاصـــمته سمرقند في دوره الحضاري فيما بعد.

9 – غزو تيمورلنك للهند سنة (800 . 801هـ/1398 . 1399م):

أسباب الغزو التيموري للهند:

تطلع تيمورلنك إلى بسط نفوذه على بلاد الهند لما فيها من موارد اقتصادية هائلة، فانتهز فرصة وفاة فيروز شاه[1] سلطان دهلي، والاضطرابات والقلاقل التي أعقبت وفاته سنة (790هـ/1388م)[2]، وكان التسويغ الذي اتخذ لغزو الهند هو جهاد الكفار ونشر الإسلام[3]، ويشير تيمورلنك في مذكراته إلى الهدف الحقيقي للسيطرة على الهند والذي يظهر في الاجتماع التشاوري مع أولاده وأمرائه حيث قال ابنه الأمير محمد جهانكير: «إننا عندما سنخضع الهند ونحصل على الذهب سوف نصبح فاتحي العالم، أما الأمير محمد سلطان فذهب إلى القول: من الممكن إخضاع الهند لكن فيها موانع كثيرة منها الأنهار، والفيافي، والغابات والجنود المسلحين، الفيلة التي تقتل الرجال، بينما الأمير سلطان حسين فقال: «إننا عندما سنفتح بلاد الهند سوف نكون سادة الأقاليم وحكامها»[4].

لذا لا تخفي المصادر التيمورية الإشارة إلى أن حملة تيمورلنك على الهند كانت لطلب الغنائم[5]. ويبدو أنه وجد أن غنى الهند وكنوزها تساعده على تأمين متطلبات الحياة التي اعتادها أمرائه لاسيما وأنه لم يُعد يجد شيئاً بالاتجاه شمالاً نحو بلاد الجته والقبجاق[6].

كانت الهند منذ سنة (720هـ/1320م) تحكم من قبل أسرة تغلق ذات الأصل التركي الجغتائي[7] وقد استطاع الأوائل من سلاطين هذه الأسرة أن يفرضوا سلطتهم على أكثر أجزاء الهند، ولم يلبث أن دب الانحطاط السريع بالبلاد في عهد المتأخرين من حكامها ومال أغلب حكام المقاطعات إلى الانفصال بحكم بعض مناطقهم عن الحكومة المركزية في العاصمة دلهي كما كثرت ثورات الهنادكة، وقد حاول السلطان فيروز شاه آل تغلق عند وصوله إلى الحكم سنة

---

(1) فيروز شاه، ينتسب إلى آل تغلق الأسرة الثالثة التي حكمت الهند (752هـ/1351م)، اصطدم بمؤامرة أقربائه من أمراء البيت التغلقي وثورات الهندوس واضطر لترك الحكم لوزرائه في آخر أيامه بسبب المرض. المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج3، ق2، ص1024.

(2) ابن عربشاه: عجائب المقدور ، ص96. ؛ فامبري: تاريخ بخارى، ص231. ؛ الموسوعة العربية، م7، ص258. ؛ الفقي، عصام الدين: بلاد الهند في العصر الإسلامي، عالم الكتب، القاهرة، 1980م، ص162.

(3) جاكسون: سلطنة دلهي تاريخ سياسي وعسكري، ترجمة فاضل جتكر، ص545. ؛ الموسوعة العربية، م7، ص258.

(4) تيمور: مذكرات تيمور مدبر العالم، ص45.

(5) الشامي: ظفرنامه، ص170. ؛ يزدي: ظفرنامه، ج2، ص57.

(6) Prawdin: L'Empire Mongol et Tamerlan, paris, P. 234

(7) الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية، ج1، ص169. ؛ شهاب: تيمورلنك، ص239.

(752هـ/1351م) إصلاح الحال ولكنه اصطدم بمؤامرات أقربائه من أمراء البيت المالك التغلقي وثورات الهنادكة، فاضطر للتخلي عن الحكم لوزرائه في آخر أيامه بسبب المرض، واشتد التنازع بين هؤلاء الوزراء وشهدت شوارع دلهي اشتباكات دامية بين أنصار المتنافسين، ولما توفي السلطان فيروز شاه سنة (790هـ/1388م) كان ذلك إيذاناً بازدياد حالة الفوضى وتوالى على عرش البلاد عدد من السلاطين الضعاف كان آخرهم السلطان محمود الذي استبد به وزيره ملّو إقبال خان[1]. حينها قرر تيمورلنك استغلال تلك الأوضاع في الاجتماع التشاوري الثاني فأرسل الجيوش إلى المدن الرئيسة في بلاد الهند.

10- احتلال الهند:

أمر تيمورلنك بير محمد جهانكير بقيادة ثلاثين ألفاً من فرسان ميسرة الجيش والتوجه إلى الهند وكان يحكم كابل ومنها عبر إلى السند وتوجه نحو الملتان[2] التي كان يحكمها شقيق الوزير المتسلط ويدعي سارنك خان، كما أمر السلطان محمود خان والأمير رستم وأمراء آخرين مع ثلاثين ألفاً من فرسان الميمنة عبور مياه السند والزحف نحو منطقة لاهور عبر طريق جبال كشمير، وزحف مع اثنين وثلاثين ألفاً من فرسانه حتى وصل إلى موقع اندراب[3]، ثم توجه نحو الهند للجهاد على حد قوله في مذكراته[4]، وبعد أن أمضى ستة أشهر في قتال أهالي كافرستان[5] تابع سيره إلى وادي السند ماراً بمدنية كابل[6].

وفي 12 محرم سنة (801هـ/ 24 أيلول 1398م) عبر تيمورلنك السند واستولى على حصن تلمبي في (صفر 801هـ/تشرين الأول 1398م) [7]، ثم استولى على سرستى وقتل جميع

---

(1) شهاب: تيمورلنك، ص239.

(2) ملتان مدينة عظيمة في أعلى رافد من روافد السند. لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص369، وتقع حالياً في باكستان. ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج4، ص115. الحاشية.

(3) اندراب: بلدة بين غزنين وبلخ ومنها تدخل القوافل التجارية إلى كابل ويقال لها اندرابه. الحموي: معجم البلدان، م1، ص260.

(4) تيمور: مذكرات تيمور مدبر العالم، ص46، 47.

(5) كافرستان تطلق إلى اليوم على جزء من السفوح الجنوبية لجبال هندوكوش وتقع إلى الشمال الشرقي من كابل. شهاب: تيمورلنك، ص240.

(6) الشامي: ظفر نامه، ص172. ؛ يزدي: ظفرنامه، ج2، ص45.

(7) يزدي: ظفر نامه، ج2، ص45.

سكانها بحجة أنهم من الهنادكة وتقدم واجتاح فتح آباد[1].

وفي طريقه توجهه لدلهي قاتل الجت أو الزط[2] التي كانت تقيم حول دلهي. وقبل خوض معركة دلهي أمر تيمورلنك بقتل مائة ألف أسير هندي دون رحمة لمجرد سريان إشاعة تشير إلى نية تعاونهم مع سلطان دلهي بالهجوم على مؤخرة جيش تيمورلنك[3]. وتُعد هذه الحادثة من أشد أعمال تيمورلنك الوحشية[4] وبينما يسوغ يزدي هذه الأعمال على أنها نوع من الجهاد ضد هؤلاء الهنادكة الكفرة[5].

تهيأ تيمورلنك لاحتلال دلهي فخرج الوزير ملّو الذي يطلق عليه كلافيجو اسم SO سو لقتاله مع جيش كبير وخمسين فيلاً حربياً وقد علق عليها من الأجراس ما يهول صوته وشدوا في خراطيمها عدد من السيوف المرهفة وقد أدى إلى هزيمته على يد الجيش الهندي بسبب حملة الفيلة[6].

عندها وضع خطة جديدة للقضاء على السلطان محمود حاكم دلهي وملّو اللذين تحصنا مع خمسين ألف رجل من الخيالة والرجالة وعشرين فيلاً في قلعة دلهي، ولما عرف أن إخضاع القلعة يكلف خسائراً كبيرةً ويستغرق وقتاً طويلاً قرر التظاهر بالضعف في قتالهم، وحفر حول جيشه خندقاً وأرسل قواته لمواجهتهم وعندما وجد الهنود أنفسهم الأقوى فرحوا كثيراً وخرجوا إلى السهل وتواجهوا مع جيوشه وجهاً لوجه[7]، كان تيمورلنك قد أعد مكيدة تمثلت في غرس الأرض بآلاف من الشوكات الحديدية المثلثة الأطراف ونثرها في مجالات الفيلة وزحف على خمسمئة من الجمال وهم يحملون من العشب المحشوة بالقتاويل المغموسة بالدهن، وما أن بدأ القتال حتى أضرمت فيها النار فاحترقت الجمال كلها وارتعبت الفيلة وفرت راجعة إلى المعسكر الهندي عندها جرحتها الشوكات الحديدية فبركت على الأرض لا تستطيع الحركة[8] ودماؤها تسيل على الأرض. وكانت

---

(1) فتح آباد: هي المدينة التي كان السلطان فيروز شاه قد بناها في شمال غرب العاصمة دلهي. الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية، ج2، ص188.

(2) أطلق يزدي على هؤلاء بالمفسدين وقطاع الطرق على المسافرين والتجار والحجاج من المسلمين. ظفر نامه، ج2، ص63 – 64 – 67.

(3) فامبري: تاريخ بخارى، ص232. ؛ يو يكوبوفسكي: تيمورلنك، ص127.

(4) ميجل، آنخل: قدوم الأتراك والمغول، ترجمة ابراهيم سعيد، معهد التاريخ، مدريد، ص180.

(5) يزدي: ظفر نامه ، ج2، ص72.

(6) كلافيجو: سفارة إلى تيمورلنك، (1403 – 1406م)، ص280.

(7) تيمور: مذكرات تيمور ، ص48.

(8) ابن عربشاه: عجائب المقدور في نوائب تيمور، ص96 – 97. ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، ج4، ص115 – 116. كلافيجو: سفارة إلى تيمورلنك (1403 – 1406م)، ص280..

النتيجة قرار سلطان دلهي ووزيره تاركين الكثير من الغنائم ورائهم[1]، مما مكن تيمورلنك من السيطرة على دلهي بكل كنوزها، ونقل معه أهم الحرفيين الذين اشتهروا ببراعتهم في كثير من الفنون الدقيقة، وعدد كبير من الفيلة إلى حاضرته سمرقند[2]، وكان الجند لا يستطيعون أن يقطعوا في اليوم مسافة كبيرة بسبب ما كانوا يحملونه من الغنائم[3] وما كان يرافقهم من الأسرى وقطعان الماشية وقوافل العربات.

ولكن السؤال الذي يمكن طرحه: ما الذي مكَّن تيمورلنك من إلحاق الهزيمة بجيش الهند والاستيلاء على عاصمتها؟ رغم امتلاك الهنود لأسلحة جديدة كانفجار بعضها عند ملامستها الأرض وقدور النفط المشتعل، والفيلة المقاتلة.

والأسباب كثيرة منها:

1 – كان لدى تيمورلنك موارد بشرية ومادية كبيرة حصل عليها من كل المناطق التي سيطر عليها.

2 – الخطة التي وضعها تيمورلنك ضد الفيلة كانت محكمة وناجحة.

3 – الروح المعنوية العالية للقوات التيمورية وحب السيطرة وجمع الأموال.

4 – التدهور الحاد الذي أصاب القوة العسكرية لسلطنة دلهي في ظل حكم فيروز شاه وخلفائه.

5 – سوء إدارة المعركة من قبل حاكم دلهي ووزيره ملّو.

11 – النتائج التي تمخضت عن غزو تيمورلنك للهند:

1 – كانت الحملة العسكرية التيمورية على الهند من الأعمال المدوّية التي كان لها صدىً كبيراً حيث أثارت اهتمام المؤرخين المعاصرين في الشام ومصر رغم بعد المسافة.

2 – تفشي المرض وانتشار الفقر والخراب جراء الغزو العنيف للقوات التيمورية.

3 – تفكك الهند وحكومتها المركزية، وكانت فاتحة لسلسلة من المغامرات العسكرية والاضطرابات السياسية للحقبة اللاحقة للغزو التيموري.

4 – رغم المسوغات الجهادية التي ادعاها تيمور وسوّغ لها مؤرخوه لغزو الهند، فقد اتضح من أعماله أن المسلمين الهنود قد تعرضوا للتنكيل على قدم المساواة مع الهنود غير المسلمين وكانت ضربة قاسية لأحد الثغور الإسلامية الأمامية التي كانت تناضل ضد الوثنية.

---

(1) تيمور: مذكرات تيمور مدبر العالم، ص48. ؛ ابن عربشاه، عجائب المقدور، ص97.

(2) فامبري: تاريخ بخارى، ص232. ؛ الموسوعة العربية، م7 ص258.

(3) يزدي: ظفر نامه، ج2، ص117.

5 – أدى هذا النصر المؤقت إلى زيادة شهرة تيمورلنك وذيوع صيته وزيادة طموحه الذي لا يعرف حدوداً جعله يتوجه نحو الدولة العثمانية الناشئة.

6 – إن علامته البارزة الوحيدة التي بقيت حية في الهند بقيام أسرة المغول المسلمة لبعض المنحدرين من نسله – بابر – Babar بقيادة مؤسسها ظهير الدين بابر وذلك سنة (932–937هـ/ 1526– 1530م).

12– توجه تيمورلنك لغزو الصين (807هـ/1405م):

أ – أوضاع الصين قبيل الغزو التيموري:

كانت الصين أيام الغزو المغولي في عهد جنكيز خان مقسمة إلى ثلاث ممالك، يحكمها ثلاث أسر:

1 – أسرة سنغ Sung وقامت جنوب نهر اليانتسي Yangtze جنوب الصين.

2 – أسرة التنغوت Tangut في إقليم كانسو Kansu في الشمال أسسها شعب تيبيتي.

3 – أسرة كن Kin التتارية في شمال الصين وديارهم كاثاي[1].

استطاع جنكيز خان في سنة (613هـ/1215م) من قهر التنغوت ومن بعدهم الكن التتار واستولى قادة جنده على خان بالق[2].

وعندما مات جنكيز خان في سنة (625هـ/1227م) تولى ابنه تولوي الرئاسة في منغوليا وعاصمتها قراقورم، أما ابنه قبلاي (655 – 694هـ/1257 – 1294م) الذي خلفه خاناً كبيراً فقد استولى على الصين متخذاً من خان بالق عاصمة له وللأسرة التي أسسها وهي أسرة يوران التي ما لبثت أن سقطت وحلت محلها أسرة صينية وعاش في خان بالق حيث عمل ماركوبولو في خدمته، وبحكم أنه كان الخان الكبير فقد دفع الجغتائيون أصحاب سمرقند الجزية له وضعفوا، وفي سنة (772هـ/1370م) كان اسم الأسرة المغولية الحاكمة لدى الصينيين يون وقد حل محلها أسرة صينية محلية تعرف باسم منغ Ming وكان مؤسسها هو الإمبراطور هونغويو Hongwou الذي توفى في سنة 802هـ/1399م وخلفه من بعده ابنه شنغتسو Chingtsu ويعرف باسم الإمبراطور يان يو

(1) لي شه شانغ: رحلة الراهب الطاوي، ص396.

(2) خان بالق هي بكين وأصل الكلمة هايتلي وهو الاسم التاريخي لبكين في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، م4، ص151، الحاشية.

Yanglo (1403 – 1425م)[1]، وقد سعى للحصول على الجزية من تيمورلنك، ويصف لنا كلافيجو وهو شاهد عيان، السفارة الصينية إلى تيمورلنك بالقول: «أجلسونا في مكان أدنى من المكان الذي كان معداً لرسول إمبراطور الصين وقد طلب السفير من تيمورلنك دفع الجزية المستحقة لمولاه والتي دفعها تيمورلنك من قبل سنة تلو أخرى، وفي تلك اللحظة انتبه تيمور إلى أننا نحن السفراء الإسبان قد منحنا مقاعد دون مقعد سفير إمبراطور الصين، وبناء عليه بعث رسالة أمر فيها بوجوب إجلاسنا فوق وذلك السفير تحت، ووصل واحد من السادة وتقدم بناءً على طلب تيمورلنك وقام بمخاطبة سفير الصين بشكل علني مكشوف وصرح بأن صاحب المعالي قد أرسله لإخبار هذا الرجل الصيني بأن سفراء ملك إسبانيا الذي هو صديق جيد لتيمور وولده ينبغي أن يجلسوا في مكان فوق سفير ملك الصين الذي هو لص ورجل فاسد وعدو لتيمور وسوف يتدبر بعد وقت قصير الأمور حيث يجعل ما من صيني يتجرأ على القدوم بسفارة مثل السفارة التي جاء بها هذا الإنسان»[2]، وأشار إلى هذا السلوك الذي سلكه تيمورلنك مع الوفد الصيني القس البافاري شيلتبرجر والذي كان مقيماً في سمرقند قائلاً: «إن تيمور قد أفهم المبعوث الصيني أنه لن يدفع أية ضرائب، وأن على الإمبراطور الصيني أن يحضر لمقابلته في سمرقند» [3]، ويذكر كلافيجو أنه قبل وصولهم إلى سمرقند مباشرة وصلت قافلة مؤلفة من ثمانمائة جمل محملة بالتجارة من الصين وحينها كان تيمورلنك قد عاد من حملته الغربية فاستقبل السفارة الصينية حاملة له رسالة من إمبراطور الصين، وقد أمر على الفور باعتقال جميع رجالها ووضعهم في السجن وصادر البضائع[4]. وعلى ما يبدو فإن تيمورلنك في بداية حكمه كان على علاقة جيدة مع إمبراطور الصين وقد تبودلت السفارات بين الطرفين، وعندما أحكم تيمورلنك سيطرته على أجزاء كبيرة من آسيا، بدأت العلاقات تتوتر بين الطرفين لاسيما تيمورلنك استغل وفاة (الإمبراطور الصيني) الذي قسم إمبراطوريته بين أولاده الثلاثة حيث دب الخلاف بينهم بسبب محاولة كل واحد الانفراد بالإمبراطورية لنفسه[5]، وكان تيمورلنك يفكر في غزو بلاد الصين منذ كان ببلاد الروم إذ بعث إليها أميره داد الله زوده بمعلومات عنها فلما عرف أحوالها جهز إليها جماعة من رؤوس دولته وهم: بردبك وتغري بردي، وصعدات

---

(1) ذكره كلافيجو باسم كزخان Chayscon وهو لقب معناه إمبراطور الإمبراطوريات التسع لكن التتار يسمونه تنقز Tanguz ومعنى هذا بالنسبة إليهم الإمبراطور الخنزير، وفي الماضي كان تيمورلنك مرغماً على أن يدفع الجزية إليه. كلافيجو: سفارة إلى تيمورلنك (1403 – 1406م)، ص245.

(2) سفارة إلى تيمورلنك (1403 – 1406م)، ص244 – 245.

(3) Schiltberger: in Europe, Asia and Africa (1396-1427), P. 28.

(4) المصدر السالف، ص318.

(5) كلافيجو: المصدر السالف، ص317.

الناصي، وأمرهم بالذهاب إلى الأمير داد الله بمدينة أشبارة[1] والقيام ببناء قلعة لكي تكون له معقلاً يلجأون إليها إثر توجههم إلى بلاد الخطا المحاددة للصين[2].

لم ينسَ تيمورلنك أن يعطي مسوغاً لحربه ضد الصين، شأنه في ذلك مع بقية المناطق التي غزاها، وهو الجهاد والفتح ضد مناطق الكفر والفساد[3]. وقد اتضح في رده على رسالة إمبراطور الصين التي حملتها السفارة الصينية كان فحواها: «إن كل الناس يعلمون بأن تيمور كان محتلاً لأراضي كانت من قبل إقطاعاً للصين وكانت تدفع عنها الجزية سنوياً إلى إمبراطور الصين لكن في السنوات السبع المنصرمة ما من جزية دفعت وعلى تيمور أن يدفع هذا المبلغ المستحق مباشرة»[4]، وكان جواب تيمور إلى السفراء بأن ذلك كان صحيحاً وإنه سيدفعها لكنه لن يتعبهم ويثقلهم بحملها، سيحملها بنفسه للإمبراطور[5].

ولاشك في أن إخضاع الصين تحت حكم تيمورلنك يُعد خطوة هامة في مخططه الطموح للسيطرة على العالم. ولتحقيق هدفه عقد اجتماع قوريلتاي حضره أحفاده وأمراؤه لدراسة مشروع الحملة وتحدث في الاجتماع وأشار إلى سيطرته على كثير من ممالك العالم وخضوع حكامها وتكلم عن كثرة قواته وبيّن للحاضرين ما بدر من حكام الصين من جرائم وزلاّت وعرض عليهم آخر ما استقرت عليه العلاقات بينه وبين إمبراطور الصين وأيد جميع الحاضرين اقتراحاته[6].

فأمر عساكره أن يأخذوا الأهبة لمدة أربع سنوات فاستعدوا لذلك، منها تضيع خمسمئة عجلة تحمل المعدات[7]، وجمع المؤن والعتاد ومائتي ألف جندي من بلاد ما وراء النهر وخوارزم وبلخ وبذخشان وانخرط في عداد هذه القوات التتر الذين جيء بهم من بلاد الروم بعد معركة أنقرة[8].

خرج تيمورلنك بموكبه من سمرقند في (23 جمادى الأولى سنة 807هـ/ 28 تشرين الثاني 1404م) وكان الفصل خريفاً والجو شديد البرد والثلوج تتساقط، فعبر نهر سيحون المتجمد ونزل عند اترار، وحينها اشتدت العلة عليه حتى أعلن طبيبه فضل الله أن حالته قد باتت ميئوساً منها[9].

---

(1) أشبارة لم أجد لها تعريف في المصادر.

(2) ابن عربشاه: عجائب المقدور في نوائب تيمور، ص219. ؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، ج4، ص128 – 129.

(3) يزدي: ظفرنامه، ج2، ص450.

(4) كلافيجو: سفارة إلى تيمورلنك، ص317.

(5) كلافيجو: سفارة إلى تيمورلنك (1403 – 1406م)، ص317.

(6) يزدي: ظفر نامه، ج2، ص447.

(7) ابن تغري بردي: المنهل الصافي ، ج4، ص129.

(8) يزدي: ظفر نامه ، ج2، ص450. ؛ بويكوبوفسكي: تيمورلنك، ص127.

(9) فامبري: تاريخ بخارى، ص236.

ومن المحتمل أن البرد الشديد أذاه بسبب كبر سنه وأصبح لا يتحمل مشقة السفر والارتحال لاسيما في مثل تلك الظروف المناخية السيئة وكان يعاني في الوقت نفسه من المرض قبل قيامه بالغزو وقد أشار السفير كلافيجو إلى أن تيمورلنك قد امتنع عن مقابلة السفراء في الآونة الأخيرة بسبب مرضه الذي أقعده عن امتطاء جواده وقد كان أحياناً يحمل على محفة إلى خارج سمرقند للإشراف على مشاريع البناء التي كان يتم تنفيذها حينها[1].

أمّا ابن عربشاه فيذكر «أن حرارة العرق المقطر من الخمر قد أثرت على كبده وأمعائه فالتهب مزاجه حتى ضعف بدنه وأطباؤه يعالجونه وأخذوا يضعون الثلج على بطنه لارتفاع حرارته فتلفت كبده وصار يضطرب ولونه يحمر لمدة ثلاثة أيام حتى وافته المنية»[2] في يوم (الأربعاء 17 شعبان 807هـ/ 18 شباط 1405)، عن عمر يناهز الواحدة السبعين سنة بعد أن حكم ستاً وثلاثين عاماً[3]، والتف حول فراشه أبناؤه وأحفاده ورفاقه حيث وأوصاهم بالاتحاد والتآلف والطاعة لحفيده بير محمد الذي أعلن رغبته ليخلفه في مكانه[4]، ووضع جثمانه في تابوت من الأبنوس حمل بعد ذلك بشهرين إلى سمرقند حيث احتفل بجنازته وقد دفن في ضريح فخم ويعد آية من آيات العمارة في عصره، ويعرف باسم كورمير ولا يزال قائماً إلى يومنا هذا[5]، وبوفاته توقفت الحملة على الصين وما كانت ستؤدي من دمار كبير.

---

(1) سفارة إلى تيمورلنك ، ص310.

(2) عجائب المقدور في نوائب تيمور، ص221. ؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي ، ج4، ص130.

(3) ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص222. ؛ يزدي: ظفرنامه، ج2،ص468 – 469. ؛ دائرة المعارف الإسلامية، م7، ص162.

(4) يزدي: ظفرنامه ، ج2، ص465. ؛ فامبري: تاريخ بخارى، ص236.

(5) دائرة المعارف الإسلامية، م7، ص162.

الفصل الثالث

حروب تيمورلنك في بلاد فارس

1- اوضاع خرسان قبيل الغزو التيموري

2- زحف القوات التيمورية على خراسان (782 - 786هـ/1280 - 1284م

3 - حملة تيمورلنك وابنه ميرانشاه الأولى سنة (782هـ/1380م)

4 - الحملة الثانية على خراسان سنة (784هـ/1382م)

5 - الحملة الثالثة على خراسان سنة (785هـ/1383م)

6 - الحملة الرابعة على خراسان سنة (786 - 787هـ/1384 - 1385م)

7- أوضاع اصفهان وكرمان قبيل الغزو التيموري

8 - حكم زين العابدين لبلاد فارس (786 - 789هـ/1384 - 1387م)

9 - علاقة آل مظفر بتيمورلنك

10 - أسباب غزو تيمورلنك لهمذان وأصفهان وكرمان

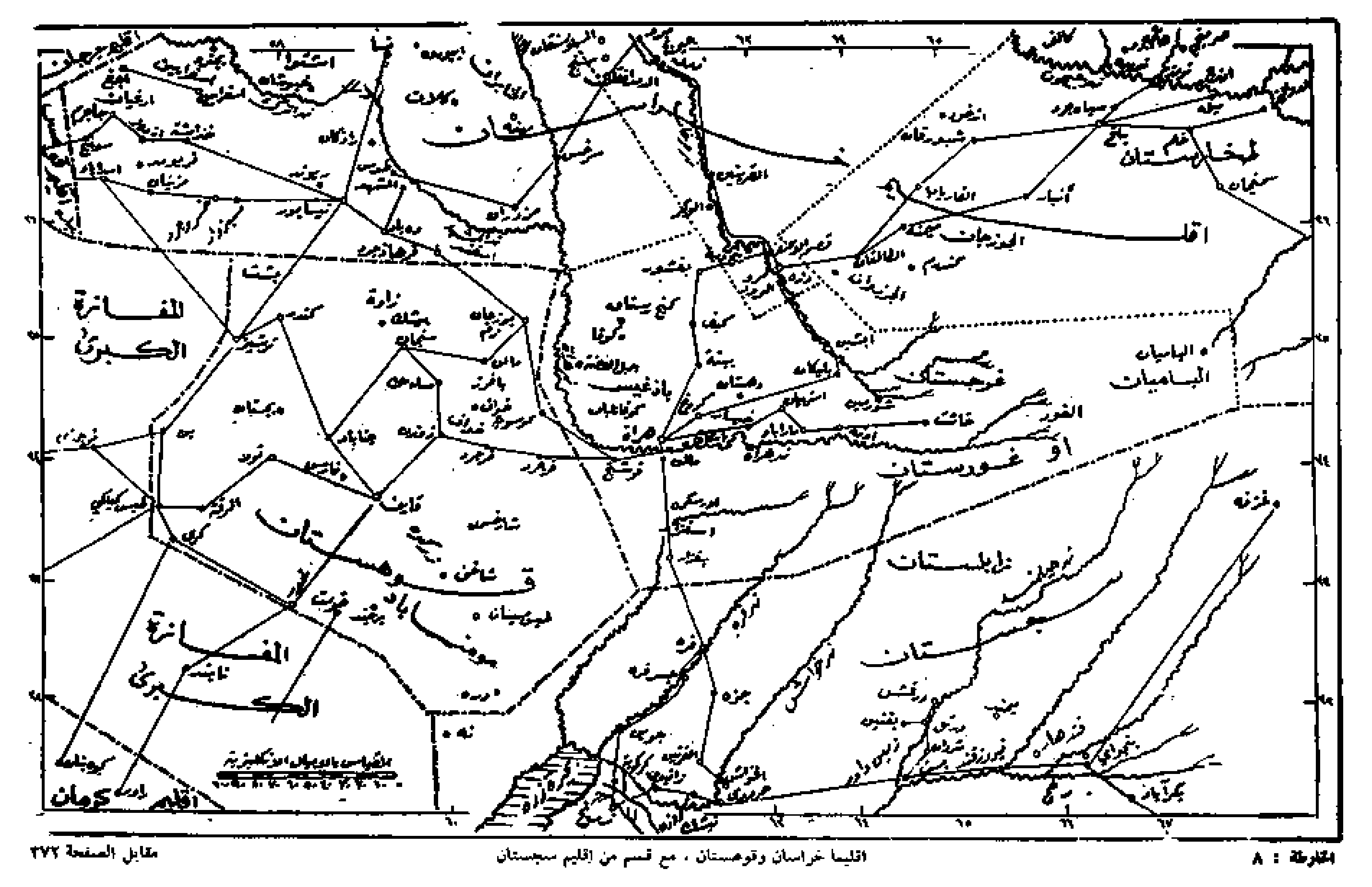
11- توجه قوات تيمورلنك نحو جيلان وهمذان

12 - توجه قوات تيمورلنك نحو شيراز

13 - أوضاع آل مظفر بعد عودة تيمورلنك إلى عاصمته سمرقند

14 - هجوم تيمورلنك على بلاد فارس سنة (795هـ/1393م)

15 - النتائج التي ترتبت عن الغزو التيموري لبلاد فارس



كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص372.

1 – أوضاع خراسان قبيل الغزو التيموري:

نشبت الخلافات في الدولة الإيلخانية التي أسسها هولاكو[1] وأورثها أبناءه وأحفاده ولاسيما بعد وفاة السلطان أبي سعيد خدبندا سنة (736هـ/1335م) وتجزأت البلاد إلى أقسام عدة بين الأمراء الكبار فأدى ذلك إلى قيام عدد من الكيانات السياسية الصغيرة المتنافسة فيما بينها. وكانت تحكم بلاد فارس والعراق وأذربيجان إبان الغزو التيموري أربع أسر كان لكل من حكامها نصيب في مواجهته وهذه الأسر هي:–

1 – **آل كرت:** وهم طبقة من ملوك بلاد فارس ذوي أصول أفغانية حكموا في النصف الأول من القرن السابع الهجري حتى أواخر القرن الثامن/القرن 13 – 14م. وكانت عاصمتهم هراة وهم على المذهب الحنفي،[2] ومع أنه لم يبق لهم في التاريخ السياسي ذكر كبير، حيث اشتهرت جماعة منهم بالخيانة وعدم الوفاء لكنهم مع ذلك أبقوا ذكراً طيباً في تاريخ أداب بلاد فارس[3].

على كلٍ لقد حكم هؤلاء هراة من سنة (643–783هـ/1245–1381م)، وعاصر تيمورلنك من حكامها الملك معز الدين بن غياث الدين حسين (732–772هـ/1331–1370م) والملك غياث الدين بيرعلي (771–783هـ/1370–1381م)[4].

2 – **السربداريون:** يُعد هؤلاء من الأسر التي وصلت إلى مرتبة كبيرة من المكانة والنفوذ بعد وفاة السلطان أبي سعيد بن خدبندا وعلى الرغم من أن السربداريين لا يقارنون بغيرهم من الأمراء من حيث اتساع الملك ودوامه إلا أنه كان لهم اعتبار خاص في تاريخ بلاد فارس من حيث اعتناقهم مذهب التشيع وسعيهم لنشر آدابه وأحكامه، اتخذ هؤلاء من مدينة سبزوار[5] والمناطق المجاورة مقراً لهم[6] وذلك سنة (738–788هـ/1337–1368م) ومن حكامها الذين احتكوا مع تيمورلنك حسن الجوري[7] وخواجة علي المؤيد السبزواري (766–788هـ/1364–1386)[8].

---

(1) هولاكو: ابن تولوي الابن الرابع لجنكيزخان وأصغر أبنائه الأربعة. كان يلقب صاحب قران وكان من نسله الملوك المغول في إيران منهم غازان خان توفي هولاكو في مدينة مراغه بأذربيجان سنة 663هـ/1265م. الهمذاني: جامع التواريخ، نقله إلى العربية فؤاد الصياد، ص 160–161–162.

(2) خواندمير: حبيب السير، ج3، ص79.

(3) إقبال: تاريخ المغول، ترجمة عبد الوهاب علوب، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ص 362.

(4) إقبال: تاريخ إيران، ص 595.

(5) سبزوار: من مدن خراسان غير بعيدة عن نيسابور ؛ أبو الفداء: تقويم البلدان، ص 442.

(6) إقبال: تاريخ المغول، ص 455.

(7) ابن عربشاه: عجائب المقدور ، ص 29.

(8) إقبال: تاريخ المغول، ص465.

3 – **آل مظفـــر:** وهم حكام كرمان[1] ويزد[2] وأصفهان[3]حكموا من سنة (723-795هـــ/1323-1393م) وكان من بين حكامها المعاصـــرين لتيمورلنـــك جـــلال الـــدين شـــاه شـــجاع (759-786هـــ/1357-1384م) وجاء من بعده أولاده وأحفاده مجاهد الـــدين زيـــن العابـــدين (786-789هـــ/1384-1387م) وشاه يحيى (789-795هـــ/1387-1393م) وشاه منـــصور (790-795هـــ/1388-1393م)[4].

4 – **آل جلائر:** وهؤلاء حكموا العراق وأذربيجان[5] من سنة (740-814هـــ/1340-1411م) وقد عاصر تيمورلنك منهم السلطان أحمد بن أويس الذي حكم مـــن ســـنة (784-813هـــ/1382-1411م)[6].

لم تكن هذه الكيانات السياسية على وفاق فيما بينها فشابها الاختلاف وســـيطر عليهـــا النـــزاع والصراع المسلح بين حكامها الذين استبدت بكثير منهم الأطماع فيما تحت أيـــدي غيـــرهم فكانـــت الحروب المتلاحقة بينهم نتاج هذه العلاقات العدائية مما أدى آخر الأمر إلى إضعاف قدراتهم وإنهاك قواهم جميعاً فكانت مهمة تيمورلنك في اقتناص هذه الكيانات الواحد بعد الأخر مهمة ســـهلة ويؤكـــد هذا تيمورلنك في مذكراته بالقول:

«لقد كنت أخشى من اجتماع ملوك هذه الأقاليم بالاتفاق مع بعضهم ضدي وهذا يتطلب منـــي استعداداً أكبر لمواجهتهم ولكني صممت في قرارة نفسي أن أقوم بإخضاع كل واحد علـــى حـــدة»[7] وهذا ما تم بالفعل.

---

(1) كِرْمان: ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة ذات قرى ومدن بين فارس ومكران وسجستان وخراســـان وهـــي كثيرة النخل والزرع والمواشي تشبه البصرة في التمور. الحموي: معجم البلدان، م4، ص 454، اليوم تعد إحدى محافظات إيران تقع في جنوبها الشرقي.

(2) يَزْدُ: مدينة متوسطة بين نيسابور وشيراز وأصبهان. الحموي: معجم البلدان، م5، ص 435.

(3) أصبَهان: مدينة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها، وهي: اسم للإقليم بأسره. الحمـــوي: معجـــم البلـــدان، م1، ص206.

(4) إقبال: تاريخ المغول، ص 430-432.

(5) أذربيجان: فتحت أيام الخليفة عمر بن الخطاب وهي اليوم دولة في وسط آسيا وتقع في الجزء الشرقي لمنطقـــة ما وراء جبال القوقاز.

(6) إقبال: تاريخ المغول، ص 444-454.

(7) مذكرات تيمور مدبر العالم، ص41.

2 – زحف القوات التيمورية على خراسان (782–786هـ/1280–1284م):

أسباب الزحف التيموري:

ما أن أنهى تيمورلنك سيطرته على بلاد الجتة وخوارزم خلال العشر سنوات الأولى من حكمه حتى توجه إلى خراسان ببلاد فارس(1). وكان يرى نفسه الوريث الوحيد للجغتائيين أحفاد جنكيز خان حتى إنه تقمص شخصيته، وسعى جادا لتحقيق طموحاته التوسعية فكانت حملاته مستمرة ليكون الحاكم الأوحد من خلال سيطرته على العالم.

من الطبيعي بالنسبة لتيمورلنك أن يتوجه نحو بلاد فارس والعراق والشام وجزء من الهند لأنها كانت مناطق حضارية إضافة لموقعها الاستراتيجي الذي يمكن أن يعود عليه بالكثير من الخيرات إن هو استولى عليها(2). حينها كانت بلاد خراسان ممزقة سيطر على كل ولاية فيها طائفة من الطوائف مستقلة عن الأخرى. لكنها في نزاع وصراع فيما بينهما فاستغل تيمورلنك تلك الفوضى والاضطراب ورأى أن من مصلحته السيطرة عليها ومدعياً أن من واجبه تخليص الناس من حكامهم المستبدين(3) كمسوغ لغزوه لاسيما أن بعض الروايات يُرجع سبب حملاته على خراسان إلى نصيحة أسداها له الأمير علي بن أرغون قرباني(4) حيث طلب منه التوجه إليها. والسيطرة على هراة، لغناها بسبب موقعها كمحطة مهمة لطرق القوافل التجارية القادمة من الهند وخوارزم وجهات البحر المتوسط فضلاً عن إنتاجها للمنسوجات والحرير والصناعات الحرفية الأخرى(5). كما أدرك في الوقت نفسه ما كانت تعانيه من ضعف سياسي فحاول إخضاعها سلمياً إذ أرسل سفارة إلى ملكها غياث الدين بير علي لكي يحضر إلى ما وراء النهر ليشارك في القورلتاي الذي سيعقد هناك. فاعتذر أمير هراة عن الحضور وقام بتحصين المدينة وضواحيها خشية من هجوم تيمورلنك عليه، لذا اعتبر تيمورلنك عدم حضوره خروجاً عن طاعته(6) واتخذه ذريعة للهجوم على خراسان.

---

(1) الشامي: ظفرنامة، ص 81.

(2) Cahn; Formtion territora'le de L'Asie, Timour et le second Empire Mongol (Histoire, Paris, tom III) 1931, P950. يو – يكوبوفسكي: تيمورلنك، ص 125.

(3) تيمور: منكرات تيمور مدبر العلم، ص 49.

(4) كان تيمورلنك قد عفا عن جرائم علي بيك بن أرغون شاه واستشاره في أمر التوجه إلى هراة فحسن له ذلك. يزدي: ظفرنامه، ج1، ص 223–224.

(5) حافظ آبرو: بنج رسالة تاريخي، ص 59.

(6) الشامي: ظفرنامه، ص 82.

3 – حملة تيمورلنك وابنه ميرانشاه الأولى سنة (782هـ/1380م):

انتهز تيمورلنك الأحوال المضطربة في خراسان لا سيما بعد أن وصلته معلومات عن أن «الملك غياث الدين متورط بالظلم ومشغول بالجور»[1] فأرسل حملة تأديبية يقودها ثالث أبنائه ميرانشاه الذي كان في حوالي الخامسة عشرة من العمر[2] أمضى ميرانشاه الخريف والشتاء في منطقة بلخ ولما أخذ يتقدم على رأس حملته نحو هراة قرر تيمورلنك القدوم بنفسه إلى خراسان وتعد المرة الأولى التي يأتي بها إلى هذه البلاد بعد تنصيبه حاكماً على ما وراء النهر وزحف بصحبة ابنه ميرانشاه على رأس جيش كبير وما إن وصل مرو[3] حتى قدم إليه الملك معز الدين محمد [4] حاكم سرخس ودخل في طاعته فحظي بكرم تيمورلنك. وقد علل تيمورلنك قدومه بنفسه إلى خراسان لزيادة غرور غياث الدين الذي تجاسر وأغار على مدينة نيسابور[5] التي كانت تحت حكم السربداريين[6] وهم الأسرة التي كانت تحكم سبزوار وكانت علاقة تيمور بها حتى حينها حسنة.

حرص تيمورلنك في خطته العسكرية قبل الهجوم على هراة على الاستيلاء على المناطق المجاورة لها وهدفه من وراء ذلك فصل حاكم كوسيه[7] بهلوان مهدي الذي سعى إليه وقدم الطاعة والولاء فاستقبله تيمورلنك استقبالاً حسناً[8].

ثم واصل تيمورلنك زحفه وتمكن من الانتصار على القوات التابعة للملك غياث الدين في نيسابور ثم اتجه بعدها نحو قلعة فوشنج[9] وبعد أن حاصرها أسبوعاً أفلح جنده في عبور الخندق واقتحام الحصن والاستيلاء عليه[10].

وبعد مقاومة باسلة قام بها غياث الدين علي في الدفاع عن المدينة[1] إلا أن سكان مدينته من التجار والحرفيين الذين حاول تجنيدهم آثروا الخضوع خوفاً على أموالهم وقصورهم الواقعة

---

(1) تيمور: مذكرات تيمور، مدبر العالم، ص39.

(2) الشامي: ظفرنامة، ص 81 ؛ يزدي: ظفرنامة، ج1، ص225.

(3) مرو: مدينة قريبة من مرو الشاهجان بينهما خمسة أيام. ؛ الحموي: معجم البلدان، م5، ص112.

(4) معز الدين محمد هو شقيق غياث الدين علي حاكم هراة كانت العلاقة بينهما جيدة ثم ساءت وقامت المنازعات – خواندامير: حبيب السير، ج3، ص79.

(5) نيسابور: مدينة مهمة وتعد معدن الفضلاء ومنبع العلماء. الحموي: معجم البلدان، م5، ص 330.

(6) Grousset; The Empire of steppes. p. 427.

(7) كوسيه: تقع بالغرب من نهر هراة وهي نحو ثلث مدينة بوشنج. لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص397.

(8) يزدي: ظفرنامة، ج1، ص229. ؛ خواندامير: حبيب السير، ج3، ص 23.

(9) فوشنج: تقع في الجنوب الغربي من هراة وعلى مقربة منها. وهي غوريان الحالية. يزدي: ظفرنامه ، ج1، ص 232. ؛ إقبال: تاريخ إيران، ص596.

(10) يزدي: ظفرنامه ، ج1، ص 235–236. ؛ خواندمير: حبيب السير، ج3، ص23.

خارج المدينة من النهب والتدمير ولاسيما أن تيمورلنك أعلن: «أن من يجلس في داره ولا يشترك في القتال فهو آمن على نفسه وكل من يفعل خلاف ذلك فهو مسؤول عن كل ما يصيبه»[2] فاضطر غياث الدين إلى طلب الأمان من تيمورلنك كما طلب تأكيد الأمان بالإيمان «فحلف له تيمور أن يحفظ له المعروف القديم وأن لا يراق له دم ولا يمزق له أديم»[3].

ويشير يزدي إلى فرار غياث الدين إلى مدينة مجاورة ولم يلبث تيمورلنك أن قبل اعتذار غياث الدين لسوء تصرفه وأعاده إلى حكم مدينته[4] ويقول تيمور في مذكراته أنه: «لدى وصولي إلى هراة أخذت الملك غياث الدين وهو راقد في غفلته مطمئن إلى أمانه وكان عاجزاً عن فعل أي شيء وقد خرج من مدينة هراة ومثل بحضرتي ومعه خزائنه ودفائنه وثروات مملكته كما قدم أمراء خراسان كل واحد منهم بدوره الخضوع لي والطاعة»[5]، كما خرج المشايخ والعلماء والأكابر وأعيان هراة لملاقاة تيمورلنك وأظهروا له الطاعة والولاء[6].

وبرغم ما تذكره المصادر التيمورية من أن تيمورلنك قد عفا عن سكان هراة لوقوفهم على الحياد خلال الحرب واجتماعه بالأئمة والعلماء فيها وأمره بأن لا تمتد أيدي الجند بأذى إلى السكان إذا ما دفع هؤلاء ما دعاه بأموال الأمان[7] إلا أن هذه المصادر تشير إلى استيلاء تيمورلنك على كميات كبيرة من الأموال والكنوز التي كان ملوك هراة قد كدسوها طوال العهود السابقة وتم نقلها إلى سمرقند[8]. وغدت هراة على أثر ذلك مدينة تشكو الفقر الشديد وفقدت قدراً كبيراً من مكانتها السابقة[9]. كما أمر تيمورلنك بتخريب حصنها وخلع البوابات الحديدية التي كتب عليها ألقاب ملوك آل كرت من أماكنها وحملها إلى

---

(1) الشامي: ظفرنامة، ص 81. ؛ حافظ آبرو: بنج رسالة تاريخي، ص 60-61. ؛ فامبري: تاريخ بخاري، ص 226.

(2) الشامي: ظفر نامه، ص84. ؛ خواندمير: حبيب السير، ج3، ص 23.

(3) ابن عربشاه: عجائب المقدور ، ص27.

(4) يزدي: ظفرنامة، ج1، ص235.

(5) تيمور: مذكرات تيمور مدبر العالم، ص39-40.

(6) حافظ آبرو: بنج رسالة تاريخي، ص65.

(7) مال الأمان: ضريبة كان تيمورلنك يفرضها على المدن التي يفتحها صلحاً لقاء حفظ نفوسهم. حافظ آبرو: زبدة التواريخ، ص 65.

(8) الشامي: ظفرنامة، ص 82-84. ؛ يزدي: ظفرنامة، ج1، ص 235-237. ؛ حافظ آبرو: بنج رسالة تاريخ، ص 65. ؛ الغياثي: التاريخ الغياثي، ص 158. ؛ خواندمير: حبيب السير، ج3، ص23.

(9) شهاب، تيمورلنك، ص 188.

كش[1] ونقل مئتي رجل من العلماء والتجار مع عوائلهم إلى ما وراء النهر[2] إرضـاءاً لغـروره ولكـي يعملوا على رفعة عاصمته.

تحرك بعدها إلى قوهستان[3] ومنها إلى نواحي نيسابور وسبزوار وقد سارع خواجـة علـي مؤيد حاكمها إلى تقديم فروض الطاعة والولاء[4] فأكرمه تيمورلنك وأقره على ولايته فرجع خواجة علي بن المؤيد وضرب النقود باسم تيمورلنك وذكر اسمه في الخطبة[5].

وبعد ذلك توجه تيمورلنك نحو كلات[6] وطوس[7] لتأديب حاكمها علي بك قرباني لكنـه عفـا عنه بسبب اعتذاره وتقديمه فروض الطاعة والولاء[8].

ثم اندفع تيمورلنك اتجاه مدينة اسفرايين[9] التي هي إحدى أكبر إمارات خراسان الغربية والتي حكمت من قبل أميرولي[10] من عاصمته استراباد في مقاطعة مازندران جنوب شـرق قـزوين[11]. ويشير ابن عربشاه إلى أن شاه ولي أو اميرولي قد أرسل إلى الجلائريين حكام أذربيجان والعـراق

---

(1) حافظ آبرو: بنج رسالة تاريخي، ص 65. ؛ خواندمير: حبيـب السـير، ج3، ص23. ؛ يـو – يكوبوفـسكي: تيمورلنك، ص 125.

(2) الشامي: ظفر نامه، ص85.

Unknown: Modern History Acontinuation of the universed History London 1923. Vol. 2. P237.

(3) قوهستان: تعريب كوهستان ومعناها موضع الجبال وتقع بين هراة ونيسابور. عدها البلدانيون العرب من أعمال خراسان وقصبتها قاتن ومدنها تون – وجُنابذ وطبس العنّاب وطبس القمر وطريثيث. ابن حوقل: صورة الأرض، ص 272. ؛ الحموي: معجم البلدان، م4، ص 416. ؛ لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص 392.

(4) الشامي: ظفرنامة، ص 85. ؛ يزدي: ظفرنامة، ج1، ص238. ؛ شيخو: حقيقة تيمورلنك، ج1، ص 259. ؛ إقبال: تاريخ إيران، ص 591.

(5) ابن عربشاه: عجائب المقدور ، ص 31-32.

(6) كلات: قلعة جبلية في طوس قرب مازندران تتبع خراسان. ؛ لسترنج: بلدان الخلافة، ص 437.

(7) طُوس: مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور نحو عشرة فراسخ تشمل على بلدتين الطابران، ونوقـان. الحمـوي: معجم البلدان، م4، ص49.

(8) يزدي: المصدر السالف، ص 237-238. ويذكر تيمور في مذكراته أنه كان على علاقة عدائية قديمة مع علي بيك جون غرباني الذي سجن تيمورلنك بين الأفاعي والهوام لمدة 62 يوماً ثم هرب بعد ذلك، ص 14.

(9) أسفَرايين: بلدة حصينة من نواحي نيسابور على منتصف الطريق من جرجان واسمها القديم مهرجـان سـمّاها بعض الملوك لخضرتها. ؛ البغدادي: مراصد الاطلاع، ج1، ص 73. ؛ الحموي: معجم البلدان، م1، ص 177.

(10) أميرولي ويسميه مؤرخي مغرب العالم الإسلامي بلقب شاه ولي نظراً لمقاومته لتيمورلنك التوسعية وصل إلى الحكم سنة (754هـ/1353م) على إثر مقتل السلطان الإيلخاني طغاي تيمور على يد السربداريين واستطاع بسط نفوذه على بعض مدن خراسان الغربية وهي بسطام، دامغان، سمنان، فيروزكوه واستراباد. ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص 37-38.

(11) الغياثي: التاريخ الغياثي، ص 178.

والمظفريين حكام فارس يطلب إمداده بالمساعدة ليتمكن من إيقاف تقدم تيمورلنك نحو الغرب على إثر الرسالة التي وجهها تيمورلنك إليه يطالبه بالدخول في طاعته، ولكن شاه ولي رفض طلبه ولم يتلق رداً مشجعاً من جيرانه حكام بلاد فارس[1]!، ومما لاشك فيه أن هؤلاء الحكام فوتوا فرصة ذهبية للتعاون مع شاه ولي لكي يكون بوابة وحزاماً آمناً ضد توسعات تيمورلنك التي سوف تكون مصيبة تحل بهم جميعاً كما سنرى.

على كل حال، تمكن تيمورلنك من احتلال اسفرايين وأفلح في انتزاع قلعتها وتدمير برجها وقتل جنده العديد من أهلها وبعد تحقيق هدفه أرسل مبعوثاً إلى شاه ولي يطلبه للمثول بين يديه كي يحيطه بعنايته واهتمامه فأكرم شاه ولي المبعوث ووعده بالحضور وأظهر له الطاعة والانقياد[2].

اكتفى تيمورلنك بما حققه من حملته الأولى واصطحب معه الملك محمد حاكم سرخس وشقيق الملك غياث الدين حاكم هراة الذي أصبح دون سلطان رهينة على ولاء أخيه وبعض العشائر التي أحدثت فتناً وقلاقل. وترك ابنه ميرانشاه في سرخس ليراقب الوضع في خراسان[3].

4 _ الحملة الثانية على خراسان سنة (784هـ/1382م):

أثناء إقامة تيمورلنك في مصيفه على حدود بخارى وصلته الأخبار من قبل حاكم سبزوار خواجة علي مؤيد السربداري بأن هناك مؤامرة تحاك ضده حيث اتفق الأمير شاه ولي حاكم مازندران وعلي بك حاكم كلات بالهجوم على سبزوار رغم قبولهما الطاعة والولاء[4]، كما أن الغنائم التي جناها من مملكة هراة جعلت أمراء ما وراء النهر ينصرفون عن الصراع على السلطة في البلاد، ويتطلعون شوقاً إلى توسعات جديدة في ولايات خراسان وفارس[5]، لذا توجه بقواته سنة (784هـ/1382م) نحو خراسان وانضم إليه غياث الدين حاكم هراة الذي سبق أن دخل في طاعته، فحاصر كلات ووافاه إلى هناك ابنه ميرانشاه من سرخس[6] وكان علي بك قد تحصن مع أهله وسكان ولايته استعداداً لمواجهة تيمورلنك وقتاله، ولما كانت هناك صلة قرابة بينه وبين تيمورلنك، وحفاظاً على هذه الصلة أرسل إلى علي بك لمقابلته حتى لا يتعرض للجزاء لكن علي بك احتمى بالحصن ولم

---

(1) ابن عربشاه: عجائب المقدور ، ص 37.

(2) الشامي: ظفرنامة، ص 85. ؛ يزدي: ظفر نامه، ج1، ص 238-239. ؛ إقبال: تاريخ إيران، ص 596. ؛ شيخو: حقيقة تيمورلنك، ج1، ص 260.

(3) يزدي: ظفرنامة ، ج1، ص 241. ؛ شيخو: حقيقة تيمورلنك، ج1، ص 260.

(4) الشامي: ظفر نامه، ص 87-88. ؛ يزدي: ظفر نامه، ج1، ص243. ؛ إقبال: تاريخ إيران، ص596.

(5) Hookham: Tamburlaine the conqueror (London, Hodder). 1962., p 95.

(6) الشامي: ظفرنامة، ص 88. ؛ حافظ آبرو: بنج رسالة تاريخي، ص 66.

يوافق على لقاء تيمورلنك[1] فتظاهر تيمورلنك بالانسحاب من كلات إلى كرت وخطط للهجوم سراً ولم يفطن علي بك لذلك حيث أمر أهل المدينة بإخراج الأغنام والمواشي من الحصن للمرعى فأغار عليها جند تيمورلنك، ثم اتبعوا ذلك بمحاصرة كلات من جميع الجهات فاضطر علي بك إلى التقرب من تيمورلنك مرة أخرى معلناً ندمه على ما بدر منه، وطلب منه أن يتقدم مع بعض رجاله إلى بوابة المدينة لمقابلته، ويظهر أنه كان يدبر أمراً للغدر بتيمورلنك إلاّ أن هذا التدبير انكشف أمره فلم يخرج لمقابلته[2]، وأقام تيمورلنك في المدينة أربعة عشر يوماً ثم أصدر أوامره بتعمير قلعة قُهْلغة المواجهة لبوابة قلعة كلات وعين الأمير حاجي خليفة والياً عليها وكلفه بمراقبة الطرق المؤدية إلى كلات والسيطرة عليها[3] وتوجه تيمورلنك جنوباً إلى قلعة ترشيز[4] وتمكن من اقتحامها على الرغم مما كان يبديه غياث الدين من شكوك في إمكانية احتلالها بسبب ما كانت تتمتع به من حصانة طبيعية[5] وعين سارق اتكه والياً عليها[6].

ثم توجه نحو مازندران فلما علم واليها شاه ولي أرسل عدداً من أتباعه إلى تيمورلنك ليقدموا إليه الهدايا اعترافاً بطاعتهم له والانضمام إليه فوافق على ذلك وعاد عن طريق سملقان[7] وأمر بمنح رَاذَكان[8] للشيخ علي بهادر. وأصدر أوامره في الطريق لحمل غياث الدين وأسرته وعلي بيك وعشيرته آل جاوني قرباني إلى سمرقند وعمل تيمورلنك عقب وصوله إلى سمرقند على تفريق أسراه حيث أبقى غياث الدين وابنه الكبير بيرمحمد في سمرقند – وكان بير محمد زوجاً لإحدى بنات تيمورلنك وأرسل غوري أصغر أبنائه ومعه عمه الملك محمد إلى ابنه عمر شيخ في أنديجان ونفى علي بك قرباني إلى طشقند[9] وقد حقق تيمورلنك من حملته الثانية أخماد المؤامرة وتعيين بعض عماله على بعض الولايات ومنها هراة.

---

(1) يزدي: ظفرنامة، ج1، ص 250-251.

(2) يزدي: المصدر السالف، ج1، ص 250-251. ؛ حافظ آبرو: بنج رسالة تاريخي، ص 66.

(3) يزدي: المصدر السالف، ج1، ص251، - بازوكي: تاريخ إيران، ص 197.

(4) تُرشيز: ناحية من أعمال نيسابور. وتسمى أيضاً طرثيث. ؛ البغدادي: مراصد الاطلاع، ج2، ص 884. ؛ الحموي: معجم البلدان، م2، ص 22.

(5) الشامي: ظفرنامة: ص 88. ؛ يزدي: ظفر نامه، ج1، ص 254.

(6) حافظ آبرو: بنج رسالة تاريخي، ص 67.

(7) سملقان: تقع بالقرب من جاجرم من أعمال نيسابور. ؛ لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص 433.

(8) رَاذَ كان: قرية من قرى طوس. ؛ الحموي: معجم البلدان، ج3، ص13.

(9) يزدي: ظفرنامة، ج1، ص257-258. ؛ خواندمير: حبيب السير، ج3، ص24. ؛ إقبال: تاريخ إيران، ص 596.

5 – الحملة التيمورية الثالثة على خراسان سنة (785هـ/1383م):

يذكر المؤرخون أن سبب توجه الحملة الثالثة في سنة (785هـ/1383م) نحو خراسان اندلاع الثورات في هراة وسبزوار وسجستان ولاسيما في هراة على نواب تيمورلنك وكان على رأس هؤلاء أولاد الملك فخر الدين الملك محمد والأمير مغلب أبناء عمومه الملك غياث الدين بير علي[1].

كان تيمورلنك عقب احتلال هراة قد عين الملك محمد على غور[2] لكنه تمرد مع جماعة من الغوريين والأهالي وقبضوا على الولاة والمحصلين التيموريين فعمت الفوضى والنهب والسلب في المدينة في الوقت الذي ملت فيه أميركة حاكم هراة من قبل تيمور[3].

وإزاء تلك الأحداث بعث تيمورلنك ابنه ميرانشاه الذي كان معسكراً عند شاطيء نهر مرغاب بقوة كبيرة للقضاء على هذه الثورة فانتقم من الثوار والأهالي وعمل التيموريون الذبح في الهراتيين وأقاموا من جماجمهم منارة حيث قيل إن عدد القتلى بلغ ألفين ليكونوا عبرة لغيرهم لمن توسوس له نفسه بالثورة[4]، وأمر تيمورلنك بقتل الملك غياث الدين بيرعلي وأخيه ملك محمد وبقية أفراد أسرتهم[5]، ويقال إن سبب قتلهم يرجع إلى تأكد تيمورلنك من أنهم هم الذين خططوا لتلك المؤامرة[6] وبذلك انتهى عصر حكم تلك الأسرة التي امتدت أكثر من مائة وثلاثين سنة. وربما كان تيمورلنك يريد التخلص من هذه الأسرة نهائياً حتى لا يصبح من يطالب الحكم.

بعد ذلك توجه تيمورلنك في (785هـ/1383م) إلى سندمار وسيستان للقضاء على تمرد أهلها فتلقاه جاكو[7] وقدم له فروض الطاعة والاحترام[8] فاستولى على قلعة سبزوار وأوقع السيف في

---

(1) الشامي: ظفرنامة، ص86. ؛ يزدي: ظفرنامة، ج1، ص258. ؛ إقبال: تاريخ إيران، ص 596.

(2) غُورُ: ولاية بين هراة وغزنة وهي باردة واسعة موحشة وأكبر ما فيها قلعة يقال لها فيروزكوة ، الحموي: معجم البلدان، م4، ص 218.

(3) يزدي: ظفرنامه، ج1، ص256.

(4) يزدي: المصدر السالف، ج1، ص 262-263. ؛ إقبال: تاريخ إيران، ص 596.

Grousset; The Empire of the steppes, p. 427.

(5) يزدي: ظفرنامه، ج1، ص259. ؛ إقبال: تاريخ إيران، ص 596.

(6) Grousset: op. cit. p 428.

(7) لم أجد له ترجمة في المصادر.

(8) يزدي: ظفرنامة، ج1، ص262.

أهلها وعمد إلى تكديس ألفين من الأسرى الأحياء فوق بعضهم ووضع بينهم الطين والآجر وأقام من هذا الخليط أبراجاً بعدما هدم قلعتها[1].

وتوجه تيمورلنك بعد احتلال سبزوار إلى سجستان[2] حيث قابله مجموعة كبيرة من كبار رجالها وأخبروه أن شاه قطب حاكمها يرغب في الصلح وأنه مستعد لدفع الخراج الذي يقرره[3] وخلال المباحثات خرجت أعداد كبيرة لمحاربة تيمورلنك لكن الجيش التيموري تمكن من اجتياح المنطقة وجرت المعركة الرئيسية حول زرنج عاصمة البلاد وقد أسهم تيمورلنك بنفسه في عمليات اقتحام المدينة وصنع التيموريون أبراجاً خشبية عالية وقفزوا منها على أسوار المدينة ولما تمكنوا من زرنج قتلوا السكان دون تفريق، بحسب قول يزدي بين نساء ورجال أو بين صغار وكبار ونقل حاكم المدينة قطب الدين أسيراً إلى سمرقند وكان ذلك في شوال سنة (785هـ/ كانون الثاني 1383م)[4] ويؤكد ابن عربشاه هذه المذبحة: «لما تقدم أهل سجستان يطلبون الصلح والصلاح أجابهم تيمورلنك على ذلك على أن يمدوه بالسلاح فأخرجوا إليه ما عندهم وحلفهم الإيمان أن مدينتهم غدت من السلاح فارغة فلما تحقق من ذلك وضع السيف فيهم وأبادهم عن بكرة أبيهم وضرب المدينة فلم يبق بها شجر ولا مدر ومحاها فلم يبق فيها عين ولا أثر»[5]. ويشير إلى أن سبب انتقام تيمورلنك من أهل سجستان بهذه الوحشية أنه قد أصيب فيها سابقاً[6]. وأصبحت لديه عاهة، وبعد أن أتم تيمورلنك إخضاع سجستان نصب شاه شاهان[7] أميراً عليها[8].

والواقع أن ما ارتكبته القوات التيمورية في سجستان كان قطيعاً ومدمراً حيث أمر بإحراق المزارع وتدمير مساحات كبيرة من المدينة وقد أكد بعض المؤرخين الأوربيين[9] تلك الأعمال.

---

(1) يزدي: المصدر السالف: ج1، ص262-263. ؛ خواندامير: حبيب السير، ج3، ص25. ؛ بازوكي: تاريخ ايران، ص 198.

(2) سستان: هي سجستان عاصمتها زرنج تقع جنوب هراة على مسافة عشرة أيام. الحموي: معجم البلدان، ج3، ص190. ؛ ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص29. ؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص 314، وسجستان حالياً هي إقليم مقسّم حالياً بين إيران وأفغانستان.

(3) يزدي: ظفر نامه، ج1، ص264. ؛ خواندمير: حبيب السير، ج3، ص25.

(4) الشامي: ظفرنامة، ص 91-93. ؛ يزدي: ظفرنامة، ج1، ص267-269. ؛ يو -يكوفسكي: تيمورلنك، ص 93.

(5) عجائب المقدور، ص49.

(6) ابن عربشاه: عجائب المقدور ، ص29.

(7) شاه شاهان: أحد أمراء سجستان خضع لتيمورلنك قبل زحفه على سجستان وشاركه في عملية اجتياحها. الغياثي: التاريخ الغياثي، ص 159.

(8) الشامي: المصدر السالف، ص 92.

(9) لقد وصف (Sykes) الذي زار سجستان الدمار والتخريب الذي حل بها من جراء الهجوم التيموري المدمر والتي لايزال بعضها باقية إلى اليوم. وأكد هذا Grousset أن بعثه للتنقيب الأثري

وبعد أن تم لتيمورلنك ما أراد توغل إلى بست[1] وتمكن في الطريق إليها من الاستيلاء على طاق[2] وقلعتها وبقية المدن الأخرى المجاورة حتى بلغ حدود جبال سليمان[3] في الجنوب وبذلك يكون سيطر على كل منطقتي سجستان وزابلستان[4] بكاملها[5] ثم توجه إلى قندهار وسيطر عليها وقتل حاكمها وأخذ منها عشرة آلاف فارس وألحقهم بجيشه ثم قفل عائداً إلى سمرقند[6].

6 – الحملة الرابعة على خراسان سنة (786-787هـ/1384-1385م)

استطاع تيمورلنك خلال حملاته الثلاث السابقة أن يقضي على كل حركات التمرد والعصيان وإرغام حكام المنطقة السابقين بإعلان الولاء والطاعة. ولم يبق من هؤلاء الحكام القدامى إلا شاه ولي حاكم مازندران الذي اضطر إلى إعلان ولائه لتيمورلنك وأرسل إليه الأموال والهدايا في سنة (784هـ/1382م) ثم أكد تبعيته في السنة الثانية ليخلص بلاده من الدمار والخراب[7] إلا أنه في الوقت نفسه كان يتحين الفرص للتحرر من هذه التبعية. فقام بمحاولة جادة لتكوين جبهة موحدة لمواجهة الخطر التيموري[8] وكان تيمورلنك لا يرتاح إلى إخلاصه ولا يطمئن إليه بسبب تقلبه

زارت سجستان سنة 1936م وعثرت على مدينة قديمة هي زرنج مخربة ومغطاة بتلال من الرمال وآثار التخريب ما زالت باقية إلى الآن حول القريتين الحديثتين: زاهدان وشهرستان.

Sykes; History of perasia. p. 124.

Grousset; The Empire of the steppes. p 428.

(1) بُست: مدينة بين سجستان وغزنين وهراة وتُعد من أعمال كابل. الحموي: معجم البلدان، م1، ص414.

(2) طاق: مدينة تقع على مرحلة من زرنج العاصمة لسجستان وهي مدينة صغيرة ، لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص382.

(3) لم أجد لها تعريف في المصادر.

(4) زابلستان: مقاطعة تقع جنوب بلخ وطخارستان قصبتها غزنة. ؛ الحموي: معجم البلدان، م3، ص125.

(5) الشامي: ظفر نامه، ص93-94. ؛ يزدي: ظفر نامه، ج1، ص270-274.

(6) الشامي: ظفرنامة، ص94. ؛ نطنزي: منتخب التواريخ، تحقيق جين أوبن، طهران، مكتبة الخيام، 1957م، ص 324. ؛ يزدي: ظفرنامة، ج1، ص275.

(7) الشامي: ظفرنامة، ص 94.

(8) ابن عربشاه: عجائب المقدور في نوائب تيمور، ص37-38 وهو يذكر مراسلته إلى شاه شجاع حاكم فارس وكرمان وإلى أحمد بن أويس حاكم العراق وأذربيجان طالباً منهم التعاون معاً ضد خطر تيمورلنك فكان ردهما سلبياً للغاية فلما علم منهم شاه ولي قال: «أما أنا فوالله لأوافقنه بعزم صادق ونفس مطمئنة فلئن ظفرت به لأنددن بكما في الأمصار ولأجعلنكما عبرة لأولي الأبصار وإن ظفر بي فلا علي ما يصل إليكما فلينزعن القضاء الطام والبلاء العام عليكما».

المستمر. فبعد أن أمضى ثلاثة أشهر في عاصمته سمرقند توجه من جديد نحو خراسان سنة 786هـ/1384م وعقد النية على أن تكون مازندران هي بغيته في تلك الجولة[1] وتقدم تيمورلنك إلى نهر مرغاب ومنها إلى سرخس وباورد[2] وعاد شرقاً إلى نسا باتجاه الأملاك الشرقية لشاه ولي، وهناك علم أن قائد قلعة دورون[3] من قبل شاه ولي أحكم حمايته للقلعة وتحصن بها مع رجاله[4] وبالقرب من القلعة تلاقت القوتان ونشب بين الجيشين معركة حاميه تغلب فيها جيش تيمورلنك وتمت السيطرة على القلعة وأمر تيمورلنك بقتل المدافعين عنها[5] واضطر شاه ولي التراجع بعد مقتل عدد كبير من جنده وتعقب تيمورلنك خصمه حتى عبر نهر جورجان – الذي يصب في جنوب شرق بحر الخزر – وعسكر بجيشه عند شاسمان[6] حيث أمر بإقامة الجسور ليعبر عليها جنده ودارت حينها معركة ثانية استمرت عشرين يوماً انتهت لصالح تيمورلنك واضطر شاه ولي إلى الانسحاب ولم تتمكن القوات التيمورية من القبض عليه[7].

ولم يلبث أن تمكن شاه ولي من لم شمل رجاله من جديد وتقدم بغارة ليلية مفاجئة للجناح الأيمن للقوات التيمورية التي كانت تحت قيادة ميرانشاه ووقعت أعداد كبيرة من قوات شاه ولي في شرك القوات التيمورية التي كانت قد أخذت حذرها من أي هجوم مفاجئ فقامت بحفر الخنادق فأصاب الضعف والوهن بقية الجنود واضطر شاه ولي إلى الانسحاب وتمكن تيمورلنك من التقدم نحو استراباد حاضرة مازندران فاحتلها وأمر جنده بقتل من فيها ثم أمر بحرق المدينة فهرب شاه ولي إلى الري[8] ومنها إلى تبريز[9]. وبعد أن أخضع تيمورلنك مازندران عين عليها لقمان بادشاه ابن جغاي تيمور[10] وأنهى حملته بالتوجه إلى الري لملاحقة أحمد بن أويس إلى منطقة السلطانية[1]

---

(1) يزدي: ظفرنامة، ج1، ص276. ؛ خونتمير: حبيب السير، ج3، ص26. ؛ البدليسي: شرفنامة، ترجمة محمد هاني، دار الزمان، ج2، ص59.

(2) باوَرْد: وتعرف بأبيورد: بلد بخراسان بين سرخس ونسا. ؛ لسترنج؛ بلدان الخلافة الشرقية، ص 436.

(3) قلعة دورون: تقع في منتصف الطريق بين مدينتي عشق آباد وقزيل أرقات الحاليتين شرقي خراسان: ؛ شهاب: تيمورلنك، ص191. ؛ دائرة المعارف الإسلامية، م9، ص 384.

(4) يزدي: ظفرنامة ، ج1، ص281.

(5) يزدي: المصدر السالف، ج1، ص281-282. ؛ خواندمير: حبيب السير، ج3، ص26.

(6) شاسمان: تقع جنوب نهر جرجان. لسترنج، بلدان الخلافة، ص 419.

(7) الشامي، ظفرنامة، ص 95-97. ؛ إقبال: تاريخ إيران، ص 597.

(8) الري: مدينة عظيمة ببلاد الجبال اسمها القديم راغة وحالياً تبعد مسافة 5كم من طهران. ؛ شيخو: حقيقة تيمورلنك، ج1، ص 259.

(9) تبريز: مدينة محصنة ذات أسوار محكمة وهي قصبة أذربيجان وبها عدة أنهار وبساتين. الحموي: معجم البلدان، م2، ص13. ؛ القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص 339.

(10) حافظ آبرو: زبدة التواريخ، ص 54. ؛ يزدي: ظفرنامة، ج1، ص 274.

السلطانية[1] فاضطر أحمد بن أويس إلى ترك السلطانية والتوجه إلى تبريز سنة (787هـ/1385م)[2] حيث وصل إليها شاه ولي. وبلغت تيمورلنك وهو في السلطانية أنباء وفاة شاه شجاع المظفري حاكم شيزار وحلول ابنه زين العابدين بمحله في حكم المدينة. وقد أرسل الحاكم الجديد يعلم تيمورلنك باستمراره على الولاء والطاعة. لذلك قفل تيمورلنك عائداً بعد الإطاحة بحكام استمدار واستولى على آمل[3] وساري[4] وبقية ولايات مازندران[5] مكتفياً بهذا القدر من الانتصارات حيث سيطر على كل الأراضي المترامية الأطراف التي تمثلها فارس الشرقية.

ونستطيع أن نعزو أسباب سقوط الدويلات الخراسانية بهذه الطريقة وانتصار تيمورلنك إلى العوامل التالية:-

1- تفكك الدويلات الخراسانية ولاسيما إبان عهد استلام تيمورلنك للسلطة في ما وراء النهر.
2- ضعف حكام وأمراء ولايات خراسان وانشغالهم بالتنازع فيما بينهم وعدم تقديرهم للخطر التيموري.
3- عدم تماسك الجبهة الداخلية في الولايات الخراسانية حيث كانوا ينخدعون للدعوات التي يطلقها لهم تيمورلنك.
4- الموقف السلبي من الحكام المظفريين في فارس والجلائريين في العراق من النداء الذي أطلقه لهم شاه ولي حاكم مازندران للوقوف صفاً واحداً أمام الخطر التيموري.
5- رغبة تيمورلنك الجادة في توحيد آسيا الوسطى تحت حكومة قوية والاستغلال الجيد لحالة التفكك والانقسام بين حكام دويلات خراسان حيث استخدم الأسلوب السياسي والقوة العسكرية. فالذي يعلن ولاءه وطاعته يتركه على دولته والذي يعلن تمرده وعدم ولائه يستخدم القوة العسكرية وينهي حكمه ويعين والياً من قبله بعد تدمير ولايته.

---

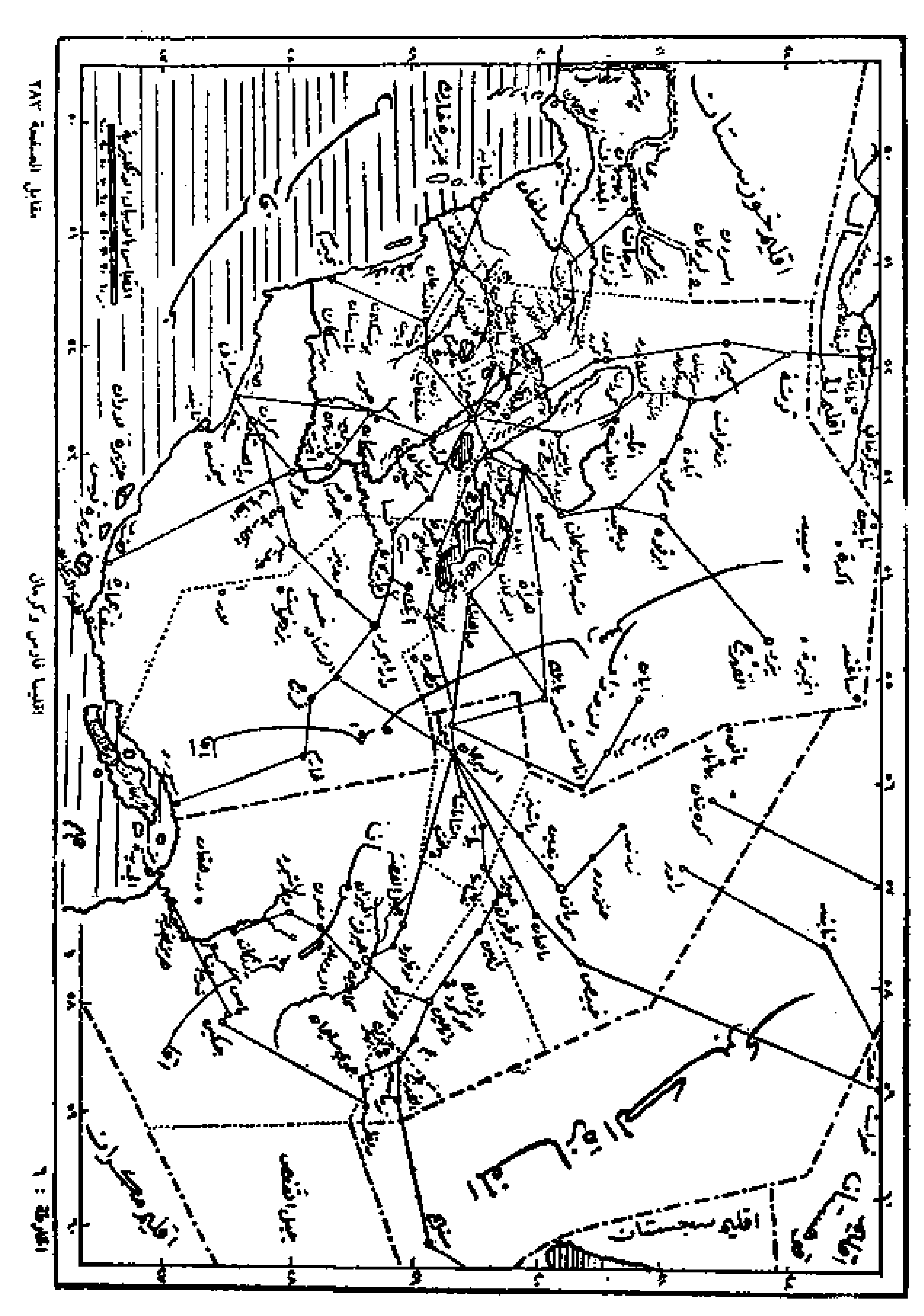
(1) السلطانية: إحدى عواصم الدولة الإيلخانية السابقة وكانت أثناء توسعات تيمورلنك تحت حكم الدولة الجلائرية وهي مدينة أثرية تقع في نصف الطريق بين أبهر وزنجان وقد أنشأها أرغون خان وأتمها الجايتو في سنة 704هـ/1305م. ؛ شيخو: حقيقة تيمورلنك، ج1، ص354.

(2) يزدي: ظفرنامة، ج1، ص 283-284.

(3) آمل: تُعد أكبر مدينة بطبرستان. ؛ البغدادي: مراصد الاطلاع، ج1، ص6.

(4) ساري: وتسمى سارية وهي قصبة طبرستان وتقع إلى الشرق من آمل. ؛ لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص411.

(5) الشامي: ظفرنامة، ص95-97. ؛ حافظ آبرو: زبدة التواريخ، ص 54. ؛ يزدي: ظفرنامة، ج1، ص ص254-286. ؛ خواندامير: حبيب السير، ج3، ص26.



كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص283.

7 – الأوضاع السياسية في اصفهان وكرمان قبيل غزو تيمورلنك:

حكم آل مظفر[1] بلاد فارس وكرمان من سنة (723 – 795هـ/1323 – 1393م) ويعود لمبارز الدين محمد بن المظفر أحد أحفاد غياث الدين حاجي خراساني[2] الفضل الأكبر في تشييد دعائم حكم هذه الدولة التي عرفت باسم والده مظفر. وتشير المصادر أنه حدث بين مبارز الدين وأبنائه[3] بعض الخلافات هدد خلالها الوالد أبناءه بالقتل. وقد دفع ذلك إلى حقد أبناءه عليه واتفق شاه شجاع وشاه محمود مع ابن أخته شاه سلطان[4] على الخلاص منه وتحقق لهم ما أرادوا فحبسوه في قلعة طبرك[5] ثم أمر شاه شجاع، بسمل عيني أبيه[6] وإرساله إلى قلعة سفيد[7] حيث مرض وتوفي سنة 765 – 1363م[8].

تولى الحكم شاه شجاع (760 – 786هـ/1358 – 1384م) فعين أخيه شاه محمود حاكماً على أبرقوه[9] وأصفهان وقم[10] وقاشان[11] ومنح أخيه سلطان أحمد حكم كرمان وأمر بسجن شاه يحيى في

---

(1) يذكر المؤرخون أن أصل هذه الأسرة يعود إلى أمير خراساني اسمه حاجي غياث الدين خراساني. انتقل من موطنه أثناء غزو جنكيز خان على خراسان واستقر في يزد وكان له ابن يسمى منصور خلف ثلاثة أبناء علي ومحمد والمظفر ولم يخلف علي ذريه أما محمد والمظفر فكان لهما ذرية كان منها سائر حكام آل مظفر. الغياثي: التاريخ الغياثي، ص147 – 148. عباس إقبال: تاريخ المغول، ص406.

(2) مبارز الدين محمد بن المظفر (718 – 765هـ) من سكان خواف إحدى قرى خراسان عهد أولجايتو إلى مبارز الدين محمد حكم ميبد وتولى قيادة إقليم فارس العسكرية توفي 765هـ/1363م. ؛ إقبال: تاريخ المغول، ص407 – 408.

(3) أبناء مبارز الدين، وهم شاه شجاع، شاه محمود، وشاه أحمد، وشاه مظفر، وأبو يزيد. ؛ ابن عربشاه: عجائب المقدور في نوائب تيمور، ص34.

(4) شاه سلطان هو ابن أخت مبارز الدين محمد وكان ناقماً على خاله. الغياثي: التاريخ الغياثي، ص149.

(5) طبرك: قلعة على رأس جبل بمدينة الري.

لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص240.

(6) ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص35. ؛ الغياثي: التاريخ الغياثي، ص149. ؛ شيخو: حقيقة تيمورلنك، ج1، ص331.

(7) قلعة سفيد تعرف باسم القلعة البيضاء وهي قلعة حصينة من أعمال شيراز. إقبال: تاريخ المغول، ص416.

(8) شيخو: حقيقة تيمورلنك، ج1، ص331. ؛ إقبال: تاريخ المغول، ص416.

(9) أبرقوه: بلدة مشهورة بأرض فارس من كورة اصطخر قرب يزد. ؛ البغدادي: مراصد الإطلاع، ج1، ص14.

(10) قُمُ: مدينة تقع قرب قاشان وأصفهان . الحموي: معجم البلدان، م4، ص397.

(11) قاشان: مدينة بين قم وأصبهان، القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص432.

شيراز[1] وقد استغل حكام فارس بلادهم الغنية أسوأ استغلال وانصرفوا إلى أهوائهم ومصالحهم الشخصية وكأن الإسلام والإيمان لم يدخل قلوبهم دون تقدير لصالح المسلمين وانقسمت البلاد إلى فرق وجماعات وساءت الحالة ودبت الفوضى السياسية والعسكرية، كما انهارت القيم الإسلامية في الحياة الدينية وكذلك انصرف أصحاب الثروات إلى المجون واللهو[2]، كما حدث صراع بين الأب وأبنائه وبين الأخ وأخيه حيث كانت العلاقة بين شاه شجاع وشاه محمود سيئة للغاية فقد اشتد الصراع بينهما حول ضم بعض المناطق لكل منهما وعصا شاه محمود أخاه وأعلن تمرده عليه وانفصاله عنه وتوجه لمحاصرة يزد سنة (765هـ/1363م) فاستولى عليها وأسقط اسم أخيه من الخطبة[3].

ونشبت معارك عنيفة ساعد خلالها شاه سلطان شاه شجاع وتمكنت قوات شاه محمود من هزيمة شاه سلطان والقبض عليه وكان سبب سمل أبيه مبارز الدين فلقى منه نفس المصير[4].

ثم حدث الصلح بين الأخوين على أن يظل شاه محمود حاكماً على أصفهان كما كان وأن تجري الخطبة باسم شاه شجاع لكن محمود لم يكن راضياً بذلك واستعد لمهاجمة أخيه مرة أخرى لذلك قام بمكاتبة السلطان أويس الجلائري حاكم بغداد وأذربيجان يحذره من أخيه في ضم تبريز إليه وعزز مكاتبته بطلب الزواج من ابنته[5]، وقد رحب أويس بذلك وأمده بقوة لمساعدته كما انضم إليه عدد من الأمراء الثائرين من قم وقاشان وساوة فقويت مكانته وخرج الجميع من أصفهان لإزالة حكم شاه شجاع. ولم تتوقف الحروب بين الأخوين حتى تمكن شاه شجاع فيما بعد من الاستيلاء على كرمان وشيراز وأرغم محموداً على الفرار إلى أصفهان وحينها توفي شاه محمود سنة (776هـ/1374م)[6]. وأصبح شاه شجاع الحاكم الفعلي لكل المظفريين.

---

(1) شاه يحيى بن شاه مظفر ولد سنة (744هـ/1343م) منح ولاية يزد وقتل مع آل المظفر. الغياثي: تاريخ الغياثي، ص154. الحاشية.

(2) شيخو: حقيقة تيمورلنك، ج1، ص326.

(3) البدليسي: شرفنامه، ترجمة محمد عوني، ج2، ص52. ؛ إقبال: تاريخ المغول، ص418.

(4) إقبال: تاريخ إيران، ص535.

(5) يذكر البدليسي: في سنة (770هـ/1369م) أراد شاه شجاع أن يصاهر أسرة السلطان أويس فيتزوج من إحدى بناتها ليؤدي ذلك إلى انقطاع أسباب الخلاف والفتنة وزوال ما يحمل السلطان أويس على مساعدة أخيه الشاه محمود بين آن وآخر فاختار من رجاله الأمير اختيار الدين حسن قورجي وبعث به إلى ناحية أذربيجان متجهزاً بكل ما يلزم للقيام بمثل هذه المهمة الدقيقة، ولما وصل نبأ هذا الأمر الجلل إلى مسامع الشاه محمود بادر بتكليف وزيره الخواجه تاج الدين وكان هذا واسع الحيلة كثير المكر والدهاء بالذهاب إلى بلاط السلطان والعمل على طلب يد بنت السلطان إليه مهما كانت الظروف فاجتمع الرسولان الخاطبان للأخوين في بلاط السلطان في آن واحد وحدث نقاش كثير. وبعد قول الوزير العبد وما في يده لسيده فقد أجاب السلطان طلب شاه محمود. ص53.

(6) الغياثي: التاريخ الغياثي، ص153. إقبال: تاريخ المغول، ص423. ؛ العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، ج2، ص188.

ولم تكن علاقاته مع الجلائريين على ما يرام حيث قام شاه شجاع سـنة (777هـ/1375م) بمهاجمة أذربيجان بقصد مقاتلة السلطان حسين بن أويس وحدث أن تلاقى الطرفـان فـي أطـراف همذان ودار بينهما قتال مرير أسفر عن انكسار حسين بن أويس ولاذ بالفرار وتوجـه إلـى تبريـز وسيطر عليها وبعد أن أمضى شاه شجاع أربعة أشهر في تبريز جاءه الخبر أن الـشاه يحيـى فـي شيراز قد رفع علم الثورة عالياً فبادر بالتوجه إلى شيراز وتمكن حسين بن أويس من الاستيلاء على تبريز مرة أخرى[1].

وفي سنة (781هـ/1379م) قصد سارو عادل آغا[2] حاكم سلطانية من قبل الجلائريين إلـى مهاجمة آل المظفر فخرج إليه شاه شجاع وهزمه ثم عفا عنه وأعاده إلى حكمها[3].

ولما تولى السلطان أحمد بن أويس سنة (784هـ/1382م) حكم الجلائريين تمرد عليه أخـوه أبو يزيد وسارو عادل آغا وطلب المساعدة من شاه شجاع فرحب بذلك لرغبته في ضـم أذربيجـان إلى حكمه ولما علم السلطان أحمد بن أويس بذلك أرسل إليه طالباً وده ومهادنته فوفق شـاه شـجاع بين الأخوين[4].

وقد استمر شاه شجاع طوال حكمه في صد العصاة والمتمردين حتـى وافتـه المنيـة سـنة (786هـ/1384م) بعد أن قسم ممالكه بين أبنائه وأقاربه حيث عين ابنه زين العابدين حاكماً علـى شيراز وولاية العهد من بعده وأقطع أخاه أحمد ولايات كرمان، وأعطى ابن أخيه شاه يحيـى يـزد وابن أخيه شاه منصور أصفهان[5].

8 – حكم زين العابدين لبلاد فارس (786 – 789هـ/1384 – 1387م):

لم يهنأ مجاهد الدين زين العابدين بالحكم حيث نشبت المنازعات والحروب بينه وبين أمـراء آل المظفر الذين رأى كل منهم أحقيته بالزعامة، ولم يكن زين العابدين مثـل والـده فـأخفق فـي

---

(1) البدليسي: شرفنامه، ج2، ص56 – 57. ؛الغياثي: التاريخ الغياثي، ص99 – 100. خواندمير: حبيـب الـسير، ج3، ص137.

(2) سارو عادل آغا كان رئيس شرطة دار السلام ببغداد وترقى في المناصب حتى وصـل إلـى حكـم سـلطانية. خواندمير: حبيب السير، ج3، ص137.

(3) البدليسي: شرفنامه، ج2، ص57. ؛ إقبال: تاريخ المغول، ص424.

(4) خواندمير: حبيب السير، ج3، ص140. إقبال: تاريخ ايران، ص559.

(5) ابن عربشاه: عجائب المقدور ، ص35.

البدليسي: شرفنامة، ج2، ص58.وهو يذكر أيضاً أنه خلفه نجلاه الشاه يحيى في أصفهان والسلطان أحمـد فـي كرمان، فكان العداء قائماً بين الأخوين دائماً.

السيطرة على زمام الأمور واصطدم حكمه منذ البداية بطمع شاه يحيى الذي استولى على أصفهان وهاجم شيراز عاصمة زين العابدين وانضم إليه أبو يزيد بن مبارز الدين محمد واضطر زين العابدين إلى مصالحة شاه يحيى وتنازل عن أبرقوه لأبي يزيد[1].

تجدد الصراع بين أفراد أسرة آل مظفر فازدادت أوضاع فارس سوءاً وتزعم حركات الاضطراب والفوضى والحروب مع زين العابدين كل من شاه يحيى الذي أخفق في الاستمرار في حكم أصفهان حيث لاقى تمرداً ومقاومة من أهلها أجبرته على العودة إلى أبو يزيد كما أخفق أبو يزيد في تحقيق أي نصر على زين العابدين فذهب وراء شاه يحيى إلى يزد واستمر الوضع هكذا حتى قدوم تيمورلنك إليهم سنة (789هـ/1387م) [2].

9 – علاقة آل مظفر بتيمورلنك:

كان لآل مظفر إبان غزو تيمورلنك لبلاد خراسان موقف سلبي حيث رأى شاه شجاع قبل وفاته ما حل بجيرانه من تدمير وتخريب فأدرك أن الدخول مع تيمورلنك في سلام ووفاق هو القرار الأفضل لحماية بلاده وتجنيب أبناء شعبه الدمار والتنكيل الذي عرف به تيمورلنك فلمّا بعث إليه شاه ولي طالباً منه ومن أحمد بن أويس تكوين حلف مشترك لمواجهة تيمورلنك أهمل شاه شجاع رسالته لأنه كان قد سبق وهادن تيمورلنك واستسلم من تلقاء نفسه[3]، ربما لكي يبقى على سلطته لأن أوضاع بلاده غير مستقرة، وفي حالة نزاعات داخلية على من يحكم كما كانت علاقاته مع جيرانه غير جيدة، كما أسلف سابقاً.

ويشير المؤرخون إلى أن تيمورلنك بعث إلى شاه شجاع يدعوه إلى الدخول في طاعته حيث قال: «إن الله تعالى سلطني عليكم، وعلى ظلمة الحكام والجائرين من ملوك الأنام ورفعني على من ناوأني ونصرني على من خالفني وعاداني وقد رأيت وسمعت فإن أجبت وأطعت فيها ونعمت وإلا فاعلم أن في قدومي ثلاثة أشياء: الخراب والقحط والوباء وإثم كل ذلك عائد عليك، فلم يسع شاه شجاع إلاّ مهادنته ومهاداته ومصاهرته ومصافاته وزوج ابنته بابن تيمور ولم يتم ذلك السرور»[4]، لكن البعض الآخر من المؤرخين يقرون أن هذا الزواج تم باقتراح تيمورلنك في رسالة إلى شاه

---

(1) الغياثي: التاريخ الغياثي، ص155. ؛ إقبال: تاريخ المغول، ص427.

(2) إقبال: تاريخ المغول، ص427 – 428.

(3) ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص37.

(4) ابن تغري بردي: المنهل الصافي ، ج4، ص109. ؛ ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص32 – 33. شيخو: حقيقة تيمورلنك، ج1، ص331 – 332.

شجاع أن يتزوج حفيده بير محمد بن عمر شيخ بابنة شاه شجاع لتأكيد المودّة بين الطرفين وتم هذا الزواج في بلخ عند قدوم تيمورلنك إلى خراسان وظلت أواصر المحبة وعلاقات المودة عامرة[1].

واستمروا على ذلك الحال إلى أن توفي شاه شجاع الذي وجد قبيل وفاته أن من مصلحته رضا تيمورلنك والإقرار بالتبعية فوضع ابنه زين العابدين تحت وصاية تيمورلنك وقد أشار إلى ذلك في وصيته التي أرسلها إلى تيمورلنك.

وهي:«إن أقصى مناي أن تكون هذه المعاهدة بيدي يوم القيامة كي لا تقف أمامي قائلاً: إنك قد خنت العهد وحنثت بالوعد ولما كنت قريباً بين يدي الله عز وجل فإنني مطمئن إلى أني لم أقم بعمل أخجل منه إلاّ هذا العبث إنني أتوسل إليك وإلى الله العظيم أن تبسط حمايتك على ابني زين العابدين الذي سيجلس على العرش من بعدي وأن تكلأه دائماً بعنايتكما وعطفكما. إني أموت مطمئناً وأنا أسأل الله أن يؤازركم ويؤيدكم»[2].

بعد وفاة شاه شجاع سنة (786هـ/1384م) تولى ابنه مجاهد الدين زين العابدين الحكم[3] وقد خضع في بداية حكمه لتيمورلنك فأمن جانبه مؤقتاً بينما كان وضعه الداخلي سيئاً للغاية حيث قامت الخلافات بين أفراد الدولة المظفَّرية عقب وفاة شاه شجاع وكثر الطامعون في العرش وانتهى كل أمير على بلد يرفع عليها رايته وراحوا يضربون باسمهم الدراهم ويضعون الضرائب ويختصمون دائماً وأبداً وكان كلٌ يدعي الحول والطول والاستقلال ورسل تيمورلنك كانوا يرقبون مجرى الأمور وأخبار الفرقة والتنازع[4]، فأرسل تيمورلنك مبعوثاً إلى زين العابدين يدعوه إلى الحضور إليه ليؤكد بالعهد بالتحالف والصداقة التي كانت قائمة بينه وبين والده وأنه من الضروري تجديد هذا التحالف إلاّ أن زين العابدين لم يعطِ ذلك الأمر اهتماماً. وقبض على موفد تيمورلنك ولم يسمح له بالعودة إليه[5]. فأثار هذا العمل غضب تيمورلنك. واتخذه ذريعة للتوجه إلى بلاد فارس.

وهناك أسباب أخرى دفعت تيمورلنك بالتوجه نحو العمق الفارسي كان أولها حملة السنوات الثلاث التي بدأت سنة (788هـ/1386م) ثم حملة السنوات الخمس التي بدأت سنة (795هـ/1392م) وأخيراً حملة السنوات السبع التي بدأت سنة (802هـ/1399م)، وهذه الحملات كان نصيبها النجاح وانتهت كما سوف نرى بإخضاع فارس أجمع وكان هدف هذه الحملات غزو البلاد الأجنبية وأخذ

---

(1) فامبري: تاريخ بخارى، ص226. ؛ شيخو: حقيقة تيمورلنك، ج1، ص332.

(2) ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص40. ؛ شيخو: حقيقة تيمورلنك، ج1، ص332 – 333.

(3) البدليسي: شرفنامه، ج2، ص58.

(4) شيخو: حقيقة تيمور ، ج1، ص335.

(5) إقبال: تاريخ المغول، ص428. شيخو: حقيقة تيمورلنك، ج1، ص336.

Howrth: History of Mangols, from the 19th Centruy. Vol. 3. P. 707.

غنائم هائلة منها إذ ليس من الممكن تسويغها على الإطلاق بحاجة تيمورلنك إلى توحيد آسيا الوسطى، ولقد أبدى قواد تيمورلنك وجنوده في هذه الحملات ضروباً من القسوة وعدم الرحمة مع السكان الذين لم يفقدوا ممتلكاتهم فحسب بل وحريتهم وفي الكثير من الأحيان حياتهم وفي كـل مـرة عـاد فيهـا تيمورلنك من حملة طويلة إلى كش أو سمرقند كان يجلب معه غنائم كبرى قيّمة[1] كما سوف نلاحظه بالتفصيل.

10- أسباب غزو تيمورلنك لهمدان وصفهان وكرمان

بعدما سيطر تيمورلنك على ما وراء النهر وخوارزم وخراسان رغب فـي الاسـتيلاء علـى المناطق الأخرى التي كانت تمثل جزءاً مهماً من أهدافه التوسعية لكي يؤمن لمملكته موارد اقتصادية جديدة عن طريق الغنائم وبتأمينه طرق القوافل المتوجهة إلى ما وراء النهر عبر الخلـيج العربـي والبحر الأسود. وقد جعل رفض زين العابدين حاكم أصفهان وكرمان الحضور إليه واعتقال موفـده مسوغاً لاندفاعه الجديد لتأديب هذا الابن العاق الذي حاد عن الطريق الذي كان قـد سـلكه والـده معه[2]، إضافة إلى اضطراب أسرة آل المظفر بعد وفاةشاه شجاع فيذكر تيمور: «إنه لما وصـلتني في تلك الأيام عرائض شكاوي أهل العراق بسبب مظالم وتعديات آل مظفر وملوك الطوائف قـررت النزول إليهم»[3]، كما استغل الغارة التي قام بها مغول القبجاق على أذربيجـان عبـر دربنـد بـاب الأبواب في الشمال الأمر الذي يشير إلى انتهاج حاكم القبجاق توقتميش خان سياسة جديدة نحو ولي نعمته السابق تيمورلنك. ويعلق يزدي على هذه الأحداث بأن حاكم شروان وأذربيجان اللتين تعرضتا لغارة القبجاق قد عجزا عن الدفاع عن بلادهم ورعاياهم بسبب الخلافات التي كانت قائمة بينهما مما أطمع الأعداء وأنزل البلايا بالسكان ولذلك وجد تيمورلنك نفسه أنه مسؤول عن التصدي للأعـداء[4] حسبما يدّعي.

---

(1) يو - يكوبوفسكي: تيمورلنك، ص92.

(2) يزدي: ظفرنامة، ج1، ص311. ؛ إقبال: تاريخ المغول، ص428. بازوكي: تاريخ إيران، ص201. ؛ شـيخو: حقيقة تيمورلنك، ج1، ص336.

(3) مذكرات تيمور مدبر العالم، ص41.

(4) الشامي: ظفرنامة، ص97 - 98. ؛ يزدي: ظفرنامة، ج1، ص286. ، البدليسي: شرفنامه، ج2، ص59. ؛ طقّوش، محمد: تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند، دار النفائس، لبنان، ط1، 2007م، ص103.

ولاشك في أن خوف تيمورلنك من لجوء شاه ولي إلى تبريز كان من جملة الدوافع التي أملت عليه التحرك نحو فارس[1] سنة (788هـ/1386م) بعد استراحة بضعة أشهر في ما وراء النهر واستغرقت مدة عامين وكانت أطول عملياته العسكرية مدة حتى حينها.

عدّ تيمورلنك اعتداء توقتميش على تبريز تحدياً له ونكراناً للجميل أما التحدي فلأنه كان يعدّ المدينة من أملاكه بوصفها تابعة لخانية جغتاي والحقيقة أن هذه المدينة كانت في الماضي مثار نزاع بين الإيلخانيين وبين بني جوجي وليس للجغتائيين أي حق فيها لكن تيمورلنك كان يبحث عن ذريعة لمباشرة الحرب. وأما نكران الجميل فلأن توقتميش اعتلى عرش خانية القبيلة الذهبية بمساعدة تيمورلنك ومساندته له ضد خصومه[2] كما أسلفنا سابقاً.

ومهما يكن من أمر فقد استغل تيمورلنك هذه الحملة على تبريز واتخذها ذريعة لشن الحرب فجهز جيشاً كثيفاً وخرج على رأسه من سمرقند في أوائل (788هـ/ربيع 1386م) بما يعرف بحرب السنوات الثلاث قاصداً بلاد فارس والقبيلة الذهبية فاستولى على أذربيجان وبلاد الكرج[3] ووصل إلى تفليس[4] وعاث تخريباً في تلك المناطق بهدف إثارة توقتميش واستفزازه لكن هذا الأخير لم يحرك ساكناً وظلّ قابعاً في سراي لكن جرى اشتباك محدود بين ميرانشاه بن تيمورلنك وبين بعض حاميات الحدود أسفرت عن انتصار الأول وأسر عدد من الجنود المغول القبيلة الذهبية فلما عاد بهم إلى والده أطلق سراحهم وأعادهم إلى سراي وحمّلهم رسالة عتاب شفهية إلى توقتميش[5].

---

(1) إقبال: تاريخ إيران، ص598.

(2) طقوش: تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند، ص103.

(3) الكرَج: مدينة بين همذان وأصفهان تابعة لبلاد فارس. الحموي: معجم البلدان، م4، ص446.

(4) تفليس: مدينة قديمة بأرمينية والبعض يقال بأرّان وهي قصبة ناحية جُرزان قرب باب الأبواب وينتسب إلى تفليس جماعة من أهل العلم. الحموي: معجم البلدان، م2، ص35 - 36.

(5) الرمزي، كامل حسين: تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار، تحقيق ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2002م، ج1، ص559 - 561.

11 – توجه تيمورلنك نحو جيلان وهمدان

تقدم تيمورلنك في سنة (789هـ/1387م) من جيلان[1] صوب همـــــــذان ثم إلى أصبهان وعسكر في ظاهر المدينة وخرج لمقابلته حاكمها مظفر الدين الكاشي[2]، وبعض من الأعيان يطلبون الأمان وعدم التعرض لمدينتهم بسوء وتعهدا بدفع ما يطلبه من أموال فرحب تيمورلنك بهم وأحـــسن استقبالهم[3] وأصدر أوامره بتسليم المدينة وكل ما فيها من خيل وســـلاح[4] وربمـــا كانـــت خطـــة تيمورلنك في تجريد البلد من أهم مقومات الدفاع والمقاومة.

ولما كان جنود تيمورلنك يقومون بجمع الأموال المفروضة قد أبغض السكان بسبب ما ارتكبه الجنود التيموريون من أعمال الفساد والطغيان كما يصف يويكوبوفسكي بقوله: «إن أساليب القـــسوة المتناهية التي لجأ إليها تيمورلنك في عمليات النهـــب التـــي يمكـــن إبـــصارها فـــي حملتـــه ســـنة (789هـــ/1387م) على نواحي فارس وأصفهان التي كانت تحت طاعة المظفريـــة فعنـــد اســـتيلاء تيمورلنك على أصفهان ذات الثروة والحضارة أمر سكانها بأن يـــشتروا حيـــاتهم وحـــق الاحتفـــاظ بممتلكاتهم وبصورة أدق ما تبقى من ممتلكاتهم ولم يرفض أهل أصفهان الخضوع لأمراء تيمورلنـــك فحسب بل أبوا دفع الأتاوة وحدث أن أحد حدادي أصفهان كان يعمل بالربض أعطى الإنـــذار لـــيلاً وأثار الشعب ضد حامية تيمورلنك الضئيلة العدد وقتل جميع المبعوثين الذين كلفوا بجمـــع الأتـــاوة بأحياء المدينة فلما بلغ خبر التمرد تيمورلنك الذي كان معسكره غير بعيد من أصفهان وقع فريـــسة غضب شديد وأمر جيشه باحتلال المدينة عنوة ثم قسم الأهالي إلى مجموعتين فالشخصيات المرموقة من رجال الدين والعلماء أمر بألا يمسوا أما البقية فأباح قتلهم ونهب ممتلكاتهم وكلف كل جندي مـــن أتباعه ممن اشتركوا في هذه الحملة العقابية أن يقدم عدداً من الرؤوس فتم جمع ســـبعين ألـــف رأس في مذبحة أصفهان هذه وبنيت منها منارات عالية تنفيذاً لأوامر تيمورلنك»[5].

ويؤكد ابن عربشاه هذه المذبحة وينفرد بالقول: «أن بعض أتباع تيمورلنك اســـتعطفه ليعفـــو عـــن الأطفال لكن تيمورلنك وقف ساكتاً برهة أمامهم وأمر رجاله فأغاروا عليهم بالخيول»[6].

---

(1) جيلان: اسم لبلاد كثيرة من وراء بلاد طبرستان وليس في جيلان مدينة كبيرة إنما هي قرى فـــي مـــروج بـــين الجبال. الحموي: معجم البلدان، م2، ص201. ؛ ويذكر فامبري: إنها خضعت لتيمورلنك برغم مناعـــة موقعهـــا وطبيعتها، ص226.

(2) مظهر الدين الكاشي: هو خال زين العابدين وحاكم أصفهان من قبله. إقبال: تاريخ المغول، ص427.

(3) يزدي: ظفرنامة، ج1، ص311 – 312. ؛ إقبال: تاريخ المغول، ص428.

(4) يزدي: المصدر السالف، ج1، ص312.

(5) يويكوبوفسكي: تيمورلنك، ص92.

(6) عجائب المقدور، ص49 – 50.

ويتابع يزدي وصفه لما حدث في أصفهان فيقول: «إن جند تيمورلنك جمعوا في ظاهر المدينة ما يقارب سبعين ألف من الرؤوس الآدمية وتم بناء ثمانية وعشرين برجاً منها»[1].

وعلى ما يبدو فإن هناك إجماعاً للمصادر حول هذه الحادثة التي قام بها جند تيمورلنك بصورة همجية لا تعرف الرحمة والشفقة[2]. إلاّ أنها لا تخلو من المبالغة في تقدير القتلى من قبل المؤرخين.

كما يؤكد تيمور في مذكراته فعلته بقوله: «لما استوليت على مدينة أصفهان ووضعت القلعة بين أيديهم لكنهم ثاروا وقتلوا الوالي الذي كنت قد عينته عليهم مع ثلاثة آلاف من الجنود ولذلك أمرت بإيقاع مقتلة عامة بجميع أهالي أصفهان»[3].

12- توجه تيمورلنك نحو شيراز:

لما فرغ تيمورلنك من أمر أصفهان ترك عليها حامية من جنده وتحرك صوب شيراز وكان بها الحاكم الشرعي لآل مظفر زين العابدين الذي ما إن علم بتوجه تيمورلنك حتى فضل الهرب لاجئاً لعدوه الشاه منصور في تستر ولكن الشاه منصور قام باعتقاله وتصفيده بالقيود[4].

اكتفى تيمورلنك بالوقوف في ظاهر المدينة في ذي الحجة (789هـ/كانون الأول 1387م) وأدرك أمراء آل مظفر أنه لا طاقة لهم بمواجهة تيمورلنك فاستكانوا واستسلموا وكان في مقدمتهم والي يزد شاه يحيى وسلطان محمود وحاكم كرمان أحمد شقيق شاه شجاع وقد حظي الجميع بلقاء تيمورلنك بعد تقديمهم الهدايا له وقسم مدن فارس فيما بينهم بموجب وثيقة موقعة وصاروا حكاماً

(1) ظفرنامة، ج1، ص314.

(2) الشامي: ظفرنامة، ص105. يزدي: ظفرنامة ،ج1، ص314. ؛ ابن عربشاه: المصدر السالف، ص47 – 48، 50. ؛ الغياثي: التاريخ الغياثي، ص182. ؛ فامبري: تاريخ بخارى، ص227. ؛ يويكوبوفسكي: تيمورلنك، ص92. ؛ إقبال: تاريخ المغول، ص427. ؛ شيخو: حقيقة تيمورلنك، ج1، ص339 فقد اعترف بهذه المذبحة البشرية رغم مسوغاته التي تعد أوهن من خيوط العنكبوت، ص338 – 339. ؛ دائرة المعارف الإسلامية، م6، ص160.

(3) تيمور: مذكرات تيمور مدبر العالم، ص42. Howorth: op. cit. vol.3. p. 708

(4) يزدي: ظفرنامة، ج1، ص315. ؛ شيخو: حقيقة تيمورلنك، ج1، ص339. ؛ إقبال: تاريخ المغول، ص429.

عنده وهو سيدهم المطاع[1] أما شاه منصور فقد خرج لاجئاً إلى جبال خوزستان وكان في معتقله زين العابدين.

على كل حال لم يمكث تيمورلنك في شيراز طويلاً حيث تركها عندما علم بزحف توقتميش خان القبجاق القبيلة الذهبية على ما وراء النهر وأمر بنقل بعض العلماء كالشريف الجرجاني وأشهر الحرفيين إلى سمرقند في سنة (790هـ/1388م)[2].

13 – أوضاع آل مظفر بعد عودة تيمورلنك إلى سمرقند:

ما إن غادر تيمورلنك بلاد فارس مسرعاً لدرء التهديدات للقبيلة الذهبية لبلاد ما وراء النهر سنة (789هـ/1387م) حتى أخذت تتوارد إلى فارس في حينها إشاعات تزعم بانهزام جيوش تيمورلنك أمام القبجاق وإن سيد ما وراء النهر هو محاصر في عاصمته سمرقند[3]، مما أدى إلى تجدد الاضطرابات والمنازعات بين أفراد الأسرة الواحدة فازداد وضعهم سوءاً وحرجاً خلال السنوات (789 – 795هـ/1387 – 1393م) ولذلك تناسى هؤلاء الحكام قسم الإخلاص الذي أدوه أمام تيمورلنك وبرز الحاكم المظفري شاه منصور الثائر الأول ضد السلطة التيمورية في بلاد فارس وقد حاول بسط نفوذه وفرض سلطته بالقوة على الأمراء المظفريين الآخرين وأفلح في الاستيلاء على شيراز حيث رحب به وجهاء المدينة وفتحوا له الأبواب واضطر حاكمها شاه يحيى إلى الهرب نحو يزد[4].

أما زين العابدين فقد كان في سجن شاه منصور وتمكن من الفرار بمعاونة بعض المؤيدين له من رجال شاه منصور وذهب صوب ملك عز الدين[5] حاكم لرستان[1]، وطلب منه العون لاسترداد

---

(1) الشامي: ظفرنامة، ص105. ؛ يزدي: ظفرنامة ، ج1، ص315 – 316. حافظ آبرو: زبدة التواريخ، ص62. ؛ شيخو: حقيقة تيمورلنك، ج1، ص339. ؛ إقبال: تاريخ المغول، ص428. فامبري: تاريخ بخارى، ص227.

(2) يزدي: ظفر نامه، ج1، ص316. ؛ البدليسي: شرفنامه، ج2، ص59. ؛ شيخو: حقيقة تيمورلنك، ج1، ص339. ؛ إقبال: تاريخ إيران، ص600. ؛ طقوش: تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند، ص104.

(3) حافظ آبرو: زبدة التواريخ، ص76. ؛ شيخو: حقيقة تيمورلنك، ج1، ص 341.

(4) الغياثي: التاريخ الغياثي، ص155. إقبال: تاريخ المغول، ص429. ؛ شيخو: حقيقة تيمور، ج1، ص341.

(5) عز الدين بن شجاع الدين محمد حكم (750 – 804هـ/1349 – 1401م) من حكام اللر الصغير (لورستان الصغرى) خضع لتيمورلنك وتم ترحيله إلى سمرقند ثم أعيد إلى لرستان. ؛ إقبال: تاريخ المغول، ص 431 – 432.

أصفهان فأمده بالمساعدة[2] وأثناء وصول زين العابدين إلى أصفهان وجد الترحيب والقبول من سكانها لأنهم كانوا غير راغبين في حكم سلطان محمد بن يحيى الجائر ومن ثم توجه نحو يزد وضمها إلى حكمه[3].

أدى هذا التنافس إلى الصدام بين جيش زين العابدين وجيش شاه منصور عند قلعة اصطخر[4] وقد حلت بزين العابدين الهزيمة وفرّ منسحباً نحو أصفهان يندب حظه السيئ وكان بهلوان مهذب[5] حاكم أبرقوه من قبل تيمورلنك قد تحالف مع شاه يحيى لمواجهة شاه منصور فقدم شاه يحيى إلى أبرقوه فوجد العناية والتكريم من حاكمها بهلوان مهذب لكن شاه يحيى تنكر لذلك بسبب تحريض جنده له، فنقض اتفاقه وأوعز بإلقاء القبض على مهذب بهلوان وقتله وعين شاه يحيى محمد قورجي أحد أتباعه على أبرقوه وقفل راجعاً إلى يزد[6].

حاول شاه منصور إكمال سيطرته على بلاد فارس فتوجه من شيراز إلى أبرقوه واستولى عليها إلا أن قلعتها استعصت عليه، فقرر الذهاب إلى يزد، فتخوف شاه يحيى وعلى الفور بعث إلى الأمير محمد قورجي المحتمي داخل القلعة أن سلم القلعة لشاه منصور شريطة أن لا يتعرض جنده ليزد فعاد شاه منصور إلى أبرقوه وتسلم القلعة ثم قفل راجعاً إلى شيراز[7].

حاول زين العابدين تكوين حلف مع بعض الأمراء ضد سياسة شاه منصور التوسعية الاستبدادية التسلطية فاتفق مع سلطان أحمد حاكم كرمان وسلطان اسحاق حاكم سيرجان ووعدهم شاه يحيى بالانضمام إليهم فتوجه الجميع ما عدا شاه يحيى[8] نحو شيراز وقاموا بتخريب بعض الأماكن وتدميرها فلما علم شاه منصور زحف إليهم ودارت معركة حامية الوطيس بين الفريقين عند

---

(1) لرستان: هي الأرض التي سكنتها قبائل اللر إبان الاجتياح المغولي، وهي تنقسم إلى قسمين اللر الكبير واللر الصغير، وفيما بين أرضي اللر وشيراز هناك منطقة ثالثة يقطنها اللر تعرف بشولستان. ؛ إقبال: تاريخ المغول، ص432.

(2) الغياثي: التاريخ الغياثي، ص155.

(3) إقبال: تاريخ المغول، ص429. Howorth: History Of Mangols. Vol.3. p. 709.

(4) اصطَخْر: تُعد من أقدم مدن فارس بينها وبين شيراز اثنا عشر فرسخاً. ؛ الحموي: معجم البلدان، م1، ص211.

(5) هو بهلوان مهذب الخراساني من قواد شاه شجاع وزين العابدين من بعده، كان حاكماً على أبرقوه واستمر حكمه فيها بعد أن عينه تيمورلنك عليها. ؛ الغياثي: التاريخ الغياثي، ص154 – 155. حاشية.

(6) الغياثي: التاريخ الغياثي، ص157. Howorth: History Of Mangols. Vol.3. p. 709.

(7) الغياثي: المصدر السالف، ص158.

(8) اشتهر بعدم الوفاء ونقض المواثيق مع حلفائه. إقبال: تاريخ إيران، ص541.

منطقة فسا[1] كان النصر فيها حليف شاه منصور وهرب زين العابدين إلاّ أنه بالقرب من الري تم القبض عليه وأرسله حاكمها موسى جوكار إلى شاه منصور فقام بسمل عينيه وأعيد إلى السجن ثانية، واستقر الحكم لشاه منصور على معظم مناطق آل مظفر واتخذ من شيراز عاصمة له مدة أربع سنوات إلى أن ظهرت قوات تيمورلنك من جديد في فارس سنة (794هـ/1392م)[2].

ونتيجة لهذه الصراعات بين المظفريين حل بهم الضعف والوهن ويرى بعض المؤرخين أن سيرة آل مظفر كانت سيئة وتصرفاتهم غير مكترثة حيث كان كل منهم يعمل على نشر الفوضى والفتن ويتحين الفرصة للانتقام من الآخر فأدى ذلك إلى انتشار الفوضى وعانى الأهالي كثيراً من تلك المنازعات الخطيرة لذلك طلب أعيان المدينة من تيمورلنك أن يخلصهم من شرورهم وألا يترك لهم زمام الأمور[3].

14 – هجوم تيمورلنك على بلاد فارس سنة (795هـ/1393م):

شجع تيمورلنك ما كان يدور من منازعات وحروب بين أفراد الأسرة الواحدة وغضب من اعتداء شاه منصور حاكم تستر على حكام آل مظفر المعينين من قبله وأصبح هو المسيطر على زمام الأمور في بلاد فارس فرأى ضرورة التوجه إليه لتأديبه ومعاقبة الخارجين عن طاعته وقد عرفت هذه الحملة بحملة السنوات الخمس لأنها امتدت من سنة (794 – 798هـ/1392 – 1396م)[4].

عبر تيمورلنك نهر جيحون في (رمضان 794هـ/آب 1392م) كان أول عمل قام به تثبيت بيرباديشاه بن لقمان[5] حاكماً على استراباد، ثم ثم قاتل إحدى الطوائف الدينية وتدعى الحروفية وكانت تنزل في عدد من المواقع في آمل وساري بالقرب من استراباد حيث اعتصموا لما شعروا

---

(1) فسا: يطلق عليها الفرس بسا وتُعد ثاني المدن في كورة دار أبجرد وتقارب شيراز في الكبر. ؛ لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص327.

(2) يزدي: ظفرنامة، ج1، ص427. ؛ ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص40. ؛ ميرخواند: روضة الصفا، ج4، ص587. ؛ الغياثي: تاريخ الغياثي، ص160.

(3) يزدي: ظفر نامه، ج1، ص441. شيخو: حقيقة تيمورلنك، ج1، ص342.

(4) ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص40. ؛ الغياثي: التاريخ الغياثي، ص183. إقبال: تاريخ ايران، ص601.

(5) بيربادشاه بن لقمان بادشاد يرجع نسبه إلى البيت الإيلخاني الذي كان يحكم في بلاد فارس. فعينه تيمورلنك على استراباد. ؛ يزدي: ظفرنامة ، ج1، ص409.

باقتراب جيوش تيمورلنك من مدنهم وحصونهم وقرروا المقاومة فقتل بعض زعمائهم ونفى بعضهم إلى طاشقند[1].

وبعد أن أمضى قسماً من فصل الشتاء في منطقة مازندران استأنف التقدم في صفر 795هـ/كانون الأول 1392م نحو الغرب باتجاه خراسان وعندها حاول شاه منصور تكوين جبهة داخلية موحدة مع أفراد أسرته لمواجهة تيمورلنك إلاّ أنه أخفق حيث لم يرحبوا بفكرته وأظهروا عداءهم له لذلك قرر مواجهة تيمورلنك وحده، وحاول بعض الأعيان من السكان أن يثنيه عن قراره بالقول: ماذا تصنع أنت بألفي راكب مع هذا الغمام المتراكم؟ فكان رده أن وضع يده على دبوسه وقال: «هذا الألف في الكاف السادسة من أم من يغر من تيمور أما أنا فأقاتل وجندي، فإن خذلني جندي قاتلت وحدي وبذلت في ذلك جدّي وجهدي وعانيت عليه وكدي[2] فإن نُصرت نلت قصدي وإن قتلت فلا علي ممن بقي بعدي وكأني أنا كنت الحاضر والخاطر»[3].

وصل تيمورلنك إلى خوزستان فاستولى عليها ثم سيطر على تستر وعيّن عليها حاكماً من قبله هو الأمير مسعود السبزواري[4]، ومنها زحف إلى قلعة سفيد الحصينة حيث كان زين العابدين معتقلاً فيها وتمكن أتباع تيمورلنك من اقتحامها بعد ضربها بالمنجنيق وتم قتل حاكمها من قبل شاه منصور محمد أزار مهتر سنة (795هـ/1392م)، وأطلق سراح زين العابدين حيث مثل أمام تيمورلنك فأحسن إليه ووعده بأنه سوف ينتقم له من شاه منصور وترك على القلعة حامية من قواته[5].

بث تيمورلنك جنده في جميع الاتجاهات بحثاً عن قوات العدو، وهو في طريقه نحو شيراز وتمكن جنده من الاشتباك مع كشافة شاه منصور عند باغستان وتم القبض على بعضهم وعرفوا منهم أماكن وجود جيش شاه منصور[6] الذي كان في فترة غياب تيمورلنك قد حاول تقوية نفسه فحصن مدينته وجمع حوله قرابة ألفين من الرجال وعلى الرغم من نصح البعض له بعدم المخاطرة بذلك لقلة من معه من القوات وما سوف يسببه هذا التهور من العواقب الوخيمة على آل مظفر وبلادهم إلاّ أنه أبى وبدأ يشرح لجنده خطته في مواجهة خصمه القوي تيمورلنك كما يذكر ابن

(1) الشامي: ظفرنامة، ص127 – 128. يزدي: ظفرنامة، ج1، ص413 – 414.

(2) وكدي: القصد. ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص41، الحاشية المحققرقم 1.

(3) ابن عربشاه: المصدر السالف، ص41. إقبال: تاريخ المغول، ص430.

(4) يزدي: ظفرنامة ، ج1، ص428. إقبال: تاريخ إيران، ص601.

Howorth: History of Mangols. Vol. 3. p. 711.

(5) الشامي: ظفرنامة ، ص132. ؛ يزدي: ظفرنامة ، ج1، ص427 – 428.

(6) يزدي: ظفرنامة ، ج1، ص434. ؛ شيخو: حقيقة تيمور، ج1، ص342.

عربشاه إنه نبههم قائلاً: «فالرأي أني لا أنحصر معه في مكان وألاّ أقاتله بضراب أو طعان بل أتنقل في الجوانب وأتسلط أنا ورعاياي عليه من كل جانب، فنصفع أكتافهم ونقطع أطراقهم، ونواظبه بالنهار، ونراقبه بالليل ونعدّ له ما استطعنا من قوة ومن رباط الخيل، وكلما وجدنا منه غرة كسرنا منه القفا والغرة فتارة ننطحه وأخرى نرمحه، وكرة نجدحه[1] ومرة نجرحه ونسلبه الهجوم، ونمنعه من الرجوع، فتشتد عليه المضائق وتنسد عليه الطرق والطرائق»[2]. ويتجلى هنا الموقف القوي والشجاع لشاه منصور وإصراره على منازلة تيمورلنك متناسياً القول المأثور: الكثرة تغلب الشجاعة لاسيما أنه يدرك الموقف المتخاذل من قبل أفراد أسرته الآخرين الذين أبوا عدم نسيان النزاعات الداخلية أمام الخطر الخارجي الذي سوف يقضي عليهم جميعاً كما سوف تكشفه الصفحات التالية.

ومهما يكن الأمر فقد نشبت معركة حامية بين الفريقين عند موضع يسمى كود باتيله[3] ولما كانت قوات شاه منصور قليلة العدد بالنسبة للقوات المغيرة فقد اعتمد الملك المظفري على حد قول ابن عربشاه على المباغتة وشن الهجوم ليلاً وقد كان في جيش شاه منصور أمير خراساني مباطن لتيمورلنك يدعى محمد بن زين الدين[4] هرب من جيشه بأكثر الجند ولم يبقَ مع شاه منصور منهم إلاّ دون الألف، فتأزم موقفه ورأى بعد هذا الخلل الذي سببه انهزام جنده اللجوء إلى الحيلة والمباغتة مع جيش يتفوق عليه عدداً وعدة فعمد إلى فرس وربط في ذيلها قدراً من نحاس وأطلقها بين صفوف أعدائه فأوقعت فيهم الخوف والارتباك[5] واستطاعت قواته التي يقدرها ابن عربشاه بأقل من ألف رجل أن تقتل عشرة آلاف من الأعداء الذين كان عددهم بحسب تقدير يزدي ثلاثين ألفاً[6] يظهر من خلال هذه الرواية روح المبالغة، ويتابع ابن عربشاه وصف تطورات القتال فيقول: إن تيمورلنك خاف من جرأة شاه منصور فهرب ودخل بين النساء واختفى بينهن وغطي بكساء[7] ولم يغفل المؤرخون الفرس والأوربيون مدى ما كان يتمتع به شاه منصور من شجاعة وبطولة حيث انقض على خصمه بكل ضراوة محطماً كل ما صادفه حتى وصل إلى مكان تيمورلنك نفسه[8] ولم

---

(1) أي نبادره بالهجوم ونخالطه. ابن عربشاه: عجائب المقدور، الحاشية، ص41. ربما القصد منها نجدّعه أي نقطعه. ابن منظور، جمال الدين: لسن العرب ، دار الفكر للطباعة والنشر، ط6، 1417هـ / 1997م، المجلد الثالث، ص110.

(2) عجائب المقدور، ص41، 42.

(3) كود باتيله: تقع بأرض منبسطة في ظاهر شيراز.؛ لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص287.

(4) ويذكره ابن تغري بردي باسم محمد بن أمين الدين، المنهل الصافي، ج4، ص109.

(5) ابن عربشاه: عجائب المقدور ، ص43.

(6) يزدي: ظفرنامة، ج1، ص435.

(7) عجائب المقدور ، ص44. ؛ إما شيخو: فيعكس الرواية لصالح تيمور، ج1، ص343.

(8) فامبري: تاريخ بخارى، ص228.

يكن يحيط به أكثر من أربعة عشر من الجند أو خمسة عشر ولما اقترب منه شاه منصور وجه إليه ثلاث ضربات من سيفه المعقوف وقعت على خوذته ولم يتمكن تيمورلنك من النجاة إلا بفضل حامل ترسه عادل اختاجي وحارسه الخاص قماري يساول[1]، وتعترف المصادر التيمورية بخطورة الهجوم المفاجئ الذي تعرض له تيمورلنك بشخصه على يد شاه منصور[2] ثم تلاحقت النجدات على وجه السرعة حيث تمكن ميرزا محمد سلطان من كسر ميمنة جيش شاه منصور، ونجح بير محمد جهانكير من هزيمة الميسرة وقتل أعداد من جيشه وهرب الباقون، واستطاع أحد رجال شاه رخ بن تيمور أن يصيب شاه منصور ولما وقع على الأرض قطع شاه رخ رأسه وأسرع ليضعه بين يدي والده[3].

وفي رواية أخرى أنه: لما تم محاصرة شاه منصور تحت قيادة شاه رخ كان شاه منصور قد أنهكته الحرب وكلت يداه من الطعن والضرب وقتلت خيله ورجاله فساء موقفه فألقى نفسه بين القتلى وهو يترنح من شدة الألم وكثرة الجراح فعرفه أحد جند تيمورلنك فقتله وحمل رأسه إلى تيمورلنك فأمر بقتل قاتله[4].

تقدمت قوات تيمورلنك في إثر المنهزمين حتى قرب شيراز فلم تَقْوَ على المقاومة وفضل أهلها دفع أموال الأمان والدخول في طاعة تيمورلنك وأصدر تيمورلنك أوامره بمصادرة جميع أموال وممتلكات شاه منصور من الخزائن والأموال والأقمشة ووزعت على الجند واعتقل غضنفر بن شاه منصور وقدم الحكام المظفريون الآخرون لتقديم فروض الطاعة والولاء محملين بالهدايا فجاء شاه يحيى مع أولاده من يزد وحضر سلطان أحمد من كرمان وقدم السلطان أبو إسحق من سيرجان[5] وسلطان مهد بن شاه شجاع[6].

---

(1) دافع عادل اختاجي وقماري يساول عن تيمورلنك بكل بسالة وقد قطعت يد الأخير أثناء دفاعه لحماية تيمورلنك. الغياثي: التاريخ الغياثي، ص162. الحاشية.

(2) تذكر الروايات أن شاه منصور حمل على تيمورلنك وحاول أن يصوب إليه رمحاً عندما لم يكن عدد الحراس الملتفين حوله يزيد على الخمسة عشر نفراً ولكن الرمح أخطأ تيمور ولم يصبه بأي أذى. الشامي: ظفرنامة، ص133. ؛ يزدي: ظفرنامة، ج1، ص435 – 437.

(3) الشامي: المصدر السالف، ص133. ؛ يزدي: المصدر السالف، ج1، ص435. ؛ فامبري: تاريخ بخارى، ص228. ؛ إقبال: تاريخ المغول، ص431.

(4) ابن عربشاه: عجائب المقدور ، ص45. ؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي ، ج4، ص10.

(5) سيرجان: هي قاعدة منطقة كرمان. أبو الفداء: تقويم البلدان، ص336.

(6) ابن عربشاه: عجائب المقدور ، ص217. يزدي: ظفرنامة ، ج1، ص440. ؛ شيخو: حقيقة تيمورلنك، ج1، ص343. ؛ إقبال: تاريخ المغول، ص431. ؛ فامبري: تاريخ بخارى، ص228.

وشرع تيمورلنك بعد فترة الاستجمام في تنظيم أمور شيراز ورفع المظالم عن أهلهـا وعـيّن الأمير ميرزا عمر شيخ حاكماً عليها[1].

نهاية أسرة آل مظفر:

بعدما استمع تيمورلنك إلى مطالب العلماء وأهالي البلاد وشكاواهم عن أفعال آل مظفر أصدر فـي 23 جمادى الآخرة 795هـ/ 7 أيار 1393م أوامر باعتقال جميع أفراد الأسرة الحاكمة المظفرية حتـى الذين جاؤوا إليه مقدمين خضوعهم بقتلهم جميعاً عند مكان يسمى قومسة[2] في العاشر من رجـب سـنة 795هـ/1393م[3]،ولم يسلم إلاّ سلطان شبلي الذي كانت عيناه قد سملتا بأمر مـن أبيـه شـاه شـجاع والسلطان زين العابدين الذي كان شاه منصور قد سمل عينيه وتم نقلهما إلى سمرقند[4] لأنهما علـى مـا يبدو قد أصبحا في قائمة الأموات ولم يخشَ منهما ثم عين على شيراز الأمير ميرزا عمـر شـيخ، ثـم توجه إلى أصفهان وكان حفيده محمد سلطان قد سبقه إليها لجمع أموال الأمان من السكان[5] وتقـدم بعد ذلك نحو الشمال في ضواحي همذان وقام بحملات نحو بلاد الكرد والتركمان.

15 – النتائج التي تمخضت عن الغزو التيموري لبلاد فارس:

- السيطرة على بلاد فارس مما انعكس بشكل إيجابي على طرق القوافل التجارية بخراسـان حيـث أصبحت أكثر أماناً من قبل.
- حقق تيمورلنك هدفه في القضاء الكامل على جميع أمراء آل مظفر فأصبحت بلاد فـارس جـزءاً من أملاكه حيث عين ابنه ميرزا عمر شيخ حاكماً لها وجعل شيراز مقراً لحكمه وبذلك اسـتطاع إعادة تشييد إمبراطورية جنكيز خان وجعلها تحت سيطرته.
- أمّن هذا المد التيموري موارد اقتصادية ضخمة جباها تيمورلنك من بلاد فارس.
- زيادة عدد الجيش التيموري عدداً وعدة حيث كان ينضم إلى جيشه أعداد كبيرة من المناطق التـي يسيطر عليها.

---

(1) يزدي: ظفرنامة، ج1، ص441. ؛ إقبال: تاريخ إيران، ص601.

(2) قُومسة: قرية من نواحي أصفهان. ؛ الحموي: معجم البلدان، م4، ص415.

(3) ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص 52-53. ؛ يزدي: ظفرنامة ، ج1، ص441.

(4) إقبال: تاريخ المغول، ص431.

(5) يزدي: ظفرنامة ، ج1، ص441. ، ج1، ص443.

- كما أن سيطرته على بلاد فارس قد سهلت له مهمة توجهه إلى أذربيجان والعراق والقضاء على حكامها من آل جلائر وقد كان لهذا التحول آثاره السلبية على الجلائريين، وذلك أن سيطرة تيمورلنك على أذربيجان بما فيها تبريز قد حرمهم من موارد اقتصادية وزراعية وتجارية مهمة كما أحرمهم من موارد بشرية في تجيش الجيوش ومما يدلنا على عظم الخسارة التي أصابت الجلائريين من جراء فقدانهم تبريز ما أشار إليه شلتبرجر حيث قال: «إن الربح الذي تدره التجارة على مدينة تبريز كان أضخم من دخل أكبر دولة مسيحية معاصرة لها»[1].

- تضررت بلاد فارس من جراء الغزو التيموري على مختلف الصعد الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية لما سببه هذا الغزو من توقف القوافل التجارية إلى داخل البلاد - وإجبار كثير من السكان على ترك منازلهم والهروب من القتل والتنكيل الذي عرف به تيمورلنك حيث قدر المؤرخون كما سلف عدد من قتل في أصفهان على يد التيموريين بسبعين ألفاً قاد كل ذلك إلى تناقص عدد السكان وترمل أعداد كبيرة من النساء وتشرد أطفالهم مما ساعد ذلك على تفاقم الانحراف الاجتماعي، وفوق كل ذلك لم يخل الغزو التيموري من تدمير المدن والمنازل وإحراق المزارع.

- كما قام على عادته بنقل وترحيل العلماء والفنانين وأصحاب الحرف من فارس إلى سمرقند ليجعلها العاصمة الكبرى في المنطقة.

---

(1) Schiltberger: The Bondage and Travels of Johann Shiltberger in Europe, Asia and Africa (1396-1427) London, 1879. P. 110.

الفصل الرابع

علاقة تيمورلنك مع العراق وبلاد الشام

1 - أوضاع العراق والمنطقة قبيل غزو تيمورلنك

2 - سياسة أحمد جلائري تجاه الغزو التيموري

3 - دخول القوات التيمورية بغداد

4- أعمال تيمورلنك في بغداد

5 - إخضاع واسط والبصرة وتكريت والموصل

6- النتائج التي تمخضت عن غزو تيمورلنك للعراق

7 - أوضاع الشام قبيل الغزو التيموري

8 - العلاقة بين تيمورلنك وبرقوق

9 - المراسلات بين تيمورلنك وبرقوق

10 - الأسباب التي اتخذها تيمورلنك ذريعة لغزو الشام

11 - التوجه نحو بلاد الشام

12- مفاوضات تيمورلنك مع نواب الشام

13 - سقوط حلب بأيدي قوات تيمورلنك ورجاله

15 - سيطرة تيمورلنك على حماة وحمص وبعلبك

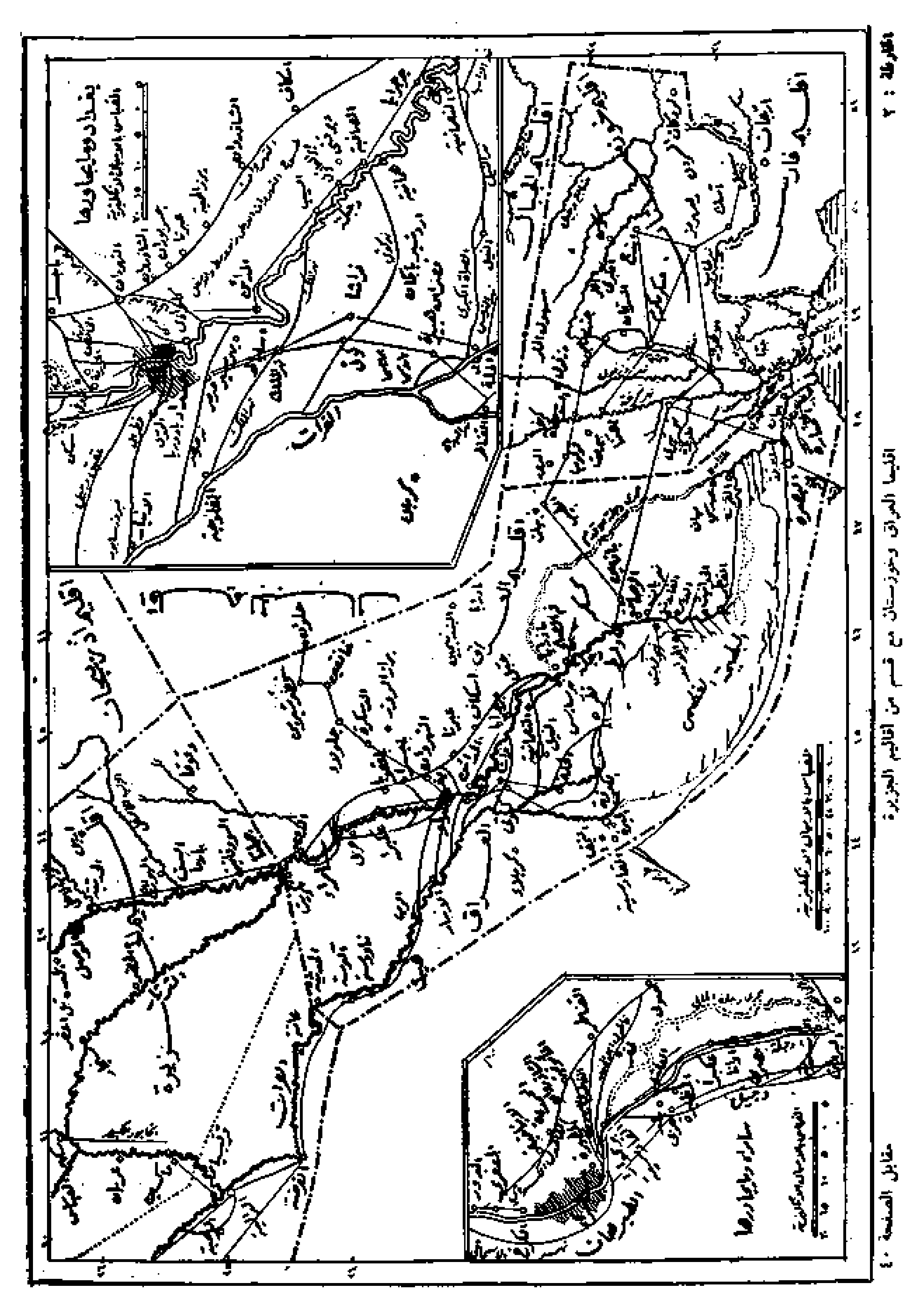
16 - غزو تيمورلنك دمشق وتخريبها

17 - تصرفات تيمورلنك في دمشق

18 - مقابلة ابن خلدون لتيمورلنك

19- أسباب سقوط بلاد الشام بأيدي تيمورلنك

20 - آثار الغزو التيموري على بلاد الشام



كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص40.

1 – أوضاع العراق وبلاد الشام ومصر قبيل غزو تيمورلنك:

عندما تجزأت المملكة الإيلخانية سنة (736هـ/1335م) اندلعت الحروب بين الطامعين بالسلطة إلى مجموعة من الأسر المتنافسة[1]، منها الدولة المظفرية في كرمان ويزد وأصفهان، والدولة الكرتية في هراة خُراسان الشرقية[2]. كما تمكن حسن الجلائري (740هـ – 757هـ/ 1339 – 1356م) أن يؤسس الدولة الجلائرية متخذاً من بغداد عاصمة له[3].

وفي سنة (757هـ/1356م) تولى الحكم ابنه أويس (757 – 776هـ/ 1356م) وبسط نفوذه على منطقة أذربيجان، ونقل عاصمته إلى تبريز أما العراق فقد أصبح ولاية جلائرية، ولما خلفه ابنه حسين سنة (776هـ/1374م) كان حديث السن ضعيفاً، فتسلط أمراء الجيش على شؤون الحكم وانضم فريق منهم إلى أخيه علي ونشب صراع على السلطة بين الأخوة الثلاثة، حسين وعلي، وأحمد، انتهى سنة (784هـ/1382م) بمقتل حسين واستيلاء أحمد على الحكم في تبريز[4]، ويبدو من أقوال المؤرخين المعاصرين أن أحمد جلائر (784 – 813هـ/1382 – 1410م) كان سيئ الخلق فضلاً عن مجاهرته بالفساد والفجور وعندما انتقل لبغداد نكل بإخوته وأساء معاملة قواده وبالغ في ظلم رعيته فهرب أخوه بايزيد إلى مدينة السلطانية[5] لاجئاً عند حاكمها الجلائري سارو عادل آغا[6] وكان ساخطاً على أحمد بن أويس فأكرم بايزيد بن أويس وأقامه سلطاناً هناك

---

(1) الدولة الجلائرية أو الإيلكانية نسبة إلى جدهم ايلكانويان وينبغي عدم الخلط بين الإيلكانية وأسرة الإيلخانات خلفاء هولاكو في إيران. ؛ إقبال: تاريخ المغول، ص445.

(2) الطرسوسي؛ ابراهيم بن علي: تحفة الترك، تحقيق عبد الكريم الحمودي، دار الشهاب، دمشق، ط1، 1421هـ/2000م، ص55. ؛ مصطفى شاكر: موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1993م، ج1، ص1085، 1086.

Browne: Ali terary history of Pexsia, the tartar, dominio - 1265 - 1502, Combridge University Press, 1951, vol, 111, pp, 60 - 61.

(3) Grousset: L'Empire Mongol, Paris, 1948, p, 508.

(4) الغياثي: التاريخ الغياثي، ص103 – 105. ؛ صفا: تيمورلنك، ص34.

(5) السلطانية: بناها سنة (704هـ/1304م) أولجايتو بن أرغون بن هولاكو في الجنوب الشرقي من تبريز على بعد 300كم عنها، واستغرقت عمارتها نحو تسع سنوات. ؛ لسترانج: بلدان الخلافة الشرقية، ص257 – 258. ؛ إقبال: تاريخ المغول، ص310.

(6) سارو عادل: ويلفظ أحياناً عادل آغا، بدأ حياته بالعمل في بغداد ثم التحق بخدمة سليمان الأتابك في جيش السلطان أويس ثم تقرب إلى ابنه حسين الذي جعله بمنصب أتابك ببغداد، وأصبح من المقربين إلى السلطان حسين (766 – 784هـ) كانت علاقته بأحمد أويس سيئة ولما تولى أحمد الحكم أعلن سارو عادل عصيانه في السلطانية ثم لجأ إلى –

وثمة قسم من الأمراء لجؤوا إلى بغداد ونصبوا علي بن أويس سلطاناً وساروا به نحو تبريز[1] على رأس قوة فوثب أحمد على أخيه علي فقتله وشتت عساكره بمساعدة حليفه قرا محمد[2] حاكم التركمان[3].

هكذا كانت أوضاع العراق وبلاد فارس، أما بلاد الشام ومصر خلال تلك الفترة فلا تحسد عليه ولاسيما في عهدي السلطانين برقوق (774 – 801هـ/1372 – 1398م) وابنه فرج (801 – 815هـ/1398 – 1412م).

فقد اشتدت الأزمة المالية على الناس في مصر[4]، علاوة على النزاع السياسي بين المماليك الأتراك والمماليك الشراكسة وأدت إلى فقدان برقوق سلطانه لبعض الوقت ونفيه إلى الكرك لكنه عاد إلى مقعد السلطنة من جديد[5].

ومما لاشك فيه أن هذه الأحداث انعكست سلباً على عامة الناس في مصر وبلاد الشام معبرين عن سخطهم تجاه السلطة الحاكمة إزاء ما ألمَّ بهم من ظلم وجور في ظل النظام الإقطاعي فخرجوا في صورة عصيان معلنين استياءهم حتى بلغ الأمر بثوار العربان في مصر والشام بالمطالبة بنزع السلطنة من برقوق[6].

والأمر الجدير بالاعتبار أن البلاد كانت تمر بمرحلة اضطرابات في الوقت الذي ارتكب برقوق خطأً سياسي حيث أوصى بالسلطنة لأبنائه الثلاثة واحداً بعد الآخر وهم فرج، وعبد العزيز، وإبراهيم وحلف الأمراء على السمع والطاعة علماً أن أكبرهم وهو فرج كان في العاشرة من عمره!

=شاه شجاع بشيراز. ؛ حافظ آبرو: ذيل جامع التواريخ، تشيدي بسعي خانبا بابياني، طهران، شركة تضامني علي، 1317، ص216.

(1) تبريز: أشهر بلدة بأذربيجان ولها غوطة رائعة وأنهار وكان بها كرسي بيت هولاكو. بعد أباقا بن هولاكو أول من اتخذها عاصمة له وهي مدينة في إيران حالياً. ؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، م2، ص13. ؛ القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج4، ص357. ؛ إقبال: تاريخ المغول، ص218.

(2) قرا محمد: هو ابن بيرام خواجه أمير القراقوينلو كانت علاقته حسنة مع المماليك والجلائريين قاوم تيمورلنك وقُتل سنة 791هـ/1389م. ؛ المقريزي، أحمد بن علي (ت 845هـ / 1441م): السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق حسن حبشي، القاهرة، دار الكتب، 1970، ج3، ق2، ص189. ؛ ابن الفرات، محمد بن عبد الرحيم (ت 803هـ / 1401م): تاريخ ابن الفرات، تحقيق قسطنطين زريق، بيروت، المطبعة الأميركية، 1936م، ج9، ص7، 9.

(3) ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص66.

(4) المقريزي: المواعظ والاعتبار، في ذكر الخطط والآثار، تحقيق أيمن فؤاد، مؤسسة الفرقان، لندن، 2002م، ص781 – 782.

(5) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ص1630. ؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص225.

(6) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج9، ص376.

وكان لهذا التصرف أسوأ الأثر على بلاد الشام ومصر لأن السلطان المقتدر في دولة المماليك كان يتعرض للمتاعب والمشاكسات في الأحوال العادية فكيف يكون الحال عندما يكون السلطان صبياً في دولةٍ كل أميرٍ فيها يُمثل دولة!!.

وقبل الخوض في سير حملات تيمورلنك لابد من الإشارة إلى أنه كان للأوضاع الاقتصادية المتردية في بلاد ما وراء النهر ورغبة تيمور في السيطرة وعدم اعترافه بوجود حاكم آخر من أكبر الأثر في اندفاعه نحو الغرب فقد اعتبر نفسه وريثاً لأملاك المغول والإمبراطورية الإيلخانية التي كانت تضم بلاد فارس وبلاد الجبل والعراق وأذربيجان وديار بكر وآسيا الصغرى[1].

وبالفعل بدأ تيمورلنك في وضع خطط تهدف إلى إنشاء إمبراطورية كبرى على غرار إمبراطورية جنكيز خان ومن أجل تحقيق ذلك الهدف وبعد أن تمكن من السيطرة على الأوضاع الداخلية أخذت أنظاره تتجه صوب البلاد العربية والإسلامية.

2 – سياسة أحمد جلائر تجاه الغزو التيموري:

ارتبطت سياسة أحمد جلائر الخارجية بالوضع الداخلي لدولته وبالأحداث الخارجية الخطيرة، التي تمثلت عندئذٍ بالمد التيموري الأول: فقد انشغل أحمد جلائر منذ توليه السلطة بقمع المحاولات الرامية إلى الإطاحة به، وقد تزعمها سارو عادل وبير علي بادوك. لذلك أهمل الجهود التي بذلها الأمير شاه ولي حاكم مازندران لإقامة تحالف ضد تيمور يضم الدولة المظفرية والدولة الجلائرية ومازندران، وإعداد قوة موحدة من هذه الدول لمهاجمة تيمور في ما وراء النهر[2]. إذ أن أحمد جلائر أجاب الأمير شاه ولي إجابة تدل على استصغاره للخطر التيموري تجاه الأخطار الداخلية المحيطة به فاضطر الأمير شاه ولي إلى مواجهة تيمور في مازندران وحده فسقطت مملكته بيد تيمور[3] وقد تدهورت علاقة أحمد جلائر بالدولة المظفرية بسبب تأييد المظفريين لحركتي بير علي بادوك وسارو عادل حيث كان الأول يحكم شوشتر باسم المظفريين واندفع منها نحو بغداد فاحتلها وضرب النقود فيها باسم شاه شجاع ولكنه اضطر إلى الانسحاب إلى شوشتر[4] ثم توجه ثانية إلى بغداد سنة (784هـ/1382م)، واتفق مع الشيخ علي محاولة تنحيته أحمد جلائر، انتهت

---

(1) البدليسي: شرفنامة، ، ج2، 55، دائرة المعارف الإسلامية، نشر دار المعرفة، بيروت، م6، ص159، 160. ؛ الفقي: بلاد الهند في العصر الإسلامي، 1980م، ص162.

(2) نظنزي: منتخب التواريخ، ص325.

(3) ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص37.

(4) حافظ آبرو: ذيل جامع التواريخ، ص224. ؛ مهاوي، حسين: تاريخ الغزو التيموري للعراق والشام وآثاره السياسية، بغداد، 1979، ص96.

بقتل الأخير لهما وإحباطه المحاولة وازدادت علاقة أحمد جلائر بالمظفريين تدهوراً بسبب إسناد شاه شجاع لتمرد سارو عادل آغا واحتلاله السلطانية[1]، وقد رد أحمد جلائر على موقف المظفريين العدائية، بإمداده أحد أفراد الأسرة المسمى شاه منصور بالعساكر سنة (786هـ/1384م) وتحريضه على احتلال شوشتر فتمكن شاه منصور من اجتياحها، وصار شوكة في جنب الدولة المظفرية[2]، ونظراً لهذه الأحداث فإن أحمد جلائر لم يتخذ أي خطوة إيجابية لتحسين علاقته بالمظفريين لاستخدامهم حزاماً يقيه خطر اندفاع تيمور، كما أن شاه شجاع لم يحاول مقاومة تيمور بل إنقاد له من أول اندفاع له على فارس، ولما دنا أجله أسند وصيته على مملكته إلى تيمورلنك[3].

اتسمت سياسة أحمد جلائر في الجبهة الشمالية بالضعف وقصر النظر، فقد كان لموقفه من الصراع الدائر بين تيمور وتقتميش خان القبيلة الذهبية أثره في فقده أذربيجان، إذ كان هذا الإقليم منطقة نزاع بين الدولتين الإيلخانية والقبيلة الذهبية في القرنين (7 – 8هـ/13 – 14م)، ولما احتل تيمور الأقاليم التي كانت خاضعة للإيلخانيين اعتبر نفسه وريثاً لهذا الصراع مع القبيلة الذهبية ممثلة في تقتميش إضافة لخروج الأخير عن سلطته وسكه النقود باسمه سنة (785هـ/1383م) في خوارزم التابعة لتيمور[4].

لم يجد أحمد جلائر لديه القوة الكافية لمواجهة تيمور الذي اندفع في جهات أذربيجان واحتل السلطانية[5] سنة (787هـ/1385م) وأسند حكمها إلى سارو عادل آغا لهذا فَضّلَ أحمد جلائر الانسحاب إلى بغداد وقد عانت أذربيجان بعد انسحابه من حقبة فوضى تمثلت في محاولة سارو عادل اجتياح تبريز كما أن تقتميش خان القبيلة الذهبية انتهز رجوع تيمور إلى سمرقند فبعث إلى أحمد جلائر عدة سفارات لعقد تحالف ضد تيمور اختتمها سنة (787هـ/1385م) بسفارة الشيخ كمال الدين قاضي مدينة سراي في القبيلة الذهبية، الذي توجه إلى بغداد ولما حل بها تباحث مع أحمد جلائر من أجل عقد الحلف، وأخبره بأن تقتمش قد جهز خمسين ألف فارس ووضعهم قرب مدينة الدربند باب الأبواب ولكنه أخفق في عقد الحلف لإساءة أحمد جلائر التصرف مع أحد أعضاء

---

(1) حافظ آبرو: زبدة التواريخ، ص58.

(2) الشواربي، أحمد: حافظ الشيرازي، القاهرة، دار المعارف، 1944، ص148.

(3) ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص35. ، طقّوش: تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند، ص103.

(4) Vernadisky: A History of Russia Vol. III, The Mongol and Russia (New Haven, Yale University Press 1959, Vol. 3, P, 269.

(5) نطنزي: منتخب التواريخ، ص329. ؛ الغياثي: التاريخ الغياثي، ص159.

السفارة فقفل راجعاً إلى تقتمش وأخبره بمـا وقـع[1]. فـأدى ذلـك إلـى انـدفاع تقـتمش سـنة (787هـ/1385م) نحو تبريز، وأمر قواته بهدم المدارس والمساجد والأسواق ونهب دولت خانـه[2] فراح ضحية هذا الهجوم زهاء عشرة آلاف نفس فقفل بعدها عائداً إلى بلاده[3]، ولمّـا علـم تيمـور بحملة تقتمش وبإرسال أحمد جلائر حملة من بغداد لاستعادة سلطته في تبريز، أرسل قوة خراسـانية إلى سارو عادل لتساعده في صد القوات الجلائرية، فتمكن مـن اجتيـاح تبريـز ودحـر القـوات الجلائرية، وأسر منهم سبعمائة شخص[4]، ولما علم أحمد جلائر بانكسار عساكره زحف بقوة تقـدر بعشرين ألف فارس نحو تبريز ولكنه ما إن سمع بمجيء تيمور سنة (788هـ/1386م) حتـى قفـل راجعاً إلى بغداد فدخل تيمور تبريز وضم أذربيجان الجلائرية إلى مملكته وأسند إدارتها إلى حفيـده محمد سلطان[5].

ولما تداعت الجبهتان الشرقية والشمالية للدولـة الجلائريـة، أرسـل أحمـد جلائـر سـنة (788هـ/1386م) سفارة إلى السلطان العثماني مـراد الأول (762 – 790/1360 – 1389) مـن أجل إقامة تحالف ضد تيمور ولكن مراد الأول لم يؤيده فـي مـسعاه، ولمـا مـات الأخيـر سـنة (790هـ/1388م) أرسل أحمد جلائر سفارة إلى بايزيـد بـن مـراد (790 – 805هـ/1388 – 1402م) للغرض نفسه وكان بايزيد أكثر وعياً من أبيـه لخطـر تيمـور إلا أن انـشغاله بالجبهـة الأوروبية حال دون اتخاذه خطوة عملية للوقوف مع أحمد جلائر[6].

حاول أحمد جلائر التعاون مع الشراكسة أثناء المد التيموري الأول أرسل سنة (785هـ/1383م) سفارة إلى القاهرة ومعها هدايا للسلطان برقوق هدفها إعلام الأخير بتوليه حكم الدولة الجلائرية والتأكيـد على علاقات حسن الجوار[7]. واتضح تعاونه مع الشراكسة في المستوى السياسي والعـسكري بإرسـاله سنة (788هـ/1386م) سفارة إلى برقوق حذره فيها من خطر تيمور[8]، فقام برقـوق فـي إثـر ذلـك بإرسال جيوشه إلى بلاد الشام في السنة الثانية استعداداً لمواجهة أي هجوم محتمل من قبل تيمور ولكـن

---

(1) حافظ آبرو: ذيل جامع التواريخ، ص224. ؛ ميرخوند: روضة الصفا، ج5، ص294. ؛ الرمـزي: المـصدر السالف، ج1، ص235.

(2) دولت خانه: دار السلطنة بتبريز، أنشأها أويس، وهي عمارة عظيمة البناء تتكون على ما قيل من عشرين ألـف غرفة يحيطها سور وتزينها نقوش جملية. انظر مهاوي: تاريخ الغزو التيموري، ص98.

(3) الاسترابادي؛ عبد العزيز (ت 801هـ / 1398م) : بزم ورزم، استانبول، مطبعة الأوقاف، 1928، ص17.

(4) حافظ آبرو: المصدر السالف، ص240.

(5) يزدي: ذيل جامع التواريخ، ج1، ص264 – 265. ؛ مهاوي: تاريخ الغزو التيموري ، ص99.

(6) بياني، شيرين: تاريخ آل جلاير، تهران، دانشكاة تهران، 1345، ص85.

(7) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ق2، ص487.

(8) المقريزي: المصدر السالف، ج3، ق2، ص552. ؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص142.

رجوع الأخير إلى سمرقند جعله يسحب قواته إلى القاهرة، ويبطل الإجراءات الاقتصادية التي اتخذها فيها[1]، ولكن سياسة أحمد جلائر لم تسفر عن إشراك الشراكسة في صد تيمور وذلك نتيجة لما كانت تعانيه الدولة الشركسية من اضطراب داخلي الذي تمثل باندلاع ثورتين للمماليك الترك في الشام.

أثارت الانتصارات التي أحرزها تيمورلنك في أواسط آسيا وشمال بلاد فارس والولايات الإيلخانية قلق أحمد الجلائري في بغداد فجهز جيشاً تحت قيادة سنتائي وفوّض إليه مهمة صد جيش تيمور والوقوف في وجهه.. وما أن علم تيمورلنك بذلك حتى اتخذه مسوغ للتقدم نحو العراق، والوقيعة بأحمد بن أويس الجلائري تقابل الجيشان قرب السلطانية وكانت موازين القوى غير متكافئة فانهزم سنتائي وعساكره وتفرقوا في البلاد، ولما وصل بغداد غضب منه أحمد جلائري وأوجعه ضرباً وأشهره بين الناس[2].

أما تيمورلنك فإنه قفل عائداً إلى مملكته بعد هذا الانتصار وهذه أول علاقة حربية وقعت له مع أحمد جلائر وكانت مقدمة لغزو العراق ولكي يقلص من نفوذ الجلائريين استولى على تبريز التي كانت تابعة لهم ثم قصد بلاد الكرج وقارص وتفليس، فشروان، وتوقف في قراباغ لصد حملة مفاجئة قام بها القفجاق عبر دربند، واجتاح بعد ذلك أرمينية الشرقية وديار القراقونيلو ثم ظهر في أذربيجان، ودخل مراغة وبعدها ذهب إلى أصفهان وكرمان وقضى على الأسرة المظفرية الحاكمة في تلك المناطق[3]، ولم يمضِ مدة حتى ظهرت طلائع تيمور في لرستان.

وكان حاكم اللر عز الدين العباسي غير مستعد لحربه وقوته قليلة فأعلن الولاء لتيمور فقبض عليه وأرسله إلى سمرقند ومن ثم عفا عنه وأقره على مملكته وبهذه الصورة استولى على همذان وأهلها غافلون[4]، ولم يبقَ حائل بينه وبين بغداد...

ومهما يكن فقد كان تيمورلنك يضع العراق ضمن مخططاته التوسعية لكونه مفتاحاً لبلاد الشام والحجاز ومصر، تأمين طرق التجارة القادمة من الخليج العربي إلى بغداد وتبريز وسمرقند[1]، وقد

---

(1) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج9، ق1، ص11 – 13.

(2) ابن عربشاه: عجائب المقدور ، ص57، 58. ؛ حافظ آبرو: ذيل جامع التواريخ، ص224، 225. ؛ العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، م2، ص221.

(3) فامبري: تاريخ بخارى، ص227. ؛ السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1966، ق3، ص46، دائرة المعارف الإسلامية، م6، ص160. ؛ الصدفي: تاريخ دول الإسلام، مطبعة الهلال، مصر، 1325هـ/1907م، ج2، ص293.

Browne: Aliterary History of Persia, Vol III, The Tartar dominion 1265 - 1502 Cambridge University Press, 1951, Voll. III, P. 160.

(4) ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص60.

ساعده على تنفيذ أهدافه الأوضاع المتردية في العراق ولاسيما سياسة أحمد الجلائري التي اتسمت بضيق الأفق وعدم تقويمه لخطر تيمورلنك فلم يتخذ إجراءات عسكرية لدفع خطره وإقامة جبهة داخلية تدعمه بل ارتكب بعض الحماقات وقتل خيرة ضباط جيشه وأعيان رجال الدولة من ذوي الكفاءة والدراية في تدبير الأمور وجمع حوله حاشية عرفت بسوء التدبير ونصبهم في المناصب العليا وقد أدى تقصيرهم وسوء تصرفهم إلى تدهور في أعمال الدولة، فنشطت المعارضة والفتن في كل مكان[2]، ويتفق كثير من المصادر على أن سكان بغداد كرهوا أحمد الجلائري وسياسته العسكرية فكاتب بعض أعيانها تيمورلنك يحرضونه على القدوم واحتلال بغداد، حتى إن موظفي البريد وكشافة الطرق اللذين أرسلهم أحمد جلائري لرصد تحركات تيمورلنك لجؤوا إليه ودخلوا في طاعته قبل وصوله بغداد[3].

ويضيف تيمورلنك في مذكراته أنه أرسل رسولاً إلى السلطان أحمد جلائري في بغداد كي يتمكن من جمع المعلومات حول قدراته وسلوكه واستعداد قواته، فكتب إليه يقول: «اعلم أن السلطان أحمد هو قطعة من اللحم الحي، مع أن له عينين»[4].

أما على الصعيد الخارجي فلم يتمتع أحمد الجلائري بسعة الأفق ولم يتعاون مع الدول المجاورة للوقوف بوجه تيمورلنك، وخير دليل على ذلك ما ذكره ابن عربشاه من أن أحمد جلائر أهمل العرض الذي تقدم به الأمير شاه ولي حاكم مازندران الذي طلب إقامة حلف معه قائلاً: «أنا ثغركم وإن انتظم أمري انتظم أمركم، وإن نزل بي منه بائقة فإنها لممالككم لاحقة فإن ساعدتموني بمدد كفيتكم هذا النكد»[5].

فأجاب أحمد جلائر بجواب مهمل وقال: «هذا الأشل الأعرج الجغتائي ما عساه أن يفعل، ومن أين للأعرج أن يطأ العراقين، وإن بينه وبين هذه البلاد لخرط القتال ولكم بين مكان ومكان فلا يخل

---

(1)Aubin: Tamerlana Bagdad (Arabica Special 1952, pp 305 - 309.

(2) الاسترابادي: بزم ورزم، ص16، 17. ؛ الصدفي: تاريخ دول الإسلام، 1907، ج2، ص291. ؛ شهاب: تيمورلنك، ص218، 219.

(3) محمد بن محمد (ت 799هـ / 1396م) : الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية، تحقيق وليم برينز، جامعة كاليفورنيا، 1963م، ص146. ابن عربشاه: عجائب المقدور ، ص67. ؛ العيني بدر الدين: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان: تحقيق إيمان شكري، ص367؛ الصيرفي، علي بن داود (ت 900هـ / 1451م) : نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق حسن حبشي، مطبعة دار الكتب، القاهرة، 1970م، ج1، ص363. ابن صصري، ؛ ابن عربشاه...

(4) تيمور: مذكرات تيمور ، ص44.

(5) ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص67.

العراق كخراسان ولئن عقدت على التوجه إلى ديارنا نيته لتحلنّ به منيته فإنا قوم لنا البأس والشدة»[1]..

كما أهمل عرضاً آخر للتحالف تقدم به توقتميش حاكم القبجاق ضد تيمورلنك سنة (787هـ/1385م) تقدم به وفداً برئاسة قاضي العاصمة سراي إلا أن حاكم بغداد لم يغتنم الفرصة بل أساء معاملة أحد أعضاء الوفد، مما أدى إلى تردي العلاقة مع تقتميش[2]. أما التعاون الذي أقامه أحمد جلائر كما يذكر ابن الفرات مع قرا محمد حاكم قبيلة القرة قيونلو التركمانية ومع جماعة من العرب على قتال تيمورلنك واسترجاع مدينة تبريز فقد أخفقت أمام تيمورلنك[3]، ويبدو أن أحمد جلائر لم يدرك خطر تيمورلنك إلا بعد فوات الأوان وبعد أن فقد أجزاء من دولته فقام ببعض المحاولات بالاتصال بالعثمانيين لكن دون فائدة، كما أنه لم يحصل على مساعدة المماليك الشراكسة في مصر والشام بسبب اضطراب الأوضاع الداخلية فيهما.

أدت مواقفه إلى فقدانه أذربيجان ذات الأهمية الاقتصادية والبشرية، كما تمثل خطأ تقديره للخطر التيموري في مراسلاته الأولى مع تيمور إذ بعث الأخير (765هـ/1363م) إليه رسالة معها الخلعة والسكة ويأمره بذكر اسمه على النقود وفي الخطبة[4]، والإسراع في المثول بين يديه لتقديم فروض طاعته[5]، فأجابه أحمد جلائر برسالة تهكمية: «يا تيمور المهموم والمعروف بالظلم والجور اعلم عندما وصلت رسالتك اللامعقولة، استلمها أقل خدمنا لمطالعتها فأطلعنا على ما فيها من إعجابك بنفسك فعجباً أن يصبح الثعلب الضال الذي لا يد له ولا رجل ليثأر ولتتقابل الأصل مع الأصيل وما أنت إلا نملة في صحراء» وإن المرحوم شاه منصور كانت الغلبة عليه مواقفه الكريمة لكل أجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب وذكرت في رسالتك سعياً على الرأس لا مشياً على القدم هل تتصورنا مثلك إذ أن الأعرج لا حيلة له إلا أن يمشي على ركبته، «وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون»[6].

---

(1) عجائب المقدور ، ص37، 38. ؛ نظنزي: منتخب التواريخ، 1336، ص335.

(2) حافظ آبرو: ذيل جامع التواريخ، ص235. ، خليل، نوري: حملات تيمورلنك على بغداد، المورد، م8، عدد 1979م. ص66.

(3) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، م9، ج1، ص7.

(4) Howorth: History of The Mongols, Vol. III, IV, London, New York, Burt Franklin, 1888, 1927, Vol. 3, p 660

(5) أشار بعض المؤرخين العرب خطأ إلى أن أحمد جلائر قد خضع لتيمور، فلبس الخلعة وضرب النقود باسمه، وذكر اسمه في خطبة الجمعة، ولا صحة لذلك، إذ كانت من حجج تيمور على أحمد جلائر في غزوه بغداد في عدم قيامه بذلك، كما ذكر الخبر ابن الفرات م9، ج1، ص827.

(6) بياني: تاريخ آل جلائر، ص83.

تركت رسالة أحمد جلائر أثراً عميقاً في نفس تيمور، فاستغل عدم خضوع أحمد جلائر ومكاتبة بعض أعيان بغداد له للزحف نحو العراق فواصل سيره نحوه حتى وصل بالقرب من شهرزور[1].

أدرك أحمد جلائر عجزه في اتخاذ موقف عسكري حازم تجاه الجيوش التيمورية الزاحفة نحو بغداد فلجأ إلى الإسراع بإرسال وفد برئاسة الشيخ نور الدين عبد الرحمن السفرايتي يحمل رسالة وهدايا ثمينة إلى تيمورلنك حيث استقبله أحسن استقبال ولكنه رفض الهدايا والتبعية والطاعة من حاكم بغداد لأنه كان يود قدومه بنفسه[2]، ومن هنا يمكن القول إن تيمورلنك قد أصبح لديه مسوغاته الكاملة لغزو بغداد منها:

1 – القتال العسكري الذي تم بين الفريقين بقيادة سنتاي ممثل حاكم بغداد سنة (789هـ/1387م) قرب السلطانية التي تمخض عنها دخول تيمورلنك تبريز.

2 – عدم التزام أحمد جلائر لطلب تيمورلنك بضرب السكة وإعلان اسمه في الخطبة.

3 – دعوة بعض أعيان سكان بغداد لتيمورلنك لدخول بغداد[3].

وبالفعل بدأ تيمورلنك بوضع مشروعه لغزو بغداد، بالاتصال مع حاكم بغداد بمخادعته والتظاهر بالود له فقد أرسل تيمورلنك سنة (795هـ/1393م) إلى أحمد جلائر يقول له: «أنا ما جئتك محارباً وإنما خاطباً، أتزوج بأختك وأزوجك ابنتي»[4].

كما سمح للشيخ نور الدين السفرايتي بالعودة إلى سيده، وأعلمه بأنه سيتمنع عن الإغارة على بغداد إكراماً له وأنه تركها لأجله[5].

أراد تيمورلنك التمويه على أحمد جلائر فقط حيث وضع خطة عسكرية محكمة للزحف على بغداد عن طريق ممرات جبلية ضيقة ووصلت عساكره بعد خمسة أيام إلى مزار الشيخ إبراهيم يحيى قرب الخالص، ولما شاهد أتباع أحمد جلائر غبار الجيش أرسلوا لأحمد جلائري يخبرونه

---

(1) شهرزور: مدينة قديمة تسمى نيم ارده تقع بمنتصف الطريق بين المدائن وأذربيجان، بناها الملك كيقباد الساساني وسميت شهرزور أي مدينة القوة. ؛ مهاوي: تاريخ الغزو التيموري للعراق، ص123. لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص225.

(2) شامي: ظفر نامة، ص138. ، يزيدي: ظفر نامة، ج1، ص449. ؛ الغياثي: التاريخ الغياثي، ص108، 109. ؛ شهاب: تيمورلنك، ص219.

(3) العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، م2، ص204.

(4) المقريزي: السلوك ، ج3، ق2، ص789. ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج12، ص44.

(5) ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ، ج1، ص30. ؛ العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، م2، ص224.

بوصول جيش تيمورلنك، ولكن تيمورلنك أمرهم في الحال أن يرسلوا رسالة أخرى يذكرون فيها أن الغبار الذي شاهدوه لم يكن من أثر جيش تيمورلنك بل غبار التركمان الذين هربوا منه، وأمر قواته بالسير بأقصى سرعة[1] حيث تولى قيادة القلب وقاد الميمنة حفيده محمد سلطان والميسرة ابنه ميرانشاه وقاد عثمان بهادر المؤخرة[2]، وجعل على رأس طليعة الجيش الأمير عثمان عباس[3].

أما أحمد جلائر «فكان في جهل تام بأخبار عدوه وعميت عليه الأخبار»[4]، في الوقت الذي كانت فيه عيون تيمور في بغداد تنقل له أخبار أحمد جلائر ومدى قوته[5]. ويرى القلقشندي أن أحمد جلائر ربما اطمأن للعهود والمواثيق التي قطعها له تيمور بعدم التعرض له ولا إلى مملكته[6]، وبرغم هذا فقد اتخذ بعض الإجراءات الاحترازية حيث نقل أمواله وحريمه وأسلحته وأرسلهم أمامه إلى الحلة[7]، ثم قطع الجسر ونقل السفن إلى الجانب الغربي إلى الكرخ وأغرق بعضها كي لا يستفيد منها العدو وانسحب من بغداد مع عدد من أتباعه.

اختلف المؤرخون في تقدير عدد القوات التيمورية التي زحفت على بغداد إذ قدرهم ابن صصري بنصف مليون جندي[8]، ووصفهم الاسترابادي بأنهم قد أحاطوا بغداد إحاطة الهالة بالقمر[9]، أما ابن الفرات فقدرهم بـ 240 ألف مقاتل[10]، ويبدو أن التقدير الذي ذكره ابن صصري مبالغ فيه إذ أنه على الرغم من معاصرته للحادثة فإنه كان بعيداً عنها فضلاً عن محاولته تهويل وقعها في نفس الشاميين كي يستعدوا لمواجهتهم.

---

(1) يزدي: ظفر نامه، ج1، ص450. ؛ الغياثي: التاريخ الغياثي، ص110. ؛ العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، م2، ص225. ؛ شيخو: حقيقة تيمورلنك، ج1، ص356، 357.

(2) يزدي: ظفر نامه، ج1، ص415. ؛ خليل: حملات تيمورلنك على بغداد، ص66.

(3) عثمان عباس: من أمراء تيمور وهو أخو شمس الدين عباس قائد جيوش تيمور، تولى قيادة حملتين ضد الجته في مغولستان 791هـ/1390م، قاد طليعة الجيش التيموري في الحرب مع شاه منصور المظفري واشترك في غزو العراق، وطارد أحمد جلائر، قتله تيمور لمخالفته الأوامر العسكرية. ، الشامي: ظفر نامه، ص109، 113، 145، 156.

(4) ابن خلدون: كتاب العبر، م5، ص1174. ، العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، ج2، ص204.

(5) تيمور: مذكرات تيمور، ص44. ، ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص283. ؛ السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، م3، ص46، 47.

(6) يزدي: ظفر نامه ، ج1، ص451. ، الغياثي: التاريخ الغياثي، ص111.

(7) الحلة: بين واسط والبصرة، ياقوت الحموي: معجم البلدان، م2، ص295.

(8) الدرة المضيئة، ص145.

(9) بزم ورزم، ص19.

(10) تاريخ ابن الفرات، ج9، ق2، ص370.

أما ما ذكره فإنه لا يعدو أن يكون وصفاً لضخامة القوات التيمورية، كما لا يمكن تبني ما ذكره ابن الفرات لأنه أخذ روايته عن أحد عيون المصريين الذي خمّن هذا العدد حيث كان عدد قوات حملة السنوات الخمس حينما خرجت من بلاد وراء النهر نحو مائة ألف مقاتل[1]، فإنه لا يمكن أن تكون بأكثر من هذا العدد ولاسيما أنه قد قتل منها ممن قتل خلال العمليات الحربية ضد طائفة الحروفية وآل المظفر، ومما يؤيد هذا هو أن عدد القوات التي حاصرت تكريت كان 72000 اثنان وسبعين ألفاً، سنة 796هـ/1394م[2].

3 – دخول القوات التيمورية بغداد:

دخلت القوات التيمورية بغداد سنة (27 شوال 795هـ/آب 1393م) بعدما عبروا دجلة وحاصروا المدينة من جهتها الغربية[3]، وكان العساكر يشاهدون وهم ينفخون القرب، ثم يركبونها ليعبروا النهر إلى الضفة الثانية وحصان كل جندي يسبح إلى جانبه[4]، واستولوا على السفن الراسية في الجانب الغربي التي لم يتمكن أحمد جلائر من أتلافها ومن ضمنها سفينته الخاصة المسماة الشمس، فاستخدم تيمورلنك هذه السفن في العبور إلى الجانب الغربي وسيطر على بغداد[5].

واستقبله أهلها وعلى رأسهم نظام الدين شامي الذي دون غزوات تيمورلنك وقد وصف قواته بأنها كانت تتحلى بالشجاعة والجلادة[6] وشرف الدين البليقي[7].

تعقب رجال تيمورلنك أثر أحمد جلائر وكان معه جماعة من الأمراء إلى مشهد الإمام علي (رض) وبينه وبين بغداد ثلاثة أيام ولم يظفروا به[1]، لكنهم استمروا في مطاردته بقياده ميرانشاه

---

(1)Hookham, Hilda; Tambuelaine The Conqueror, P 142.

(2) مهاوي: تاريخ الغزو التيموري للعراق والشام، ص131. Hookham, op, cit, P 151.

(3) المقريزي: السلوك ، ج3، ق2، ص789. ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج12، ص44.

(4) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، م9، ج2، ص346. ؛ العيني: السلطان برقوق، ص367.

(5) يزدي: ظفر نامه، ج1، ص451. ؛ الغياثي: التاريخ الغياثي، ص111، 112. ؛ فامبري: تاريخ بخارى، ص229.

(6) الشامي: ظفر نامه، ص139. ؛ ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، م9، ج2، ص544. ؛ العيني: السلطان برقوق، ص367.

(7) شرف الدين البليقي: من أمراء أحمد جلائر بقي في بغداد بعد غزو تيمور لها، تولى جباية الأموال من سكانها وظل ببغداد بعد أن رجع إليها أحمد جلائر، قتل سنة 813هـ/ 1410م، ؛ الغياثي: التاريخ الغياثي، ص99.

إلى كربلاء حيث عثرت على كميات كبيرة من غنائم وذخائر أحمد جلائر وأسروا بعض نسائه وجواريه وابنه علاء الدولة[2].

أما موقف المدنيين من الغزو فقد امتاز بالخوف والحذر، إذ لم تكن لهم القوة على الوقوف بوجه القوات المهاجمة وهم يعلمون بسياستهم تجاه المدن التي تفتح صلحاً أو عنوة، وقد أشار ابن إياس إلى أن أهل بغداد خشوا أن يصيبهم ما أصاب أسلافهم الذين رفضوا الخضوع لهولاكو سنة (656هـ/1258م)، فوهنت عزيمتهم وتسرب اليأس إلى نفوسهم وَحَدَّ من قدرتهم على مقاومة الحصار والعمل على رفعه لاسيما بعد انسحاب أحمد جلائر[3] وقد وصف نظام الدين الشامي وهو من سكان بغداد عندئذٍ الحالة النفسية التي سيطرت عليهم: «كنت ساكناً في بغداد في ذلك الوقت وعند خروجي من أحد أبواب بغداد وجدت البطولة النادرة وأيقنت أن الله كان في رعايتهم، وأنهم مؤيدون من عنده، إذ كانت قوتهم هي الراجحة في الميدان، فكنت أول من يلاقي الأمير صاحب قران ويلقى منه الود والاحترام إذ تلقفني بالرعاية»[4].

وقد تملكت الدهشة سكان بغداد عندما شاهدوا القوات التيمورية تندفع بخيولها عبر نهر دجلة إلى الجانب الغربي فعللوا ما امتازت به من كثرة وضبط وشجاعة تعليلاً غيبياً، إذ اعتقدوا أن العناية الإلهية وراء انتصارهم ونتيجة لذلك فقد فتح أعيان بغداد بعد هروب أحمد جلائر أبواب مدينتهم لتيمور[5].

وموقفهم هذا يؤيد صحة المراسلات السرية بين تيمور وبعض أعيان الدولة الجلائرية أمثال سارو عادل، وقطب الأقطاب[6] الذي أشار إليه تيمور في مذكراته: «فبعدما أخضعت العراق

---

(1) ابن عربشاه: عجائب المقدور في نوائب تيمور، ص67. ؛ العيني: عقد الجمان، ص370. ؛ الغياثي: التاريخ الغياثي، ص115. ؛ ابن قاضي شهبه: تاريخ ابن قاضي شبهه، تحقيق عدنان درويش، دمشق، 1977م، ج3، ص473.

(2) علاء الدولة: هو ابن السلطان أحمد جلائر أسره ميرانشاه في كربلاء ونُقل إلى سمرقند، تزوج امرأة مغولية وأنجب منها ولداً ثم عاد إلى بغداد بعد وفاة تيمورلنك، قتله قرا يوسف بتبريز سنة (813هـ/1410م). ؛ الغياثي: التاريخ الغياثي، ص118. ؛ شيخو: حقيقة تيمورلنك، ج1، ص367.

(3) بدائع الزهورفي وقائع الدهور، ج1، ص99.

(4) ظفر نامه، ص139.

(5) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج9، ق2، ص244، ؛ المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص788. ؛ الشامي: ظفر نامه، ص139 . ؛ ميرخوند: روضة الصفا، ج6، ص215.

(6) قطب الأقطاب: لم أجد له تعريف باسمه من المصادر التي لدي.

العجمي وفارس وصلتني في تلك الأيام رسالة من قطب الأقطاب حيث قال فيها: «لقد أعطى رب العراق العراقين العجمي والعربي إليك»[1]. كما وصلته رسائل استغاثة من أهل بغداد[2].

4- أعمال تيمورلنك في بغداد:

من الجدير بالملاحظة في هذا الصدد هو سكوت المصادر الموالية لتيمور عن أعمال السلب والقتل التي قامت بها قواته إثر دخولها بغداد ومع ذلك فيتضح لنا من الأخبار القليلة التي تسربت إلى بلاد الشام ومصر عن طريق التجار أو من فرَّ من العراق أن الغزاة قد عملوا بها أفعالاً قبيحة من القتل والأسر والنهب وأنه قتل من التعذيب من أهل بغداد ثلاثة آلاف نفس[3].

أما ابن عربشاه فيشير إلى: أن تيمور نهب بغداد ولم يخربها[4]، ويذكر ابن الصيرفي فيقول: إنَّ تيمور كان يشوي الناس على النار كما يشوى الطائر الدجاج[5]. كما قاموا بإذلال الناس بإخراج الفتيات والاعتداء عليهن[6]. أما ابن خلدون فكان الأقل مبالغة في وصف حالتهم بقوله: إنَّ تيمور «استوعب موجود أهل بغداد بالمصادرات لأغنيائهم وفقرائهم حتى مستهم الحاجة»[7]، ولم يبقَ لهم ما يستر عوراتهم وصاروا يخرجون فيلتقطون الخرق من الطرقات حتى تستر عوراتهم وتغطي رؤوسهم[8]، ثم أمر تيمور أن تحضر أموال التجار والرجال البارزين الذين فروا من بغداد مع أحمد جلائر فقام أتباعه بنهب أموال وحريم قاضي بغداد ودار المحتسب[9].

اختلف المؤرخون حول الأعمال التي قام بها تيمورلنك أثناء إقامته في بغداد خلال الشهرين اللذين قضاهما فيها من (21 شوال إلى 24 ذي الحجة 795هـ/21 آب إلى 22 تشرين الأول 1393م) فالمصادر الرسمية لا تشير إلى وقوع خسائر في الأرواح لأن مدينة بغداد استسلمت

---

(1) تيمور: مذكرات تيمور، ص41 - 42.

(2) ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص267.

(3) القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج7، ص339. ؛ ابن قاضي شهبه: تاريخ ابن قاضي شهبه ج3، ص475. ؛ العيني: عقد الجمان، ص368. ؛ الغياثي: التاريخ الغياثي، ص163.

(4) عجائب المقدور، ص62.

(5) نزهة النفوس والأبدان، ج1، ص366.

(6) ابن صرصري: الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية، ص140. ؛ ابن حجر: أنباء الغمر، ج1، ص456. ؛ الاسترابادي: بزم ورزم، ص19.

(7) تاريخ ابن خلدون، ج5، ص1084.

(8) المقريزي: السلوك، ج9، ص760. ويقال ابن صرصري 800 نفس، الدرة المضيئة، ص145.

(9) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج9، ق2، ص348. ؛ المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص846. ؛ ابن حجر: أنباء الغمر، ج1، ص450.

صلحاً[1]، وأنه أخذ مال الأمان فقط وهي الضريبة التي اعتاد أخذها من سكان المدن التي تفتح صلحاً مقابل الحفاظ على أرواحهم ولم يصادر إلا أموال أحمد جلائر وذخائره ونفائسه[2]، لكن مصادر أخرى تؤكد أنه صادر أهل بغداد ثلاث مرات وجمع في كل مرة 1500 تومان[3]، (أما مجموعة 45 مليون دينار) فقد طلب أن يجبى من أهل بغداد كل على قدر طاقته[4]، لكن عسكره كانوا يلجؤون إلى تعذيب الأهالي ولاسيما الموسرين منهم من أجل استخراج الأموال ومن ضمن ما استخدموه من وسائل التعذيب هو عصر الأعضاء والمشي على النار وتعليق البعض من الأرجل كما كانوا يدسون خرقة فيها تراب ناعم بأنف المعذب حتى تكاد تخرج نفسه وقد مات من أثر التعذيب نحو 800 شخص من التجار والأمراء[5].

هذا وقد ورد في رسائل السلطان المملوكي برقوق إلى تيمور ما يؤيد هذا العدد من القتلى حيث قال: «أما أهل بغداد كانوا حرامية قطاع طريق حتى فعلت بهم ما فعلت وقتلت منهم من التجار ثمانمائة نفس بالعقوبة والعذاب ففي أي مذهبٍ يجوز هذا؟ وهل يحل لمن يدعي الإسلام أن يعمل بخلق الله تعالى...!» [6].

مكث تيمور في بغداد شهرين قضاها بالاستراحة بالقصور البغدادية وبيوت اللهو المطلة على ضفتي دجلة. قام خلالها باستعراض الوضع بالعراق واتخذ عدة إجراءات لتنظيم شؤونها منها إرسال ابنه ميرانشاه لتعقب أحمد جلائر والاستيلاء على الحلة وإرسال محمد سلطان للسيطرة على واسط والتوجه بعد ذلك نحو البصرة[7]، وتعيين الخواجا مسعود السبزواري[8] والياً على بغداد مع حامية عسكرية يتراوح عددها بين 3000 – 5000 فارس وضرب النقود باسمه[9].

---

(1) كثير من المصادر تشير إلى أن بغداد استسلمت صلحاً ولاسيما الرسمية منها وإلى أخذ مال الأمان لكن لا تشير إلى بنود الصلح ومع من وأيضاً غير الرسمية لم تشر إلى ذلك.

(2) الشامي: ظفر نامه، ص141. ؛ اليزدي: ظفرنامه، ج1، ص457. ؛ فامبري: تاريخ بخارى، ص229.

(3) المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص790. ؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص366.

(4) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج9، ق2، ص362.

(5) ابن صرصري: الدرة المضيئة، ص145. ، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون؛ ج5، ص1084.

(6) القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج7، ص339.

(7) الشامي: ظفر نامه، ص141. ؛ حافظ آبرو: زبدة التواريخ، ص112. ؛ مهاوي: تاريخ الغزو التيموري للعراق، ص139.

(8) السبزواري: هو أحد أفراد الأسرة السبزوارية التي كانت تحكم في سبزوار قبل الاحتلال التيموري.

(9) النقود: يوجد على الوجه الأول الشهادتين وأسماء الخلفاء الأربعة وفي وجهه الثاني اسم الخان المغولي سلطان محمود واسم تيمور كوكان ختم تيمور وهو ثلاث حلقات تعني راستي – راستي أي في الصدق النجاة وأن المسكوكات الفضية المرقمة 14945 س.م، 14968، 15800، ضربت ببغداد سنة 795هـ/1393م. ابن

5 – إخضاع واسط والبصرة وتكريت والموصل:

بعد أن تم لتيمورلنك إخضاع بغداد واصل عملياته العسكرية في العراق بهدف استكمال السيطرة عليها.

كانت واسط تحت سيطرة قبيلة عبادة العربية، أما البصرة فكانت تحت إمرة صالح بن حولان أمير المنتفق[1]، أمّا تكريت فكانت تحت حكم الجلائريين المباشر منذ أن ضمها السلطان أويس إلى دولته سنة (767هـ/1366م) [2]، أما أربيل والموصل فكانت تقطنهما قبيلة زبيدة وآل بشار من ربيعه[3]. أرسل تيمورلنك حفيده محمد سلطان الذي مع ميمنة جيشه للسيطرة على واسط وإخضاع القبائل العربية ولاسيما قبيلة عبادة المنتشرة على الفرات بهدف تأمين طرق القوافل[4].

ومن الجدير ذكره أن المصادر الرسمية التيمورية سكتت عما حدث من مقاومة قوية للقبائل العربية التي كبدت القوات التيمورية خسائر كبيرة[5]، وعلى ما يبدو أن الشامي ويزدي اهتما بتدوين الانتصارات وإهمال الهزائم والخسائر كما هو ظاهر من عنوان كتابيهما المسميان بظفر نامه أي كتاب النصر ومما يؤيد هذا تدوينهما تفاصيل دقيقة عن غزو تكريت[6]، وإهمالهما وقائع البصرة وواسط وقد حاولت بعض المصادر العربية المعاصرة التعرض لوقائع قوات تيمور في واسط والبصرة، وكشفت عن الخسائر التي ألحقتها القبائل العربية بالقوات التيمورية، إلا أن أخبارها جاءت على شكل روايات شفوية تحمل طابع المبالغة مع جهل بوقائع الحملة ويتضح هذا من خلال معالجة أحداث واسط والبصرة.

على كل حال زحف محمد سلطان على واسط بقواته وقد استخدمت السفن إلا أن القبائل العربية هاجمتها وقتلت أعداداً كثيرة وأغرقت السفن[7]، ولاسيما مقاومة قبيلة عبادة مما اضطر تيمورلنك إلى إرسال حملة ثانية إلى ضفاف نهر شط الفرات الذي تقع عليه واسط تحت قيادة

=صصري: الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية، ص145. ؛ حافظ آبرو: زبدة التواريخ، ص114. ؛ مهاوي: تاريخ الغزو التيموري، ص140.

(1) ابن صصري: الدرة المضيئة، ص14. ؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، م9، ج2، ص348. ؛ المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص790.

(2) حافظ آبرو: ذيل جامع التواريخ، ص144. ؛ ميرخوند: روضة الصفا، ج5، ص573.

(3) القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص204. ؛ مهاوي: تاريخ الغزو التيموري للعراق والشام، ص160.

(4) الشامي: ظفر نامه، ص140. ؛ مير خوند: روضة الصفا، ج6، ص219.

(5) فامبري: تاريخ بخارى، ص229.

(6) ظفر نامه، ص142. ؛ ظفر نامه، ج1، ص448 – 449.

(7) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، م9، ج2، ص347.

النفاجي شمس الدين عباس[1]، حيث اشتبك مع القبائل العربية وقتل عدداً كبيراً من أفرادها وأعلنت بعض القبائل خضوعها وقدمت ضريبة الخراج إلى القوات الغازية[2]، وبذلك دانت واسط وضواحيها لسلطة تيمورلنك حيث عين عليها محمد سلطان وترك فيها حامية عسكرية[3].

واصلت القوات التيمورية تقدمها من واسط إلى جهات البصرة تحت قيادة كل من ميرانشاه وسلطان محمود[4] فتصدى لهما صالح ابن حولان بمساعدة عشائر الأعراب التي كانت مضاربها قرب البصرة[5]،أسفرت عن اندحار القوات التيمورية ومقتل عدد كبير من عساكرها وأسر ميرانشاه[6]، كما تشير بعض المصادر خطأ إلى مقتل الخان سلطان محمود في المعركة[7]، وما أن علم تيمورلنك بذلك، حتى طلب من صالح بن حولان إطلاق سراح ابنه ومن معه من الأسرى فأجابه صالح بن حولان بأنه سيفعل ذلك إذا ما أطلق تيمور سراح علاء الدولة بن أحمد جلائر وبقية الأسرى وأن يدفع الفدية، مما دفع تيمورلنك إلى إيفاد حملة أخرى لمقاتلته[8]، وإنقاذ ابنه بالقوة فانقض عليها العرب وقتلوا وأسروا وأغرقوا المركبات ولم تنجح في تحقيق غايتها[9].

أما المصادر الرسمية التيمورية فتشير إلى أن ميرانشاه أنزل ضربة قاسية بعشائر البدو المجاورة لمدينة البصرة لأنها كانت تتعرض للقوافل التجارية العابرة من مناطقهم إلى الحجاز وقد دعاهم يزدي

---

(1) يزدي: ظفر نامه، ج1، ص448.

(2) الشامي: ظفر نامه ، ص144. ؛ مير خوند: روضة الصفا، ج6، ص219.

(3) يزدي: ظفر نامه، ج1، ص448. ؛ مهاوي: تاريخ الغزو التيموري للعراق والشام ، ص148.

(4) سلطان محمود: هو محمود بن سيور غتمش الخان المغولي من سلالة أوكداي تولى الخانية بعد وفاة أبيه سيورغتمش سنة 798هـ/1395م، اشترك مع تيمور في حملاته على تقتمش وفي غزو العراق والشام وآسيا الصغرى وتوفي سنة 807هـ/1405م. انظر: حافظ آبرو: زبدة التواريخ، ص69 – 110. السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج3، ص46.

(5) ابن صصري: الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية، ص140. ؛ ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، م9، ج2، ص348. ؛ المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص790.

(6) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، م9، ج2، ص347. ؛ المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص790.

(7) ابن الفرات: المصدر السالف، م9، ج2، ص347. ولكننا نجد سلطان محمود قد شارك في غزو تكريت بعد اجتياح البصرة سنة 796هـ/1392م، كما شارك في غزو الشام مما يؤكد خطأ ابن الفرات. ؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج7، ص1029. ؛ حافظ آبرو: زبدة التواريخ، ص110.

(8) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، م9، ج2، ص347. ؛ المقريزي: السلوك، ج2، ق2، ص790. ؛ العيني: السلطان برقوق، ص368.

(9) ابن قاضي شهبه: تاريخ ابن قاضي شهبه، ج3، ص477. ؛ المقريزي: السلوك، ج3، ق2، 790. ؛ العيني: السلطان برقوق، ص796. ؛العلبي: المرجع السالف، ص102.

بالمتردين والمفسدين[1]، وفي ذي الحجة 796هـ/تشرين الأول 1393م استولى على البصرة ودمرها ونهب أموالها وفقاً لأسلوب تيمور المتبع مع المدن التي تؤخذ عنوة[2]، وأما صالح بن حولان صاحب البصرة فقد انقطعت أخباره بعد هذه الحملة، كما ذكر بأن ميرانشاه قد بدأ سيطرته على البصرة ونظم شؤونها وضبط إدارتها وأسند حكمها إلى ملوك سربدال[3].

ثم التحق بوالده عند حربى[4] إثر إنهاء عملياته في جهات العراق الوسطى والجنوبية لكي يسهم مع القوات في الهجوم المنتظر على تكريت[5].

وبالفعل انطلق تيمور في (الأول من المحرم 796هـ/6 تشرين الثاني 1394م) شمالاً إلى تكريت متذرعاً بأن بعض التجار والمسافرين قد اشتكوا إليه من غارات السلب والنهب التي كان يقوم بها حاكم المدينة حسن بن يلتيمور وأتباعه وبمهاجمة القوافل التجارية وفرض الأتاوة عليها وأنهم قد تحصنوا بقلعة منيعة والتمسوا منه أن يضع حداً لتصرفات حسن وأتباعه[6].

وبالفعل بدأ تيمورلنك عملياته الحربية على تكريت بإرسال قوة استطلاعية في خريف (796هـ/1393م) تحت قيادة الأمير جلال حميد[7]، ثم لحق به مع قواته الرئيسية في 24 ذي الحجة 796هـ/2 تشرين الثاني 1393م، عابراً إلى الضفة الغربية من نهر دجلة، وأمر ابنه شاه رخ بالزحف أمامه على رأس طليعة الجيش ثم واصل زحفه حتى وصل مدينة الدجيل فأقام فيها ليلة واحدة ثم توجه إلى حربى فوصلها في (1 محرم 796هـ/7 تشرين الثاني 1994م)، ونظراً لما

---

(1) يزدي: ظفر نامه، ج1، ص467.

(2) ابن حجر: أنباء الغمر، ، ج1، ص450. ؛ يزدي: المصدر السالف، ج1، ص448.

(3) ملوك سربدال: ويلقب أيضاً ملوك السبزواري وهو من أمراء السربدارية في خراسان هرب من سبزاور أثناء المد التيموري الأول إلى شاه منصور فجعله تيمور حاكماً من قبله على كاشان في فارس ولما زحف ميرانشاه 795هـ/1393م ضد الشاه منصور أعلن ملوك سربدال خضوعه لميرانشاه فألحق بجيشه وشاركه في غزو العراق وعينه على البصرة 795هـ/1393م. ؛ حافظ آبرو: زبدة التواريخ، ص71 – 75. ؛ مهاوي: تاريخ الغزو التيموري للعراق والشام، ص151.

(4) حربى: بلدة قرب الدجيل بين بغداد وتكريت. ؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج2، ص237. وتقع في محافظة صلاح الدين في العراق حالياً.

(5) الشامي: ظفر نامه، ص144.

(6) الشامي: المصدر السالف، ص142. ؛ يزدي: ظفر نامه ، ج1، ص458. ؛ ميرخوند: روضة الصفا، ج6، ص220.

(7) جلال حميد: فارس في الجيش التيموري اشترك والده مع تيمورلنك في فتح بلاد ما وراء النهر، يرجع نسبه إلى المغول الجغتائيين، شارك في غزو بلاد فارس والعراق، كان من ضمن الأمراء الذين تعقبوا أحمد بن إويس في كربلاء وشارك في اجتياح تكريت. ؛ الشامي: ظفر نامه، ص141. ؛ حافظ آبرو: زبدة التواريخ، ص160. ؛مهاوي: تاريخ الغزو التيموري للعراق والشام، ص154.

تشتهر به الأراضي المحيطة بهذه المدينة من منتجات زراعية وعلف حيواني، فقد اتخذها مقراً مؤقتاً لإقامة قواته أثناء قيامه بعملياته الحربية قبل وبعد حصار تكريت التي وصلها في 4 محرم 796هـ/10 تشرين الثاني 1394م، فجعل جيشه على أهبة الاستعداد وأمر بإغلاق الممرات المؤدية إلى القلعة بالأحجار وبمحاصرة المدينة من جميع الجهات[1]، مدة خمسة وعشرين يوماً[2].

وحاول حاكم المدينة أن يسترضي تيمور فأرسل له شقيقه الصغير يطلب الأمان فقابله تيمور بحفاوة ومنحه خلعه وحصان ثم طلب منه أن يرجع إلى القلعة ويطلب من أخيه المثول بنفسه تأكيداً لخضوعه إلا أن حسن بن تيمور رفض مطالب تيمور[3]. لذا بدأت القوات التيمورية بمحاصرة القلعة ونصب المناجيق والعرادات[4] لرميها 72000 مقاتل [5].

أمر تيمورلنك عسكره بمهاجمة الأسوار ونقبها وشارك في ذلك بعض قادة جيشه وأشرف تيمورلنك بنفسه على مراقبة العملية [6]، قامت القوات التيمورية بالهجوم الشامل على القلعة وسقطت بعض الأبراج، مما مكن القوات التيمورية الدخول إلى القلعة ووقعت معركة بين الطرفين أسفرت عن تراجع حسن ببقية جنده إلى جبل مجاور للقلعة وتمكنت القوات التيمورية من اجتياح المدينة وقلعتها عنوة وهدم أسوارها وإحراقها بمن كان فيها في 25 محرم 796هـ/1 كانون الأول 1393م، ثم استطاعت تعقب الحاكم وأسره مع أتباعه فأمر تيمور لنك بقتلهم[7] وأقام من رؤوسهم

---

(1) الشامي: ظفر نامه، ص141. ؛ ميرخوند: روضة الصفا، ج6، ص222. ؛ مهاوي: تاريخ الغزو التيموري، ص155.

(2) يزدي: ظفر نامه، ج1، ص460. أما ابن خلدون فيذكر أربعين يوماً ، تاريخ ابن خلدون، م5، ص1175.

(3) الشامي: المصدر السالف، ص142.

(4) المنجنيق: اسم أعجمي، وجمعه مناجيق، وهي آلة خشبية لها دفتان قائمتان بينهما سهم طويل ذو رأس ثقيل ومؤخرة خفيفة، ويوضع فيها كفة المنجنيق التي يوضع فيها الحجر وعند استعماله تجذب المؤخرة التي فيها الكف إلى أسفل حتى يرتفع الرأس الثقيل ثم تطلق فيرتفع الحجر الذي فيه الكفة فيخرج الحجر وقوارير النفط إلى هدفه. القلقشندي: صبح الأعشى، ج2، ص143. أما العرادات: فهي آلة خشبية أصغر من المنجنيق تستخدم لرمي الأهداف البعيدة المدى استخدمها تيمور في اجتياح تكريت. ؛ الشامي: ظفر نامه، ص142، ص444.

(5) يزدي: ظفر نامه، ج1، ص444.

(6) حافظ آبرو: زبدة التواريخ، ص109. ؛ شيخو: حقيقة تيمورلنك، ج1، ص374.

(7) يذكر ابن عربشاه أن تكريت أخذت بالأمان، ونكث تيمور عهده وقتل من بها من الرجال، عجائب المقدور، ص68. ؛ دائرة المعارف الإسلامية، م6، ص160 - 161.

أبراجاً، وسبى النساء والأطفال كما أمر بأن تحرق وتهدم البيوت والقلعة وتساوى بالأرض وترك أحد أسوار القلعة قائماً ذكرى لمناعة القلعة وحصانتها وقوة جيشه الذي تمكن من اقتحامها[1].

عاد تيمورلنك بعد اجتياح تكريت إلى مقر المعسكر في حربى وبعد تفقد قواته عزم على إخضاع الموصل والجزيرة فأرسل في أوائل صفر 796هـ/كانون الأول 1393م، ابنه ميرانشاه على رأس قوة من الأمراء والجند لغزو المناطق الواقعة على امتداد الضفة الغربية لنهر دجلة من تكريت حتى الموصل[2].

أما تيمورلنك فقد قرر أن يزحف بالجيش الرئيس من الجهة الشرقية للنهر وفي الوقت نفسه أمر بنشر إشاعة بين الأهالي مفادها أنه في طريقه إلى ما وراء النهر بهدف مباغتة أعدائه ثم قام باختيار فارسين من بين كل عشرة من قواته وترك بقية الجيش والمؤن مع عثمان بهادر الذي أمره بالزحف ببطءٍ وأمر حفيده محمد سلطان بالإقامة مع الغنائم للمحافظة عليها[3].

زحف تيمور حتى وصل إلى قلعة كركوك حيث خرج أهالي القلعة لاستقباله وأعلنوا خضوعهم، فاستقر فيها مدة وجيزة وزع خلالها قواته لإخضاع المدن والقلاع الموجودة بين كركوك والموصل ولم تحدث مقاومة فعلية لقواته بعد وصولها كركوك، إذ وفد حكام المدن وأمراء القبائل على قادة تلك القوات وأعلنوا خضوعهم له. وصاروا من أتباعه[4]، كما تلقى خضوع كل من حاكم الموصل يار علي[5] وحاكم أربيل علي أويرات[6] أثناء حصار تكريت[7].

---

(1) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج5، ص1084. ؛ ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص68. ؛ إقبال: تاريخ إيران، ص602.

(2) حافظ آبرو: زبدة التواريخ، ص112. ؛ يزدي: ظفر نامه، ج1، ص450.

(3) يزدي: ظفرنامه، ج1، ص450. ؛ مهاوي: تاريخ الغزو التيموري للعراق والشام، ص161.

(4) المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص797. ؛ نطنزي: منتخب التواريخ، ص358.

(5) يار علي بن قرا محمد أمير القراقوينلو تولى حكم الموصل باسم أخيه قرا يوسف خضع لتيمور ثم خلع طاعته والتحق بأخيه ابن قرا يوسف وواصل مقاومة تيمور حتى قتل سنة 806هـ/1403م في الحلة على يد قوات تيمور، وقد ذكر ابن حجر خطأ أن يار علي هو بن بدر خجا. أنباء العمر، ج7، ص472. ؛ حافظ آبرو: زبدة التواريخ، ص155. ؛ مهاوي: الغزو التيموري، ص163.

(6) علي اويرات: ينتسب إلى قبيلة اويرات المغولية التي حكمت اربيل في العصر الإيلخاني واستمرت أسرته تحكم أربيل باسم الجلائريين. ؛ الشامي: ظفر نامه، ص142. ؛ مهاوي: الغزو التيموري، ص162.

(7) الشامي: المصدر السالف، ص142. يزدي: ظفر نامه، ج1، ص460.

وكان يارعلي شاهد عمليات حصار تكريت وما حل بالأمير حسن حاكم أتباعه بعد سقوط القلعة ثم رافق الحملة أثناء زحفها نحو الموصل فمنحه تيمورلنك كركوك كسيور غال[1]وجعلها تابعة لحكمه[2] ويبدو أن تيمور أراد أن يستخدم يار علي منافساً لأخيه قرا يوسف في زعامة القراقوينلو لرفض الأخير الانقياد له إضافة إلى تجاوزاته المستمرة على قوافل الحج والتجارة[3].

تكاد تتفق المصادر على أن تيمور دخل أربيل والموصل بدون إحداث تخريب فيهما بعد خضوعهما له فضرب النقود فيهما باسمه[4]. أما ما ذكره ابن حجر بأن تيمور قد خرب المدينة فيبدو أنه خلط بين غزو تيمور الأول للموصل 796هـ/1393م وبين حصار ابنه ميرنشاه لها 799هـ/1397م[5]، ولما دخل تيمورلنك الموصل استقبله بعض أعيانها مثل نقيب الطالبيين نصير الدين عبيد الله أبي المحامد[6]، وأميرها نفسه الذي قدم لتيمور وبقية أمرائه التحف والهدايا كما وفد عليه عدد من أمراء القبائل المحيطة بالمدينة وأعلنوا ولاءهم له، قام تيمور بزيارة القبر المنسوب للنبي يونس[7]، وأمر بتجديد بناء المسجد وبناء قبة للقبر وقدم عشرة آلاف دينار ووزع كمية من

---

(1) سيور غال: هو الإقطاع الذي يمنح من قبل السلطان على سبيل الإحسان والإنعام لأي شخص قدم خدمة للدولة أو له مكانة دينية وهو أشبه بإقطاع التمليك ويتميز السيور غال بأن الشخص الذي يحصل عليه له حق تملك رقبته وقد شاع السيور غال عند المغول والترك. ؛ حافظ آبرو: زبدة التواريخ، ص96.

Uzunacarsili: Osmanli devleti Teskilation Medhal (Istandul, Maarif Matbassi, 1941), P.253.

(2) الشامي: ظفر نامه، ص145. ؛ ميرخوند: روضة الصفا، ج6، ص220. ؛ مهاوي: المرجع السالف، ص164.

Islam Ansiklopedisi (Istanbul, Maurif Baimeri 1955 Article, Kara Koynlu, Gilt, 6. P. 295.

(3) ابن حجر: أنباء الغمر، ج1، ص471. ؛ الشامي: ظفر نامه ، ص145. ؛ مير خوند: روضة الصفا، ج6، ص225.

(4) ومما يؤيد ذلك وجود دراهم فضية في قسم المسكوكات المتحف العراقي تحت رقم 14987، و م، كتبت الشهادة كان على وجهه الأول وعلى وجهه الثاني اسم السلطان محمود خان وتيمور كوركان، مع تعيين مكان الضرب في أربيل وفي الموصل.؛ مهاوي: الغزو التيموري، ص163 – 165.

(5) حاصر ميرانشاه الموصل 799هـ/1397م. ؛ أنباء الغمر، ج1، ص523.

(6) نصير الدين عبيد الله أبو المحامد بن زيد بن طاهر ورث نقابة الطالبيين في الموصل عن آبائه إذ تولى أبوه وجده النقابة وقد توفي نصير الدين سنة 802هـ/1400م. ؛ الديوجي ، سعيد: جوامع الموصل في مختلف العصور، بغداد، مطبعة شفيق، 1963م، ص81. ؛ مهاوي: الغزو التيموري، ص166.

(7) قبر النبي يونس: يوجد قبر بمدينة نينوى ينسب إلى النبي يونس، وأصل المكان دير مسيحي يعرف بدير يونان شيّد المسلمون سنة 16هـ/638م بجواره مسجداً ثم صار مقاماً للصوفية جدده جلال الدين إبراهيم الحنفي 767هـ/1356م وأمر تيمور بإكمال عمارته وبناء قبة له، ويوجد قبر في الكوفة يعرف بقبر النبي يونس أيضاً. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج2، ص543. ؛ مهاوي: المرجع السالف، ص167.

الأموال على الدراويش والعاملين في المشهد ثم توجه لزيارة القبر المنسوب للنبي جرجيس[1]، وأمر بإعطاء مبلغ عشرة آلاف دينار لتعمير الضريح ووزع الأموال على الفقراء والدراويش[2]، وأقر يار علي على الموصل كما ثبت الأمراء وزعماء القبائل الذين انقادوا له في مراكزهم[3] توجه بعدها إلى الجزيرة الفراتية.

وبعد إخضاع العراق توجه تيمورلنك نحو جزيرة الفرات.

زحف تيمورلنك سنة 796هـ/1394م نحو ديار بكر بعد أن أخضع الموصل، فوصل إلى رأس العين التي تقطن ضواحيها تجمعات قبائل القراقونيلو برئاسة الأمير حسين بن حسن[4]، وأمر فرقة من جيشه بالهجوم على ضواحي رأس العين وبالفعل شتت شمل القراقونيلو وغنموا منهم عدداً من الخيول والبغال والمواشي[5].

ثم زحف نحو الرها فهرب أميرها المسمى كزل، فدخلها تيمورلنك وقضى فيها ثلاثة أسابيع[6] ووفد إليه سليمان بن داود أمين حصن كيفا وأعلن طاعته[7]، ولما أتم تيمور السيطرة على المنطقة التفت إلى ماردين حيث أقام معسكرات بجوارها فأسرع سلطانها الظاهر عيسى بتقديم الخضوع والطاعة، وقدم إلى معسكر تيمور يحمل الهدايا وقبل بدفع ما فرض عليه من أموال[8] يقدرها ابن عربشاه بمائة تومان[9]، ثم استأنف عملياته العسكرية في منطقة الجزيرة، وفجأة وللمرة الثانية أصبح أمام أسوار ماردين وقد جوبه بمقاومة شديدة أبداها المدافعون عنها مما أعجز تيمور عن احتلالها وجعله يعرض الصلح على السكان على حد رواية ابن عربشاه حيث قال: إنه شاهد كتاب تيمور الذي وجهه إلى سكان ماردين يمنحهم الأمان إذا قبلوا بالصلح[10].

---

(1) قبر النبي جرجيس: يوجد في الموصل وينسب إلى النبي جرجيس قام تيمور بتعمير الضريح وبناء جامع كبير له عرف بجامع النبي جرجيس. ؛ مهاوي: تاريخ الغزو التيموري، ص167.،

(2) الشامي: ظفر نامه، ص145. ؛ ميرخوند: روضة الصفا، ج6، ص225.

(3) يزدي: ظفر نامه، ج1، ص452.

(4) الأمير حسين بن حسن أمير قبائل القراقونيلو في الشام تولى زعامة قبيلته بعد وفاة أبيه 793هـ/1391م وكانت علاقته سيئة بقرا يوسف أمير القراقونيلو في أرمينية وديار بكر. ؛ ابن حجر: أنباء الغمر، ج1، ص419.

(5) ابن عربشاه: ، ص68. ؛ حافظ آبرو: زبدة التواريخ، ص112.

(6)عجائب المقدور ، ص70 – 71.

(7) الغياثي: التاريخ الغياثي، ص170. ؛ خواندمير: حبيب السير، ج3، ص358. ؛ مهاوي: تاريخ الغزو التيموري، ص169.

(8) يزدي: ظفر نامة، ج1، ص476.

(9) ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص69.

(10) ابن عربشاه: عجائب المقدور ، ص71.

أمّا يزدي فيشير إلى أن السكان هم الذين التمسوا من القوات المغيرة ذلك، ولم يقبـل تيمـور العفو عنهم ورفع الحصار عن المدينة إلاّ لما جاءه الخبر السار من السلطانية بولادة حفيده الغ بـك بن شاه رخ فقبل أن يحل الصالح شقيق الظاهر عيسى محل شقيقه فـي حكـم مـاردين[1]، وسـيق الظاهر عيسى أسيراً إلى السلطانية وأودعه السجن[2]. ثم واصل مـسيرته لإخـضاع منـاطق فـي أرمينية فتمكن من كسر شوكة قرا يوسف أمير القراقونيلو واحتل قلعة أونيك[3] التي يحكمها مـصر بن قرا محمد كما عزز مكانة تابعه طهارتن أمير أرزنجان[4] وعلى ما يبدو فقـد وصـلته أخبـار تحركات قوات مغول القبجاق (القبيلة الذهبية) على حدود أذربيجان الشمالية فكانت سبباً في تغييـره لخط سيره والامتناع عن الإغارة على بلاد الشام ومصر، كما كان يرغب في الأصل كما أشار إلـى ذلك يزدي بشكل صريح[5]، واكتفى بالتجول في منطقة الجزيرة فاستولى على آمد[6]، ثم أرسل جيشاً إلى جورجيا فأخضع قسماً كبيراً منها[7]، ورجع بعدها إلى أذربيجان حيث أمضى فيها الشتاء وتوجه بعد ذلك نحو القبيلة الذهبية لكسر عدوه تقتمش ولإتمام خطته في قطع طريق القوافل الـشمالي بـين الشرق الأقصى والغرب عبر القبيلة الذهبية[8].

6- النتائج التي تمخضت عن غزو تيمورلنك للعراق

- أمر تيمورلنك بجمع الموهوبين من أصحاب الحرف والصناعات والفنون المختلفة وتهجيرهم إلى عاصمته سمرقند من أمثال الموسيقي المشهور عبد القادر المراغي وقطب الموصـلي حيـث

---

(1) يزدي: ، ظفر نامة ج1، ص479. ؛ شهاب: تيمورلنك، ص225.

(2) ابن عربشاه: عجائب المقدور ، ص72.

(3) قلعة أونيك قلعة كبيرة تقع فوق جبل أحد منابع نهر الرس (أراكس الحالي) في شمالي أذربيجـان. ؛ لـسترانج: بلدان الخلافة الشرقية، ص150.

(4) ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص72.

(5) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج7، ص72. ؛ يزدي: ظفر نامه، ج1، ص473.

Grousset: L'Empire des Steppes, P, 521 - 522.

(6) ابن تغري بردي: المنهل الصافي ، ج4، ص113. ؛ الغياثي: التاريخ الغيـاثي، ص172. ؛ حطـيط: حـروب المغول، دار الفكر اللبناني، 1994، ص102.

(7) الغياثي: التاريخ الغياثي، ص172. ؛ دائرة المعارف الإسلامية، م6، ص161.

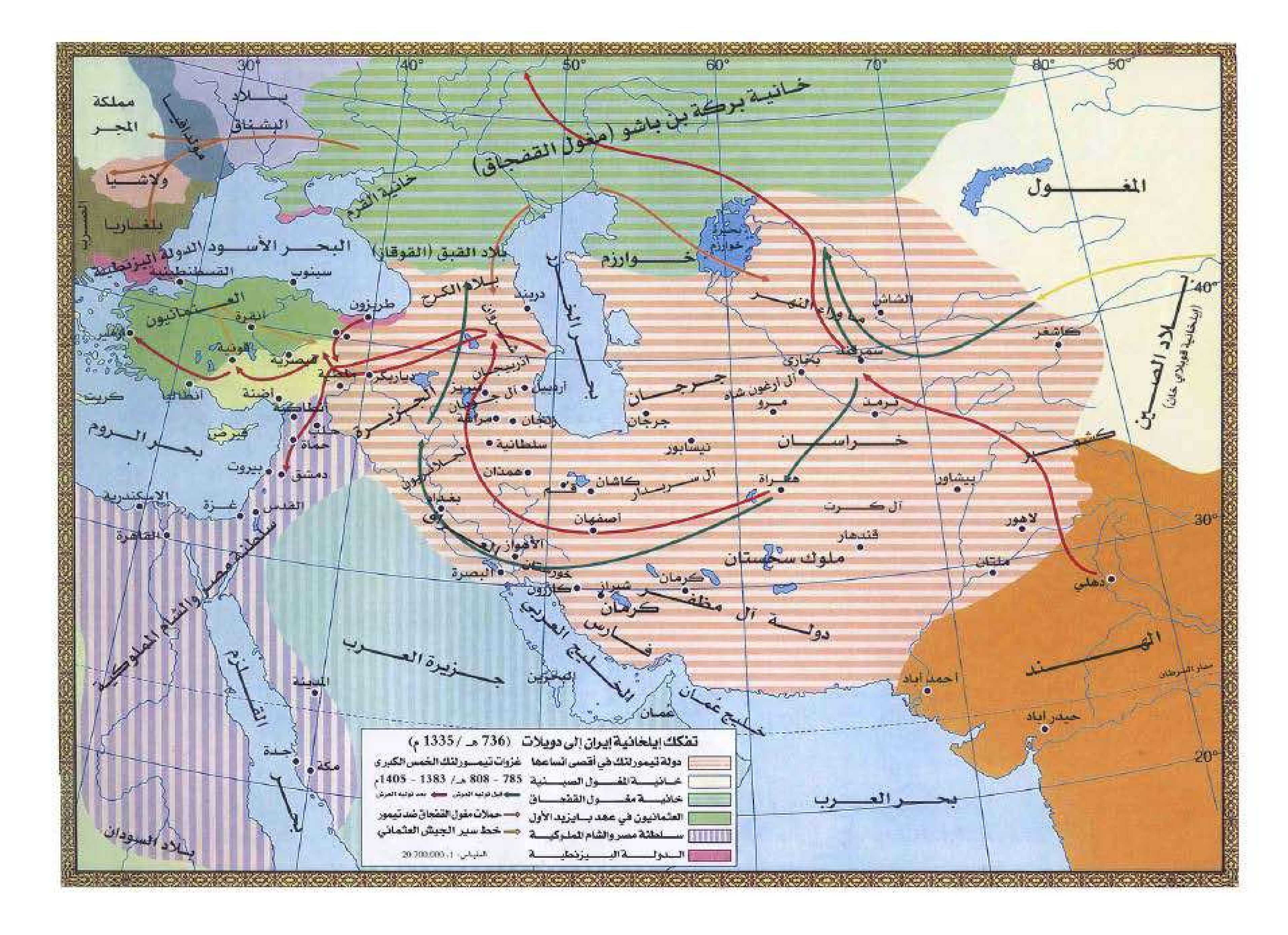
(8) ابن خلدون: تاريخ ديوان المبتدأ والخبر، ج7، ص78. ؛ ابن عربشاه: عجائـب المقـدور، ص75. ؛ الغيـاثي: التاريخ الغياثي، ص172. ؛ المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص817.

كان أعجوبة زمانه ومعلم علم الموسيقى والأدوار والمصور عبد الحي البغدادي الذي استخدمه تيمور في تزيين بلاطه[1].

- طلب تيمور من المماليك الشراكسة الاعتراف بسيادته على العراق وإيران حيث بعث برسالة إلى برقوق سلطان المماليك الشراكسة في القاهرة وأوضح له فيها انتصاره على أحمد جلائر وشمول مملكته لكل بلاد فارس والعراق ومتاخمتها لحدود دولة المماليك الشراكسة في بلاد الشام، وناشد برقوق تبادل السفارات وضرورة تنشيط التجارة بين المملكتين لما فيه مصلحة الشعب والبلاد[2].
- الخسارة الكبيرة في الجوانب الحضارية جراء الفتن والحروب التي نشبت بين القوى الثلاث الإسلامية المماليك والعثمانيين والتيموريين، والهم الوحيد لهذه القوى هو السيطرة على الجانب الآخر على حساب الشعوب العربية والإسلامية.

(1) ابن عربشاه: عجائب المقدور ، ص293 – 294.

(2) الغياثي: التاريخ الغياثي، ص169 – 170. ؛ يزدي: ظفر نامه، ج1، ص440. ؛ مهاوي: تاريخ الغزو التيموري ، ص175.



سيف الكاتب، أطلس التاريخ الحديث، ص45.

7 - أوضاع الشام قبيل الغزو التيموري:

شهدت دولة المماليك البحرية (648 – 784هـ/1250 – 1382م) في أواخر عهدها عوامل عديدة أسهمت في سقوطها وقيام أسرة المماليك الجراكسة وظهور شخصية قيادية ألا وهي برقوق الذي كان مملوكاً وأتابكاً والذي تولى زعامة المماليك الجراكسة وآثار فيهم النزعة العنصرية ضد المماليك الترك، فتمكن من إضعاف دولة المماليك البحرية وأقام على أنقاضها دولة عباسية الاسم، جركسية الفعل، تعاقب على حكمها أربعة وعشرون سلطاناً وعمّرت نحو مئة وتسعاً وثلاثين سنة (784 – 923هـ/1382 – 1517م).

اتسم حكم برقوق بالصراع الواضح بين المماليك الترك والجراكسة، عندما عمل على إحلال الجراكسة في مؤسسات الدولة محل المماليك الترك والحد من نفوذهم الاقتصادي والسياسي بحرمانهم من إقطاعاتهم ونفيهم وتقتيلهم[1]. وقد أدت سياسته هذه إلى معارضتهم له بشكل مسلح إذ أدركوا النتائج المترتبة على سياسته في جركسة الدولة وفي اضطهادهم وأهم الفرق المملوكية التي قاومته هي الفرقة الأشرفية[2] التي تزعمها منطاش[3] والفرقة اليلبغاوية[4] التي قادها يلبغا الناصري.

استغرق هذا الصراع بين الترك والجراكسة عهد برقوق كله وامتد إلى عهد ابنه السلطان فرج[5]،حاول برقوق التخلص من خطر أمراء المماليك الترك بإبعادهم إلى الشام فاستغلوا الأمر وجعلوا من هذه المنطقة ميداناً لثوراتهم عليه مما كان له أسوأ الأثر على الأوضاع السياسية والاقتصادية لبلاد

---

(1) ابن خلدون: التعريف بابن خلدون ، ص326.

ابن حجر: أنباء الغمر، ج1، ص257.

(2) الفرقة الأشرفية: سميت بهذا الاسم نسبة إلى الأشرف شعبان (764 – 778هـ/1363 – 1376م) كان العنصر التركي يكوّن الغالبية منهم حرمهم برقوق من إقطاعاتهم وفرقهم في بلاد الشام فأشعلوا عدة ثورات أهمها ثورة الطنبغا السلطاني نائب الابلستين الذي فرّ إلى تيمور وثورة منطاش في الشام. ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج11، ص229.

(3) منطاش: هو تمر بغا أحمد الأفضلي الأشرفي الملقب بمنطاش بن عبد الله التركي من مماليك الأشرف شعبان الذي جعله والياً على حلب اشتراه برقوق، وأعتقه، وجعله نائباً في ملطيه، تمرد ضد برقوق بعد اضطهاد المماليك الترك واستمرت ثورته حتى مقتله سنة 796هـ/1393م. ؛ المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص532. ؛ابن حجر: أنباء الغمر، ج1، ص301. ؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج5، ص1032.

(4) الفرقة اليلبغاوية: وهم مماليك الأمير يلبغا العمري الناصري. ابن تغري بردي: النجوم، ج11، ص223.

(5) فرج: هو السلطان الملك الناصر زين الدين أبو السعادات فرج، ابن السلطان برقوق الجركسي الأصل المصري المولد سنة (791هـ/1391م) تولى السلطنة بعد أبيه، ومرتين كان عمره في الأولى أشهر كانت أيامه مليئة بالفتن والشرور والغلاء، شهد الغزو التيموري للشام في عهده 803هـ/1401م عزل عن السلطنة ثم رجع لها بعد مرور تسعة وتسعين يوماً واستمر حتى قتل بدمشق سنة 815هـ/1412م. ؛ المقريزي: السلوك، ج5، ص448. الغياثي: التاريخ الغياثي، ص331. ابن اياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص536.

الشام وعلى موقف الجركسة من الغزو التيموري[1]، ونتيجة لوجود علاقة بين الوضع الداخلي للدولة الجراكسية قبيل هذا الغزو وبعده لذا لابد من الإشارة إلى حالة بلاد الشام السياسية قبيل اندفاع تيمورلنك نحوها.

لما شعر المماليك الترك ولاسيما الفرقة الأشرفية بخطر سياسة برقوق الجركسية على وجودهم أشعلوا أول ثورة لهم في ابُلُستين[2] حيث قام علاء الدين الطنبغا السلطاني[3] نائب ابُلُستين سنة (784هـ/1382م) بالقبض على المماليك الجراكسة الذين عينهم برقوق في نيابته وأخفق في استمالة العناصر التركية الأخرى لثورته فأخفقت حركته ورفض الانقياد لبرقوق مسوّغاً ذلك بنزعة عرقية اتضحت بقوله: «لا أكون في دولة حاكمها جركسي»[4] ففرّ إلى سيواس ومنها لجأ إلى تيمور حاكم ما وراء النهر[5].

وفي سنة (785هـ/1383م) علم برقوق أن الخليفة العباسي المتوكل على الله أبي عبد الله محمد وبعض الأمراء منهم قرّط من عمر التركماني الذي كان في جماعة من الأكراد والتركمان يقدرون بـ 800 فارس والأمير إبراهيم بن قطلو أقتمر العلاي أمير جاندار قد دبروا مؤامرة تستهدف وجوده فقبض عليهم وخلع الخليفة وولى الواثق بالله عوضاً عنه وكتب بولاية عثمان ابن قادة في أمرة العرب[6] عوضاً عن نعير بن حيار بن مهنا ويذكر أن ذلك كان من أعظم أسباب فساد الدولة ومن أكبر الأسباب لخراب الشام[7].

وقد شعر برقوق بسخط العناصر التركية على سياسته الجركسية فحاول أن يتجنب اتحادهم في ثورة ضده فأشرك بعض العناصر في الحكم شكلياً وعين يلبغا الناصري على نيابة حلب سنة (785هـ/1383م) وأخذ في الوقت نفسه يتربص به الدوائر فلما أخفق الناصري في القبض على

---

(1) أحمد، محمد: الغزو التيموري لبلاد الشام وآثاره، دار الهداية للطباعة والنشر، مصر 1986م، ص7. ؛ مهاوي: الغزو التيموري في العراق، ص191. ؛ الشلّي، فيصل: بلاد الشام في ظل الدولة المملوكية الثانية، دار الزمان، ط1، 2008م، ص204.

(2) ابُلُستين: مدينة في بلاد الروم: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج1، ص94. المقريزي: السلوك، ج1، ق2، ص645.

(3) الطنبغا السلطاني: هو علاء الدين الطنبغا السلطاني من فرقة المماليك الأشرفية التركية، قاد ثورة في الابلستين ثم هرب مع مماليكه إلى تيمورلنك تعاون معه ضد برقوق. ؛ ابن تغري بردي: النجوم، ج11، ص229.

(4) ابن تغري بردي: النجوم، ج11، ص229.

(5) ابن حجر: أنباء الغمر، ج1، ص263. ابن تغري بردي: النجوم، ج11، ص229.

(6) المقريزي: السلوك، ج3، ص496. ؛ ابن قاضي شهبه: تاريخ ابن قاضي ، م1، ج3، ص109. ؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص72. ؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص334.

(7) المقريزي: السلوك، ج3، ص496. ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص334.

الأمير التركماني سولي بن دلغادر[1] قام بعزله عن نيابة حلب وسجنه في الاسكندرية[2]، وجد منطاش نائب ملطية وقتئذ في اضطهاد برقوق للمماليك الترك الأشرفية وعزلهم عن الخدمة عاملاً جيداً لاستمالتهم إلى جانبه للتحرك ضد الجراكسة، كما أيده نائب البيرة وقرا محمد التركماني وبرهان الدين حاكم سيواس[3]، كما التحق به تتر الأناضول واعتقد برنارد لويس أن تيمور الذي اقترب في زحفه من هذه المنطقة له ضلع في هذه الحركة وحركات التمرد التالية[4]، ومما يؤيد اعتقاد برنارد لويس هو انضمام تتر الأناضول للثورة وكذلك القبض على عيون لتيمور في حلب[5] من الواضح أن مهمتهم لم تكن دراسة وضع الجراكسة فحسب وإنما على إثارة حركات التمرد في بلاد الشام ضد الدولة الجركسية.

أدرك برقوق أبعاد مؤامرة منطاش التركية الاتجاه فحاول أن يتجنب انضمام المماليك اليلبغاوية التركية إلى هذه الحركة فأخرج يلبغا الناصري من السجن وأعاده إلى نيابة حلب سنة (789هـ/1387م)[6] بهدف ضرب بعضهما بعضاً لكي يتخلص من جميعهم ولكن الأخير تمهل في اتخاذ أي خطوات ضد منطاش.

ولما علم برقوق بموقف يلبغا الناصري لم يقم بعزله لتعاظم نفوذه لكنه دبَّر له محاولة لاغتياله حيث بعث برقوق كتاباً للناصري يأمره فيه بمصالحه سودون نائب حلب السابق الذي أمر الأخير بقتل الناصري أثناء إجراء مراسيم الصلح ولكن الناصري اكتشف ذلك وأحبط المحاولة وقتل منفذها سودون المظفري مع بعض مماليكه[7]، ولما عرف النوايا الحقيقة لبرقوق أعلن عصيانه سنة

---

(1) سولي بن دلغادر: هو الأمير التركماني سولي بن قراجا بن دلغادر شارك 793هـ/1389م في ثورتي منطاش والناصري، فاستولى على الإبلستين ثم خضع لبرقوق بعد فشل ثورة الناصري 792هـ/1390م فأقر على نيابة الإبلستين ولكنه تمرد ثانية وتعاون مع منطاش، اتصل بتيمورلنك لقبول طاعته فقام سولي بتشويق تيمور على غزو الشام وأعلن أنه سيسعى جهده لضبط المنطقة، مات 800هـ/1398م. ؛ ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج9، ق1، ص50، 51. ؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، ج2، ص276. ؛ الاستراباذي: بزم ورزم، ص456. مهاوي: الغزو التيموري، ص193.

(2) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج5، ص1018. ؛ ابن حجر: أنباء الغمر، ج1، ص272. ؛ ابن تغري بردي: النجوم، ج11، ص232. ؛ مهاوي: الغزو التيموري، ص193.

(3) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج9، ق1، ص22. المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص567. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج11، ص251.

(4)Holt. P. M: (History of Islam) Cambridge University Press, 1970, Vol. 1, P. 220.

(5) ابن حجر: أنباء الغمر، ج1، ص336. ؛ مهاوي: تاريخ الغزو التيموري، ص195.

(6) المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص567. ؛ ابن حجر: أنباء الغمر، ج1، ص303.

(7) المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص591 – 592. ؛ ابن حجر: أنباء الغمر، ج1، ص364. ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج11، ص256.

(791هـ/1389م) في حلب فاستولى على قلعتها وعمل على توحيد العناصر المعارضة للحكم الجركسي وكاتب منطاش نائب ملطيه للانضمام إلى ثورته وبالفعل جمعتهما المصلحة المشتركة.

وقد استطاعا الاستيلاء على معظم بلاد الشام وتابعا زحفهما إلى أرض الصالحية في مصر للقبض على برقوق فاضطر هذا الأخير إلى التنازل عن الحكم، وتم نفيه إلى الكرك سنة (792هـ/1389م) وعيّن مكانه السلطان المعزول من الدولة البحرية الملك الصالح أمير حاج ابن الأشرف شعبان للمرة الثانية، ووزعت الوظائف على الأمراء واستلم الأمير يلبغا الناصري حصة الأسد منها وهي أتابك العسكر فأصبحت بيده مقاليد الأمور بينما نيابة دمشق أسندت إلى بازلار العمري، لإبعاده عن القاهرة لقوة نفوذه وتسلم حلب كمشبغا الحموي الذي كان لديه ميول إلى السلطان برقوق وساعده في القضاء على ثورة الطنبغا التركي نائب إبلستين سنة (784هـ/1382م)[1].

إنّ تَسلُّم الناصري منصب أتابك العسكر علاوة على توزيع الإقطاعات التي استولى عليها ولّد الحسد عند رفيق دربه منطاش الذي انتهى به الأمر إلى الإطاحة بالناصري وإيداعه السجن وتابع ملاحقة أنصاره في كل مكان ليضمن استقرار قاعدة السلطنة والموالاة له، وفي الوقت نفسه حاول قتل برقوق في سجن الكرك ولكن محاولته باءت بالإخفاق، بسبب سياسته التعسفية في البلاد فانقسم نواب مدن الشام ما بين مؤيد له ومعارض فاتجه بعضهم للمطالبة بعودة برقوق إلى السلطنة من جديد بعد إخراجه من السجن وبعد ذلك دارت بين الطرفين معركة في منطقة شقحب (792هـ/ 1391م) جنوبي دمشق، وانتهت بهزيمة منطاش الذي تخفى في ضواحي دمشق محاولاً تجهيز نفسه من جديد للعودة إلى الثورة[2]. انعكست آثاره الحادة على نيابة دمشق لأن الصراع جرى على أرض المدينة مما سبب خراباً اقتصادياً واجتماعياً تمثل في قتل بعض السكان ومصادرة أموال الأثرياء وحصول ارتفاع في أسعار المواد الغذائية نتيجة للاحتكارات[3].

بعد عودة برقوق ثانية إلى الحكم سنة (792هـ/1391م) أخرج كل من يلبغا الناصري والطنبغا الجوباني من سجنهما وأوكل إلى الأول أتابكية العسكر والثاني نيابة دمشق، وقد حدث

---

(1) المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص627. ؛ الشلّي: بلاد الشام في ظل الدولة المملوكية الثانية، ص204. ؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج3، ص248، 249.

(2) السخاوي: الضوء اللامع، ج10، ص208. ؛ المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص667. ابن حجر: أنباء الغمر، ج1، ص375. ؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص260. ؛ العلبي: تيمورلنك وحكايته مع دمشق، ص81، 82.

(3) ابن صصري: الدرة المضيئة، ص135. ؛ المقريزي: الخطط، ج1، ص190. ؛ اسماعيل، اكتمال: الآثار الاجتماعية والاقتصادية للحملات المغولية على بلاد الشام، دار رسلان، دمشق، ط1، 2008م، ص67. ؛ علي أحمد: تاريخ بلاد الشام، العصر المملوكي، دمشق، م6، 2000م، ص381. ؛ أحمد: الغزو التيموري لبلاد الشام، ص7. ؛ العلبي: تيمورلنك وحكايته في دمشق، ص84.

اشتباك بين منطاش والناصري مما أدى إلى نجاح سياسة برقوق في إضعاف الطرقين، وبالفعل تمكن برقوق من القبض على الناصري وقتله في حلب مع جماعة من أتباعه في ذي القعدة سنة (793هـ/تشرين الثاني 1391م)[1]، وهكذا يكون قد تخلص من أخطر زعيم للمماليك الترك على سلطته ولم تمر مدة طويلة حتى تمكن أتباعه في الشام من إخماد حركة منطاش وإلقاء القبض عليه بالاتفاق مع نعير أمير آل فضل[2] وقتله نائب حلب وطاف برأسه في مدن الشام ثم بعثه إلى القاهرة، فطيف برأسه في محلاتها[3]، وبنهاية منطاش استطاع برقوق أن يتخلص من أخطر شخصيتين تزعمتا العناصر التركية المعارضة لحكمه.

واصل برقوق سياسته في جركسة الدولة فأدت هذه السياسة إلى انخفاض نسبة المماليك الترك بدرجة كبيرة إلى درجة أمِنَ من خطر قيامهم بحركة للإطاحة به لكن سياسته العنصرية هذه أدت إلى التجاء بعضهم إلى تيمورلنك مثل شكر أحمد[4] والطنبغا السلطاني نائب إبلستين[5] ووقف بعضهم موقفاً خيانياً من الدولة الجركسية مثل يلبغا المجنون الذي اشترك مع تيمور في غزو الشام وجباية الأموال من دمشق[6].

8 – العلاقات بين تيمورلنك وبرقوق:

سبق غزو تيمورلنك لبلاد الشام سنة (803هـ/1400م) مرحلة من الاحتكاكات والاتصالات بين تيمور ودولة المماليك منذ عهد برقوق، وكان العالم الإسلامي في تلك الحقبة يشهد ظهور ثلاث قوى متنافسة.

وهي دولة المماليك والدولة العثمانية ودولة المغول التيموريين في ما وراء النهر، وهناك عدة عوامل أدت إلى توتر العلاقات بين تيمور والسلطان المملوكي برقوق:

---

(1) المقريزي: بدائع الزهور، ج2، ص223. الشلي: بلاد الشام في ظل الدولة المملوكية الثانية، ص206.

(2) كان نعير أمير آل فضل بجانب منطاش ولكن برقوق أغراه بمنحه أربعة إقطاعات منها المعرة مقابل أسره منطاش فقبض على الأخير مقابل ذلك. ؛ مهاوي: الغزو التيموري على العراق، ص207.

(3)ابن صصري: الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية، ص139. ؛ ابن حجر: أنباء الغمر، ج1، ص414. ؛الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص336.

(4) شكر أحمد: يسمى أحياناً بأحمد شكر، كان من أتباع الناصري اشترك بثورة منطاش ودخل حماة باسم سيده وهاجم دمشق مع منطاش ودخلها سنة 793هـ/1391م، وحكمها باسم منطاش، ثم هرب إلى تيمورلنك. ؛ ابن صصري: الدرة المضيئة، ص76، 77، 81.

(5) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج11، ص229.

(6) ابن عربشاه: عجائب المقدور ، ص156.

- **التحالف مع القبيلة الذهبية:** وجد برقوق في التطورات السياسية التي وقعت في القبيلة الذهبية فرصة مناسبة للتحالف مع تقتمش ضد تيمور، كما أن تقتمش من جانبه كان حريصاً على توثيق علاقته بالجراكسة من أجل الوقوف بوجه عدوهما المشترك تيمور. فأمر تقتميش نائبه في القرم زين الدين رمضان أن يتصل بالجراكسة فجهّز هذا سفارة رأسها ابنه حسن وبعثها إلى مصر فوصلت القاهرة 11 ذي الحجة 786هـ/13 كانون الأول 1384م[1]، فخرج لاستقبالهم الأمير سودون[2] نائب السلطان برقوق، والأمير يونس الدويدار مع عدد آخر من الأمراء فاستقبلوا بحفاوة[3]، وكانت معهم هدايا للسلطان من بينها سبعة صقور وأقمشة مخملة وعدة مماليك تقبلها برقوق منهم.

وكان الأخير يظن أن السفارة قد بعثها تقتميش نفسه فأكرمهم بما يتلاءم ومنزلة خان القبيلة الذهبية فأنزلهم بالميدان الكبير المجاور للنيل ولكنه اكتشف لاحقاً أنهم رسل نائب تقتميش في القرم فأخرجهم من الميدان وأنزلهم بقلعة القاهرة[4] ويبدو أن المفاوضات قد نجحت بين الطرفين حيث انصرف أعضاء السفارة مسرورين وَصَحِبَتْهُم هدية سنية من برقوق[5]بعث معهم كتاباً لا تذكر المصادر المعاصرة عن مضمونه شيئاً ولا عن الجهة التي وجه إليها أهو إلى رمضان نائب تقتمش في القرم أم إلى تقتمش نفسه، ويرجح أنه عبارة عن تمهيد لعقد تحالف بينهما. ومما يؤيد هذا وصول وفد ثانٍ من تقتمش في (19 محرم 787هـ/2 آذار 1385م) إلى القاهرة فخرج الأمراء لاستقبالهم[6]، ومن بينهم الفقيه ابن قاضي شهبه، ولما اجتمعوا ببرقوق قدموا إليه هدية تقتمش فتقبلها بسرور[7]، وعرضوا عليه رغبة سيدهم بعقد تحالف عسكري ضد تيمور كما أكد الخان في كتابه لبرقوق على عمق الروابط بين مملكتيهما بقوله: «إنّا نحب أن نكون إخوة كما كان أسلافنا مع أسلافكم»[8]، وبين له أنه قد أعد خمسين ألف فارسٍ قرب الدربند في القفقاس استعداداً

---

(1) المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص524.

(2) سودون الفخري: سيف الدين الفخري الشيخوني أصله من مماليك شيخون العمري الناصري، تولى منصب نائب السلطنة في سلطنة برقوق الأولى. ؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص434.

(3) القلقشندي: صبح الأعشى، ج8، ص62. ؛ المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص524.

(4) القلقشندي: صبح الأعشى، ج8، ص62.

(5) الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص106. ؛ مهاوي: الغزو التيموري، ص213.

(6) المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص531. ؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص115.

(7) الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص115.

(8) ابن حجر: أنباء الغمر، ج1، ص301.

للانقضاض على الممتلكات التيمورية في أذربيجان[1] فوجد برقوق أن التحالف مــع تقــتمش كفيــل بإبعاد الخطر التيموري عن الدولة الجركسية فتم عقد الحلف ورجع الوفد إلى بلاده.

ومما يؤيد هذا التحالف هو إرسال الجراكسة عدة عيون منهم الأمير طغــاي إلــى المــشرق الإسلامي لمراقبة التحركات العسكرية التيمورية[2].

كانت خطتهما لمحاربة عدوهما تتلخص في أن تقوم جيوش القبيلة الذهبية بمهاجمــة الجبهــة الغربية لتيمور في أذربيجان ويعزز هذا الهجوم كل من الجلائريين والجراكسة فيضطر تيمور إلــى الزحف من مركزه في ما وراء النهر نحو الغرب لمعالجة الموقف، فتعمل هذه القوات على مشاغلته في حين يقوم تقتميش بتوجيه ضربته الحاسمة لتيمور بغزو خوارزم[3] وما وراء النهر بالاتفاق مــع خان الجتة في مغولستان على توحيد جهودهما عسكرياً لإحراز هذا الهدف[4].

وظهرت نتائج هذا التحالف على الفور بالنسبة لكلا الطرفين المتحالفين فقد تقدم تقتميش علــى رأس قواته إلى عتبة دربند في سنة (796هـ/1394م) مهدداً أذربيجان التي أصبحت مــن أمــلاك تيمور، ويعد هذا من جملة الأسباب التي جعلت تيمور يصرف النظر عــن اجتيــاح بــلاد الــشام، ويتوقف في التوسع نحو أملاك الدولة المملوكية ولاسيما بعد غزو الرها، وبسبب هذا التحالف فقــد تحركت قوات مملوكية إلى بلاد القبجاق وأصبحت موجودة في العاصمة سراي عند اجتياح تيمــور لها في أواخر سنة (797هـ/ تشرين الأول 1395م)[5].

كما استقبل السلطان برقوق في دمشق جمادى الأولى سنة (796هـ/ آذار سنة 1394م)[6] وقد بعث به تقتميش ليقول للسلطان المملوكي على لسان خان القبجاق: «أن يكــون وإيــاه يــداً

(1) الرمزي: تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتــار، ج1، ص584 – 585. ؛ مهــاوي: الغزو التيموري، ص214.

(2) ابن اياس: بدائع الزهور، ج1، ص267.

(3) كانت القبيلة الذهبية في نزاع مستمر مع الدولتين الجغتائية والإيلخانية حول إقليمي أذربيجان وخوارزم، وقد أثار تقتميش هذا النزاع بالتحالف مع الجراكسة. انظر: طقوش: تاريخ مغول القبيلة الذهبية في الهند، ص110.

(4) الرمزي: تلفيق الأخبار، ج1، ص590. ؛ مهاوي: الغزو التيموري، ص215.

(5) المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص813. ؛ ابن حجر: أنباء الغمر، ج1، ص417. ؛ طقوش: تاريخ مغول القبيلة الذهبية، ص110، ؛ شهاب: تيمورلنك، ص277.

(6) المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص813. ؛ طقّوش: تاريخ المغول، ص109.

واحدة على الطاغي الباغي تيمورلنك»[1]. ويقول كل من القلقشندي والسخاوي إن المباحثات بين الجانبين أسفرت عن توقيع معاهدة تحالف بينهما ضد تيمور[2].

- **تحالف برقوق مع القراقوينلو (تركمان الشاة السوداء):** شملت خطة برقوق الهادفة إلى إبعاد الخطر التيموري عن بلاده بتقديم المساعدة للدويلات القائمة بين أملاك تيمور وبين دولة المماليك، لدرء الخطر التيموري الزاحف عليها من بلاد ما وراء النهر وتنطبق هذه الحال على تركمان القراقوينلو والإمارة الارتقية في مادرين وإمارة القاضي أحمد برهان الدين سيواس.

وقد جاءت مبادرة التعاون بين الجراكسة وتركمان القراقونيلو من قبل قرا محمد إذ كتب رسالة إلى برقوق سنة (785هـ/1383م) وطلب موافقة السلطان على ذكر اسمه في الخطبة وسكه على النقود فانتهز برقوق ذلك وأجابه إلى طلبه لأنه بخضوعه هذا سيؤمن وقوف القبائل التركمانية في الشام إلى جانبه كما يمكن أن يستخدمه في صراعه مع تيمور كحزام يقي الدولة الجركسية من هذا الخطر[3]. كما أن قرا محمد نفسه ازداد إحساساً بالخطر التيموري بعد اندحار قوات أحمد جلائر في أذربيجان فبعث سنة (787هـ/1385م) كتاباً يلتمس من خلاله السماح له في حال الضرورة أن يلجأ إلى بلاد الشام[4].

وانتهز قرا محمد التعاون الذي خُصَّ به من الجراكسة فسار نحو تبريز في السنة التالية فأغار عليها ثم رجع عنها بعد مدة قصيرة[5].

ومن هنا يمكن القول: إن هناك علاقة بين هجوم قوات تقتميش على تبريز سنة (787هـ/1385م) وغزو قرا محمد لها في السنة التي أعقبتها، باسم الدولة الجركسية على أنه تجسيد لخطة تحالفية بين دولتي القبيلة الذهبية والجراكسية التي تقضي باستدراج تيمور إلى الغرب ليتولى تقتميش توجيه ضربته الحاسمة لعدوهما بالهجوم على ما وراء النهر قلب الإمبراطورية التيمورية.

على الرغم من مؤازرة المؤرخين الموالين لتيمور في تبريز فقد أخفقت الحملات الثلاث التي شنتها القوات التيمورية ضد قرا محمد بسبب متانة تحصينات المناطق الجبلية، وبسالة قرا محمد

---

(1) ابن قاضي شهبه: تاريخ ابن قاضي شهبه، ج3، ص512. ؛ شهاب: تيمورلنك، ص277.

(2) القلقشندي: مآثر الأنافة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار فرج، الكويت، 1964، ص190. ؛ السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج2، ص46.

(3) Tekindag: Beruk Memluk Sultaligi (Xir yuzyil misir dair arastiralar), Istanbul, Edebiyat fakultes Matbasi, 1961, P92-93.

(4) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، م9، ج1، ص7. ؛ المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص536.

(5) بياني شيرين: تاريخ آل جلاير، ص80.

وابنه قرا يوسف في الدفاع عن مناطقهم ضد الغزاة وذلك بالتعاون مع أكراد الجبال[1] مستندين في مقاومتهم إلى إسناد برقوق لهم، وبالرغم من الضائقة الاقتصادية والاجتماعية[2] التي كان يمر بها الجراكسة في كل من الشام ومصر في السنوات (787 – 789هـ/1385 – 1387م).

وقد تمكن برقوق سنة (789هـ/1387م) من حشد قوة عسكرية لمساعدة القراقوينلو وتألفت هذه القوة من أربع قيادات تولاها كل من الأمراء المعلم السيفي[3]، وقردم الحسني[4]، ويونس الدويدار وسودون باق[5]، وعند وصولها إلى حلب وضعت تحت قيادة موحدة تولاها نائب حلب الناصري، وقد وصل الخبر إلى قادة الحملة بانسحاب تيمور من الجبهة الشمالية للشام بسبب هجوم تقتميش على ما وراء النهر[6].

ويبدو أن تيمور شعر بخطورة التحالفات التي عقدت بين القبيلة الذهبية والجراكسة في الجبهة الغربية من مملكته وبين القبيلة الذهبية ومغولستان في الجبهة الشرقية للإمبراطورية، أصبح من المتعذر عليه بموجب هذه التحالفات أن يبتعد كثيراً عن مركز إمبراطوريته دون أن تتعرض لخطر خارجي لذلك أراد أن يصفي حسابه مع أشد أعضاء هذا الحلف خطراً وهما القبيلة الذهبية ومغولستان، كي يتفرغ بعد ذلك إلى تصفية حسابه مع الجبهة الغربية للحلف ممثلة في الدولة الجركسية.

وجه تيمورلنك ابنه ميرانشاه نحو التركمان خلال سنتي (798هـ/1396م) و(799هـ/1397م) كان قرا يوسف قد نجح في أسر أحد قواد تيمور المقربين ويدعى اطلمش

---

(1) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، م9، ج1، ص12. ؛ مهاوي: الغزو التيموري، ص22.

(2) شهدت الدولة الجركسية في عهد برقوق حالة تدهور سياسي واقتصادي فقد تعددت ثورات المماليك الترك وعمّ الذعر بلاد الشام، خشية من زحف تيمور كما عانت الخزانة من عجز مالي كبير جراء تلف المحاصيل الزراعية بسبب الجفاف والجراد وما أعقبه من وقوع الغلاء وحلول الطاعون بمصر والشام. ؛ المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص818. ؛ ابن حجر: أنباء الغمر، ج1، ص302 – 335. ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج12، ص55 – 57. ؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ص267

(3) المعلم السيفي: هو سيف الدين الطنبغا المعلم من أمراء برقوق، برتبة أمير ألف. ؛ ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج9، ص12 – 13.

(4) قردم الحسني: من أمراء برقوق تدرج في المراتب المملوكية فخازن دار ثم أمير ألف، توفي 810هـ/1408م. ؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج6، ص218.

(5) سودون باق: من كبار الأمراء الجراكسة برتبة أمير ألف تولى نيابة حماة ثم نيابة الغيبة بدمشق، توفي سنة 793هـ/1391م. ؛ ابن صصري: الدرة المضيئة، ص60 – 61. ؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص154، 207.

(6) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج5، ص1032. ابن حجر: أنباء الغمر، ج1، ص335.

(قاوجين) الذي كان يحكم إحدى القلاع بجوار تبريز[1] ويقال إنها قلعة أونيك[2] ويذكر بعض المؤرخين أن أطلمش هو أحد أصفياء تيمور قد نزل من حصنه للصيد فوقع أسيراً في يد قرا يوسف في صفر سنة (798هـ/تشرين الثاني 1395م)، وقد أرسل الأمير التركماني أسيره إلى القاهرة حيث زجَّ به في السجن بأمر من السلطان برقوق[3].

ويقال إن أسر أطلمش كان سبباً في دخول تيمورلنك إلى الشام وقد تبنى هذا الرأي عدد ممن كتب عن تيمورلنك، مثل محمد كرد علي، صاحب خطط الشام الذي قال: «هذا الرجل – يعني تيمورلنك، لم يحمل على الشام حملته المشؤومة إلا لأسباب أوجدها النواب والأمراء. وبعد أن ردد مقالة ابن حجر قال: «فالقائمون بالأمر هم الذين فتحوا لتيمورلنك السبيل لغزو البلاد فيما بعد»[4]. متخذ منه تيمورلنك مسوغاً لغزو الشام.

- **تحالف برقوق والسلطان العثماني بايزيد الأول:** اتسمت علاقة برقوق بالعثمانيين بالود ومن ناحية أخرى فقد كانت ظروف السلطان العثماني بايزيد خلال حروبه ضد البيزنطيين وفي البر الأوروبي قد أملت عليه التقرب من دولة المماليك والعمل على محالفتهم، فبادر بايزيد إلى إيجاد نوع من التحالف مع الجراكسة بسبب تعرض ممتلكاته في الأناضول لهجوم تيمور.

أرسل بايزيد إلى برقوق وفداً سنة (793هـ/1391م) مع كتاب حذر فيه من تحرك تيمور على المناطق المتاخمة للدولتين الجركسية والعثمانية رغبته في قيام تحالف بينهما[5]، ويبدو أن السلطتين جمعهما روح الوفاق في بداية الأمر وتبادل الهدايا[6]، وتوطدت علاقة برقوق ببايزيد حيث عاد الأخير إلى مراسلة المماليك في الموضوع نفسه في سنة (796هـ/1394م) وأخبر برقوق بأنه

---

(1) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج9، ص430. ؛ المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص851. ؛ ابن حجر: أنباء الغمر، ج2، ص23.

(2) يزدي: ظفر نامه، ج2، ص200.

(3) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات ، ج9، ص430. ؛ المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص851. ؛ ابن حجر: أنباء الغمر، ج1، ص509. ؛ ابن قاض شهبه: تاريخ ابن قاضي شهبه، ج3، ص574. ؛ ابن اياس: بدائع الزهور، ج1، ص306.

(4) كرد علي، محمد: خطط الشام، بيروت، 1389هـ/1969م، ج2، ص162 – 163. ؛ الحلبي: تيمورلنك وحكايته مع دمشق، ص114.

(5) الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص167. ؛ فريدون: مجموعة منشآت الملوك والسلاطين، القسطنطينية، 1264هـ، ج1، ص115.

(6) أحمد: الغزو التيموري لبلاد الشام وآثاره، ص9. ؛ عاشور، سعيد: العصر المملوكي في مصر والشام، ط1، القاهرة، 1965م، ص256. ؛ مهاوي: الغزو التيموري للعراق، ص228. ؛ شهاب: تيمورلنك، ص176.

يقف على رأس مائتي ألف فارس بانتظار أوامر السلطان المملوكي وقد جلب الوفد معه بعض الهدايا السنية[1].

ولم تشر المصادر المعاصرة إلى موقف مباشر اتخذه برقوق من عرض التحالف الذي قدمه بايزيد إلا أن سلطات القاهرة على الرغم من المخاوف التي كانت تبديها من ازدياد قوة العثمانيين فقد أرسلت في السنة التالية (797هـ/1395م) تعلم بايزيد بموافقة الخليفة العباسي على طلبه بمنحه لقب سلطان الروم[2].

ويمكن أن نشير إلى ذلك التقارب الحذر بين بايزيد العثماني وبرقوق المملوكي من جهة وبينهما وبين زعيم التركمان القراقونيلو قرا يوسف ذلك أن الأخير كانت تربطه بتيمور علاقات عدائية كان من أكبر مظاهرها تعرضه للنفي من قبل تيمور[3]، ولم يجد مخرجاً أمامه سوى التحالف مع العثمانيين علهم يخرجونه مما هو فيه ومن الطبيعي أن يحدث نوع من التحالف بين هذه القوى الثلاث إزاء أطماع تيمورلنك التوسعية[4].

ويتضح كره تيمور للمماليك من معاداته لأصدقائهم وفي الانتقام من كل واحد من هؤلاء الحلفاء فكان من الأسباب التي دفعته لغزو سيواس والتنكيل بسكانها كما أشار إلى ذلك في إحدى رسائله إلى بايزيد – إرسال سكان المدينة بعض الهدايا إلى سلطان مصر، «ولذلك وجبت معاقبتهم»[5].

وتوالت تحرشات تيمورلنك بدولة المماليك مما جعل السلطان برقوق لا يطمئن إليه أبداً ويعامله بمنتهى الازدراء وكان يردد دائماً: لا أخاف من اللنك، فإن الجميع سيساعدونني عليه وإنما أخاف من ابن عثمان، وكان كثيراً ما يقول: ما يُخشى على ملك مصر إلا من ابن عثمان[6]. وقد تحقق هذا بالفعل بعد أكثر من قرن.

- **لجوء أحمد جلائر إلى برقوق:** أدى سقوط بغداد سنة (795هـ/1393م) إلى انهيار الدولة الجلائرية التي كانت بمثابة سد يقي الجراكسة من الخطر التيموري لذلك فإن برقوق قبل لجوء أحمد جلائر إلى القاهرة، فبعد أن تخلص السلطان الجلائري من قبضة الغزاة قرب كربلاء سار عبر الصحراء إلى الشام فوصل مع ثلاثمائة فارس إلى منازل نعير أمير آل فضل في الرحبة،

---

(1) المقريزي: السلوك، ج3، ص790. ابن حجر: أنباء الغمر، ج1، ص471.

(2) ابن الشحنه: روضة الناظر ج12، ص189.

(3) القرماني: أخبار الدول وآثار الأول، ص336. ؛ فامبري: تاريخ بخارى، ص234.

(4) طرخان: مصر في عهد المماليك الجراكسة، القاهرة، 1965م، ص74.

(5) فريدون: مجموعة منشآت الملوك والسلاطين، ج1، ص131. ؛ شهاب: تيمورلنك، ص264.

(6) ابن حجر: إنباء الغمر بأنباء العمر، ج1، ص347.

في (ذي القعدة 795هـ/أيلول 1393م) فأحسن الأخير وفادته بأمر من برقوق وبعد مضي عدة أيام من وصوله إلى الرحبة تواقد عليه أتباعه حتى صاروا ألفي شخص[1]، وتوجه نحو حلب حيث استقبله فيها نائبها وطلب الإذن بالقدوم على السلطان برقوق فجمع السلطان أمراءه وشاورهم في الأمر فاستقر الرأي بعد قدومه على إرسال الأمير عز الدين ازدمر إلى حلب لإحضاره إلى مصر[2]، وقد دخل أحمد جلائر ومن معه دمشق في شهر صفر/كانون الأول ونزلوا بالقصر الأبلق وكان معه من جماعته خمسمائة نفس من أتباعه، ويقول ابن صصري الذي عاصرهم: «إنهم مفسدون يتظاهرون بالفواحش حشاشون لأنهم لما وصلوا إلى القدس اشتروا حشيشاً بألف ومائتي درهم ولم يُصلُّوا، وما سلط الله تعالى عليهم تيمورلنك إلا ببعض ما يستحقونه»[3].

وصل أحمد جلائر إلى القاهرة في شهر ربيع الأول/كانون الثاني فأعد السلطان برقوق أعد موضعاً بالقاهرة عند الريدانية لإجراء مراسيم استقبال أحمد جلائر حيث بالغ في حفاوة الاستقبال به وبمن معه، وعانقه وهدأ من روعه ووعده بأن يخرج معه بالقوات ويأخذ بثأره وقد أنزله في قصر أعد له على بركة الفيل[4]، وجهّز له مئتي ألف درهم وعشرين مملوكاً وجارية وغير ذلك من الأقمشة والخلع والسروج المذهبة[5]، وتتضح أهمية الدولة الجلائرية للجراكسة كدولة مواجهة لتيمور من خلال حسن الاستقبال والتكريم الذي حظي به أحمد بن إويس الجلائري من قبل برقوق، ومما يدل على زيادة توثيق العلاقة السياسية بأحمد جلائر هو زواج برقوق من تندو[6] ابنة حسين بن أويس[7].

---

(1) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج9، ص345. المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص789. الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص364. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة. مهاوي: الغزو التيموري، ص230. الحلبي: تيمورلنك ، ص104.

(2) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج9، ص347. ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج12، ص45.

(3) الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية، ص146.

(4) بركة الفيل: بين باب زويلة والسيدة نفيسة ودرب الجماميز كانت منتزه القاهرة الرائع وتغمرها مياه النيل سنوياً محاطة بالقصور والرياحين. ؛ النجوم الزاهرة، ج7، ص366.

(5) ابن دقماق: الجوهر الثمين في سيرة الخلفاء والملوك والسلاطين، تحقيق سعيد عاشور، جامعة أم القرى، السعودية، 491. ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج1، ص235. المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص299.

(6) تندو: وتسمى دوندى وهي ابنة السلطان حسين بن أويس الجلائري قدمت مع عمها أحمد بن أويس إلى القاهرة فتزوجها برقوق وبعد أن فارقها الأخير بنى بها ابن عمها شاه ولد، تولت الحكم بواسط بعد وفاة أحمد جلائر، وقد قتلت زوجها وامتد نفوذها إلى الجزيرة والبصرة، توفيت سنة 822هـ/1420م.

السخاوي: الضوء اللامع، ج12، ص16. الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص405.

(7) ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج1، ص236. المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص7 – 8.

وعلى الرغم من الأزمة المالية التي كانت تعاني منها الدولة الجركسية آنذاك فقد خرج برقوق على رأس جيشه متجهاً إلى دمشق ومصطحباً معه أحمد بن جلائر في جمادي الأولى سنة 796هـ/1394م ومنها إلى حلب، ومن ثم تقدمت قوات برقوق فوصلت قرب نهر الفرات الذي يفصل بين قوات الجانبين، وقد نجحت فرقة من المماليك في عبور الفرات ليلاً بعد أن نفخت القرب وجعلتها تحت بطون الخيل ثم هاجمت مقدمة جيش تيمورلنك وألحقت بها الهزيمة[1]، وفي تلك الظروف جاءت الأخبار إلى تيمورلنك بهجوم تقتيمش خان القبيلة الذهبية القبجاق على منطقة الأبواب، عند حدود الدولتين، فآثر الانسحاب من مواقعه على الفرات لمواجهة الخطر العاجل على حدود دولته، وأجل الانتقام من المماليك إلى فترة تالية[2]، أما أحمد جلائر فقد جهّزه برقوق وأرسله إلى بغداد حيث نجح في استعادة ملكه وهزيمة الحامية التي تركها تيمورلنك في المدينة ثم أصبح أحمد جلائر نائباً في بغداد عن السلطان برقوق[3]، وبذلك امتد نفوذ المماليك إلى العراق.

9 – المراسلات بين تيمورلنك وبرقوق:

تعبّر الرسائل الأربع المتبادلة بين تيمور وبرقوق عن مدى التوتر الذي بلغته العلاقات بين الطرفين في سنتي (795 – 796هـ/1393 – 1394م) إذ أراد تيمور في رسالته الأولى أن يخفي نواياه العدائية وخطته الرامية إلى غزو الشام سراً عن برقوق كي لا يستعد لمجابهته وذلك بتأكيده على حسن نيته تجاه برقوق فأرسل إليه وفداً مغولياً ترأسه الشيخ ساوه[4]، وحمل معه كتاباً لبرقوق أوضح فيه تيمور أن العلاقات بين الدولتين الإيلخانية والمملوكية قد تحسنت سابقاً بجهود الرسل المتبادلة بين الطرفين إلا أن وفاة أبي سعيد خدبندا أدت إلى تفكك الدولة الإيلخانية إلى عدة دول فأشاعت هذه الدول الفوضى في المملكة لذلك فإن الله قد اختاره لإصلاح ما فسد ولتوحيد الإمبراطورية لذا فإنه دانت له وبقوة السيف كل بلاد فارس والعراق فصارت حدود مملكته متاخمة للدولة الجركسية كما أكد على

---

(1) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، م9، ص351 – 352. ؛ المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ق2، ص807. ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج12، ص52 – 54. ؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ص469. ؛ سليمان أحمد: تيمورلنك ودولة المماليك الجراكسة، ص18 – 19.

(2) ابن إياس: المصدر السالف، ج1، ص469. ابن خلدون: التعريف بابن خلدون، ص364. بن قاضي شهبه: تاريخ بن قاضي شهبه، ج3، ص506.

(3) المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص814. ؛ ابن قاضي شهبه: تاريخ ابن قاضي شهبه، ج3، ص516.

(4) شيخ ساوه: أشهر فقهاء مازندران، التحق بركب تيمور بعد غزو مازندران فصار من خواصه وتميز بمهارات دبلوماسية فائقة بعثه تيمور إلى الجراكسة فأمر برقوق بقتله، سنة 796هـ/1394م. ؛ حافظ آبرو: زبدة التواريخ، ص159.

ضرورة تبادل الرسل وتنشيط العلاقات التجارية بين البلدين وأكد له تيمور في رسالته أن هذه هـي الغاية التي أوجبت إرساله الوفد[1].

وعلى ما يبدو فإن برقوق كان واعياً لمكائد حاكم ما وراء النهر وخططه للانقـضاض علـى الشام فقد حذره أحمد جلائر منذ سنة (788هـ/1386م) عن عزم تيمور على غزو الشام[2]، كما أن مملكة تيمور صارت ملْجأً للعناصر التركية التي اشتركت في ثورة منطاش[3]، كما أن مجـد الـدين عيسى أمير ماردين أخبره بمراسلات تيمور معه[4].

وفضلاً عن ذلك فإن نعير أمير آل فضل وجد في اتصال حاكم ما وراء النهر فرصة ليظهـر نفسه بمظهر المخلص للدولة الجركسية فحمل الكتاب الذي بعثه إليه تيمور وعرضه على برقوق[5]، علاوة على هذا كله فإن الوفد الذي ترأسه الشيخ ساوه قد رصدته القوات الجركـسية وهـو يقـوم بتدوين المواضع الشامية موضعاً بعد موضع ولم يكتفِ بذلك، بل إنه حينما وصل الرحبة قـدم إلـى نائبها هدية مكونة من طيور وفهود وطلب منه أن يعلن تبعيته لتيمور[6]، إضافة إلى بعـث الأخيـر بعيون إلى مصر والشام لدراسة وضع الجراكسة من حيث القدرة والتموين[7]، وعلى ضـوء هـذه الأدلة فسر برقوق أمر سفارة الشيخ ساوه على أنها خدعة أراد مرسلها أن يظهر صفاء النيـة تجـاه الجراكسة كي لا يستعدوا لمجابهته عند غزوه الشام. لذلك أمر برقوق نائبه في الرحبة بقتل أعـضاء السفارة وكانوا في حدود أربعين رجلاً، وأبقى على واحد منهم أرسله مع هدية تيمور إلى القاهرة[8].

كانت هذه الحادثة أكبر صفعة يتلقاها تيمور وهي التي دفعته فيما بعد إلى الانتقام الوحشي من حلب وحماة ودمشق لكنه أجّل انتقامه ثمانية أعوام كاملة ولم تستطع هذه الأعـوام أن تمحـو مـن ذاكرته أثرها لأنه من النوع الحاقد الذي لا يغفر أبداً.

---

(1) الغياثي: التاريخ الغياثي، ص169. يزدي: ظفر نامه، ج1، ص458.

(2) المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص552. ؛ ابن حجر: أنباء الغمر، ج1، ص312 – 313.

(3)ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج9، ص370. ؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج7، ص310 – 315.

(4) المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص787. ؛ مهاوي: الغزو التيموري على العراق، ص233.

(5) القلقشندي: صبح الأعشى، ج7، ص310 – 311.

(6) ابن صصري: الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية، ص145. ؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج7، ص316.

(7) أرسل تيمور عدة جواسيس إلى الدولة الجركسية وكانوا بهيئات مختلفة كالتجار والفقهـاء والفقـراء والحجـاج والأعاجم والمقاتلين الفارين من تيمور وقد تم اكتشافهم في حلب من قبل رجل تركي تم ترحيلـه إلـى القـاهرة، ويدعى دولات خجا اعترف بعد الضرب على سبعة آخرين كانوا في ثياب التجار. ؛ ابن الفـرات: تـاريخ ابـن الفرات، ج9، ص369. ؛ المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص802. ؛ ابن حجر: أنباء الغمر، ج1، ص474.

(8) القلقشندي: صبح الأعشى، ج7، ص316.

ولما علم حاكم ما وراء النهر بالإجراء الذي اتخذه برقوق تجاه سفارته، فلم يجد أمام تحدي السلطان الجركسي له وفشل خطته التمويهية إلا أن يكشف عن حقيقة موقفه فبعث برسالته الثانية إلى برقوق فوصلت القاهرة (13 ربيع الآخر سنة 796هـ/6 شباط 1394م) وكانت على خلاف الرسالة الأولى مشحونة بالتهديد والوعيد بل إنها كانت قريبة الشبه برسالة هولاكو إلى الخليفة المستعصم.

فقد وصف نفسه وجنوده بأنهم: «لا يَرِقُّونَ لشاكٍ ولا يرحمون لباكٍ، قد نزع الله الرحمة من قلوبهم والويل ثم الويل لمن لم يكن من حزبهم»[1].

ثم يتباهى بأعماله التدميرية والبلاد التي جعل عاليها سافلها وبالأرامل والأيتام الذين خلفهم وراءه وخاطب المماليك قائلاً: «وأنتم إن أطعتم أمرنا وقبلتم شرطنا فلكم مالنا، وعليكم ما علينا وإن خالفتم.. فلا تلوموا إلا أنفسكم»[2].

ثم يتحول إلى مصلح ومنقذ فيقول: «وكيف يُسمع دعاؤكم وقد أكلتم الحرام وضيّعتم جميع الأنام وأخذتم أموال الأيتام وقبلتم الرشوة من الحكام فأعدت لكم النار وبئس المصير.. وقد قتلتم العلماء وعصيتم رب الأرض والسماء وأرقتم دماء الأشراف، وقد غلب عندكم أننا كفرة وثبت عندنا أنكم أنتم الكفرة الفجرة وقد سلطنا عليكم إلهاً له أمور مقدّرة وأحكام مدبّرة ونحن ملكنا الأرض شرقاً وغرباً وقد أوضحنا لكم الخطاب فأسرعوا برد الجواب.. وقد أنصفناكم إذا راسلناكم فلا تقتلوا المرسلين كما فعلتم بالأولين، وتعصوا رب العالمين»[3].

وبعد ثلاثة أيام عهد برقوق إلى كاتب السرّ ابن فضل الله العمري بكتابة الرد في (6 ربيع الآخر 796هـ/9 شباط 1394م)، ومما يثير الدهشة الموقف الذي اتخذه برقوق في رده على رسالة تيمورلنك فرغم سوء الأمور الداخلية في دولته واضطرابها من تصاعد الفتن وتمرد الأمراء، وكذلك خلو الخزائن من المال لإعداد الجيش[4] إلا أنه على ما يبدو اتبع أسلوب أسلافه من سلاطين المماليك بإقدامه على قتل رسل تيمورلنك والرد عليهم بالتوبيخ والتقليل من شأنهم حيث قال: «قل يا

---

(1) إن ما ذكره تيمورلنك من حيازة برقوق لأموال اليتامى وقبوله الرشوة يدل دلالة واضحة على انتشار جواسيسه في الدولة الجركسية إذ أن كلامه يبدو صادقاً في الواقع، فقد استولى برقوق على أموال الأيتام وإن القاضي بدر الدين ابن أبي البلقاء قد تولى منصب القضاء بسبب موافقته على تصرف برقوق ولقاء تقديمه مبلغاً من المال.
؛ المقريزي: إغاثة الأمة، ص43. الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص385.

(2) المقريزي: السلوك، ج3، ق3، ص803.

(3) النص الكامل عند المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص803. ابن صصري: الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية، ص147. ابن حجر: أنباء الغمر، ج1، ص473. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج12، ص43 - 45. ابن قاضي شهبه: تاريخ ابن قاضي شهبه، ج3، ص507 - 508.

(4) ابن اياس: بدائع الزهور، ج1، ص446. ؛ خليل، انطوان: الدولة المملوكية التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري، دار الحداثة، بيروت، ط1، 1982، ص335.

أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون، ففي كل كتاب ذكرتم وبكل قبيح وصفتم ألا لعنةُ الله على الكافرين.. فقولكم أقبح عيوبكم وهذه الشهادة من صفات الشياطين، وتكفيكم هذه الشهادة الكافية بما وصفتم به أنفسكم، ومن العجب تهديد السباع بالضباع، والكماة بالكراع فنحن خيولنا إفريقية وسيوفنا يمانية.. وأما قولكم قلوبنا كالجبال وعددنا كالرمال فالقصاب لا يبالي بكثرة الغنم.. فكم من فئةٍ قليلةٍ غلبت فئة كثيرة بإذن الله، أبعد أمير المؤمنين خليفة رب العالمين تطلبون منا طاعة؟ لا سمع لكم ولا طاعة.. وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، وأعلن تشوقه لمحاربته واختتم جوابه بقوله لتيمور إن واقع رسالته كان: «كصرير باب وكطنين ذباب وسنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مداً ونريه ما نقول»[1].

ويبدو أن تيمور أراد أن يكثر من الحجج التي يندفع بسببها لغزو الشام فأرسل رسالته الثالثة إلى برقوق في (جمادى الأولى 796هـ/نيسان 1394م) أي بعد شهر واحد من رده السابق وكان برقوق في طريقه إلى دمشق للعمل على إعادة أحمد جلائر إلى بغداد وقد حاول تيمور أن يظهر لبرقوق أنه فتح معه باب المودة والود فلم يلتفت إلى ندائه ثم طالبه بتسليم أحمد جلائر، وأعطى تسويغاً لغزو تكريت بأن صاحبها كان يقطع طرق القوافل كما أنكر عليه قتله رسله واختتم رسالته بتهديده لبرقوق بأنه سيزحف على الشام في بداية الربيع سنة (796هـ/1394م) إذا لم يسلم له أحمد جلائر[2].

أما موقف برقوق من هذه الرسالة فقد اتضح في إجابته التي اتسمت بالانفعال والحذر من حركات عدوه وعدم تصديقه في فتح باب المودة معه، فردّ وأجابه: «لو كنت صادقاً لأعدت الفارين إليك وآخرهم أمير العرب صولة بن خيّار لكنك أويته وأويت شكر أحمد وأرغون السلامي وأرسلت خلعه للأمير نعير أمير آل فضل وحرضته على اللجوء إليك»[3].. وأنكر عليه تسويغه لغزو تكريت بأنه أدب صاحب تكريت ونكل به لأنه لصٌ حراميٌ فردّ عليه برقوق وشكره على تأديبه ثم قال بتهكم:«هل كان أهل بغداد لصوصاً حتى فعلت بهم ما فعلت وقتلت منهم من التجار ثمانمائة تحت التعذيب فكيف بالمسلمين ذلك؟»[4]، وسوّغ برقوق قتله للرسول بسبب سوء تصرفه وتحدثه بما لا ينبغي، وأنكر على تيمور تجسسه على الدولة الجركسية وعلى الجيش الجركسي خاصة وأبلغه

---

(1) ابن صصري: الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية، ص147 – 148. ؛ المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص808. ؛ ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج9، ص373. ؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص383. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج12، ص52. ؛ ابن سباط: صدق الأخبار، تحقيق عبد السلام تدمري، طرابلس، ج2، ص756 – 757.

(2) القلقشندي: صبح الأعشى ، ج7، ص310.

(3) القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج7، ص318.

(4) القلقشندي: المصدر السالف، ج7، ص318.

باستحالة تسليم أحمد جلائر حيث قال: ماذا عمل لك السلطان أحمد؟ ولماذا تريده؟ لقد حلفت له بجميع الأيمان أنك لن تتعرض لبلاده، فركن إليك ووثق بك واعتمد عليك، فخنته وغدرت به، وأتيته بغتة فأخذت ممتلكاته وبلاده وأخذت حريمه وأعطيتهن لغيره فكيف تدعي أنك مسلم؟ وما كفى ما فعلته به حتى تطلبه منا وقد استجار بنا، فإرسال القان أحمد إليك أمر مستحيل، وها نحن واصلون بجيوش وجنود وعساكر مؤيدة من السباع لا تروى أسلحتهم من دماء البغاة ولا تشبع، والجواب ما ترى ولا تسمع»[1]. وهذا يعني استعداده لمحاربته.

وبالفعل تحرك السلطان برقوق بالجيوش وغادر القاهرة في حملة ضخمة بكامل التجهيزات بحسب رأي المقريزي ودخل دمشق وهناك التقى بسفراء مملكتين جمعهما معه وهما رسول ملك القبجاق تقتمش ورسول السلطان العثماني بايزيد وقد عرضا عليه التحالف ضد تيمورلنك فشكرهما برقوق وزودهما بالأجوبة المناسبة[2].

وفي (شوال 796هـ/تموز 1394م) تحرك برقوق إلى حلب ودخل ابن أويس بغداد بعد أن انسحب تيمورلنك نحو الشرق عائداً إلى بلاده ليدافع عنها بسبب مهاجمتها من طقتمش خان القبجاق[3].

ويلاحظ على نشاط السلطان برقوق في هذه المنطقة أنه لم يأخذ زمام المبادرة للهجوم على القوات التيمورية وإنما كان هدفه الدفاع عن ثغور الشام إذ أخذ يستطلع أحوال القلاع والحصون ويتفقد احتياجاتها[4] وعندما علم بوصول قوة تيمورية إلى البيرة أنفذ جماعة من عسكره تحت جنح الليل لصدهم عنها[5]. وقد اعتقد بعض المؤرخين بأن وصول برقوق كان السبب الرئيس في إعراض تيمور عن غزو الشام[6]، ربما يكون استعداد الجراكسة عسكرياً أحد العوامل التي أدت بتيمور أن يعرض عن فكرة الغزو أما معين الدين نطنزي والبغدادي فقدما أسباباً أخرى منها أن عزوفه كان بسبب اغتيال ابنه

(1) القلقشندي: المصدر السالف، ج7، ص318. النص الكامل في صبح الاعشى.

(2) المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص812. ؛ ابن قاضي شهبه: تاريخ ابن قاضي شهبه، ج3، ص511. ؛ ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج9، ص371. ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج12، ص52 – 57. ؛ سليمان أحمد: تيمورلنك ودولة المماليك الجراكسة، ص19.

(3) ابن خلدون: التعريف بابن خلدون، ص364. ؛ ابن خطيب الناصريه: الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب، تحقيق خليل الحسين، جامعة دمشق، كلية الأداب، 2004 – 2005م، ص183 – 184. ؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج4، ص114.

(4) ابن صصري: الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية، ص160.

(5) ابن اياس: بدائع الزهور، ج1، ص302.

(6) ابن خلدون: العبر، ج6، ص1198. ؛ ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج9، ص382.

عمر شيخ في شيراز[1]، كما أن انقضاض قوات تقتمش على شيروان[2] وحلول فصل الصيف كل هذه الأسباب مجتمعة كانت دفعته لتأجيل غزو بلاد الشام وتوجهه إلى القبيلة الذهبية ليضع نهاية حاسمة لحركات عدوه تقتمش، وقد وصل إلى برقوق الأمير طولو علي شاه رسول تقتميش خان القبيلة الذهبية الذي أخبره أن تيمورلنك قد فاجأ سيده بهجوم مباغت وهزمه ثم انسحب إلى بلاده مما دفع سيده إلى الالتجاء إلى بلاد الروس[3]، من ناحية أخرى زحف اضطر تيمورلنك شمالاً للقيام بحملة في جنوب روسيا وصل فيها إلى قرب موسكو مما شغله لمدة سنة تقريباً ومن جهة ثانية نشبت الفتن في بلاد فارس أثناء غياب تيمورلنك في روسيا كما أوقع الجورجيون الهزيمة بابنه ميران شاه فعاد تيمور إلى فارس لإخماد الفتن فيها ثم شعر بأنه في حاجة إلى إعادة تنظيم دولته والبقاء في عاصمته فترة من الوقت للراحة والاستعداد لحملة جديدة فعاد إلى سمرقند في سنة (799هـ/1396م)[4].

وبعد أن أتم تيمورلنك استعداداته الحربية فضل الاتجاه إلى الهند لاستكمال مشروعه الخاص بإنشاء إمبراطورية كبرى، وبالفعل استولى على كثير من الأقاليم الهندية وأقيم الدعاء له في مساجد الهند[5] وفي تلك الأثناء وصلت إلى مسامع تيمورلنك الأخبار عن حدوث اضطرابات شديدة في فارس فقطع حملته على الهند وعاد إلى عاصمته سمرقند في شعبان سنة (801هـ/1398م)[6].

في الوقت نفسه لم تتح الظروف لبرقوق إتمام مهمته إذ توفي وخلفه ابنه فرج وما أن علم به تيمور حتى فرح سُرَّ وانشرح صدره[7] وأعطى لمن بشره خمسة عشر ألف دينار[1]، وذلك لما في نفسه من قتل برقوق لرسله[2].

---

(1) نظنزي: منتخب التواريخ، ص361. ؛ البغدادي: عيون الأخبار، ج2، ورقة 241.

(2) السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج3، ص46.

(3) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج9، ص416. الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص414. العلبي: تيمورلنك، ص113.

(4) جاكسون: سلطنة دلهي، ص546.

Brown: Aliterary history of Persia Vol III, The tartar dominion 1265-1265, Cambridge University Press 1951, Vol III, P 192.

Champdor: Tamerlan, Paris 1942, P 190-111.

(5)Grousset; L'Empire des Steppes, Paris. 1948, P523, Browne: Op. cit, Vol III, P194.

(6)Lucien Bourat: L'Empir Mongole, Paris 1927, P53.

(7) يزدي: ظفر نامه، ج2، ص158. ؛ ابن عربشاه: عجائب المقدور في نوائب تيمور، ص100 – 101. ؛ ابن الشحنة: روضة الناظر ، ص90. ؛ الحلبي، محمد راغب: أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، دار القلم العربي، حلب، ط2، 1988، ج2، ص399.

بدأ تيمور يعد العدة من جديد للتوجه نحو المشرق العربي، في حينها حدثت تطورات سياسية جديدة في سلطنة المماليك حيث تولى السلطنة فرج بن برقوق سنة (801هـ/1398م) وكان لا يزال طفلاً في حوالي العاشرة من عمره تخلل عهده الكثير من الاضطرابات والفتن التي كان الحكم الفعلي عندها بيد الوصي أتابك العسكر ايتش البجاسي[3]، ولم تكن سلطنة فرج ولا إدارة الوصي بالأميرين المرغوبين ولاسيما بين المماليك وذلك لصغر سن الأول ولعدم اطمئنان بعض أمراء المماليك لسياسة الوصي لاسيما بعد أن شرع في إجراء تغييرات في الأجهزة السياسية والعسكرية فقد عزل في (12 شوال 801هـ/17 حزيران 1398م) سبعةً من الأمراء وأودعهم في سجن الإسكندرية ودمياط[4]، وكان من بينهم يلبغا المجنون الذي أدّى عزله عن الخدمة إلى تمرّده وتعاونه مع تيمور[5]، ووزع البجاسي الأموال على المماليك السلطانية لكسب ودّهم وأسند إلى أنصاره الوظائف العسكرية الكبيرة وكان منهم شرف الدين عيسى التركماني[6]، وقد وجد تنم نائب الشام أنّ مركزه صار مهدداً بعد الإجراءات التي اتخذت في مصر وأنّ وجوده في النيابة أضحى تحت رحمة البجاسي فانفصل ببلاد الشام وبثّ نوابه بها[7] فانتهز بايزيد الأول العثماني اضطراب الوضع الداخلي للدولة الجركسة فغزا ابلستين وملطيه[8]، ولم يستطيع الجراكسة اتخاذ موقف حازم ضد انفصال تنم وضد احتلال بايزيد أراضي الدولة الجركسية بسبب اختلاف الكلمة، وضعف الجبهة الداخلية[9].

والجدير ذكره أنه كان من الأجدى على الأمراء المماليك تعيين رجل سياسي يمكنه قيادة البلاد ويواجه الخطر التيموري بكل شجاعة بدلاً من أن يقبل على التمتع بملذات الدنيا كلما سمع خبراً عن

---

(1) ابن خطيب الناصريه: الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب، ص184. ؛ الشوكاني: البدر الطالع، ص189.

(2) ابن الشحنة: روضة الناظر، ج12، ص190.

(3) البجاسي: من مماليك برقوق قدم القاهرة، وحصل على إقطاع بها تدرج في الوظائف حتى صار أتابكاً للعسكر وكان من أخلص أنصار برقوق قتل بدمشق بعد اشتراكه بثورة تنم 802هـ/1399. ؛ الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان ، ج1، ص52 – 62.

(4) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج12، ص174.

(5) ابن عربشاه: عجائب المقدور ، ص156.

(6) الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج1، ص14 – 15.

(7) ابن حجر: أنباء الغمر، ج1، ص50. ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج12، ص138. ؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص542 – 555. ؛ سليمان: تيمورلنك ودولة المماليك الجراكسة، ص21. صفا: تيمورلنك، ص188.

(8) ابن الشحنة: روضة الناظر ج9، ص208.

(9) ابن إياس: المصدر السالف، ج1، ق2، ص547. شبارو، ؛ عصام: تاريخ المشرق العربي والإسلامي، دار الفكر، لبنان، ط1، 1999م، ص298.

تحركات المغول[1]، والملاحظ أن فرج بن برقوق وكبار أمرائه لم يتخذوا الإجراءات المطلوبة والفورية للوقوف في وجه تحركات تيمورلنك إلاّ في سنة (803هـ/1400م) لما أصبح الخطر التيموري على أبواب الشام بعد احتلال سيواس[2]، فيذكر ابن تغري بردي أنه: «لما غزا تيمور سيواس (15 محرم 803هـ/أيلول 1400م) أدرك الأمراء الشاميون في حلب الذي يهددهم فأرسلوا بالتحذير تلو التحذير وبالإنذار بعد الإنذار إلى القاهرة، ولكن القاهرة لم تنظر إلى هذه الاستعانات بعين الاهتمام ولم يستعد أحد في مصر لمحاربة تيمور بل كان الأمر على خلاف ذلك كما ذكر ابن تغري بردي آنفاً..

إن أعظم أمنية لكل واحد من أمراء القاهرة هي التي تساعده على الوصول إلى سلطنة مصر وإزاحة غيره من الميدان»[3].

وثمَّة خطأ آخر وقع فيه فرج بن برقوق وأمراء الدولة المملوكية الثانية في هذا الوقت وهو أن السلطان العثماني بايزيد الأول طلب التحالف مع المماليك للوقوف في وجه تيمورلنك وذلك سنة (803هـ/1400م) غير أن الذين بيدهم أمور الدولة رفضوا تحالفهم مع بايزيد العثماني وقالوا: «اليوم صار صاحبنا ولمّا مات أستاذنا السلطان برقوق مشى على بلادنا.. فليقاتل عن بلاده.. ونحن نقاتل عن بلادنا»[4]...

وعلاوة على ذلك فإنهم لم ينسوا قول السلطان برقوق إنه لا يخشى من تيمورلنك بقدر ما يخشى من ابن عثمان وتأكد لهم أنه على فرض أن التحالف مع العثمانيين قد تم وانتصروا على تيمورلنك فإن السلطان بايزيد سيضم بلادهم إليه بعد ذلك لا محالة هكذا كانت التوجسات، لكن العجيب أن المماليك لما شعروا بعجزهم وفشلهم حاولوا إرضاء تيمورلنك بجميع السبل أملاً في أن يكف بلاءه عنهم كما فعل الخليفة المستعصم مع هولاكو تماماً ففي شوال سنة (802هـ/أيار سنة 1399م) فرّ أحمد الجلائري للمرة الثانية من بغداد ومعه حليفه التركماني قرا يوسف وطلبا (اللجوء السياسي) إلى دولة المماليك فمنعا من ذلك وحيل بينهما وبين حلب وأرسل المماليك قواتهم لمقاومة أحمد جلائر[5].

---

(1) المقريزي: السلوك، ج3، ق3، ص971.

(2) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج12، ص329. العلبي: تيمورلنك، ص117.

(3) النجوم الزاهرة، ج12، ص217 – 218. ؛ فيشل: لقاء ابن خلدون لتيمورلنك، ترجمة محمد توفيق، دار مكتبة الحياة، بغداد، ص92.

(4) المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص965، 971. ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج12، ص174.

(5) المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص123. ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج12، ص215. ؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج2، ص61. ؛ العلبي: تيمورلنك، ص118.

وهكذا فقد المماليك العلاقة معهما دون أن يظفرا بشيء وقد قطعوا أواصر الصداقة مع بايزيد الأول في الوقت الذي كانوا فيه بأمس الحاجة لمساعداته ربما لتغيير مجرى الأحداث.

إضافة إلى كل هذا وذاك فقد وقعت حوادث مهمة سهّلت مهمة تيمور في الاندفاع نحو بلاد الشام ومنها وفاة معظم أعدائه من الحكام المحيطين بمملكته الأمر الذي ساعده في حرية التحرك العسكري وقد تمثلت تلك الحوادث في سنة (801هـ/1398م) بوفاة كل من حاكم دولة القبيلة الذهبية تيمور قتلغ وتمزق دولته إثر الحروب الأهلية وكذلك شيوع الفوضى في بلاد الصين إثر وفاة الإمبراطور هوانك هو[1]، وأمن في السنة نفسها جبهة مغولستان بسبب الحروب الوراثية حول العرش عند وفاة الخان خضر خوجا وبذلك فقد تلاشى الضغط العسكري على تيمورلنك في جهات مملكته الشرقية والشمالية[2].

10 – الأسباب التي اتخذها تيمورلنك كمسوّغ لغزو الشام:

- إن إقدام السلطات المملوكية في الرحبة على قتل أعضاء الوفد التيموري في سنة (795هـ/1393م) اعتبرت من قبل الشامي واليزدي انتهاك لحقوق الملل وقواعدها الشرعية والسياسية وعدها تيمورلنك كقتل محمد شاه خوارزم لسفير وتجار جنكيز خان وما ترتب على فعلته من تدمير لمملكته[3].
- قبول السلطان برقوق التجاء أحمد بن أويس الجلائري إليه ومساعدته في إزاحة النفوذ التيموري عن بغداد فعدّ ذلك إعلان حرب على الدولة التيمورية وما تمخض عنها من مراسلات واستهزاء من قبل برقوق لتيمورلنك[4].
- قيام قرا يوسف التركماني بحملة على منطقة وان في أرمينيا سنة (798هـ/1395م) وأسر أحد أقرباء تيمور وتسليمه لسلطان مصر فأمر بسجنه عنده ويدعى أطلمش ورفض برقوق إطلاق سراحه فحاول تيمور أن يعيد الكرة مع ابنه فرج فبعث إليه برسالة قال فيها: «لقد بدرت من

---

(1) هوانك هو: ورد عند اليزدي باسم تنغور خان الخطا وورد في الوثائق الصينية باسم هوانك مؤسس سلالة منك الصينية الذي أسقط إمبراطورية المغول في الصين 767هـ/1368م وحكم حتى 801هـ/1398م، اضطهد في أواخر عهده التجار المسلمين فطرد منهم 1200 تاجر إلى سمرقند، ثم شن حملة عامة على المسلمين أدت إلى توتر العلاقة مع تيمور لنك. ؛ اليزدي: ظفر نامه، ج2، ص158.

(2) مهاوي: تاريخ الغزو التيموري، ص256.

(3) ظفر نامه، ص221، ؛ ظفر نامه، ج2، ص199.

(4)ابن الشحنة: روضة الناظر ؛ ج12، ص190. ؛ ابن دقماق: النفحة المسكية في الدولة التركية، ص271 – 273. العيني: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ص378 – 379. ؛

والدك حركات مستهجنة من جملتها قتله رسلنا دون سبب وحبسه أطلمش الذي كان من رجال بلاطنا وعدم إرجاعه إلينا فوالدك ودّع الحياة فإن سؤاله وجزاءه قد أوكل إلى الباري يوم القيامة وينبغي عليك أنت أن ترحم نفسك وأهل مملكتك وأن تعيد أطلمش إلينا حتى تنجي أهل مصر والشام من انتقام جيشنا الذي يتحرق إلى الثأر إن سلكت غير هذا النهج بدافع من وسوسة شيطان اللجاج وعناد الخلاف فإن جميع تلك الديار سوف تصير خراباً بمجرد وصول عساكرنا المنصورة وعبورها وسيكون وزر ذلك ووبال دماء المسلمين وأموالهم في عنقك»[1]، ولما وصل الوفد الذي يحمل الرسالة إلى حلب قبض عليهم وأودعوا السجن فكان هذا التصرف الأخير سبباً لغزو الشام[2].

- تحالف المماليك الجراكسة مع عدو تيمورلنك التقليدي طقتمش خان القبجاق[3].
- ضعف دولة المماليك ووفاة السلطان برقوق سنة (802هـ/1399م)[4].

هذه هي الأسباب المباشرة التي رآها بعض المؤرخين مسوغاً لتيمورلنك لغزو الشام تمهيداً لتحقيق أهدافه الحقيقية، التي يمكن أن نوجزها بالتالي:

أ - رغبته في الوصول إلى سواحل البحر المتوسط وفتح الطريق بين سمرقند ودمشق كدافع اقتصادي[5] بدليل أنه أثناء غزوه دمشق أسر الصناع والتجار وأصحاب الحرف ونقلهم إلى سمرقند[6].

ب - حبه الشديد لسمرقند ورغبته في نقل مركز الخلافة إليها بدلاً عن القاهرة.

ج - طمعُه بالسيطرة على المشرق الإسلامي كله لتحقيق حلمه بأن يصبح سيد العالم، وقد روى ابن تغري بردي أن تيمور كان يقول: «لابد أن أملك الأرض وأقتل ملوك

---

(1) يزدي: ظفر نامه، ج1، ص199. ؛ مهاوي: تاريخ الغزو التيموري، ص265.

(2) مير خوند: روضة الصفا، ج6، ص355. ابن عربشاه: عجائب المقدور في نوائب تيمور، ص119. السخاوي: وجيز الكلام في ذيل دول الإسلام، تحقيق بشار معروف وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت 1995م، ج1 ص324.

(3) ابن دقماق: النفحة المسكية، ص272. العلبي: تيمورلنك وحكايته مع دمشق، ص119.

(4) ابن الشحنه: روضة الناظر، ج12، ص90. ابن خطيب الناصريه: الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب، ص184، ؛ ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص100 - 101.

(5) إسماعيل: الآثار الاجتماعية والاقتصادية للحملات المغولية، ص70.

(6) ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص156.

الدنيا»[1]، ويذكر بارتولد عبارة يقول أنها منسوبة إلى تيمور مفادها: «لا يستحق العالم كله أن يملكه حاكمان»[2].

د – حقد المغول للمماليك وربما كانوا يريدون أخذ الثأر والانتقام من أحفاد المماليك الذين هزموهم في عين جالوت وشقحب وقد بقيت على ما يبدو العداوة راسخة في أذهانهم حتى بعد دخول معظمهم في الإسلام.

11 – التوجه نحو بلاد الشام

عرفت الحملة التي غزا بها تيمور بلاد الشام[3] بحملة السنوات السبع وذلك لأن عملياتها قد استطالت في جهات الأناضول والشام والعراق فاكتسبت الاسم من عدد السنوات التي أمضاها تيمور في هذه الحملة[4] فقد أمر ابنه شاه رخ في أن يقود القوات الخراسانية إلى أذربيجان وأن ينطلق أمامه سليمان شاه إلى تبريز على رأس طليعة الجيش فزحفت هذه القوات إلى هدفها بطريق مازندران[5].

أما الجيش الرئيس فقد ضم قوميات مختلفة من كل البلاد التي اجتاحها وقد انطلق هذا الجيش في (8 محرم 802هـ/ أيلول 1399م) من ما وراء النهر نحو كش ومنها إلى ترمذ حيث عبرت القوات نهر جيحون فوصلت بلخ ثم سارت نحو نيسابور وبسطام وواصلت زحفها حتى إقليم الري فأقام تيمور معسكره من هذه المنطقة وقد التحق به أثناء إقامته في الري ابنه شاه رخ مع الخراسانية[6] فانطلقت الحملة بأكملها نحو أذربيجان فدخل تيمور تبريز وأعاد تنظيم شؤونها الإدارية لأن ابنه ميرانشاه قد أساء التصرف في شؤونها أثناء انشغال أبيه في غزو الهند فدمر عدداً من مباني تبريز وقام بحملةٍ أخفقت في غزو بغداد وأتهم زوجته بالخيانة ولما قدم تيمور إلى تبريز أعاد تنظيم شؤونها الإدارية[7].

---

(1) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج12، ص202.

(2) بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ص228.

(3) كانت بلاد الشام في العصر المملوكي الجركسي مقسمة إلى ثمان نيابات إدارية وترتبط هذه النيابات مركزياً بالقاهرة وهذه النيابات هي دمشق، وحلب وحماة وصفد والكرك وطرابلس والقدس، غزة ؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص 167-168.

(4) إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، ص 603.

(5) حافظ آبرو: زبدة التواريخ، ص 151.

(6) ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص101 – 117. حافظ آبرو: زبدة التواريخ، ص151.

(7) إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، ص 604.

وتوجه تيمورلنك نحو الكرج (جورجيا) وقاتل أهلها الذين استفادوا من الظروف التي جدت وبعد أن أوقف الجورجيون على حدود بلادهم[1] حاول أن يؤمن الجبهة الأناضولية تفادياً للحرب مع جبهتين في آن واحد فبعث رسالة إلى بايزيد بدأها بتوضيح فتوحاته وقوة جيشه ثم أعقب ذلك تثمينه لجهود بايزيد في كفاحه وجهاده ضد النصارى في أوروبا ومنبهاً إياه بعقم المحاولات الرامية إلى توجيه فتوحاته نحو الأناضول ومحذّراً إيّاه من مغبة التعرض للأراضي التيمورية التي صارت مجاورة للدولة العثمانية في شرق الأناضول[2] وتبادل كل منهما مراسلات التهديد انتهت بتقدم تيمور في (ذي الحجة 803هـ/ 1400م) بالزحف على سيواس[3] التي كان يحكمها سليمان بن بايزيد فأخبر الأخير أباه إلا أن بايزيد الأول لم يستطع إمداده بالجيوش لانشغاله في حصار القسطنطينية فلم يسع سليمان إلاّ الفرار وتاركاً في قلعة سيواس الأمير مصطفى مع حامية عسكرية مكونة من أربعة آلاف مقاتل حينها وصل تيمور إلى سيواس في (17 ذي الحجة 803هـ/ 10 آب 1400م) وحاصرها مدى ثمانية عشر يوماً واستطاع أخذها صلحاً «بعد أن حلف لأهلها أن لا يضع فيهما السيف فلما تمكن منهم حفر لهم حفائر ودفن ثلاثة آلاف أحياء وخربها وأحرق البساتين»[4] ويضيف كلافيجو: «أنه بعد دفن أعيان سيواس وهم أحياء ثم جرى اقتحام المدينة وتم استباحتها ونهبها وخرقت الأسوار ونهبت بيوت المدينة وسويت بالأرض»[5].

ومن ثم زحفت القوات الغازية نحو ملطية[6] التي يحكمها ابن مصطفى حاكم سيواس وهرب من كان بها فأخذها تيمور وخربها وأسند حكمها إلى قرايولك عثمان أمير تركمان الآق قوينلو (الشاه البيضاء)[7] وبهذا فإن منطقة الحدود الأناضولية – الشامية صارت تحت سيطرة الدولة التيمورية[8]

---

(1) ابن حجي؛ شهاب الدين (ت 816هـ / 1413م): الذيل على تاريخ ابن كثير، تحقيق الشامي، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن، 1999، ص191 – فامبري: تاريخ بخارى، ص 233.

(2) الشامي: ظفر نامة، ص 217 ؛ ميرخوند: روضة الصفا، ج6، ص 350.

(3) سيواس: مدينة وهي في الأناضول (تركيا) تبعد 225 ميلاً من أنقرة، القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص537.

(4) ابن الشحنة: روضة الناظر ، ج12، ص 190 – ابن عرب شاة: عجائب المقدور ، ص 116– 117 ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج12، ص 174.

(5) سفارة إلى تيمورلنك (1403–1406) ، ص 150.

(6) ملطية: مدينة تقع شمال حلب وهي من أعمال أرمينية انتزعها المماليك من الأرمن سنة 715هـ/ 1315م وعدت من مدن الثغور وفي سنة 803هـ/ 1400م غزها بايزيد الأول. ؛ القلقشندي صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج4، ص 131 – 132. ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج1، ص 174

(7) الآق قوينلو: أطلق عليهم كلافيجو اسم التتار البيض أي أو الشاه البيضاء كانوا من الجماعات الرحل دائم ويصل تعداد هذه القبيلة قرابة خمسين ألف ما بين رجل وامرأة وقد أرغمهم تيمور على الزحف مع قواته في حملته على بلاد الشام. كلافيجو: سفارة إلى تيمورلنك، ص 151.

(8) الشامي: ظفر نامة، ص 220

فأمن تيمور بهذا الجبهة الشمالية للشام ولا سيما أن بايزيد الأول كان منشغلاً عندئذ في محاصرة القسطنطينية[1].

زحف تيمور بقواته نحو بهسنا[2] فحاصرها ونصب عليها المنجنيق وهدم جزء من قلعتها ثم أخذها صلحاً[3] ثم قصد قلعة المسلمين (التي تعرف بقلعة الروم) وكان نائب القلعة الناصري محمد بن موسى بن شهري[4] قد استبسل في مقاومة الغزاة وأخذ يرسل قسماً من جنده لضربهم أثناء محاصرتهم بهسنا وألحق خسائر في صفوف التيموريين فلم يسع تيمور إلا الانصراف عن قلعة بهسنا إلى قلعة المسلمين محاولاً استدراج الناصري برسالة تضمنت الترغيب والتهديد بقوله: «إني أتيت من أقصى بلاد سمرقند ولم يقف أحد أمامي وسائر ملوك الأرض حضروا إليّ وأنت سلطت على جموعي من يشوش عليهم ويقتل من ظفر بهم والآن وقد مشينا عليك بعساكرنا فإن أشفقت على نفسك ورعيتك فاحضر إلينا لترى من الرحمة والشفقة مالا مزيد عليه وإلا نزلنا عليك وخربنا بلدك.. فاستعد لما يحيط بك إن أبيت الحضور»[5].

فأمسك المشار إليه الرسول وحبسه ولم يلتفت إلى كلام تيمور فبعث الأخير قسماً من قواته لأخذ القلعة إلاّ أن المقاومة هزمتهم وخابت جميع المحاولات فاضطر الغازي إلى تركها وواصل زحفه نحو عينتاب[6] وقد أصرّ نائبها اركماس[7] على المقاومة بالرغم من عدم وصول أي إمداد له من حلب فانتقل مع مجموعة من المحاربين إلى القلعة ولما اقترب تيمور من عينتاب وجد أن المسؤولين عن إدارتها قد خرجوا منها وتركوا بها بعض الأهالي الذين أغلقوا أبواب المدينة على

---

(1)Uzunsarsili, I, H; Osmanli tarihi, Igilt, 2 baski, Ankara turk tarihi Kuruma Basimeri, 1961. pp 289-293.

(2) بهسنا: مدينة وقلعة حصينة من أعمال حلب متاخمة لبلاد الأرمن ؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص 119.

(3) ابن الشحنة: روضة الناظر، ص 190- 191 ؛ ابن خطيب الناصرية: الدار المنتخب في تكملة تاريخ حلب، ص 184.

(4) محمد الناصري محمد بن موسى بن شهري كان ذا مروءة وصدق ودين وعلم، يعود بنسبه إلى السلالة العمرية تولى حجابة حلب ثم نيابة قلعة المسلمين. ؛ الغزي: كتاب نهر الذهب ، ص 164-165.

(5) ابن عربشاه: عجائب المقدور ، ص 125 – الغزي: كتاب نهر الذهب، 165.

(6) عينتاب: مدينة في شمال الشام وتابعه لنيابة حلب تبعد عنها بستة أميال اشتهرت بكثرة بساتينها والكونها محطة للقوافل ولها قلعة حصينة. ؛ القلقشندي: صبح الأعشى؛ ج4، ص 121.

(7) اركماس: مملوك جركسي للسلطان برقوق تولى عينتاب وملطية في السلطان عهد فرج وقلعة دمشق ثم صار دويدار للسلطان لبرسباي وجقمق واعتزل بعدها الخدمة توفي بالقاهرة، 854هـ/ 1452م. ؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج2، ص 269.

أنفسهم ولم يلبثوا أن أعلنوا استسلامهم لتيمور ولم ينجيهم هذا فقد ذكر الشامي أن يد التخريب وصل عينتاب وتمت مساواة الأبنية بالأرض[1] بينما هرب أركماس إلى حلب[2].

وبعد الاستيلاء على عينتاب جمع تيمور قواته وأعاد تنظيم صفوفه وقد ضمت عناصر من شعوب مختلفة بحسب رواية ابن عربشاه حيث جمع العساكر من تركستان والجته وخوارزم وجرجان وفارس وخراسان وأصبهان وهمذان والهند ومن التركمان ورعاع العرب ومن الأمم التي دانت له[3] وقد قدره ابن الشحنة بثمانمائة ألف فارس[4] بينما قدره ابن خلدون بألف ألف (أي مليون)[5] ويوجد خلاف حول عددهم ويظهر المبالغة في هذه الروايات.

12-مفاوضات تيمورلنك مع نواب الشام

لما اجتمع الجيش التيموري في ضواحي بهسنا وعينتاب فان نائب حلب دمرداش[6] وجد أنه ليس لديه القدرة بمفرده مقاومة تيمور فأرسل (15 محرم 803هـ/ أيلول 1400م) إلى سلطان مصر فرج بن برقوق أنبأه فيه بغزو تيمور ملطية ووصوله إلى عينتاب وطلب منه «أدركوا المسلمين وإلا هلكوا!»[7] ويبدو أن الحاشية المحيطة بالسلطان فرج لم تقدر خطر الغزو وخشيت أن تكون هذه الرسالة جزءاً من مؤامرة تستهدف جرهم إلى الشام كي ينفذ المتآمرون خطتهم في الاستيلاء على السلطة. ويروى المقريزي: أنهم دفعوا السلطان أن يكتفي بإرسال الأمير اسنبغا[8] لكشف حقيقة النبأ، وإذ ثبت صحته فعلى نواب الشام أن يتجهوا لصد الغزاة[9] وبالفعل استجاب نواب الشام إلى رسالة فرج التي يحثهم فيها بالتوجه إلى حلب وقد حضرت عساكر دمشق مع نائبها

---

(1) الشامي: ظفر نامة، ص 223 ؛ الحلبي: أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، ج2، ص 401.

(2) الحلبي: أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، ج2، ص 401.

(3) ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص 118 ؛ الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج2، ص 74-75.

(4) روضة الناظر في أخبار الأوائل والأواخر،ج12، ص 190.

(5) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج7، ص 741.

(6) دمرداش: هو دمرداش المحمدي الظاهري برقوق ويعرف بالخاصكي، ولي طرابلس ثم أتابكية حلب ثم نيابة حماة ثم في حلب أسره تيمورلنك، وأطلق سراحه توفي سنة (818هـ/1415م) - السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج3، ص 219.

(7) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج12، ص 175.

(8) اسنبغا: هو محمد بن رجب الطيار نسبة إلى سيده سودون الطيار التحق بخدمة السلطان فرج فصار دويداراً ثم صار أمير عشرة في عهد برسباي وتنقل بالوظائف حتى أصبح رأس نوبه النواب أي المشرف على مماليك السلطان في عهد جقمق توفي سنة 857هـ/1453م. السخاوي: الضوء اللامع، ج1، ص 311.

(9) المقريزي: السلوك، ج3، ق3، ص 1029.

سودون وعسكر طرابلس مع نائبها الطنبقا العثماني وعسكر غزة ونائبها عمر بن الطحان ويعلق على هذا الجمع ابن الشحنة وابن تغري بردي بقولهما: «أنهم كانوا مختلفين في الكلمة متفرقين»[1] إضافة إلى من التحق بهم من عساكر نابلس وبعلبك والقدس والرملة وقلعة الروم وأطراف الشام الأخرى[2] وتراوح عدد هذه الجموع على حد قول: دي ميجناناللي ما بين ثلاثين إلى خمسة وثلاثين ألف رجل[3] والجدير ذكره أنه كان ينقص هذا الجمع القيادة الحازمة بحسب روايات بعض المؤرخين.

كان تيمور يراقب الوضع وأخذ مشاورة أتباعه من العقلاء والاتفاق على صورة مرضية فكان يقول: «فما من قوم اتفقوا على عمل عظيم حتى هزموا خصمهم هكذا فهمت وسمعت وصية جنكيزخان بالاتفاق يمكن السيطرة على العالم»[4] وفي الوقت نفسه أخذ يجري عدة مراسلات مع نواب الشام والقضاة والأمراء كان لها الأثر في تفريق صفوفهم وبذر الشك فيما بينهم حتى اتهم بعضهم البعض بالتواطؤ مع الغزاة بسبب رأي يبديه يشتم منه الآخرون رائحة الجنوح إلى مسالمة العدو. مثلما حصل لدمرداش نائب حلب. أثناء المداولة في وضع الخطة للدفاع عن حلب.

وقد أعلن تيمور أسباب حملته العسكرية وأهدافها في رسالة بعث بها من معسكره في بهسنا إلى نائب دمشق سودون وإلى المشايخ والقضاة والأعيان في المدينة قال فيها «إنه قدم في عام أول إلى العراق يريد أخذ القصاص ممن قتل رسله بالرحبة، ثم عاد إلى الهند لما بلغه بما ارتكبوه من الفساد فأظفره الله بهم، فبلغه موت الظاهر برقوق فعاد وأوقع بالكرج، ثم قصد لما بلغه قلة أدب هذا الصبي (يقصد سليمان بن بايزيد حاكم سيواس) عرك أذنه ففعلنا بسيواس وغيرها من بلاده ما بلغكم ثم قصدنا بلاد مصر لنضرب بها السكة ويذكر اسمنا في الخطبة ثم نرجع بعد أن نقرر سلطان مصر بها»[5]، وطلب أن يرسل إليه اطلمش المسجون بالقاهرة ليدركه أما بملطية أو حلب أو الشام مشيراً إلى أنه في حال عدم تحقيق شروطه فإن دماء أهل الشام بذمتهم وأضاف: «إنا أرسلنا عدة كتب ولم ترسلوا لها جواب ونحن نعلم أنها تصل إليكم فأرسلوا الجواب»[6] غير أن سودون نائب دمشق

---

(1) ابن الشحنة: روضة الناظر ، ج12، ص 191 – ابن تغري: النجوم الزاهرة ، ج12، ص 177.

(2) يزدي: ظفر نامة، ج2، ص230 – 231.

(3) دي ميجنانللي: حياة تامرلان، ترجمة أحمد سليمان، ص 10.

(4) الشامي: ظفر نامة، ص 224.

(5) ابن حجي: الذيل على تأريخ ابن كثير، ص200.

(6) ابن حجي: الذيل على تاريخ ابن كثير، ص 200-201 ؛ المقريزي: السلوك، ج3، ق3، ص 3-1 ؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي ، ج4، ص 118 ؛ ابن أياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج1، ص 593.

لم يفزع لذلك التهديد بل أمر بقتل رسول تيمورلنك[1] قبل أن يسمع كلامه وبئس ما فعل. بحسب قول ابن الشحنة[2].

أظهر قائد الغزاة نفسه في هذه الرسالة بمظهر الفاتح الإسلامي ضد وثنية الهند ونصارى جورجيا وأكّد نقطة في غاية الأهمية من الناحية الدينية وهي إلقاؤه تبعية من يقتل من الشاميين على يد قواته على عاتق مسؤولي الدولة الجركسية في حالة رفضهم الانصياع لطاعته وفي الوقت نفسه استعمل الدهاء والدبلوماسية مع خطواته الحربية إذ عمل على بذر الشقاق في صفوف المماليك في الشام حيث أرسل سفيراً من قبله إلى دمرداش المحمدي نائب حلب يعدهُ باستمراره في نيابته ويطلب منه القبض على سودون نائب دمشق لأنه قتل سفيره الذي توجه إليه من قبل وربما لم يستهو هذا الإغراء دمرداش لمعرفته بمكر الغازي ودهائه وخشيته من أن يكون قد بعث إلى النواب الآخرين بنفس ما بعث إليه. فأحضر الرسول أمام النواب وأبلغهم فحوى الرسالة فأنكر الرسول مضمونها وقال لدمرداش: «إن الأمير تيمور لم يأت البلاد إلا بمكاتبتك إليه وأنت تستدعيه أن ينزل على حلب وأعلمته أن البلاد ليس بها أحد يدفع عنها»[3] فحنق منه دمرداش وأمر بضرب عنقه[4] ويقال إن كلام هذا الرسول كان من تنميق تيمورلنك ومكره ليفرق بين المماليك[5] ويقول ابن قاضي شهبة إنه قد اطلع بنفسه على كتابه بخط أحد سكان حلب تفيد أن الرسالة بعث بها تيمور إلى دمرداش طالبه فيها بالانقضاض على سودون واعتقاله[6] ويورد بعض المؤرخين شكوكاً حول إخلاص دمرداش نائب حلب فقد ذكر ابن تغري بردي: «إن من الحلبيين جماعة يقولون إلى الآن إنه كاتب تيمور وتقاعد عن القتال»[7] أمّا عند ابن عربشاه فتبدو هذه المسألة قضية مؤكدة لا تقبل الشك حيث قال: «إن دمرداش قد خالف الجمهور ووافق في الباطن تيمور وهذه كانت عادته وعلى المراوغة جبلت طينته»[8].

---

(1) ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص 119.

(2) روضة الناظر ، ج12، ص 191.

(3) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ق3، ص 132 – ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج12، ص 177 ؛ مهاوي: تاريخ الغزو التيموري، ص 278 – أحمد: تيمورلنك ودولة المماليك الجراكسة، ص 24.
؛ العلبي أكرم: تيمورلنك وحكايته مع دمشق، ص 127.

(4) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج12، ص 177.

(5) ابن أياس: بدائع الزهور ، ج1، ق2، ص 596.

(6) تاريخ ابن قاضي شهبة، من الموسوعة الشاملة، زكار، ج 47، ص 237.

(7) النجوم الزهرة ، ج12، ص 178.

(8) عجائب المقدور ، ص 122.

وفي الحقيقة إن هذه الحادثة قد آتت ثمارها فقد أخذ قادة الجيش الجركسي يشكون من نوايا دمرداش وفي كل رأي يطرحه اتضح ذلك في المجلس الذي عقده النواب سنة (803هـ/ 1400م) للتباحث في سبل مقاومة الغزاة وكانوا قد اختلفوا في مواقفهم بسبب تأخر وصول القوات المصرية بقيادة السلطان فرج بن برقوق ولما كان دمرداش هو المعول عليه في هذه المحنة لاتخاذ موقف حازم موحد، فإنه أوضح لهم خطورة العدو وقوته وتساقط البلدان في المشرق الإسلامي أمامه الواحد تلو الآخر لأن هذا الشخص مؤيد من عند الله وكل من خالفه خسر واعتقد أن أفضل سبيل لتفادي خطره أن يعلن النواب ولاءهم ويذكر اسمه في الخطبة وعلى النقود وأن يرسلوا ما هو لائق من الهدايا والتحف لتحقيق هذه الغاية وحتى تبقى المملكة بسلام[1] ثم أعقب قوله هذا أمام النواب إنه إذا لم يتفقوا معه في رأيه هذا فعليهم أن يستعدوا للحرب ويتفقوا على رأي واحد في مجابهة العدو وهو الخروج من حلب لصد الغزاة عن الدخول إلى الشام[2] وقد جوبه رأي دمرداش الأول من بقية النواب والأمراء بمعارضة شديدة ولا سيما من قبل سودون الذي اتهمه بالخور والجبن وأصرّ على مقاومة الغزاة مستنداً إلى حصانة مدن الشام ومناعة قلاعها وكثرة سكانها[3] وبعد المداولات والمناقشات استقر رأيهم على رفض مهادنة تيمور والاستمرار في المقاومة وتم الاتفاق على الخروج للتصدي للقوات المغيرة وحفر الخنادق والطلب من العشائر التركمانية والأعراب مناجزة، القوات الغازية اعتماداً على جهلها بأحوال البلاد وطبيعة أرضها[4] ويرى ابن الشحنة أن هذه الخطة صائبة[5] ويبدو من خلال هذه المداولات جهل أمراء الشام بقوة تيمورلنك وعجزهم عن كشف أخبار جيوشه وتقدير مستوى قوته وعدم إدراكهم حالة التفكك التي سادت الجيش المملوكي في عهد فرج بن برقوق. على كل حال قرروا البقاء في المدينة والحفاظ عليها بتحصينها بالخنادق وبمقاومة الغزاة بالسهام والمنجنيق ونيران المكاحل كي يحولوا دون وصوله لأسوارها[6] ويذكر ابن دقماق المقريزي وابن إياس «أنه اجتمع منهم بحلب ثلاثة آلاف فارس إلا أن الأهواء مختلفة والآراء مغلولة والعزائم محلولة والأمر مدبر»[7] هكذا كانت الحالة المعنوية للمجموعة التي أرادت مواجهة تيمورلنك مع

---

(1) الشامي: ظفر نامة، ص 224 – يزدي: ظفر نامة، ج2، ص 208.

(2) ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص 121.

(3) الشامي: ظفر نامة ، ص 224-225.

(4) ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص 121.

(5) ابن الشحنة: روضة الناظر ، ج12، ص 191.

(6) الشامي: ظفر نامه، ص 226.

(7) ابن دقماق: النفحة المسكية، ص 316. ؛ المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ق3، ص1032. ؛ ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج1، ق2، ص 596

العلم بأن قواته كانت تقارب ثمانمائة ألف بتقدير ابن الشحنة المعاصر للحدث[1] ومن هنا يبدو جلياً الفارق في موازين القوى بين قوات تيمورلنك والقوات الشامية في حلب.

13 – سقوط حلب:

زحف تيمور بقواته من عينتاب نحو حلب في (ربيع الأول 803هـ/ تشرين الأول 1400م) وكان متأنياً حيث أمر جنده أن يتقدموا ببطء قطعوا رحلة يومين في أسبوع[2] إلى أن نزلوا قرية جيلان على مقربة من حلب في (التاسع من ربيع الأول من سنة 803هـ/ تشرين الأول 1400م)[3] بينما كان نواب الشام يستعدون لمواجهة القوات التيمورية حيث أجمعوا على تحصين المدينة والخروج إلى ظاهرها لقتال التيموريين، وقد وجه تيمور الأمير حسين حفيده مع طليعة الميسرة للإغارة على حلب وليظهر بمظهر العاجز عن مهاجمتها وقد قدّرها ابن عربشاه بألفي فارس اصطدمت بالقوات الشامية فتمكن هؤلاء من ردها على أعقابها ولكن الغزاة أسروا ثلاثة من الجند الشامي[4] ثم أعقب هذا هجوم الأمير أبي بكر بهادر حفيد تيمور على رأس طليعة الميمنة التي قدرها ابن عربشاه بخمسة آلاف مقاتل وبعد مناوشات بالنشاب والنفوط والمكاحل بين الطرفين تمكن الشاميون من صد الهجوم[5].

ويبدو أن تيمور قد أفلح في استدراج القوات الشامية للخروج من حلب حيث تصوروا أن القوات التيمورية عاجزة وخائفة منهم. فخرج نواب الشام بالعساكر وعامة أهل حلب إلى ظاهر المدينة وتولى سودون نائب دمشق الميمنة ودمرداش الميسرة وبقية النواب في القلب وقدموا أمامهم عامة أهل حلب[6] من الرجال والنساء والصبيان[7].

---

(1) يقول ابن الشحنة: «أخبرني الحافظ الخوارزمي أن ديوانه المختصة لعساكره به ثمانمائة ألف..» ؛ روضة الناظر ، ج12، ص 190ومع ذلك فهناك مبالغة كبيرة في تقدير جيش تيمورلنك.

(2) الشامي: ظفر نامه ، ص 226 – ميرخوند: روضة الصفا ، ج6، ص 359.

(3) ابن عربشاه: عجائب المقدور ، ص 122 ؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي ، ج4، ص 118-119. المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج4، ق3، ص 1032. ؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 569.

(4) ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص 122 ؛ الشامي: ظفر نامه ، ص 226.

(5) ابن عربشاه: المصدر السالف، ص 122 ؛ أما الشامي واليزدي فقدرا الطليعة بستين ألف فارس وذلك لإضفاء صفة العظمة للغزاة، الشامي، ظفر نامة، ص 126 ؛ يزدي: ظفر نامة، ج2، ص 211-212.

(6) المقريزي: السلوك، ج3، ق3، ص1032 ؛ السخاوي: الذيل التام على دول الإسلام للذهبي، ص 413.

(7) ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة ، ج12، ص 178.

وقد علق ابن تغري بردي على هذه التعبئة بقوله: «إنها من أسوأ التعبئات مع ادعاء دمرداش العلم بالفنون العسكرية فكيف وضع العامة في المقدمة!!»[1] أما القوات التيمورية أشرف تيمور بنفسه على تنظيمها في ليلة المعركة فأعطى قيادة الميمنة إلى ميرانشاه وشاه رخ، وسلم قيادة الميسرة للسلطان محمود بن سيورغتمش وكان يعاونه عدد من القواد ووضع القلب تحت قيادته المباشرة وتقدم القوات عدد من الأفيال قُدّر بثمانية وعشرين فيلاً[2].

ووقعت المعركة الرئيسة يوم السبت 11 ربيع الأول 803هـ/ 31 تشرين الثاني 1400م، حيث انقض أبو بكر ميسرة الشاميين التي كانت بقيادة دمرداش فوجّه لها ضربات متتالية اضطرت عدداً من فرسان الشام إلى التخلي عن مواضعهم بعد أن قُتل عدد منهم[3] وقد اتهم دمرداش بعض المؤرخين بالتخاذل سراً مع الغازي[4] إضافة إلى إثارته الفتنة بين التركمان والأعراب قبل مجيء تيمورلنك إلى بلاد الشام وانحياز الأول إلى جانب التركمان في غارتهم على عرب نعير ونتيجة لذلك تقاعس الأعراب عن نصرة الشاميين في مواجهة قوات تيمور ويعد من الأسباب المؤثرة على سير المعركة[5] استطاعت قوات الشاميين أن تثبت في القتال خلال المرحلة الأولى منه ولا سيما الميمنة التي يقودها سودون وأبدت مقاومة شديدة[6] وشاركت الفيلة في هذه المعركة التي اندفعت على طليعة الجيش الشامي المكونة من عامة حلب فقبضت على البعض منها بخراطيمها وسحقت البعض الأخر بأقدامها فكان لاشتراكها أثر في تقرير مصير المعركة فقد ساد الذعر والهلع بين عامة حلب فهربوا نحو أبواب المدينة فكان لانسحابهم الأثر في إرباك الجيش الشامي فاضطر إلى التقهقر نحو المدينة فأخذت القوات التيمورية في تعقبهم وصفت المصادر المأساة التي تعرض لها الجيش الشامي أثناء انسحابه والغازي وراءه يقتل ويأسر، فكانت أوقاتاً مروعة حتى إن الذين ماتوا تحت الأرجل كانوا

---

(1) النجوم الزاهرة، ج12، ص 176.

(2) الشامي: ظفر نامة، ص 226 ؛ يزدي: ظفر نامة، ج2، ص 212.

(3) ميرخوند: روضة الصفا ، ج6، ص 360-361.

(4) ابن حجي: الذيل على تاريخ ابن كثير، تحقيق عمر الشامي، ص 214. ؛ ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص 122 ؛ الغزي: كتاب نهر الذهب في تاريخ حلب، ج3، ص 167

(5) ابن حجر: أنبا الغمر بأنباء العمر، ج4، ص 197.

(6) ابن تغري بردي: المصدر السالف، ج12، ص 178. ؛ السخاوي: الذيل التام على دول الإسلام للذهبي، ص 413 .

أكثر ممن قتل بالسيف[1] وهذا يبين ما يفعله الهلع بالنفوس ولذلك فقد عير تيمورلنك علماء حلب فقال لهم: «إن الذين ماتوا من أهلكم إنما ماتوا أثناء الفرار ولم أقتلهم بالسيف»[2]. وقد أيد الشامي واليزدي فيما ذكراه عن تنافس الفارين على أبواب حلب وسقوط عدد كبير منهم في الخندق المحيط بها حتى صار في الخندق ممر من جثث القتلى وهي ملطخة بالدم وما تزال في أياديها السيوف[3] أما ذوات الشام فقد تحصنوا بقلعة حلب والتجأ إليها جمع غفير من الناس وكانوا قد نقلوا إليها أموالهم ومتاعهم كما هرب عدد كبير من المماليك إلى دمشق[4] أرسل تيمور أثناء انسحاب الشاميين قسماً من عساكره لنهب معسكراتهم التي تركوها خارج المدينة كالمعدات والمؤن والخيول والأسلحة. ثم زحف الجيش الرئيس نحو المدينة فتمكن من دخولها في 11 ربيع الأول 803هـ/ 31 تشرين الثاني 1400م وقد سمح تيمور لجنده بنهب المدينة فلم يفرق هؤلاء بين الأسواق والمنازل نهبوا كميات كبيرة من الذهب والفضة والأحجار الكريمة والأسلحة وأسروا عدداً كبيراً من النساء[5].

ويؤكد هذا المؤرخ الفارسي حافظ آبرو أنها كانت أعمال نهب على نطاق واسع لدور المدينة وقصورها استمر خمسة عشر يوماً[6].ويتضح من خلالها مدى الوحشية والقساوة التي اتبعها أتباع تيمورلنك في معاملة أهل حلب بانتهاكهم حرمات مواطنيها وكذلك أماكن عبادتهم غير مبالين بشعائر الدين الإسلامي. وقد أجمع على وقوع هذه الأعمال غير الإنسانية العديد من المؤرخين لما كما بيناه سابقاً وهم معاصرون للحدث وينفرد المؤرخ الفارسي حافظ أبرو الذي رافق الحملة وشاهد ما فعله جند تيمورلنك في حلب من دون بقية المؤرخين الفرس بالإشارة إلى حدوث مثل هذه الأفعال[7] وقد حاول البعض الآخر من المؤرخين عدم الدخول في تفاصيل هذه الأحداث ربما لأنها جارحة ومحرجة وتمس كرامة أبناء جلدتهم وعلى رأسهم المؤرخ ابن الشحنة وهو شاهد عيان

---

(1) ابن الشحنة: روضة الناظر ، ج12، ص 191 – المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ق3، ص 1033 ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج12، ص 179 ؛ ابن خطيب الناصرية: الدر المنتخب في ج1، ق 2، ص 597 ؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق1، ص597 – 598.

(2) ابن الشحنة: روضة الناظر، ج12، ص 192.

(3) الشامي: ظفر نامة، ص 223 – يزدي: ظفر نامة، ج2، 213.

(4) المقريزي: السلوك، ج3، ق3، ص 1033 ؛ ابن حجر: انبا الغمر، ج2، ص 135 ؛ ابن عربشاه: عجائب المقدور من نوائب تيمور، ص126.

(5) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج12، ص 179 ؛ الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، ج2، ص 75–76 بينما يزدي فقد أطلق على عملية النهب والسلب أعمال ضبط الأموال؛ يزدي: ظفر نامة، ج2، ص 222.

(6) زبدة التواريخ، ص 160.

(7) زبدة التواريخ، ص 160.

وأيضاً ابن خطيب الناصرية، وابن عربشاه بينما اكتفى ابن خلدون بالقول عن حلب: «اقتحم المغـل المدينة من كل ناحية ووقع من العبث والنّهب والمصادرة واستباحة الحُـرم مـا لـم يعهـد النـاس مثله»[1].

وما أن أتمت القوات التيمورية هيمنتها على أحياء المدينة في حلب حتى وجّه قواتـه لإسـقاط قلعتها التي كانت وقتئذٍ من القلاع المشهورة بحصانتها والتي تقع على مرتفع ولهـا أسـوار عاليـة منيعة وأسفلها كميات كثيرة من التراب الناعم الذي يحول دون عبور المشاة إليها ويحيط بها خنـدق يبلغ عرضه ثلاثين ذراعاً مما يجعل الوصول إلى بواباتها أمراً صعباً[2] فـضرب الغـزاة الحـصار عليها منذ اليوم الأول لدخول المدينة ودافع أهلها دفاعاً قوياً وجنود تيمورلنـك يقـذفونها بحجـارة المنجنيق والسهام الحارقة والقوارير المملوءة بالكبريت ويردمون الخنادق المحيطـة بهـا[3] ونجـح الجند في نقب السور من عدة أماكن[4]، وتحت هذا الإصرار من قبل الشاميين فإن تيمور أرسل لهـم يهددهم لبذر اليأس في نفوسهم فبلغهم بأن العناية الإلهية قد أخضعت لسطوته القسم الأعظـم مـن ممالك آسيا ولم تقف أمامه الحصون والقلاع وأن أسلم طريق لهم هو أن يحـافظوا علـى حيـاتهم بالخضوع له وإلا فإنهم سيكونون مسؤولين عمّا سيلحق بنسائهم وأطفالهم من عذاب وقتـل[5] ولمـا شارفت القلعة على السقوط، طلب أهلها الأمان وفي يوم الثلاثاء 13 ربيع الأول 803هـ/ 3 تشرين الثاني 1400م أخذ تيمور القلعة بالأمان والإيمان التي ليس معها أركان[6] ونـزل دمـرداش ومعـه بعض العلماء والأعيان وقدموا أنفسهم أمام قادة تيمورلنك فخلع هذا على دمرداش وأعطاه أماناً لبقية النواب فنزل إثر ذلك بقية النواب من القلعة فأسرهم تيمور مع ألف جنـدي مـن أتبـاعهم وقيـدهم ووزعهم على أمراء جيشه للاحتفاظ بهم بعد توبيخهم بعبارات قاسية[7].

---

(1) تاريخ ابن خلدون، ج7، ص 728.

(2) الشامي: ظفر نامة، ص 227 – يزدي: ظفر نامة، ج2، ص218.

(3) ميرخوند: روضة الصفا ، ج6، ص 361.

(4) ابن قاضي شهبه: تاريخ ابن قاضي شهبه، الموسوعة الشامية، زكـار، ج47، ص238. المقريـزي: الـسلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ق3، ص 1033 – ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 598. ؛ الغزي: كتـاب نهر الذهب في تاريخ حلب، ج3، ص 167.

(5) الشامي: ظفر نامة، ص 228 – ميرخوند: روضة الصفا، ج6، ص 362.

(6) ابن الشحنة: روضة الناظر ، ج12، ص 191 ؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي ، ج4، ص 120. ربما يقصد شروط بالأركان.

(7) المقريزي: السلوك لمعرفة الملوك، ج3، ق3، 1034 ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهـرة ، ج12، ص 180 ؛ ابن إياس: بدائع الزهور ، ج1، ق2، ص 598 ؛ ميرخوند: يذكر العدد الذين أسرهم، في كتابه: روضة الـصفا، ج6، ص 362 – 363.

ويعلق ميجانللي بالقول: في الحقيقة أن دمرداش الذي سلم نفسه مثل الآخرين لم يكبل بالأغلال معهم بل كرمه تيمور كأحد نبلائه وقام دمرادش بإمداد قوات تيمور بالمؤن فاحتفظ بحكم تلك الأقاليم التي عين عليها حاكماً من قبل السلطان وبسبب ذلك التكريم الذي منحه له تيمور فقد أصبح مشكوكاً في أمره لدى السلطان فرج ولدى شعبه وعدَّ خائناً[1]. ودخل تيمور القلعة يوم الأربعاء فوجد فيها من الأموال والذخائر والسلاح والحلي والمتاع ما تعجب منه لكثرته ويقول ابن الشحنة أحد كتاب تيمورلنك أخبره «أنه لم يأخذ من مدينة قط ما أخذ من هذه القلعة ولا ما يقاربه»[2] ويعلق يزدي الذي أشار إلى كثرة ما وجد في القلعة من الغنائم بأن هذه الأموال كانت مكدسة من أيام السلاطين القدماء ربما يقصد الأيوبيين[3].

وامتدت الأيدي إلى الضواحي تنهب وتقتل وتحرق وكثر القتلى وأقيمت الأبراج البشرية من رؤوسهم [4] ونستطيع القول إن آثار الحملة على حلب كانت أشد وطأة من مثيلاتها في عهد هولاكو وغازان حيث أضحت المدينة خراباً لكثرة الدمار والنهب من قبل المغول والتركمان المحيطين بها إلى جانب البدو.

14- سيطرة تيمورلنك على حماة وحمص وبعلبك

بعد أن فرغ تيمورلنك من حلب، قرر إخضاع كل من حماه وحمص وبعلبك لذا وجَّه ابنه ميران شاه وحفيده بير محمد على رأس طليعة استكشافية[5] إلى حماه فوصلتها في 14 ربيع الأول 803هـ/ 3 تشرين الثاني 1400م فشعر سكانها بضعف موقفهم لا سيما أن بعض المدافعين هربوا إلى دمشق والتجأ من بقي منهم إلى القلعة وأخيراً قرروا الاستسلام فدخل ميران شاه بعساكره ونادى بالأمان فاستقبل بحفاوة ثم رجع إلى معسكره بعد أن عين على المدينة رجلين يحفظانها، فقام أهلها بعمل أخرق دفعوا ثمنه فيما بعد فقد نزل فريق منهم من منها وقتلوا الرجلين اللذين أقامهما ميران شاه فغضب من ذلك واستباح المدينة وأشعل النار فيها ثم اقتحمها أصحابه يقتلون ويأسرون وينهبون حتى صارت كمدينة حلب سوداء مغبرة خالية من الأنيس وبعد أسبوعين دخلها تيمورلنك في (ربيع الثاني 803هـ/20 تشرين الثاني 1400) بعد أن خرب أجزاء من سورها وأسر عدداً من سكانها[6]

---

(1) حياة تمرلان، ترجمة أحمد سليمان ، ص 11.

(2) روضة الناظر ، ج12، ص 194.

(3) ظفر نامة، ج2، ص 221.

(4) المقريزي: السلوك، ج3، ق3، ص 1034-1035 ؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 598.

(5) ميرخوند: روضة الصفا ، ج6، ص 363.

(6) ابن قاضي شهبه: تاريخ ابن قاضي شهبه، ج47، ص 239. ؛ ابن سباط: صدق الأخبار، ج2، ص 763.

وقدم ثروات القلعة إلى الأمراء الذين غزوها[1]. واستراح فيها مع قواته مدة عشرين يوماً[2]، وقد ذكر ابن عربشاه أنه عندما مرّ بحماة سنة (839هـ/ 1435م) وجد في الجامع النوري شرقي البلد وعلى حائطه القبلي نقشاً بالفارسية ترجمته:

«وسبب تصوير، هذا الكلام، هو أن الله تعالى يسر لنا فتح البلاد والممالك حتى بغداد ثم راسلنا سلطان مصر وبعثنا إليه قصّادنا بأنواع الهدايا التحف فقتل قصّادنا من غير ذنب وكان قصدنا بذلك أن تنعقد المودة بين الجانبين وتتأكد الصداقة من الطرفين ثم بعد مدة قبض بعض التركمان على أناس من جهتنا (يقصد اطلمش) وأرسلهم إلى سلطان مصر برقوق فسجنهم وضيق عليهم فلزم من هذا أنا توجهنا لاستخلاص متعلقنا من أيدي مخالفينا واتفق لذلك نزولنا بحماة في (عشرين ربيع الآخر 803 هـ/ 9 كانون الأول 1400م»[3].

ومن ثم أرسل تيمور قطعات من جيشه نحو سلمية والقلاع الواقعة بينها وبين الفرات تمكنت من إخضاعها وتسخير تلك القلاع وبلدة سلمية التابعة إدارياً إلى دمشق[4].

وقد اقترح عليه بعض قواده أن يتوجه من حماة إلى طرابلس بسبب اقتراب فصل الشتاء وذلك للاستراحة هناك على ساحل البحر على أن يتابع التقدم نحو الجنوب مع حلول فصل الربيع ولكن تيمور رفض الاقتراح وأمر بالتقدم إلى حمص[5] في 20 ربيع الأول 803هـ/ كانون الأول 1400. وقد قرر أعيانها طلب الصلح خشية الدمار والتخريب، فخرج وفد يرأسه عمر بن الـرّواس حاملاً التحف والهدايا من الذهب والأحجار الكريمة وقدمها إلى تيمور وسلّموه مفاتيح المدينة فمنحهم الأمان وقد زعم أنه عفا عن حمص إكراماً لخالد بن الوليد وأسند إدارتها إلى رئيس الوفد عمر بن الرّواس[6]. وأقر على قضاء المدينة القاضي شمس الدين بن الحداد[7] وبهذا تكون حمص هي المدينة الوحيدة في بلاد الشام التي سلمت من بطش تيمورلنك.

انطلق الغزاة من حمص نحو بعلبك وصيدا وبيروت في أواخر (ربيع الثاني 803هـ/ كانون الأول 1400م) وقد استطاعت قوة من الجيش من السيطرة على صيدا وبيروت ونهب الجهات

---

(1) ميرخوند: روضة الصفا، ج6، ص 363-364.

(2) يزدي: ظفر نامة، ج2، ص 222.

(3) عجائب المقدور ، ص 133.

(4) حافظ آبرو: زبدة التواريخ ص 190 ؛ كرد علي: خطط الشام، ج2، ص 168.

(5) يزدي: ظفر نامة، ج2، ص 224.

(6) عمر بن الرواس: لم أجد له تعريف.

(7) ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص 133 ؛ ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج1، ق2، ص 603. ؛ الصيرفي: نزهة النفوس والإبدان، ج2، ص 104 ؛ الخوري: تاريخ حمص، نشر مطرانية حمص الأرثوذكسية، ط1، 1984م، ق2، ص 256.

الممتدة على ساحل البحر المتوسط[1] أما الجيش الرئيس فقد تمكن من إخضاع بعلبك ويرى الشامي أن آثار مدينة بعلبك ومبانيها قد أدهشت تيمور وأعجب بها وزار على حد قوله روضة النبي نوح عليه السلام[2]. وقد أدى الهجوم على بعلبك إلى هروب عدد كبير من سكانها مع نسائهم ومواشيهم إلى دمشق[3].

ويبدو أن اندفاع التيموريين بهذه الجهات كان لغرض الحصول على المؤن اللازمة لحملتهم على دمشق وقد أشار ميرخوند واليزدي إلى استيلائهم على كميات كبيرة من الفواكه والمنتجات الزراعية التي يحتاجون إليها[4].

ولم يمض الغازي وقتاً طويلاً في بعلبك وذلك لبرودة مناخها وهطول الأمطار والصقيع فيها فتقدم منها نحو دمشق[5].

هكذا كانت القوات الغازية تعيث في بلاد الشام فساداً بينما اتسم موقف السلطان فرج ابن برقوق والأمراء المماليك في القاهرة بالعجز الشديد والقصور عن الإدراك السليم لجسامة الخطر ولم يضعوا خططاً لمواجهته بل انشغلوا بالملاذ واللهو حتى تمكن تيمورلنك من البلاد وأصبح في طريقة إلى دمشق.

16 – غزو تيمورلنك دمشق وتخريبها:

لما علمَ أهل دمشق باجتياج تيمور حلب اضطربوا ولا سيما بعد سماع عمليات التقتيل والتنكيل التي أخبر بها الهاربون من المناطق التي استولى عليها تيمور[6]، في الوقت الذي لم تكن القيادة الجركسية بمصر في مستوى الأحداث لمواجهة الزحف التيموري فقد ثبت تخاذلهم عن نصرة حلب وسادهم الارتباك عند سماعهم انتصارات تيمور والأكثر غرابة أنهم شكوا في تصديق الأخبار التي كانت تصلهم وما يؤكد هذا قول المقريزي وابن تغري

(1)Hookham; Tamburlain the conqueror, London, 1962, p 226 – Lucien Bouvat; l'Empire Mongole, paris, 1927, p 56.

(2) ظفر نامة، ص 229.

(3) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ق3، ص 1038 0 ابن إياس: بدائع الزهور، ج1/ ق2، ص 603.

(4) يزدي: ظفر نامة، ج2، ص 224 ؛ ميرخوند: روضة الصفا، ج6، ص 364.

(5) الشامي: ظفر نامة، ص 229.

(6) ابن حجي: الذيل على تاريخ ابن كثير، ص 222.

بردي أنه عندما «ورد الخبر بهزيمة نواب الشام وأخذ تيمور حلب ومحاصرته قلعتهـا فقـبض على المخبر وحبس»[1] حتى يعاقب على افترائه ظناً منهم أنها مكيدة مدبرة ضدهم. إذن أين عيـون الدولة!! أين البريد!!.

وعلاوة على ذلك فقد تكررت تحذيرات نواب الشام واستنجادهم بالسلطان فرج فاستدعى فرج الخليفة والقضاة والأمراء وأعيان الدولة للتشاور في جمع الأموال من التجار والاستيلاء على نصف الأوقاف لإنفاقها في أعداد القوات العسكرية اللازمة لحرب تيمورلنك ولكن القضاة اعترضوا علـى تلك الإجراءات وتقرر أخيراً إرسال مبعوث خاص إلى بلاد الشام هو الأمير أسنبغا لكشف الأخبـار وقد أيد في تقريره أنباء هجوم تيمورلنك على بلاد الشام وورد الخبر على القاهرة في أواخر (ربيـع الأول 803هـ/ تشرين الأول 1400م) باستيلاء تيمور على حلب إلا أن السلطات الحاكمة في مصر لم تتخذ إجراءات التعبئة العسكرية الفورية إلا بعد فوات الأوان عندما أصبح تيمـور بـالقرب مـن دمشق.

وبالرغم من كل ذلك فقد اجتمعت الآراء في القاهرة على نصرة الشام بإعلانهم الجهـاد مـع انفاذ حملة بقيادة السلطان فرج نفسه. وقد تحركت القوات المملوكية من الريدانية قرب القاهرة نحـو غزة بتاريخ (10 ربيع الثاني 803هـ/ تشرين الثاني 1400م) حيث وصلتها بعد عشرة أيام[2] وقـد اتخذ السلطان فرج عدة إجراءات وهو في غزة منها تسليم تغري بردي نيابة دمشق وأقبغا الجمـالي نيابة طرابلس وتمر بغا المنجكي نيابة صفد وطولو بن علي شاه نيابة غزة وصدقه بن يمـن نيابـة القدس[3] وذلك بسبب أسر نواب هذه المدن على أيدي الغزاة، كما تشاور مع بقية الأمراء على كيفية مجابهة العدو. وقد اقترح النائب الجديد ابن تغري بردي أن يبقى السلطان فرج مع بقية القوات فـي غزة ويذهب هو إلى دمشق ليتولى تحصينها وتحريض السكان على مقاومة الغزاة والدفاع عنها ولا سيما أن دمشق فيها من المؤن ما يساعدها على الاستمرار في المقاومة، هذا من جهة ومـن جهـة أخرى فإن كثافة جيش الغزاة لا تساعدهم على الإقامة بمكان واحد مـدة طويلـة لحـاجتهم المـؤن والعلف لهذا سيضطرون إما أن يتوغلوا إلى غزة لملاقاة الحملة المـصرية، أو أن ينـسحبوا إلـى بلادهم فإذا ما اتخذ الموقف الأول فستنقض عليهم القوات الشامية والمـصرية فـي الوقـت نفـسه وتضعهم في كماشة أما إذا فضلوا الانسحاب فإن القوات الجركـسية سـتقوم بـضرب مـؤخرتهم

---

(1) السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ق3، ص 1035 ؛ النجوم الزاهرة، ج12، ص 182.

(2) المقريزي: السلوك، ج3، ق3، ص 1036. ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج12، ص 183- 184. ؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج2، ص 76-80.

(3) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ق3، ص 1038 ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج12، ص 184. ؛ ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج1، ق3، ص 604.

وتتعقبهم حتى الفرات وبذلك تتخلص من خطرهم فاستحسن كبار الأمراء رأي تغري بـــردي إلا أن بعض الأمراء الجراكسة اعترضوا على تلك الخطة وشككوا في إخــلاص الأميــر تغــري بــردي للسلطان بل ذكروا للسلطان أن الأمير تغري بردي من قادة الحركة الانفصالية التي تزعمها تنم فـــي الشام في السنة الماضية وأن معظم رفاقه قد قتلوا على يد المماليك الجراكسة لهذا اعتقدوا أنـــه قـــد يتفق مع تيمورلنك عليهم[1] لذا قرر السلطان فرج مواصلة الزحف نحو دمشق فانطلق من غزة فـــي 26 ربيع الآخر 803هــ/15 كانون الأول 1400م حتى نزل شقحب[2] ومنها إلى دمشق التي دخلها السلطان فرج في 6 جمادى الأولى 803هــ/ كانون الأول 1400م وأقام معسكره عند قبـــة يلبغـــا[3] لكن أجواء المعسكر على ما يبدو كانت مليئة بالأحقاد والضغائن بين الأمراء وانعدام الثقة فيما بينهم هو في تلك الظروف الحرجة والصعبة التي تُحتّم عليهم تضافر الجهود وإخلاص النية تجاه بعـــضهم لإنقاذ البلاد كما حصل لأسلافهم في عين جالوت لكن الأمر كان على النقيض الذي انعكس سلباً قبل الدخول في المعركة مع العدو.

في الوقت نفسه كانت دمشق قبل قدوم تيمور في وضع لا تحسد عليه حيث اضطربت أحوالها لوصول الأخبار إليها عن أعمال تيمور في مدن حلب وحماة وبعلبك كما ازدحمت المدينة بالـــسكان الهاربين إليها من مدن الشام التي اجتاحها تيمورلنك إضافة إلى تحول الأهالي من ظاهرهـــا[4] هـــذا علاوة على ذلك، فقد كان تيمورلنك يسعى إلى إثارة البلبلة وزعزعة الأوضاع في دمشق والتشويش على السكان برسائل التهديد التي أخذ يرسلها إلى هناك وبالأخبار التي عمل علـــى ترويجهـــا فـــي المدينة وهو في طريقه من حلب ومن المحتمل أن يكون له في دمشق عملاء وعيون يعملون علـــى إضعاف الروح المعنوية لدى سكان المدينة والمشرفين على الأمور فيها فقد روى ابن تغري بـــردي «أنه قد كثر في تلك الأيام انضمام الجند من جيوش تيمور إلى قوات المماليك»[5].

من هنا تظهر مقدرة تيمورلنك في شن الحروب النفسية ونشر الإشاعات في سبيل الحـــصول على النصر بأيسر الطرق.

---

(1) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج12، ص 184-185. ؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج2، ص 81.

(2) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج7، ص 729.

(3) قبة يلبغا: تقع على مسافة ميلين تقريباً من أسوار دمشق جنوباً من مسجد القدم وقد بناها يلبغـــا اليحيـــاوي فـــي ســـنة 747هــ/ 1347م وسماها قبة النصر وتقع جنوب دمشق: فيشل: لقاء ابن خلدون بتمورلنك، ص 100.

(4) ابن حجي: الذيل على تاريخ ابن كثير، تحقيق عمر الشامي، ص 222. ؛ المقريـــزي: الـــسلوك لمعرفـــة دول الملوك، ج3، ق3، ص 1034.

(5) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج12، ص 232.

وخير دليل على ذلك لما ورد رسول تيمور إلى نائب الغيبة[1] ليسلّم المدينة ارتبك الأخير وعزم على الهروب لكن الناس كشفوه، فادى عمله هذا إلى بذر اليأس في نفوس العامة حتى نادى البعض منهم «ألا يشهر أحد سلاحاً وتسلم البلاد لتيمور»[2] وتحمس البعض الآخر في الدفاع عن مدينتهم ونادوا في الناس «من سافر نهب»[3] أما تيمورلنك فقد زحف بقواته من بعلبك نحو دمشق في 7 جمادى الأول 803هـ/ 26 كانون الأول 1400م فوصل إلى قطنا[4] ويروي ابن خلدون وهو شاهد عيان في حملة السلطان فرج إذ أخذ كل فريق يراقب تحركات الآخر فحدثت مناوشات بين الفريقين حتى يئس تيمور من مهاجمة البلد[5] ومن ثم عمل الحيلة والدهاء مع الجراكسة إذ توجه حفيده سلطان حسين قائد طليعة الميسرة إلى السلطان فرج وأعلن انخراطه في سلك طاعته في 13 جمادى الأولى، 31 كانون الأول وقد اعتقد فرج بصحة دعواه فخلع عليه فرساً ذا سرج ذهبي وأنزله دار الضيافة[6] وحاول تيمور أن يوحي بصحة خيانة حفيده فأمر قواته بالتحول من قبّة السيار[7] إلى الهضبة الجنوبية (الكسوة) ونزل بعسكره عليها وأقام أتباعه حول معسكرهم حائطاً بارتفاع قامة رجل وحفروا خندقاً حول الحائط ووضعوا عدداً من الفرسان والمشاة حول المعسكر لحمايته ليلاً وأخذ تيمور في الوقت نفسه يرسل بعض جنده لمهاجمة المناطق المجاورة لدمشق[8] وقد تصدى لهم مائة من فرسان المماليك فردوهم على أعقابهم وفي هذا الموقف أظهر رجال السلطان موقفاً شجاعاً وثقة بالنفس ولقد كان ذلك في الحقيقة على حد قول ميجانللي موقفاً متهوراً تجاه العدو وقد انعكس سلباً فيما بعد بالنسبة لهم حيث كانوا قلة ضد كثرة وأني لأعتقد أنه لو كان السلطان راغب في حشد كل الجيش الذي لديه في أراضيه لأحرز نصراً مجيداً على العدو ولكنه أخذ بنصيحة الشباب الأغرار المتغطرسين الذين كانوا

---

(1) نائب الغيبة: هو الذي يتولى الحكم في النيابة في حالة غياب النائب صاحب المدينة: القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص 17-175-218.

(2) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ق3، ص 1035 ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج12، ص 182.

(3) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج12، ص 182.

(4) ابن حجي: الذيل على تاريخ ابن كثير، ص230. ؛ المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ق3، ص 1040. ؛ ابن عربشاه: عجائب المقدور في نوائب تيمور، ص 135. ؛ ابن تغري بردي: المصدر السالف، ج12، ص187.

(5) تاريخ ابن خلدون، ج7، ص 729.

(6) المقريزي: السلوك، ج3، ق3، ص 1042 ؛ ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص 137.

(7) قبة السيار: موضع يقع قرب ربوة في سفح تل على بعد ميلين تقريباً من قبة يلبغا غرباً ويشرف المكان على دمشق وضواحيها: ميرخوند/ روضة الصفا، ج6، ص 366.

(8) الشامي: ظفر نامة، ص 230.

يسيطرون عليه ورفض بازدراء نصيحة كبار السن من مستشاريه[1] ويروي المؤرخون التيموريون أن بادرة العداء قد صدرت من جانب المماليك إذ توجه ثلاثة أشخاص فدائيون بحراب مسمومة نحو تيمورلنك لكن الحراس سدوا عليهم الطريق وتمّ القبض عليهم واعترفوا بذنبهم وتم قـتلهم وحـرقهم بالنار[2] إضافة لذلك استخدم تيمورلنك دهاءه السياسي ضد الجراكسة قبل الاصطدام المباشر معهـم فبعث برسالة للسلطان فرج نصها:

«لقد علمت آثار حزمنا وعزمنا في الأمور، وعلو همتنا في إدراك المطالـب.. وأن الهـدف الأول للملوك من قيادة الجيوش وفتح الأقطار.. هو ليس جمع المال وتكثير المنال فحسب بل رعايـة الناموس في الحال وبقاء الذكر الجميل في المال وإلاًّ فإن المرء يكفيه نصف رغيف من الخبز وقـد طلبت اطلمش مرات ولكنكم لم ترسلوه وتعللتم بعلل واهية لتأخير إرساله حتى ثـارت فينـا النخـوة لنسير إلى بلادكم.. وبرغم هذا كلّه فإنك إذا أرسلته وزينت السكة والخطبة باسمنا وأنهيـت بـساط النزاع بيننا ورحمت نفسك وأهل ديارك لانتهى كل شيء وإلا فإن جيشنا الجرار.. سـوف يعـصف بالمخالفين ويدحر المعاندين ويحوز الديار ويقتلع الرسم المعهود ويبلـغ غايـة المقـصود. وهنـاك طريقان طريق المداراة يؤدي إلى الأمن وطريق اللجاج يؤدي إلى الحرب فلنتصح بعد أن أظهـرت لك العقل بأحد الطريقين»[3].

هل من المعقول أن يطلب الصلح وهو على أبواب دمشق بجيشه الجـرار وقـد قطـع آلاف الأميال لمجرد أن يسلموه أطلمش زوج بنت إحدى حفيداته في الوقت الذي قتل فيه ابنـه وصـهره على أبواب المدينة دون أن يكترث بهما[4]!!.

ويرى ابن تغري بردي أن تيمور أرسل رسولاً آخر في طلب الصلح «وظهر للأمراء ولجميع العساكر صدق مقالته وأن ذلك على حقيقته فأبى الأمراء ذلك، واستؤنف القتال بين الفريقين..»[5].

أما ابن عربشاه فقد شكك في نواياه بقوله «كل ذلك من مكائده، وحبائل مصائده لما عرف عن خلاف واقع بين العساكر المصرية»[6] ويبدو أنه كان يرمي إلى إيقاع الفشل في صـفوف المماليـك وهو ما حصل بالفعل لأن الأمراء الذين رفضت آراؤهم في الصلح شـعروا بالامتعـاض وفتـرت همتهم عن القتال واغتنموا أول فرصة للهرب إلى مصر وهذا ما سنراه.

---

(1) حياة تامرلان، ص 19.

(2) الشامي: ظفر نامه، ص 230 – يزدي: ظفر نامة، ج2، ص 227-228.

(3)الشامي: ظفر نامة، ص 231. ؛ يزدي: ظفر نامة، ج2، ص 228-229

(4) العلبي: تيمورلنك وسياسته مع دمشق، ص 151.

(5) النجوم الزاهرة، ج 12، ص 187.

(6) عجائب المقدور في نوائب تيمور، ص 137.

وقد فطن بعض المؤرخين إلى ذلك فقال المؤرخ الصيرفي: «إن ما عرضه تيمورلنك بقولـــه: أرسلوا إليَّ هذا وأنا أرحل! وذلك مكر وخديعة وكذب»[1]. وقد نجحت خطته فـــي التمويـــه علـــى الجراكسة إذ اعتقد فرج بن برقوق أن عدوّه لم ينتقل من قبة السيار ولم يبعث هذه الرسالة إلاّ وقـــد واجه مشكلة داخلية في جيشه ولا سيما بعد هروب سلطان حسين، لهذا عزم على مماطلة تيمور مدة أطول كي تنفذ مؤنه فيضطر إلى رفع الحصار عن دمشق وقد أكّد فرج هذه الخطة في رسالة بعثهـــا إلى القاهرة يقول المقريزي الذي كان في ذلك الوقت في القاهرة إن الأخبار التي كانت تـــصل إلـــى هناك أن تيمور نازلٌ تحت جبل الثلج[2] وقد أرسل في طلب الصلح مراراً فلم يجبه السلطان لأنه قد أضحى في قبضة قوات المماليك[3] ويبدو أن السلطان فرج ازداد ثقة بانضمام أمراء المغـــول إلـــى جيشه واطلاعه على نقاط الضعف في جيش تيمور، ما زاد إصراره على مواجهـــة قـــوات تيمـــور وربما كان مجيئهم إليه إحدى خدع تيمورلنك.

ومما زاد من تصميم فرج بن برقوق على مواجهتهم ذلك النصر الأولي الذي حققه جيشه على العساكر المغولية[4]. فعندما استخدم تيمورلنك أسلوب الخداع حيث انسحب من ناحية شقحب موهمـــاً الجيش المملوكي أنه هارب منهم وهذا ما حدث فعلاً إذ تبعه العساكر المصرية ووقعوا فريسة ســـهلة لجنود تيمور الذين أطبقوا عليهم من كل جانب ملحقين بهم الهزيمة[5] وهنـــاك رأي آخـــر لـــبعض المؤرخين الفرس منهم يزدي حيث يروي أن السلطان المملوكي فرج قد رد علـــى رســـالة تيمـــور برسالة أخرى قال فيها: «نحن في مقام الطاعة والخضوع وسنرسل اطلمش في غضون خمسة أيـــام فإن عفا السلطان الأعظم عن جرائمنا فإننا لن نهمل أو نقصر في أداء وظائفنـــا وإطاعـــة الأوامـــر وإعلان الخضوع وسنفعل كل ما في وسعنا لإرضاء خاطركم الشريف ومـــشاعركم الـــسلطانية»[6]. وتعلق المصادر التيمورية على رسالة فرج وطلبه الصلح بأن المماليك لم يكونوا صادقين فـــي هـــذا الطلب[7] وتتحدث المصادر والمراجع عن رسالة أرسلها الناصر فرج إلى تيمور في هذه الأثناء وقد

---

(1) نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، ج2، ص 82.

(2) جبل الثلج: يعرف حالياً بجبل الشيخ أو الحرمون.

(3) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ق3، ص 1042. ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج12، ص 186.

(4) المقريزي: السلوك، ج3، ق3، ص 1037 ؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج2، ص 79. ؛ السخاوي: الذيل التـــام على دول الإسلام للذهبي، تحقيق حسن مروة، ص 414.

(5) ابن عربشاه: عجائب المقدور ، ص 139. ؛ ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج1، ق2، ص 187. ؛ دي ميجنانللي: وصف خراب دمشق، ترجمة سهيل زكار، الموسوعة، ج 47، ص 426.

(6) النيردي: ظفرنامة، ج2، ص229، 230.

(7) اليزدي: ظفر نامة، ج2، ص 229-230.

سأل السلطان المملوكي تيمور عن حقيقة عقيدته فجاء في هذه الرسالة قوله: «إذا كنت مسيحياً فإنك لم ترحم المسيحيين، وإذا كنت يهودياً فقد بطشت باليهود، وإذا كنت مسلماً فقد نكلت بالعرب وهدمت المساجد»[1].

ومهما يكن من أمر فقد نشطت دوريات المراقبة من الفريقين ولم تمض أكثر من عشرة أيام على استقرار القوات الغازية في الكسوة حتى نفد العلف فتحركت نحو الغوطة لتقيم فيها وذلك في السبت 19 جمادى الأولى 803هـ/ 6 كانون الثاني 14001م فانتهز الجراكسة هذه الفرصة للانقضاض على مؤخرتهم وخرج معظم الجيش الشامي من الفرسان والمشاة إلى خارج المدينة وخرج معهم عامة دمشق وهم يحملون السيوف والأحجار والنبال. وقد أسندت ميسرة الجيش الشامي إلى سلطان حسين وقد كانوا بأعداد كثيرة بحسب قول: اليزدي – والشامي وميرخوند[2] ولما علم تيمور بحركة الجيش الشامي أمر فرسانه أن يقفوا على أهبة الاستعداد وأمر المؤخرة بالتهيؤ فقامت في الحال بوضع كميات كبيرة من الأمتعة والمؤن وغطتها بالأحجار وجعلتها كمتاريس لحماية المؤخرة، وأمر ابنه ميرانشاه قائد الميمنة أن يهاجم العدو من جانب وأن يقوم سلطان محمود قائد الميسرة بمهاجمتهم من جانب آخر[3] وكانت مؤخرة جيشه أول من تعرضت لهجوم الشاميين فاشتبك الطرفان في معركة دموية لم تستطع منها القوات الشامية الثبات إذ اندحرت ميسرتها التي يقودها سلطان حسين[4] وتدريجياً توضحت حقيقة المعركة لكونها مكيدة من قبل تيمور. فانهزم في إثر ذلك عسكر غزّة إلى ناحية حوران وتراجع آخرون إلى دمشق. فانقض الغزاة على القوات المنهزمة وأوقعوا فيهم القتل إلاّ أن ميمنة الجيش الشامي استطاعت أن تصدّهم وحالت بينهم وبين دخول المدينة[5] لذا أقام تيمورلنك قواته قرب دمشق استعداداً لحصارها. في الوقت الذي حصل انسحاب مفاجئ للسلطان فرج والجيش المصري من دمشق تحت جنح الظلام وتركها أمام تيمورلنك وليس ما هو أغرب من هذا الانسحاب إلاّ أسبابه وهذه الأسباب تعطى فكرة واقعية تقرب من الخيال عن مدى الاستهتار والضعف الذي كان منتشراً بين صفوف جيش السلطان.

فقد اختفى في 12 جمادى الآخرة 803هـ/ 29 كانون الثاني 1401 عددٌ من أمراء مصر أمثال يشبك الشعباني فوقع الاختلاف بين من بقي من الأمراء في دمشق على الإقطاعات والوظائف

---

(1) شهاب: تيمورلنك، ص 301.

Budge: Chronography of Abu-L-Farage Bar Hebraeus. Oxford 1932, p. 33.

(2) الشامي: ظفر نامة، ص 233 يزدي: ظفر نامة، ج2، ص 231 ميرخوند: روضة الصفا، ج6، ص 368.

(3) ميرخوند: روضة الصفاء، ج6، ص 368.

(4) الشامي: ظفر نامه، ص 233 – ميرخوند: روضة الصفاء، ج6، ص 369.

(5) ابن حجي: الذيل على تاريخ ابن كثير، ص 231. ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج12، ص 187.

والسلطة وعلم فرج أن الأمراء الذين اختفوا قد ساروا إلى مصر ليسلطنوا الشيخ لاجين الجركسي[1] فترك السلطان القتال وتوجه إلى مصر أثناء المعركة عبر طريق عقبه دمّر[2] وذلك من غير أن يعلم بهم أحد من أهالي دمشق فوصلوا صفد وساروا إلى غزة حيث وجدوا فيها الأمراء المتآمرين فأخذوهم معهم وتوجهوا نحو مصر[3] وقد تبعه من تبقى من أمراء الجيش المملوكي تاركين دمشق خالية من أي قيادة تستطيع الوقوف في وجه تيمورلنك[4] وفي الوقت نفسه فإن فرج قبل الانسحاب قد أرسل وفداً إلى تيمور ليضلل عليه هدفه وقد نصّت الرسالة التي وجهها إليه: «أن ما حدث كان من فعل بعض الغوغاء دون رغبة منّا إذ أن جمعاً من الجهال والأوباش قد تجرؤوا عن جهل للهجوم فلقوا جزاءهم. ونحن باقون على العهد الذي عرضناه فإذا أوقف الجيش القتال اليوم فإننا سننفذ غداً كل ما تأمرون به ونقوم بتقديم العذر عن التقصيرات السابقة بحسب المقدور»[5].

ولما وصلت هذه الرسالة إلى تيمور أمر قواته بالتراجع عن دمشق[6] فهل كان سلطان المماليك محقاً في عودته إلى مصر لتوحيد الداخل ومن ثم إعداد العدة من جديد للوقوف ضد الغزاة؟ نرى أنه لم يكن ثمة داع لانسحابه من أرض المعركة لأن نائبيه في مصر يلبغا السالمي وتمراز كانا من الكفاءة والمقدرة بحيث يستطيعان بسهولة إحباط مساعي الأمراء الهاربين والمحافظة على عرش السلطان[7] ولذا فإن انسحاب السلطان مع أمرائه يعد خطأً فادحاً وخيانة عظمى في تاريخ السلطان والمماليك. لأنه لم يتم توحيد الجبهة الداخلية والوقوف أمام العدو. ولما علم قائد الغزاة بهروب فرج بواسطة أحد عيونه في الجيش المصري المسمى دقماق[8] أمر حفيده أبي بكر قائد طليعة الميمنة بمحاصرة المدينة من جانب وأن يقوم جهانشاه مع ميسرة الجيش بمحاصرتها من

---

(1) لاجين: يعرف بالشيخ لاجين جندي جركسي الأصل له منزلة كبيرة في أوساط العساكر كان متديناً ومعتنقاً لأراء ابن عربي هدف إلى اعتلاء السلطة وكان يبشر الناس بأنه إذا تحقق هدفه فسيعيد سيرة الخلفاء الراشدين ويلغي الإقطاع والأوقاف مات سنة 804/1402م. ؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج6، ص 232.

(2) عقبة دمّر: مشرفه على غوطة دمشق وهي من جهة الشمال في طريق بعلبك. الحموي: معجم البلدان، م4، ص72.

(3) ابن حجي: الذيل على تاريخ ابن كثير، ص 231 ؛ ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، ج7، ص 729-730. ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج12، ص 188. ؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج2، ص 84-85. ؛ السخاوي: الذيل التام على دول الإسلام للذهبي، ص 414.

(4) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج12، ص 189 – الصيرفي: نزهة النفوس، ج2، ص 85.

(5) يزدي: ظفر نامة، ج2، ص 236-237.

(6) الشامي: ظفر نامة، ص 234.

(7) العلبي: تيمورلنك وحكايته مع دمشق، ص 157.

(8) ميرخوند: روضة الصفاه، ج6، ص 372. ؛ خواندمير: حبيب السير، ج3، ص 415. ؛ مهاوي: تاريخ الغزو التيموري في العراق، ص 303.

جانب آخر وأن يمنعوا أي شخص من الفرار وبعث قوة من جيشه لتعقب الفــارين[1] ويـــروي ابــن تغري بردي: «أخبرني غير واحد من أعيان المماليك الظاهرية لما بلغنا خروج السلطان ركبنا فـــي الحال غير أننا لم يعوقنا عن اللحاق به إلا كثرة السلاح الملقى على الأرض بـــالطريق ممـــا رمـــاه المماليك السلطانية تخفيفاً عن خيولهم فمن أسروه قاضي القضاة صدر الدين المناوي»[2] ولـــم يكـــن موقف سكان دمشق متخاذلاً بعد انسحاب فرج إذ أنهم لما اكتشفوا هروبه أغلقـــوا أبـــواب المدينـــة. وصمموا على مواصلة المقاومة واستعدوا للقتال فزحف الغزاة على ضواحي دمشق ونهبوا البساتين والقرى، ثم توجهوا نحو المدينة وحاصروها فوقع خلال ذلك قتال بين سكان دمشق وبين الغزاة على أسوار المدينة قتل في أثره زهاء ألف مقاتل من الغزاة حتى اضـــطر هـــؤلاء إلـــى التراجـــع عـــن الأسوار[3] وعندما وجد تيمور أن من الصعوبة احتلالها بالقوة لجأ إلى الحيلة وأرســـل إلـــيهم عبـــر أسوار المدينة من يدعوهم إلى إقامة الصلح وكان رسولا تيمور يقولان لأهلها «الأمير يريد الصلح، فابعثوا رجلاً حتى يحدثه الأمير في ذلك»[4].

أمّا المصادر الفارسية ويتفق معها ابن قاضي شهبة وابن عربشاه في أن طلـــب المفاوضـــات جاء من جانب بعض أعيان دمشق ولا سيما بعد انسحاب السلطان إلى مـــصر وربمـــا أنهـــم أرادوا الخلاص من الحصار وتجنيب دمشق من الدمار الذي عهدوه من تيمورلنك أثناء دخوله المدن عنوة.

على كل حال هذا ابن خلدون وهو شاهد عيان يـــروي قـــائلاً «جـــاءني القـــضاة والفقهـــاء واجتمعنا في المدرسة العادلية واتفق الرأي على طلب الأمان من تيمور علـــى البيـــوت والأمـــوال والحريم وشاوروا في ذلك نائب القلعة فأبى عليهم وأنكر ولم يوافقوه على رفضه فاختاروا القاضـــي إبراهيم بن محمد بن مفلح الحنبلي[5] للتفاوض مع تيمور فأُنزل من الـــسور إلـــى معـــسكر الغـــزاة

---

(1) الشامي: ظفر نامة، ص 234.

(2) النجوم الزاهرة، ج12، ص 189.

(3) المقريزي: السلوك، ج3، ق3، ص 1046 ؛ ابن قاضي شهبه، تاريخ ابن قاضي شهبه، من الموسوعة الـــشاملة، سهيل زكار، ج47، ص 248. ؛ ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص 139. ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهـــرة، ج12، ص 186. ؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج2، ص 86 ؛ السخاوي: الذيل التام على دول الإسلام للـــذهبي، ص 414-415. ؛ ابن اياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 610 –

(4) المقريزي: السلوك ج3، ق3، ص 1046. ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج12، ص 190 ؛ ابن ايـــاس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 610.

(5) ابن مفلح: هو ابراهيم بن محمد بن مفلح ولد 751هـــ/ 1350م ولي قضاء الحنابلة في دمشق، وصاحب الطبقات – فاوض تيمورلنك أثناء غزوة لدمشق سنة 803هـــ/1400م ناله تشويش في جسده من بعضهم أدى إلى وفاتـــه سنة 803هـــ/ 1401م كان يلقب تقي الدين – وبرهان الدين: انظر ابن مفلح: المقصد الأرشد في ذكر أصـــحاب الإمام أحمد، تحقيق عبد الرحمن العثيمين، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1410هـــ/ 1990م، ج1، ص 12.

فاستقبله تيمور برحابة[1] وقال له هذه بلدة الأنبياء، وقد أعتقتها لرسول الله (ص) صدقه عن أولادي، ولولا حنقي من سودون نائب دمشق عند قتله لرسولي ما أتيتها[2] وزار معه قبري أم سلمة وأم حبيبة زوجتي الرسول (ص) وبلال الحبشي[3] «وعاتب ابن مفلح على عدم قيام أهل دمشق ببناء ضريح لقبر أم حبيبة وأنه سوف يبني عليه قبة»[4] وقد تأثر ابن مفلح بكلامه المعسول فأثناء عودته إلى دمشق أخذ يُثني عليه ثناءً حسناً وشرع في العمل على تثبيط عزائم المقاتلين ودعا الناس للكف عن القتال وإجراء الصلح[5] فأثار موقفه هذا بلبلة واختلاف في موقف الدمشقيين من الغزاة برواية ابن خلدون «حيث أنكر البعض الاستكانة إلى العدو»[6] ولم تمض ليلة واحدة حتى غلب رأي ابن مفلح في أجراء الصلح ونودي في المدينة من خالف ذلك قتل[7] وهكذا يكون داعي السلم والمفاوضة هو الذي انتصر أخيراً. ولكن هل كان هذا الفريق قد نجح بالفعل في أن سلَّم البلد الدمار والقتل والخراب؟ أم أنه كان قد وقع في خدعة وتضليل قائد الغزاة؟ وهل كان هذا الفريق لا يفقه في السياسة والحرب؟.

أما قائد الغزاة فقد حقق غرضه منذ أن وصل إليه علماء المدينة يطلبون منه الأمان لأهلها فظهر في الأفق علامات مخططاته التي رسمها لنوابه ومعاونيه حيث كان هدفه الأساسي هو استنزاف أموال دمشق من سكانها.

حيث أرسل في البداية من يطلب الطقزات[8] من أهالي دمشق فقام ابن مفلح مع عدد من

---

(1) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج7، ص 730.

(2) المقريزي: السلوك، ج3، ق3، ص 1046 ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج12، ص 190. ؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 610. ؛ السخاوي: الذيل التام على دول الإسلام للذهبي، ص 414.

(3) الشامي: ظفر نامة، ص 234 – ميرخوند: روضة الصفا، ج6، ص 372.

(4) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 611.

(5) المقريزي: السلوك، ج3، ق3، ص 1047 ؛ ابن حجر: إنباء الغمر، من الموسوعة الشامية، زكار، ج47، ص 464. ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج12، ص 191.؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 610.

(6) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج7، ص 730.

(7) كان ابن مفلح ومعه مجموعة من العلماء فضلوا الاستسلام والطاعة لتيمورلنك وربما كانوا على الصواب لأنهم يعرفون مدى قوة تيمورلنك وأن مقاومته في هذه الظروف الصعبة لا جدوى فيها فالقيادة ضعيفة والأراء مختلفة وأن العناد في المقاومة قد يدمر البلاد وقد يضاعف من تسلطة عليهم ولا سيما بعد انسحاب الناصر فرج.

(8) الطقزات: وهي من عادة تيمور إذا أخذ مدينة صلحاً طلب من أهلها أن يعطوه تسعة من أنواع ما عندهم من المأكل والمشرب والدواب والملبس.. ويسمّون ذلك بلغتهم طقزات: ؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 611.

القضاة والفقهاء بجمع التحف والهدايا من المدينة وأراد الخروج بهم من باب النصر[1] فمنعهم يزدار نائب القلعة من الخروج وهدّدهم بحرق المدينة فأجابوه «أنت أحكم على قلعتك ونحن على بلـــدنا»[2] فأهملوا باب النصر وتوجهوا نحو الباب الصغير حيث تدلّوا من السور واستقبلهم أحد قـــواد تيمـــور ويدعى شاه ملك وكان عدد أعضاء الوفد ثمانية[3] فأحسن تيمور استقبالهم وعين جماعة مـــنهم فـــي وظائف جديدة ومنحهم فرماناً من تسعة أسطر تمّ قراءته على منبر الجامع الأموي وتضمن: الأمـــان لأهل دمشق على أنفسهم وأهليهم خاصة، وفتح باب دمشق المسمى الباب الصغير، وتعيين أمير مـــن قبل تيمور ينزل بدار الأمارة لتولي حكم دمشق، وجباية ضريبة الصلح من أهل المدينـــة ومقـــدارها ألف ألف دينار فجباه معاونوه من شيوخ المدينة وبعثوا به إلى تيمور[4] وتمّ نتيجة هذه المفاوضـــات الاتفاق على دخول تيمور إلى دمشق سلماً دون التعرض للمدينة وأهلها، وبالفعل دخل تيمور المدينة من بابها الصغير ونزل في تربه منجك[5] يستقبل كبارها وبعد أن دانت له دمشق بقيت أمامه مهمـــة إخضاع قلعة دمشق التي واصلت القتال لمدة أربعين يوماً تقريباً بعد سقوط دمشق إذ أصـــرّ يـــزدار نائب القلعة مع جمع من الجند على مواصلة القتال ويبدو أن تيمورلنك قد وضع خططـــه لاحـــتلال القلعة منذ اليوم الأول للصلح حسب رواية ابن خلدون «إنه ما إن استقرّ تيمورلنك في إقامتـــه فـــي تربه منجك حتى استدعى أمراء دولته المختصين بأمور البناء، فأحضروا المهندسين وتناظروا فـــي منفذ الماء الدائر بمحيط القلعة لعلّهم يعثرون بالصناعة على منفذه فتناظروا في مجلسه طـــويلاً دون جدوى»[6] ويقول الشامي وهو مرافق لتيمور أن القلعة كانت في غاية الحـــصانة والإحكـــام وكـــان بناؤها من الأعلى إلى الأسفل بالحجارة العظيمة وكانت في غاية الطول والارتفاع وقد حفر حولهـــا خندق بعمق ثلاثين متراً وعرض عشرين متراً مما دفع تيمور بإصدار أوامر لكبار قادتـــه بإحكـــام الحصار في 22 جمادى الآخرة 803هـــ/ 8 شـــباط 1401م والقيـــام بـــالحفر ونـــصب المجـــانيق

---

(1) باب النصر أو باب السرايا في الجهة الغربية لسور دمشق استمر قائماً حتى إزالة شرواني باشا أحد الأتراك سنة 1285هـ/1863م – ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج12، ص 240. ؛ ابن قاضي شهبه: تاريخ ابن قاضي شهبة، الموسوعة، ج 47، ص 17186.

(2) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج12، ص 191.

(3) ضم الوفد قضاة المذاهب الأربعة: وهم محيي الدين بن العز الحنفي وشهاب الدين إبراهيم بن مفلـــح الحنبلـــي، شمس الدين محمد الحنبلي النابلسي، ناصر الدين أبي الطيب، شهاب الدين أحمد بن الشهيد الوزير، شهاب الـــدين الجباني الشافعي، شهاب الدين إبراهيم الحنفي. أنظر: ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص 140.

(4) ابن قاضي شهبة: تاريخ ابن قاضي شهبة، ج 47، ص 291. ؛ المقريزي: السلوك، ج3، ق3، ص 147 ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج12، ص 193–194. ؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 612.

(5) تربة منجك: تقع بباب الجابية بناها الأمير سيف الدين منجك: النعيمي، عبد القادر: الدارس في تاريخ المدارس، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م، ج2، ص 230.

(6) ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر ، ج7، ص 734 – 735. ؛ ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص 147.

والعرادات والنفوط والأخشاب[1] ويؤكد هذا ابن خلدون أنهم نصبوا ستين منجنيقاً[2] وكانوا قد نصبوا أحد هذه المجانيق في وسط الجامع الأموي ونصبوا منجنيقاً آخر في ناحية حكر السماق[3] وثالثاً من ناحية الصالحية ورابعاً من ناحية العقيبة وخامساً من ناحية التربة[4] وشيدوا أيضاً ثلاثة أبراج خشبية أشرفوا بواسطتها على القلعة من جهتها الغربية ونصبوا عليها المجانيق[5] واندفعت قوات تيمورلنك نحو القلعة من جميع الجهات وكان أعنف هجوم عليها من الشمال والغرب يروي ابن قاضي شهبة أن تيمور طلب القضاة والمباشرين وقال لهم: «بلغني أن في البلد طريقاً تحت الأرض إلى القلعة» قالوا: «والله ما سمعنا بهذا ولا نعرفه فقال: تكذبون أنتم وآباؤكم وأجدادكم عمرهم في دمشق وما تعرفوا طريقاً إلى القلعة! وأعطاهم فرصة ثلاثة أيام كي يعطوه معلومات عن الممر وإلاّ سوف يترك جنوده يخربون البلد ودفعت تهديدات تيمور القضاة للسعي لثني نائب القلعة عن موقفه فأرسلوا إليه اثنين وهما الشيخ أبو بكر بن داود وتقي الدين ابن الربوة وتم رفعهما بالحبال من باب القلعة إلى الداخل لكن نائب القلعة يزدار رفض عرض الاستسلام لما شرع ابن الربوة يتكلم معه في تسليم القلعة وحقن الدماء فغضب منه يزدار وأمر بحبسه بعد أن حاول ضربه»[6] ومن الجدير ذكره أن المدافعين عن القلعة استماتوا في الدفاع عنها إلى درجة أعجزت تيمور وحيرته من أمثال شهاب الدين الزردكاش الدمشقي – وشهاب الدين أحمد الزردكاش الحلبي[7] وكان معهم كما يروي ابن تغري بردي نقلاً عن شاهد عيان مجموعة من الشباب معظمهم ليس لديه خبرة بفنون القتال ومع هذا عجز تيمور عن أخذها[8].

وأن إجراءات الحصار التي اتخذها الغزاة لا توضح ضخامة الإمكانات التي يمتلكها الغزاة فحسب بل توضح شراسة المقاومة التي أبداها المدافعون عن القلعة طوال أربعين يوماً وهم ينتظرون الفرج من سلطانهم الناصر فرج!!.

---

(1) الشامي: ظفر نامة، ص 235.

(2) ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر، ج7، 735.

(3) حكر السماق: بالقرب من جامع تنكز حي القنوات. ؛ بن طولون القلائد الجوهرية، تحقيق محمد دهمان، مجمع اللغة العربية، دمشق، 1401هـ/ 1980م، ج1، ص 228.

(4) الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج2، ص 88.

(5) ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص 147. ؛ السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: ج47، ص 406 – يذكر برجين فقط.

(6) تاريخ ابن قاضي شهبة، من الموسوعة، زكار، ج47، ص 252 – 253.

(7) عجائب المقدور، ص 147.

(8) ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج4، ص 124.

أدرك المدافعون غاية أعدائهم فرشقوهم بالأحجار والسهام وقوارير النفط والكبريت ليحولوا دون تقدمهم إلى أسوار القلعة وتمكنوا من حرق أحد الأبراج التي أقامها الغزاة[1] فقام هؤلاء برمي جند القلعة بأحجار المنجنيق بشكل مكثف فتمكنت في إثر هذا فرقة النقبجية أن تصل إلى أسوار القلعة وبدأت عملها في حفر الأسوار وقد استخدم النقابون دروعاً خشبية وألواحاً كبيرة لتقيهم مما كان يلقى عليهم من القلعة من السهام وقوارير النفط[2] وأحدثوا أيضاً عدة حفر في الأسوار وأشعلوا فيها النار فتشققت ثم وجهوا للجدران ضربات متلاحقة بالمطارق والعرادات ولما قاربت الأسوار من الانهيار انسحبوا منها وأخذوا يرشقونها بأحجار المنجنيق فسقط قسم كبير من السور فزحف الغزاة للدخول إلى القلعة ولكن تم انهيار قسم آخر من السور فأدى إلى مقتل عدد من الجنود وظهر غبار شديد تسبب في إيقاف عملية الزحف فانتهز أهل القلعة الفرصة وأحكموا تلك الفجوة ولما أدرك تيمور إصرار المدافعين على المقاومة أمر بإشعال النيران في الثقوب فسقط جزء كبير من السور[3] فأدت هذه العملية إلى خروج نائب القلعة يزدار بعد أن فقد آخر أمل في المقاومة وطلب الأمان من تيمور فمنحه الأمان وسلّمه مفاتيح القلعة معلناً خضوعه وانقياده وقد تم بذلك دخول قلعة دمشق في 21 رجب 803هـ/ 8 آذار 1401م[4]. ونهب تيمور برواية الشامي كل الأموال والأثاث وكل ما جمع في القلعة خلال سنوات طويلة وأصدر أوامر بإخراج أصحاب الحرف والغلمان من المماليك وأسر باقي الناس من رجال ونساء كبار وصغار وأشعلوا النار ثانية في الأنقاب الباقية حتى تهدمت تلك القلعة العظيمة بحيث لم يبقَ منها أثر[5] من هنا يحق لنا أن نسأل هل هذه الأعمال من أخلاق القادة العسكريين؟ لماذا أحرق القلعة وأسر الصغار والكبار بعد أن أعطاهم الأمان وإذا كان يحرص على المسلمين كما يدعي فلماذا لم يفرق بين رجل وامرأة بشهادة مؤرخه الشامي. حيث خرج أهل دمشق إلى الصحراء بعد إحراق القلعة ويؤكد هذا التاجر الإيطالي دي ميجانللي بقوله أن تيمور أمر بدك القلعة بعد استسلامها وتسويتها بالأرض[6].

ومن المهم ذكره أنه لما كان المقاومون في قلعة دمشق بأمس الحاجة إلى دعم الحكومة المركزية في القاهرة من قبل سلطانهم فرج لم تصل أي نجدة أو دعم لدمشق. وبعد أن دخل تيمور القلعة بعد حصار دام نحو أربعين يوماً وصل إلى دمشق رسول من القاهرة يدعى بيسق الشيخي

---

(1) الشامي: ظفر نامة، ص 235 ؛ ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص 147. ؛ ابن قاضي شهبة: تاريخ ابن قاضي شهبة، ج47،ص253.

(2) يزدي: ظفر نامة، ج2، ص 239 ؛ ابن قاضي شهبة: تاريخ ابن قاضي شهبة ، ج47، ص 253.

(3) الشامي: ظفر نامة، ص 236 ؛ ميرخوند: روضة الصفا، ج6، ص 374.

(4) ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص147.

(5) ظفر نامة، ص 236 ؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي ، ج4، ص 125.

(6) وصف خراب دمشق، ترجمة سهيل زكار، ج47، ص 431.

يحمل رسالةً من الناصر فرج إلى تيمورلنك ومما ورد فيها: «لا تحسب أننا جزعنا منـــك، وفررنـــا عنك، وإنما خاننا بعض مماليكنا فقارنا بين خطرك، وخطرهم فرأيناك أنت أهون الخطرين وأحقــر وايم الله لنكرن عليك كرّ الأسد الغضبان ولنوردَن منك ومن عسكرك موارد الأضغان ولنحـــصدنَكم حصد الهشيم ولندوسنكم دوس الحطيم ولنضيقنّ عليكم سبُل الخلاص فلتنا دونٌ ولات حين مناص[1] ويعلق بن عربشاة بأنها «ترهات وكلام كالملح على الجرح».

وقد كان الأولى استمالة خاطر تيمورلنك وإرسال أطلمش لعله يخفف من حدة انتقامه لكن الأمر الغريب أن أمراء مصر لم يفعلوا ذلك إلا بعد حريق دمشق وخراب البصرة[2].

فكان رد تيمورلنك قاسياً حين كلف الرسول بالقول للناصر فرج «إني واصل إليه على عقبـــك فليستجب للقرار ويستعد للفرار»[3]. وبالفعل كان ينوي التوجه نحو مصر إلا أنه علم من عيونـــه أن السلطان بايزيد قد حشد جيشاً كبيراً بهدف الاستيلاء على الشام عندما يتقدم تيمور نحو القاهرة[4].

17 – أعمال تيمورلنك في دمشق

بعد إخضاع دمشق اتخذ تيمور عدة إجراءات منها تعيين شاه ملك[5] نائباً لحكم دمشق[6] وعين بعد أن تم الاتفاق مع الوفد الدمشقي بعض أعضاء الوفد في عدد من الوظائف حيـــث أقـــر قاضـــي المذهبين الحنفي والحنبلي في منصبيهما[7] وقدم القاضي الحنفي على القاضي الشافعي كجـــزء مـــن خطته في تقريب الأقليات إلى جانبه. كما حاول في سياسته المعتادة في العزف على النغمة الطائفيـــة بعقد المناظرات بينه وبين العلماء بهدف تسويغ أفعاله وأنه المنقذ والمخلِّص للمظلومين والمحرومين ولكن أفعاله كانت مناقضة لأقواله كما سوف نلاحظ بعد دخوله دمشق بشهادة المؤرخين المعاصرين للأحداث على كل حال فقد اتخذ تيمور مقراً لإقامته في تربة منجك التي يعتقد فيشل أن ابن خلـــدون

(1) ابن عربشاه: عجائب المقدور ، ص 150-151.

(2) ابن عربشاه: المصدر السالف، ص 150-151.

(3) ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص 152.

(4) دي ميغانلي: وصف خراب دمشق، ترجمة سهيل زكار ، ج 47، ص 440-441.

(5) شاه ملك: أمير مغولي في جيش تيمورلنك شارك في معظم غزوات سيده واشترك فـــي غـــزو بغـــداد والـــشام والأناضول. حافظ آبرو: زبدة التواريخ، ص 171.

(6) ابن خلدون: التعريف بابن خلدون ، ص 373.

(7) الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج2، ص 89.

يعني بها باب الجابية[1] بعد أن انتقل إليها من مقر إقامته السابق في بتخاص السودوني[2] بسبب قرب هذا المنزل من مرمى المنجنيقات لأبراج القلعة.

على كل حال وبعد أن تم جمع المال المتفق عليه من أهل دمشق حمله ابن مفلح إلى تيمور ووضعه بين يديه فلّما عاينه غضب بشدة ولم يرض به وأمر ابن مفلح ومن معه من الشيوخ أن يغربوا عن وجهه وألزمهم بحمل ألف تومان وقد واجه الدمشقيون من جراء ذلك مشقة زائدة في جمع المال المفروض عليهم وعلى مساكنهم أجرة ثلاثة أشهر كما ألزم كل إنسان من أهلها بضريبة الرأس بعشرة دراهم وفرض على سائر الأوقاف ضريبة فأخذ من أوقاف الجامع الأموي مائة ألف درهم ومن بقية أوقاف الجوامع والمدارس والمشاهد والربط والزوايا شيئاً معلوماً بحسب ما اتفق عليه[3] وبعدما تم جمع المال المطلوب أحضروه إليه فرفضه وقال: ما هو إلاّ ثلاثة ألف ألف دينار (3 مليون دينار) من المبلغ الذي أطلبه والذي يقدر بعشرة آلاف ألف دينار (10 مليون دينار) وبدلاً من أن يحسن إلى معاونيه قام بتوبيخهم ووصفهم بالعجز عن استخراج المال المطلوب[4] علاوة على هذا أمر أتباعه بإحضار الأموال والثروات التي تركها السلطان فرج وأمراؤه أثناء هروبهم إلى مصر. وقد تمكن تيمور من الاستحواذ على كل ما تركوه من الخيول والجمال والبغال التي قدرها العيني من الخيول ما يقارب ثلاثين ألف رأس، ومن البغال ما يقارب عشرين ألف رأس، ومن الجمال ما يقارب خمسين ألف رأس ومن الهجن ما يقارب عشرة آلاف رأس[5]ميجنانللي وهو معاصر للحدث ضخامة الأموال والثروات التي جمعها تيمور من دمشق[6] ولا شك في أن تيمورلنك نجح في تحايله ومراوغته مع ابن مفلح ورفاقه في جمع أكبر قدر من الأموال دون تعب أو جهد! وأحس ابن مفلح أخيراً بلعبة تيمورلنك الخطيرة وأنه غير تارك بلادهم كما وعدهم ولم يكن أمامه

---

(1) فيشل: لقاء ابن خلدون لتيمورلنك، ص 145.

(2) بتخاص السودوني: يعد هذا المكان منزلاً لأحد القادة العسكريين المماليك يدعى بتخاص السودوني وكان هذا المنزل ملاصقاً للمسجد الذي أنشأه هذا الأمير والذي لا تزال بقاياه تقوم إلى الوقت الحاضر في أحد أحياء دمشق وهو حيّ ظل يحمل الاسم نفسه منذ بدء نشوئه في العصر المملوكي وهو سويقة ساروجة ؛ شهاب: الحوليات الأثرية العربية السورية، 1985م، م 35، ص 435.

(3) المقريزي: السلوك، ج3، ق3، ص 1048 ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج12، 192. ؛ ابن قاضي شهبة، تاريخ ابن قاضي شهبة، الموسوعة، زكار، ج47، ص 255. ؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 612.

(4) المقريزي: السلوك، ج2، ق3، ص 1049 ؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 613.

(5) العيني، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، مخطوط الجزء التاسع عشر، نسخة مصورة عن مخطوط مكتبة أحمد الثالث باستامبول، مركز البحث العلمي وأحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، حوادث 803هـ. ؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج2، ص 85.

(6) وصف خراب دمشق، الموسوعة، ج47، ص 429.

ومن معه أي فرصة للتراجع أو الرفض فقد وقعوا في شباكه وعليهم أن ينفذوا كل مطالبه فوراً وهذا هو دأب تيمور التحايل والغش والوعود الكاذبة. ويروي المؤرخون العرب أن شاه ملك نزل بالجامع الأموي ومعه أتباعه وجمع مقتنيات الجامع وصلى الناس في شمالي الجامع وهم قليل وشاهدوا أصحاب شاه ملك يلعبون في الجامع ويضربون بالطنابير ومنعوا من إقامة الجمعة بالجامع وبطلت الأسواق كلها وزاد بالناس البلاء أن أصحاب تيمور لا يأخذون إلا الدراهم والدنانير[1].

والواقع أن تيمور هدف إلى جمع كل الأموال من المدينة عن طريق السلم فلما تأكد من ذلك عمد إلى مجموعة أخرى من الطلبات منها: الأمر بجمع كل أموال التجار والرجال البارزين في دمشق ولا سيما من هرب منهم إبان انسحاب السلطان فرج أو بعده فهي ملك لخزانة تيمورلنك ويجب أن تحمل إليه، وكان قد خرج من دمشق أعداد كبيرة فلم يبق لهؤلاء شيء فيها[2].

وأن يخرجوا جميع ما في المدينة من الحيوانات والبغال والحمير والجمال وقد روي أن عدد الحيوانات التي سلمت له اثني عشر ألفاً[3] ويؤكد على العدد نفسه المؤرخ الأرمني المعاصر (Sanjian)[4].

ولم تتوقف الأوامر والطلبات عند هذا الحد بل عاد وطلب أن تسلم له كل الأسلحة التي في حوزة السكان صغيرها وكبيرها وبالفعل تتبعوا ذلك ودل بعضهم على بعض، حتى لم يبق بها من آلات القتال وأنواع السلاح شيء[5] ويبدو أنه كان يرمي من وراء ذلك إلى تجريد المقاومة من سلاحها كي يتسنى له البقاء بسلام.

وبعد تحقيق هذه المطالب لم يكتفِ بكل هذا بل أمر بن مفلح بإحضار ما تبقى من مال سابق وقدره سبعة آلاف دينار أجابه ابن مفلح أنه لم يبق من مال المدينة شيء، فكبله تيمورلنك مع جماعته بالأغلال إلى أن وافقوا على إعداد قوائم بكل المحلات والدور والحارات في المدينة، فكتبوا ذلك ورفعوه

---

(1) المقريزي: السلوك، ج3، ق3، ص 1048-1049 ؛ ابن حجر: أنباء الغمر: ج47، ص 464.

(2) ابن قاضي شهبة: تاريخ ابن قاضي شهبة، ج47، ص 259. ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج12، ص 192 ؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 614.

(3) المقريزي: السلوك، ج3، ق3، ص 1049 ؛ القرماني، أخبار الدول، ص 209 – ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 614 ؛ ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص 152.

(4) فيشل: لقاء ابن خلدون تيمورلنك، ص 155.

- Sanjian: colophons of Armenian manuscripts, 1301-1480 London 1969 p. 121.

(5) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج12، ص 193 – ابن إياس: بدائع الزهور، ج12، ص 614. ؛ فيشل: لقاء ابن خلدون لتيمورلنك، ص 155.

إليه، ففرّقه على أمرائه وقسم البلد بينهم فساروا إليها. ونزل كل أمير في قسمه وطالب من فيه بـــالأموال حينها حل بأهل دمشق من البلاء ما لا يوصف[1].

ويؤكد ما جاء في المصادر العربية دي ميجنانللي فيقول: «وفي النهاية لما وجد تيمور أنه لـــم يعد بإمكانه جباية المزيد من الأموال سواء بالحق أم بالباطل استدعى أعيان رجاله وقادته وقال لهم: لقد جمعت أموالاً قليلة من هؤلاء الدماشقة.... بمشقة بالغة بذلتها من جـــانبي، وادخـــرت الـــشطر الأعظم والأفضل لكم، انظروا، إنني أمنحكم كل الذي بقي، وعليكم أن تكونوا أقويـــاء، وأن تعرفـــوا كيف تتعاملون معهم، ثم أعطوهم قوائم الجرد، وبها أسماء الملاك وأصحاب الحوانيت مـــع قـــوائم السلع والبضائع وأماكن وجودها كما أباح تيمور السلب والنهب وسفك الدماء فأطاعوه ونزلوا علـــى رغبته وامتثلوا أوامره»[2].

فانطلق هؤلاء مع أتباعهم إلى الأقسام المخصصة لهم فانزلوا بالسكان بهدف استخراج الأموال أقسى أنواع العذاب ولمدة تسعة عشر يوماً كان آخرها في 28 رجـــب 803هـــــ/ 15 آذار 1401م فهلك بسبب ذلك عدد كبير من سكان دمشق[3].

وبعد أن فرغ هؤلاء الأمراء من جمع حصتهم من الأموال والغنائم أطلق تيمور المـــشاة مـــن جنده على المدينة لينهبوا أموال وآلات الدور وأسروا عدداً كبيراً من نساء دمشق وحملوهن معهم[4]. ويجمع المؤرخون العرب والأجانب على أن دمشق قد تعرضت للنهب والحريق مـــن قبـــل قـــوات تيمورلنك[5] فالشوكاني يقول: «أخذ تيمور دمشق ونهب المدينة وخرّبها خراباً فاحشاً لم يسمع بمثلـــه

(1) المقريزي: السلوك، ج3، ق3، ص 1050 – ابن تغري بردي: النجـــوم، ج12، ص 193-194. ؛ القرمـــاني: أخبار الدول، ص 209 ؛ فيشل: لقاء ابن خلدون، ص 155.

(2) وصف خراب دمشق، الموسوعة، زكار ، ج47، ص 436.

(3) ابن حجر: إنباء الغمر، ج47، ص 465 – المقريزي: السلوك، ج3ن ق3، ص 1049. ؛ ابن قاضـــي شـــهبة: تاريخ ابن قاضي شهبة، ج47، ص 256. ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج12، ص 194 – ابـــن إيـــاس، بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 615. ؛ ابن سباط: تاريخ ابن سباط، ج2، ص 766.

(4) ابن حجي: الذيل على تاريخ ابن كثير، ص 244 ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج12، ص 195.

(5) ابن خلدون: التعريف بابن خلدون، 374. ؛ المقريزي: الـــسلوك، ج3، ق3، ص 1050 – ابـــن عربـــشاه: عجائب المقدور، ص 152. ؛ ابن قاضي شهبة: تاريخ ابن قاضي شـــهبة، الموســـوعة، ج47، ص 258. ؛ دي ميجانللي: وصف خراب دمشق، ترجمة زكار، الموسوعة، ج 47، ص 436-437. ؛ كلافيجـــو: ســـفارة إلـــى تيمورلنك (1403-1406)، ص 151. ؛ أقبال، عباس: تاريخ إيران بعد الإسلام، ص 605 – دائرة المعـــارف الإسلامية، م 6، ص 161. ؛ الحلبي: أعلام النبلاء، ج2، ص 407.

ولم يصل التتار أيام هولاكو إلى قريب مما فعل بها أيام تيمورلنك»[1] واستمرت أعمال النهب ثلاثة أيام هي الأربعاء والخميس والجمعة بداية من 30 رجب 803هـ/ 16آذار 1401م[2].

ويعلق Schiltberger على وقوع أعمال التنكيل بسكان دمشق، فيقول: إن جند تيمور قاموا ببناء ثلاثة أبراج من رؤوس القتلى من أهالي المدينة التي تعرضت للنهب[3] «إن تيمورلنك فعل بدمشق أعظم مما فعل بحلب حيث نهب المدينة وخربها خراباً فاحشاً لم يسمع بمثله ولم يصل التتار أيام هولاكو إلى قريب مما فعل التتار أيام تيمورلنك»[4] حيث حل بأهل دمشق من البلاء من الفحش علناً بالنساء والأطفال ما لا يوصف بحسب رواية المؤرخ الدمشقي ابن قاضي شهبة[5] بينما ابن عربشاه «أقسم بالله لقد كانت تلك الأيام علامة من علامات يوم القيامة»[6] لما حل بدمشق من حريق وخراب ودمار على يد تيمورلنك وقواته.

ويشير دي ميجانللي إلى بعض تصرفات تيمورلنك الغريبة فقد أمر بشنق بعض الفلاحين العرب بعدما ألبسهم ثياباً مثل ثياب جنوده وزعم بأنهم كانوا من معسكره وأنهم أرادوا نهب دمشق من داخلها وخارجها ولما شاهد سكان دمشق ذلك صدقوه دون تردد ولوحوا بقبضات أيديهم في وجوه الذين حكم عليهم بالشنق وهم يقولون: لم تستفيدوا شيئاً أنتم الذين قدمتم من بعيد حتى تقترفوا الجرائم[7] وربما تكون هذه الرواية صحيحة فليس غريباً على تيمور حيث أراد أن يظهر نفسه أمام العامة بأنه غير راض بما يحدث من نهب بالخديعة والمكر.

أما ابن خلدون فيشير إلى تيمور بأنه «قد أطلق أيد النهابة على بيوت أهل دمشق حيث أحرقوا بالنار ما بقي من الثياب البالية فوصلت إلى البيوت حتى الجامع الأعظم (يقصد الجامع الأموي) حتى تهدم سقفه وحوائطه وكان أمراً في غاية الشناعة والقبح»[8]. وقد أدى الحريق إلى خراب

---

(1) الشوكاني: البدر الطالع ، ص 191.

(2) ابن قاضي شهبة: تاريخ ابن قاضي شهبة، ج47، ص 258-259. ؛ ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص 152-153 – المقريزي: السلوك، ج3، ق3، ص 1051.

(3)Schiltberger: The Bondage and Travils of Johann schiltberger (1396-1427) trans from Latin by Telfax p.23.

أما فامبري فاوجز حديثه عن بلاد الشام بالقول: دفع الناصر فرج ثمن جرم أبيه غالباً إذ اجتاح تيمور بقواته إقليم سوريا ونهبوا مدنها العامرة ودمروها، تاريخ بخاري، ص 234.

(4) ابن خطيب الناصرية: الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب، ص 186.

(5) تاريخ ابن قاضي شهبة، ج 47، ص 257-258.

(6) عجائب المقدور، ص 153.

(7) وصف خراب دمشق، الموسوعة، ج47، ص 431.

(8) ابن خلدون: التعريف بابن خلدون، 374.

معظم مساجد دمشق ومدارسها ومشاهدها وأسواقها وخاناتها حتى وصفها المقريزي بأنها صارت أطلالاً بالية[1].

ومما يؤكد حقد تيمورلنك على الدمشقيين ما فعله مع أطفالهم الأبرياء حيث أمر بجمع أطفال المدينة الذين فقدوا أهلهم بالقتل أو الأسر وتتراوح أعمارهم ما بين الرُضّع والخمس سنوات فجمعوا خارج المدينة ثم أمر عسكره بسوق الخيل عليهم فماتوا أجمعين وكانوا نحو عشرة آلاف طفل، فلما رجع على الوطاق لامهُ أمراؤه على ذلك فقال: «أنا غضب الله على أرضه، يسلطني على من يشاء من خلقه»[2].

وقيل إنه كان يجمع الأطفال يلقيهم في الآبار وفوقهم الحجارة الثقيلة فيسمع صراخهم من شدة الألم[3]. ويقدر بعض المؤرخين عدد من هلك من أهالي بلاد الشام في حلب وحماة ودمشق وغيرها في غزو تيمورلنك من الجوع والقتل والحريق بعشرات الآلاف[4]. وتتوافق أقوال المصادر الرسمية التيمورية مع أقوال مؤرخي العرب في وصف أعمال تيمورلنك في دمشق ولكن هذه المصادر تعلل تلك الأعمال بعدالة تيمور التي رأت محاسبة سكان دمشق لوقوف أسلافهم إلى جانب معاوية بن أبي سفيان ويزيد ضد علي بن أبي طالب وولده الحسين (رضي الله عنهما). وفي هذه المدينة نتيجة أهوائهم وغرورهم شيّدوا هذه العمارات العالية والقصور المنيعة وأماكن اللهو والقصور التي تناطح السماء ولم يكن لهم أيّ إحسان أو فضل تجاه أهل بيت الرسول (ص) الراقدين هنا فماذا كانوا يخسرون لو أنشؤوا جدراناً كباقي العمارات، فكيف لا يرسل الله بلاء لقوم كهؤلاء. ثم أمر بإنشاء قبتين على هذين المزارين وعيّن حفيديه أبا بكر وخليل سلطان والشيخ نور الدين لتعمير ضريحي (أم سلمة وأم حبيبة) زوجتي الرسول (ص) فقام هؤلاء بتوجيه الحرفيين لعمل البناء فبنوا القبتين لهما خلال خمس وعشرين يوماً[5] هكذا دائماً الغزاة يسوّغون أعمالهم الوحشية بمسوغات أوهن من خيوط العنكبوت وغير مقبولة والتحيز من قبل المؤرخين التيموريين واضح وجلي ما ذنب الأطفال والنساء من هذا الظلم الذي يدعيه تيمورلنك وهل كان جامع بني أمية أيضاً ظالماً وهو بيت الله وقد طاله الحريق والخراب!!.

---

(1) المقريزي: السلوك، ج3، ق3، ص 1051.

(2) ابن حجر: إنباء الغمر، الموسوعة، زكار، ج47، ص 465. ؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 617-618. ؛ الجوارنة، أحمد: الندوة الدولية دمشق في التاريخ، جامعة دمشق 2006م، ج2، ص 50.

(3) ابن سباط، تاريخ ابن سباط، ج2، ص 767-768.

(4) المقريزي: السلوك، ج3، ق3، ص 1073.

(5) الشامي: ظفر نامة، ص 235-236. ؛ يزدي: ظفر نامة، ج2، ص 244.

هذه الحالة زادت الوضع الاقتصادي في دمشق سوءاً مما أدى إلى تدهور القيمة النقدية المتداولة في أسواقها وانعدامها من محلاتها التجارية وذلك بعدما أخذ أصحاب تيمور ما وجدوه من الدنانير والدراهم ونقلوها إلى خزائنهم حتى صارت الخمسة الدراهم بين الناس عبارة عن درهم واحد لا غير[1] كما لحق بأسواقها أضرار عظيمة تسببت في تعطيل حركة البيع والشراء وخربت مراكز البريد[2] وقد أدى ذلك إلى ارتفاع في الأسعار بسبب قلة الأقوات حيث بلغت الغرارة الواحدة من القمح ثلاثة آلاف درهم من الفضة وبلغ المد[3] الواحد منه أربعين درهماً[4].

ولكن الذي كان سبباً جوهرياً بسحق الاقتصاد الدمشقي وجعل المدينة تعاني من ويلات كثيرة أعواماً هو ما فعله تيمورلنك عند رحيله عنها بترحيل أعمدة الاقتصاد وبناة الإنتاج ولم يبق فيها أي صاحب صنعة. فأخذ كل ما هو في فن من الفنون من النساجين والخياطين والحجارين والتجاريين والأقباعية والبياطرة والخيمية والنقاشين والقواسين والبازدارية[5].صناع الصلب والزجاج ورحل بهم إلى سمرقند[6].

وقبل أن يرحل تيمور كان قد سكّ نقوداً باسمه من الذهب والفضة من فئة المئة مثقال والخمسين مثقالاً والعشرة مثاقيل ووزعها على جنده وأصدر الديوان التيموري ستمائة ألف دينار من هذه النقود[7]. مكث تيمورلنك مع قواته بدمشق نحو ثمانين يوماً ثم غادرها في الثالث من شعبان 803هـ/ 20 آذار 1401م[8].

---

(1) المقريزي: السلوك، ج3، ق3، ص 1049. ؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 613. ؛ ميجانللي: وصف خراب دمشق، ج47، ص 435-436.

(2) ابن حجر: إنباء الغمر: ج47، ص 465. ؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، تحقيق أيمن فؤاد، مؤسسة الفرقان، لندن، 2005، م1، ص616.

(3) المدّ: نوع من المكاييل استخدم منذ فجر الإسلام ويعادل المد السوري 2.84كغم قمح. ؛ هنتس: المكاييل والأوزان ص 75.

(4) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج12، ص 192. ؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج2، ص 93. ؛ ابن قاضي شهبة: تاريخ ابن قاضي شهبة، الموسوعة، زكار، ج47، ص 263.

(5) البازدارية: مفردها البازدار، وهو الذي يحمل الطيور الجوارح المعدة للصيد على يده مثل الباز والصقر انظر: دهمان: معظم الألفاظ، ص 29.

(6) ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص 156-157. ؛ ابن قاضي شهبة: تاريخ ابن قاضي شهبة، الموسوعة، زكار، ج 47، ص 441، 263. وقد أضاف ذكر أسماء الأعيان الذين أخذهم تيمورلنك إلى سمرقند. ؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج2، ص 92. ؛ كلافيجو: سفارة إلى تيمورلنك (1403-1406)، ص 151. ؛ دي ميجانللي: وصف خراب دمشق، الموسوعة، زكار، ج47، ص441.

(7) حافظ آبرو: زبدة التواريخ، ص 162.

(8) السخاوي: الذيل التام على دول الإسلام للذهبي، ص 415.

18 – مقابلة ابن خلدون لتيمورلنك:

تعد هذه المقابلة في غاية الأهمية لهذا فقد لفتت أنظار كثير من المؤرخين المعاصرين والمحدثين وقد تعرض لذكرها عدد من مؤرخي الدولة الجركسية: ابن حجر العسقلاني، ابن قاضي شهبة، المقريزي، وابن عربشاه[1] كما تناولها بنفسه ابن خلدون في كتابه التعريف بابن خلدون. وبعض المؤرخين المحدثين: فيشل، رافيل بالنسيا[2] وعبد الله عنان في كتابه ابن خلدون وتراثه الفكري. وقد أكّد هؤلاء حقيقة المقابلة إلى درجة لا تقبل الشك في حين أغفل مؤرخو الدولة التيمورية الحديث ولا نعرف ما السبب وراء هذا الإغفال وهم الذين حرصوا على كتابه تاريخ تيمور ومن بعده بكل تفاصيله.

ومهما يكن تعد هذه المقابلة من الأهمية بمكان لكشف الأوضاع السائدة حينها واستنتاج بعض نوايا تيمورلنك نحو مصر وبلاد المغرب ومعرفة الدور الذي قام به ابن خلدون أثناء مقابلاته المتكررة مع تيمورلنك ولماذا سأل عنه تيمورلنك هل سافر مع السلطان فرج؟ أم مازال موجوداً؟ وكيف نظر المؤرخون إلى مقابلته مع تيمورلنك؟.

يؤكد ابن خلدون أنه لم يكن ضمن الوفد الدمشقي الذي ذهب لمقابلة تيمورلنك في اللقاءين السابقين وأن تيمورلنك سأل عنه العلماء في مقابلتهم الثانية له حيث قال لهم: هل سافر ابن خلدون مع السلطان فرج في هروبه من دمشق أم أنه مازال موجوداً بالمدينة[3]؟ فأخبره الوفد أنه مازال موجوداً ويقيم في المدرسة العادلية[4] فاستدعاه وهو عالم بدوره ومكانته ربما من خلال عيونه في مصر وبلاد الشام.

ولما خرج الوفد الدمشقي لمقابلة تيمور صباح السبت وجدوا عند السور ابن خلدون ينتظرهم وطلب من أعضاء الوفد اصطحابه وبعد جدال قصير أجيب لطلبه ودُلّي مع بقية أعضاء الوفد من السور عند الباب الصغير[5] «ووجدت بطانة تيمور عند الباب ومعهم نائبه شاه ملك فحييتهم وحيوني

---

(1) ابن حجر: المجمع المؤسس بالمعجم المفهرس، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ورقة 404، رقم 2260 ؛ ابن قاضي شهبة – تاريخ ابن قاضي شهبة، ج 47، ص 262 – المقريزي: السلوك ج3، ق3، ص 1056 – ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص 140-141.

(2) فيشل: لقاء ابن خلدون لتيمورلنك، ص 69 – 86. بالنسيا: ابن خلدون وتيمورلنك، ترجمة أحمد نبيل، جامعة سابيا، ص 164 – 165.

(3) ابن خلدون: التعريف بابن خلدون، ص 368 – فيشل: لقاء ابن خلدون، ص 70. ؛ بالنسيا: ابن خلدون وتيمور لنك، ص 184.

(4) المدرسة العادلية: تقع في الشمال الغربي من المسجد الأموي، فيشل: لقاء بن خلدون تيمورلنك، ص 108.

(5) ابن خلدون: التعريف بابن خلدون، ص 368.

وقدموا لي مركوباً وأوصلوني إلى تيمور فلما وقفت بالباب خرج الإذن بإجلاسي في خيمة تجاور خيمته»[1].

«وحين دخل العلماء على تيمورلنك ودخلت معهم استمروا واقفين خائفين حتى سمح بجلوسهم وأخذ يراقبهم خلسة ويتفرس فيهم. أما أنا فقد فاتحته بالسلام وأومأت إيماءة الخضوع فرفع رأسه ومدّ إليّ يده فقبلتها وأشار بالجلوس فجلست ثم استدعى مترجمه عبد الجبار بن النعمان من فقهاء الحنفية»[2].

ويذكر السفير كلافيجو الذي زار تيمور في سمرقند بالقول: «وقد لاحظنا أن معاليه لم يقدم قط لنا يده حتى نقبلها لأن تلك لم تكن عادة لهم ولم يقم أي واحد منهم بتقبيل يد أي سيد كبير بينهم فقد عدوا هذا أمراً غير لائق»[3]. وهذا يدل على أن ابن خلدون ومن معه كانوا هم الحلقة الأضعف يقول رافيل بالنسيا إنهم تفاوضوا على الاستسلام لكي يحفظوا ماء الوجه في مواجهة هزيمة حتمية وحدث كل ذلك في ظل اندهاش أهل دمشق[4].

ومن المؤرخين من يذكر أن ابن خلدون كان يمثل الرجل الأول بين أعضاء الوفد الدمشقي الذي توجه لمقابلة تيمورلنك بقول ابن عربشاه: «لما توجه هؤلاء الأعيان إليه في تدبير هذه القضية وافق فكره فكرهم فملكوه في ذلك أمرهم وما وسعهم إلاّ استصحابه معهم»[5] ويبدو أيضاً من كلامه أنه لم يكن لابن مفلح الحنبلي رئيس الوفد أي دور بارز في الحديث الذي دار بين تيمور وبين المفاوضين وأثناء أكل ابن خلدون للطعام كان يسترق النظر إلى تيمور ثم يعود ليطرق إلى الأرض إذا وجد الغازي التركي ينظر إليه وقد حاول ابن خلدون أن يتملق إلى تيمور بالقول: «لقد شرفت بحضوري ملوك الأنام وأحييت بتواريخي ما ماتت لهم من الأيام ورأيت من ملوك الغرب وشهدت مشارق الأرض ومغاربها ولكن لله المِنّة الذي أمدني وأحياني حتى رأيت من هو الملك على الحقيقة»[6].

يتضح من كلام ابن خلدون التملق لتيمور وفي الوقت نفسه يعطينا رؤية لهشاشة الهياكل السياسية في المنطقة العربية والإسلامية من الأندلس وشمال إفريقيا إلى الشرق خلال تلك المرحلة مقارنة بالمراحل السابقة.

---

(1) فيشل: لقاء بن خلدون لتيمورلنك، ص 71.

(2) ابن خلدون: التعريف بابن خلدون، ص 369.

(3) سفارة إلى تيمورلنك (1403-1406)، ترجمة سهيل زكار، ص 243.

(4) ابن خلدون وتيمورلنك، ص 184.

(5) عجائب المقدور، ص 140.

(6) عجائب المقدور، ص 141.

وقد سرّ تيمورلنك بقوله وجرت بينهما مناظرة دينية وتاريخيه نستشف مــن خلالهــا هــدف تيمورلنك في الاستمرار في غزواته حتى شمال إفريقيا وصولاً إلى المحيط الأطلسي ويبدو ذلك جلياً من النقاش الذي دار بينه وبين ابن خلدون حيث سأله عن والده فقال ابن خلدون بالمغرب الجــواني كاتب للملك الأعظم هنالك. فقال وما معنى الجواني في وصف المغرب؟ فقال: «هــو فــي عــرف خطابهم معناه الداخلي، أي الأبعد لأن المغرب كلّه على ساحل البحر الشامي من جنوبــه، فــالأقرب إلى هنا برقة وإفريقية، والمغرب الأوسط – تلمسان وبلاد زناته – والأقصى – فــاس ومــراكش – وهو معنى الجواني. فقال له: وأين مكان طنجة من ذلك المغرب؟ فقال: في الزاوية التي بين البحــر والمحيط والخليج المسمى بالزقاق، وهو خليج البحر الشامي، فقال: وسبته؟ فأجاب ابن خلدون علــى مسافة من طنجة على ساحل الزقاق، ومنها التعدية إلى الأندلس لقرب مــسافته لأنهــا هنــاك نحــو عشرين ميلا فقال وفاس؟ فأجاب ليست على البحر وهي في وسط التلول وكرسي ملوك المغرب من بني مرين فقال وسجلماسة؟ قال: في الحد ما بين الأرياف والرمال من جهة الجنوب فقال تيمــور: لا يقنعني هذا وأحب أن تكتب لي بلاد المغرب كلها قاصيها ودانيها وجباله وأنهاره وقــراه وأمــصاره حتى كأني أشاهده فقال: ابن خلدون يحصل ذلك بسعادتك»[1].

ويبدو أيضاً أن تيمور كان يريد خريطة مفصلة لهدف في نفسه ومما يدل على اهتمامه بــبلاد الغرب معرفته الرفيعة ببعض المناطق في المغرب الأقصى خلال الحوار الذي دار بينهم.

على كلٍ أخذ ابن خلدون يتردد على معسكر تيمور مدة خمسة وثلاثين يوماً وقد أصــبح لــه مكانة وحظوة ولو أنه بدأ أمام الغازي ضعيفاً وصاغراً فقد دحض دعوة رجل حضر إلــى تيمــور وادعى الإمامة وأنه من ذرية الخلفاء العباسيين بمصر وطلب منه منصب الخلافة مستنداً فــي ذلــك إلى حديث يقول: إن الأمر لبني العباس ما بقيت الدنيا: فاستدعى تيمور الفقهاء والقضاة ومن بيــنهم ابن خلدون وطلب منهم أن ينظروا في طلبه وقد تمكن ابن خلدون أن يفند مزاعم الرجــل العباســي بتضعيفه للحديث وأن الخلافة لم تقتصر على العباسيين ووافقه القضاة على ذلك فأمر تيمور بصرف الرجل من مجلسه[2].

هذه الحادثة توضح مدى ضعف الإدارة المملوكية وإلاّ كيف، يجرؤ رجل أن يطلب من غــازٍ منصب الخلافة بعد أن أحرق الأخضر واليابس. كما أن مقابلة تيمور لابن خلدون كشفت عن الحالة الإدارية لبلاد الشام بعد الغزو فقد طلب ابن خلدون من تيمور في إحدى مقابلاتهما أن يقــر رجــال الإدارة في وظائفهم فهم يخلفون عن سلطان مصر من القراء والموقعين وأصحاب الدواوين والعمال

---

(1) ابن خلدون: التعريف بابن خلدون، ص 369-370. ؛ بالنسيا: ابن خلدون وتيمورلنك، ترجمة أحمد نبيــل، ص 185-186. ؛ فيشل: لقاء ابن خلدون لتيمورلنك، ص 74.

(2) ابن خلدون التعريف بابن خلدون، ص 375-376. ؛ فيشل: لقاء ابن خلدون لتيمورلنك، ص 78-79.

صاروا إلى إيالتك والملك لا يغفل مثل هؤلاء فسلطانكم كبير وعمالكم متسعة وحاجة ملككم إلى المتصرفين في صنوف الخدم أشد من حاجة غيركم فقال وما تريد لهم؟ قلت مكتوب أمان يستنيمون إليه ويعولون في أحوالهم عليه فقال لكاتبه أكتب لهم بذلك فشكرت ودعوت وخرجت مع الكاتب حتى كتب مكتوب الأمان وختمه شاه ملك بخاتم السلطان»[1]. هنا استطاع ابن خلدون بدبلوماسيته أن يقنع تيمور في إطلاق سراح أتباعه ونجح في تأمينهم.

على كل وفي نهاية المقابلة طلب ابن خلدون من تيمور السفر إلى مصر فقال له: «أتسافر إلى مصر؟ فقلت أيدك الله رغبتي إنما هي أنت، وأنت قد آويت وكفلت فإن كان السفر إلى مصر في خدمتك فنعم وإلا فلا بغية لي فيه فقال لا بل تسافر إلى عيالك وأهلك»[2].

أمّا ابن قاضي شهبة فيذكر رواية تختلف عن قول ابن خلدون حيث قال إن تيمور قد طلب من ابن خلدون «أن يذهب معه إلى بلاده فقال له: «لي في مصر من يحبني وأحبه ولا بد لك من قصد مصر إما في هذه المرة أو في غيرها فأنا أذهب وأهيئ أمري وأكون في خدمتك فأذن له بالذهاب إلى مصر وأن يستصحب معه من شاء»[3].

تكشف لنا هاتين الروايتين هدف تيمور في ما لا يدع مجالاً للشك غزو مصر وقد سمح بسفر ابن خلدون على ما يبدو من صيغة الحوار لتهيئة الأجواء في مصر. كما يتضح لنا من المقابلة حظوة ومكانة ابن خلدون عند تيمورلنك ولو أنه لم يجرؤ على التعبير عن أدنى معارضة لأعمال تيمورلنك غير الإنسانية كما أرسل تيمور جماعة من قواده يكشفون له الطرق فلما عادوا قصوا عليه ما رأوه وهو يستمع فقال لهم: «إن مصر لا تفتح من البر بل تحتاج إلى أسطول لتفتح من البحر لذلك صرف النظر عن غزوها وهكذا نجت مصر وما إليها من بلاد إفريقية وسلمت الدولة الشركسية»[4].

19- أسباب سقوط بلاد الشام بأيدي تيمورلنك

- سوء الإدارة المملوكية التي كان على رأسها سلطان صغير السن وقليل الخبرة لذا لم تمكنه من الاستفادة من قوة سلطان بغداد أحمد بن أويس وجيشه البالغ سبعة آلاف جندي مدرب هذا من

---

(1) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج7، ص 738. ؛ المقريزي: السلوك، ج3، ق3، ص 1056 ؛ ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج1، ق2، ص 622.

(2) ابن خلدون: التعريف بابن خلدون، ص 378-379.

(3) تاريخ ابن قاضي شهبة، ج 47، ص 262.

(4) كرد علي: خطط الشام، ج2، ص 175.

جهة ورفضه التحالف مع السلطان العثماني بايزيد الأول في قتال تيمور وكان رده عليه فليقاتل عن بلاده ونحن نقاتل عن بلادنا وهذا من جهة ثانية والأكثر غرابة أنه لم يظهر شجاعة في أرض المعركة بل ارتكب خطأً تاريخياً لا يغتفر بترك أرض المعركة والعودة إلى مصر مع جيشه تاركاً بلاد الشام بلا راع.

- الاختلاف في صفوف الدمشقيين بين مؤيد لابن مفلح وجماعته الذين دعوا للسلم وللدخول في طاعة تيمورلنك وبين معارض له يدعو لقتال الغزاة.
- لجوء بعض قادة المماليك إلى تيمورلنك ومساعدته في غزو بلاد الشام نكاية بالمماليك الجراكسة.
- اختلاف موازين القوى من الناحيتين السياسية والعسكرية حيث كان تيمور يمتلك المبادرة السياسية إضافة إلى تفوق جيشه على جيش المماليك وظهر هذا في نجاح تيمور في تحديد مكان وزمان المعركة مع القوات المملوكية في ضواحي دمشق.
- تفكك قوة بلاد الشام وتقاعسها عن الجهاد لأنه ليس من الممكن أن يصل تيمورلنك إلى دمشق مروراً بالنيابات الأخرى التي احتلها دون معرفة قديمة بين أمراء النيابات لو لم يكن لهم غاية في نفس يعقوب ويبدو أن التخاذل كان واضحاً والغاية منه إسقاط الحكم المملوكي في مصر وبلاد الشام مقابل تحقيق بعض الأمراء مكاسب يمنحها لهم تيمورلنك جزاء لخدمتهم له.

20 – آثار الغزو التيموري على بلاد الشام

لا شك أن الغزو التيموري على بلاد الشام ترك آثارٌ ونتائج بالغة السوء على جميع الصعد السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعمرانية. ففي الجانب الاقتصادي زاد انحطاط القيمة النقدية المتداولة في أسواقها وانعدامها من محلاتها التجارية نتيجة أعمال النهب التي شنها العساكر التيمورية للدراهم والدنانير مما أدى إلى اختلال نظام التوازن النقدي في مصر والشام[1].

كما تضررت حركة التجارة أبلغ الضرر حيث كان عدد كبير من سكان الشام في حلب ودمشق وحماة يزاولون مهنة التجارة فقام الجيش التيموري بتدمير الأسواق والمحلات التجارية بصورة همجية فتوقفت الحركة التجارية ما بين مدن الشام وغيرها. كما تعرضت القوافل التجارية الخارجية للسلب والنهب من قبل العربان وقطاع الطرق ومما زاد في سوء الحياة الاقتصادية ما فعله تيمورلنك باصطحابه الصناع والتجار والفنانين إلى سمرقند[2].

---

(1) المقريزي: السلوك، ج3، ق3، ص 1049 ؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 615.

(2) يزدي: ظفر نامة، ج2، ص 334–335 ؛ الصيرفي: نزهة النفوس، ج2، ص 92. ؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج4، ص 118. ؛ إسماعيل: الآثار الاجتماعية والاقتصادية للحملات المغولية على بلاد الشام، ص 70.

كما أن النشاط الزراعي أخذ في الانحسار وتدهورت الزراعة لسنوات طويلة نتيجة الإبادة الجماعية التي قام بها تيمورلنك للإنسان والأرض وإحراق الكثير من المزارع وقتل أعداد كبيرة من المزارعين فارتفعت الأسعار بصورة عالية وبلغ ثمن المد من القمح وهو أربعة أقداح أربعين درهما فضة[1].

ويروي ابن قاضي شهبه: «ومن يوم هرب السلطان لم يرَ أحد خبزاً في فرن ولا يوجد القمح والشعير إلا بغزة فإنهم لما تسلموا البلد ختموا على جميع الحواصل الذي به للغائبين والحاضرين»[2]. ورافق رحيل تيمور حلول المصيبة الأخرى بالشام التي تمثلت بانتشار الجراد في المدينة وأحيائها والذي لم يبق أخضر ولا يابساً وقد ترتب على ذلك خلق أزمة اقتصادية لدى الدمشقيين نتج عنها انتكاس جميع المحاصيل الزراعية. وترتب على هذا بطبيعة الحال زيادة هائلة في أسعار المواد التموينية كالقمح الذي بُيع المُدُ منهُ بأربعين درهماً[3] عندها لجأ أهل دمشق إلى أكل الجراد وجعلوه طعاماً بديلاً من شدة الجوع والفقر الذي أصابهم وذهب ضحيته عدد من أبنائهم حتى معظم أعيانها اضطروا إلى بيع ما عليهم من الثياب العتيقة لأجل شراء الجراد الذي بلغ الرطل منه أربعة دراهم ونصف الدرهم[4] بل إن هذه الحالة التي دفعت تيمورلنك للرحيل عن دمشق بسبب حرصه على سلامة أفراد جيشه إذ خشى عليهم من الهلاك جوعاً[5].

كما أصيب النشاط الصناعي بتدهور شديد كان من أهم مظاهره الارتفاع الهائل في أسعار السلع الصناعية في بلاد الشام[6].

ويصف لنا الحالة الاقتصادية لدمشق شاهد عيان هو التاجر الإيطالي ميجنانللي بقوله «ومن الحقائق المقررة أن النار ظلت تضطرم في دمشق بضراوة لمدة تسعة أشهر بعد رحيل تيمور ولقد شهدت ذلك بنفسي فلم يبق لديهم ما يقتاتونه لأن كل شيء نالته يد التدمير وتأتي إليهم المؤن من مسافات بعيدة فضلاً عن ذلك أرسل الله عليهم أسراباً من الجراد الملتهم وقد حدث هذا في شهري آذار ونيسان بعد رحيل تيمور الذي غادر دمشق في شهر آذار لذلك تضور أهل دمشق المساكين من

---

(1) المقريزي: السلوك، ج3، ق3، ص 1048 ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج12، ص 192.

(2) ابن قاضي شهبة: الإعلام بتاريخ أهل الإسلام، تحقيق حسن عبد الرحيم سليمان، رسالة ماجستير، كلية الآداب جامعة عين شمس، القاهرة، 1971، ص 224.

(3) ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص 158 ؛ المقريزي: السلوك، ج3، ق3، ص1064. ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج12، ص200.

(4) ابن جحي: الذيل على تاريخ ابن كثير، ص 244. ؛ ابن حجر: أبناء الغمر، ج4، ص 209 ؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 623.

(5) كرد علي: خطط الشام، ج2، ص 175.

(6) أحمد: الغزو التيموري لبلاد الشام وآثاره، ص 32.

الجوع بشكل يصعب تصديقه وانعدمت لديهم كل وسائل العيش ولهذا هلك كثير من الناس بسبب العوز والجوع والبؤس حتى إن الهواء تلوث بالروائح النتنة نتيجة لتعفن الجثث في الطرقات والدروب لأن الموتى لم يجدوا من يدفنهم ولم يعد بإمكان أحد العيش في أي مكان باستثناء الحصون التي لم تحترق وخارت قواي الجسدية والعقلية من روائح الجثث المهترئة ومن الاضطرابات الشديدة ولم أعد استطيع أن آكل شيئاً أو أنام من شدة الرعب»[1].

لقد شكل الغزو التيموري على بلاد الشام تهديداً مباشراً لطبيعة التركيبة السكانية والتوزيع الديمغرافي إذ نتج عنه أيضاً انخفاض في عدد السكان جراء أعمال القتل والتعذيب حيث أقام تيمور من رؤوس القتلى المآذن والأبراج[2] ولا سيما في حلب ودمشق ولم تسلم من بطش وتنكيل تيمورلنك غير مدينة حمص.

كما أدى الغزو التيموري إلى هجرة أعداد كثيرة من السكان إلى المدن الشامية الأخرى مثل أذرعات وعجلون وغيرهما[3] لأنها أكثر تحصيناً وبعداً ومنهم من ذهب إلى الحصون والمناطق النائية وأغلبهم ساروا نحو الديار المصرية[4] وقد وصف الصيرفي ذلك بقوله: «إن غالب أهل الرملة وغزة والقدس ودمشق وصفد وحماة وطرابلس قدموا إلى الديار المصرية وتركوا أولادهم وأوطانهم وأموالهم خوفاً من تيمورلنك فمنهم من جاء حافياً عارياً ومنهم من جاء عليه قميص واحد على بدنه في البرد الشديد بعد ما كان من الخير والعز الشديد»[5] كما أثر الغزو التيموري على الحياة الفكرية فكسد النشاط الثقافي لفقدان الأمن والاستقرار وقد مات عدد من العلماء إبان هذا الغزو[6] وهاجرت مجموعة أخرى إلى أماكن أكثر أمناً واستقراراً ولم تسلم المدارس والمعاهد والمكتبات من عبث الغزاة.

كما أسفر هذا الغزو عن اضطراب الأوضاع السياسية ولا سيما في الشام ومصر وقبول السلطان فرج بالصلح مع تيمور وإعلان التبعية له بذكر اسمه في الخطبة وعلى النقود وبدفع ضريبة سنوية له.

---

(1) وصف خراب دمشق، ج47، ص 441-442.

(2) ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص 124-152؛ المقريزي: السلوك، ج3، ق3، ص 1051. ؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 637.

(3) مجهول: قطعة من تاريخ القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي، يوجد نسخة من المخطوط في الجامعة الأردنية في مركز الوثائق والمخطوطات تحت رقم 4125 ورقة 243ب.

(4) المقريزي: السلوك، ج3، ق3، ص 151.

(5) نزهة النفوس والأبدان، ج2، ص 97.

(6) ابن حجي: الذيل على تاريخ ابن كثير، ص 184-231. ؛ السخاوي في الضوء اللامع، الموسوعة زكار، ج47، ص 406-407.

الفصل الخامس

تيمورلنك وعلاقته بالدولة العثمانية وأهم تنظيماته الإدارية والعسكرية

أولاً: علاقة الدولة العثمانية بتيمور لنك

أ- أوضاع الدولة العثمانية قبيل في عهد بايزيد الأول قبل الغزو التيموري

ب- استعداد العثمانيين للقتال

ج- التخطيط لمعركة أنقرة

د - أحداث معركة أنقرة

هـ- نتائج المعركة

ثانيا: تنظيمات الدولة التيمورية

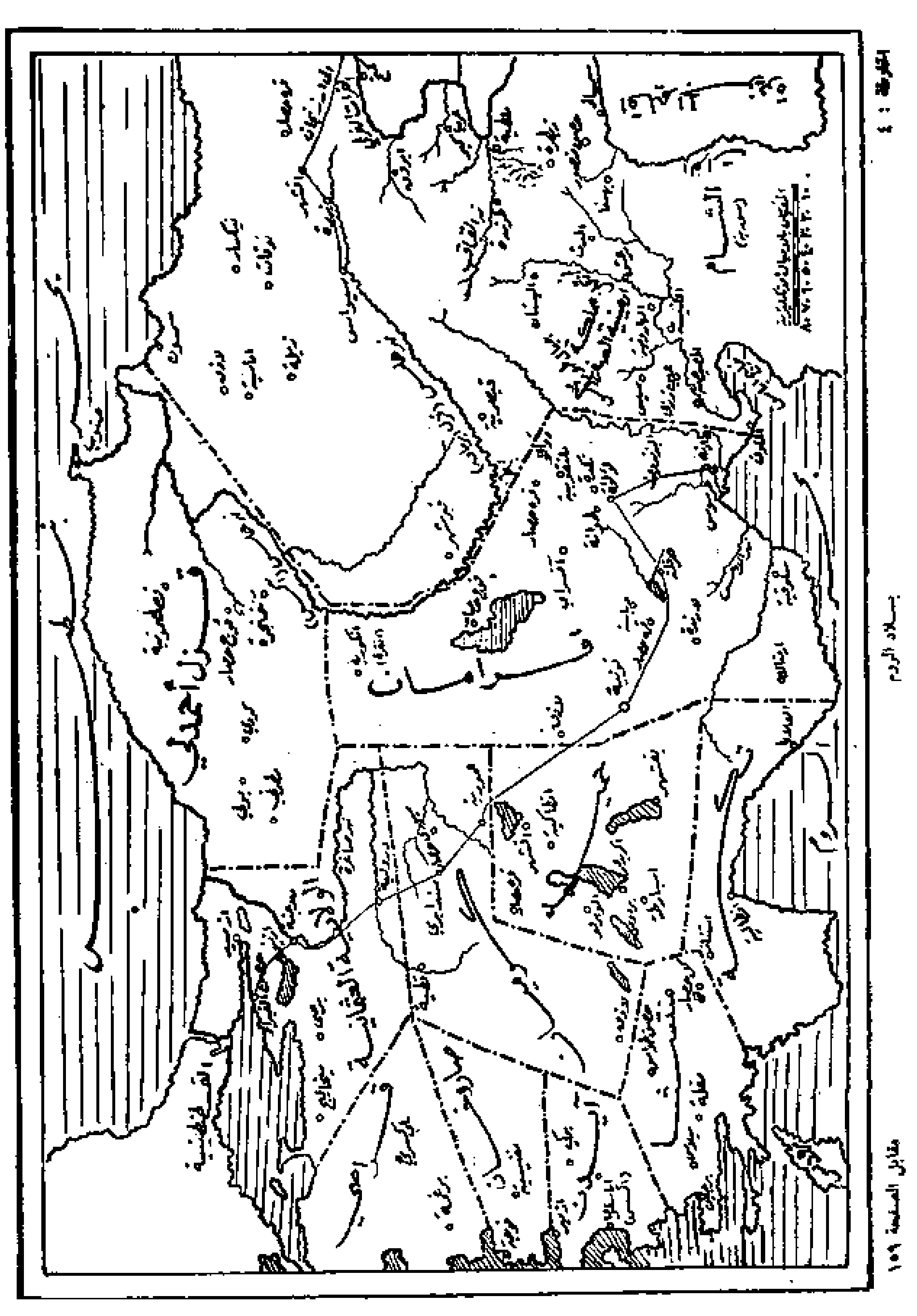
أ- التنظيمات الادارية

ب- التنظيمات العسكرية

الملاحق

المصادر والمراجع

الملخص باللغة الإنكليزية



كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص159.

العلاقات بين الدولة العثمانية الناشئة وتيمورلنك:

أ ـ أوضاع الدولة العثمانية في عهد بايزيد الأول قبل الغزو التيموري:

ولد بايزيد الأول سنة00020.

(761هـ/1360م) واعتلى عرش السلطنة في 19 جمادى الآخرة سنة (791هـ/1389م)[1] بعد والده مراد وكان أول ما فعله هو القيام بإخماد جميع الحركات التمردية التي أعقبت وفاة والده في الأناضول وتخلص من أخيه خشية منافسته في الملك[2]، عرف بين المؤرخين العثمانيين بيلدرم أي الصاعقة، ويمكن إدراك طموحه السياسي والروحي عندما طلب في سنة (797هـ/1394م)[3] من الخليفة العباسي في القاهرة أن يلقبه سلطان الروم[4]. كما وجه اهتماماً خاصاً إلى الجيش المشاة الانكشارية، والخيالة الخفيفة وجعله في حالة استعداد تام ورسخ روح الانضباط الصارم في صفوفه[5]، ونجح في دفع الإمبراطور الباسيليوسي نسبة إلى آل باسيليوس الجديد في القسطنطينية مانويل الثاني باليوجس الضريبة وأن يسمح للتجار ورجال الدين الأتراك بأن يقيموا في المدينة[6]، كما عمل للسيطرة على بلغاريا، وألبانيا، وبلاد المورة Morea موقعاً الهزيمة في نيكوبوليس[7] بحملة صليبية نظمتها فرنسا والمجر ومانويل الثاني والفرسان الاسبتارية للقديس يوحنا ببيت المقدس وفي سنة (800هـ/1397م) حاصر القسطنطينية محاولاً إسقاطها بواسطة المجاعة لأن العثمانيين لم يمتلكوا الوسائل التقنية الضرورية لفتح الأسوار الشاهقة التي حمت المدينة[8] حينها ظهرت الدعوة الصليبية المضادة للأتراك في عموم أوروبا فقدمت المعاونة مما زاد من قدرتها على المقاومة والصمود على الرغم أنه كان يوجد خلاف بين الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة الأرثوذكسية في الوقت

---

(1)Houtsma, M. Th. Art, Bayazid, EI2, T. I, P. 702.

(2)Grousset, R. L'Empire des steppes, 4 éme dition, Payot, Paris, 1980, p, 529.

(3) حليم، ابراهيم بك: تاريخ الدولة العثمانية، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 1421هـ/2000م، ص69.

(4) بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه فارس ومنير بعلبكي، بيروت، 1968م، ص420. ؛ الخالدي، إسماعيل: العالم الإسلامي والعالم المغولي، مكتبة الفلاح، الكويت، 1984م، ص39.

(5) لامب، تيمورلنك، ص145.

(6)Sykes (p): History of Perasi (tow Volumes) London, 1958, T. II, P130.

الصديق، محمد البكري: المنح الرحمانية في الدولة العثمانية، تحقيق ليلى الصباغ، دار البشائر، دمشق، 1995، ص25.

(7) نيكوبوليس: تقع شمال بلغارا على حدود رومانيا. ؛ فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص141 – 144.

(8)أرسلان، شكيب: تاريخ الدولة العثمانية، جمعه وحققه حسن سويدان، دار ابن كثير، بيروت، دمشق، ط1، 1422هـ/2001، ص66. ؛ آنخل: قدوم الأتراك والمغول، ترجمة إبراهيم سعيد فهيم، معهد التاريخ، مدريد، ص178.

نفسه كانت البندقية وجنوى تتعاملان مع بايزيد كالسيد المقبل للقسطنطينية وبالفعل كان على وشك فتحها في حينها ظهر تيمورلنك من الشرق على مسرح الأحداث مما أجل فتحها لنصف قرن آخر[1].

أوضاع الدولة العثمانية قبيل معركة أنقرة:

كانت الدولة العثمانية قد قطعت في تلك الأونة شوطاً كبيراً في التوسع والامتداد في البر الأوروبي بفضل جيشها الانكشاري القوي، ولاسيما في عهد مؤسسها السلطان مراد الأول (761 – 791هـ/1360 – 1389م) وابنه السلطان بايزيد الأول (791 – 805هـ/ 1389 – 1403م) حيث نجحت حروب هذين السلطانين في أن تضم إلى الدولة العثمانية أجزاء هامة من شبه جزيرة البلقان.

ولم تُسفر صيحات الاستغاثة التي أطلقتها الدولة البيزنطية باتجاه أوروبا إلا عن توجيه حملة من الفرسان الأوروبيين من فرنسا وجنوب ألمانيا، لنجدة الملك الهنغاري سيجيموند وكانت الحملة بمساعي البابا بونيفاس التاسع (771 – 807هـ/1369 – 1404م) الذي كان يعمل على إحياء فكرة الحروب الصليبية وبالفعل زحف الفرنسيون في حملة صليبية للتحالف مع ملك هنغاريا وحدثت معركة Nicoplice على ضفاف الدانوب سنة 798هـ/1396م، انتهت بنصر ساحق حققه بايزيد على الجيوش الأوروبية وإلى ضم العثمانيين المزيد من أراضي هنغاريا إلى سلطتهم[2]، كما توسع نحو الغرب لبسط سلطته على الإمارات التركية في الأناضول ونتيجة لهذه الأعمال أصبح يحكم دولة كبيرة تمتد من ساحل بحر الأدرياتيك حتى هضبة أرمينية التي كانت تفصل بين أملاكه وأملاك تيمورلنك، وتأتي أهم دواعي الاصطدام بين تيمورلنك وبايزيد إلى السياسة التي اتبعها كل منهما مع حكام الإمارات الصغيرة التي كانت قائمة بين أملاكهما[3].

---

(1) أرسلان: تاريخ الدولة العثمانية، ص65. ؛ رافق، عبد الكريم: بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت، دمشق، ط1، 1968، ص38. ؛ برجاوي: الإمبراطورية العثمانية، ص44. ؛ آنخل: قدوم الأتراك والمغول، ص178.

(2)Crousset: op. P. 529 – Prawdin: op. cit. P. 243.

كلافيجو: سفارة إلى تيمورلنك (1403 – 1406) ص6. ؛ شهاب: تيمورلنك، ص255.

(3) ابن عربشاه: عجائب المقدور ، ص101.

والأمر الجدير بالاعتبار أن بايزيد الأول قد أوفد من قبله المبعوثين إلى السلطان المملوكي برقوق سنة (796هـ/1394م) بقصد تحذيره من تحركات تيمورلنك[1].

وبالفعل كان هناك قبولٌ وارتياحٌ أبداه المماليك الشراكسة تجاه الانتصارات العثمانية على الأوربيين، وصحيح أيضاً أن السلطتين العثمانية والمماليك الشراكسة كان يجمعهما روح الوفاق في بداية الأمر، وتبادل الهدايا[2]، ويبدو أن هذا التوافق بين العثمانيين والشراكسة يرجع إلى أن هاتين القوتين قد تعرضتا لعدو واحد مشترك وهو تيمورلنك الذي شن غاراته على كثير من أراضي الدولتين.

ويصدق ما ذهبنا إليه على ذلك التقارب الذي نشأ بين السلطان المملوكي برقوق والسلطان العثماني بايزيد الأول من جهة وبينهما وبين زعيم القراقونيلو قرا يوسف ذلك أن الأخير كانت تربطه بتيمورلنك علاقات عدائية وكان من أكبر مظاهرها تعرضه للنفي بأمر من تيمورلنك[3]، ولم يجد مخرجاً أمامه سوى التحالف مع العثمانيين علهم يخرجونه مما هو فيه من ظلم وجور وكان طبيعياً أن يحدث نوع من التحالف بين هذه القوى الثلاث إزاء أطماع تيمورلنك.

وإنّ هذا التقارب لم يمنع سلاطين العثمانيين من أن يتجهوا صوب أراضي الدولة المملوكية لتحقيق أهدافهم التوسعية فقد قاموا بالاستيلاء على مدينة ملطية التابعة لدولة المماليك[4] الأمر الذي جعل السلطان فرج بن برقوق يعلن استياءه إزاء مقاصد العثمانيين التوسعية، ولم يكن الأمر مقصوراً على ذلك بل تطور الأمر حتى رأينا كبار الأمراء في مصر يحذرون السلطان من ذلك الاتجاه العثماني الذي أظهر نواياه العدوانية تجاه المماليك[5].

أمّا تيمورلنك فقد وضع مخططات تهدف إلى إنشاء إمبراطورية كبرى على غرار إمبراطورية جنكيز خان، ومن أجل تحقيق أهدافه في تحقيق إمبراطورية واسعة فقد مد نشاطه العسكري من نهر الفولجا في روسيا حتى دمشق في الشام ناشراً الخراب والدمار والمذابح في كل المناطق التي دخلها. فبعد أن ضم إقليم خوارزم إلى مملكته سنة (781هـ/1380م) شرع في غزو فارس سنة (782هـ/1381م)[6] وواصل حملاته على أذربيجان وجورجيا سنة (788هـ/1386م) واستمر على تلك الحال حتى

(1) عاشور: العصر المملوكي ، ص256.

(2) العيني: عقدة الجمان في تاريخ أهل الزمان، مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم 1584، ج25، ص25، حوادث 803.

(3) القرماني: أخبار الدول وآثار الأول، ص336.

(4) العيني: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، حوادث سنة 803.

(5) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج12، ص174.

(6) البدليسي: شرفنامه، ج2، ص59.

احتلاله في العراق سنة (795هـ/ 1393م) ومنها اتجه صوب أراضي بلاد الشام فاحتلها سنة (803هـ/1400م) [1] ثم غادرها للتحضير لصدام مع السلطان العثماني بايزيد الأول، ولما بلغ تيمورلنك وهو بقراباغ أن بايزيد استولى على أرزنجان وأخذها[2] شكلت أحد من ضمن الأسباب التي أدت إلى المواجهة بين القوتين المغولية والعثمانية لما استقبل تيمورلنك في بلاطه أبناء الأمراء التركمان الذين فقدوا إماراتهم في الأناضول على يد بايزيد حمايته فأجابهم إلى ذلك[3]، وفي هذه الأونة أرسل مانويل إمبراطور القسطنطينية مع زعماء الجنويين المستقرين في بيرا رسائل إلى تيمور يقولون فيها إنه إذا كان على نية القتال مع الأتراك، فإنهم سوف يقدمون له العون بالرجال والغلايين، ووعدوه بشكل أكيد بالقيام مباشرة أو خلال وقت قصير بتسليح سفن الحرب لديهم، ومركزتها في الدردنيل، وبذلك فإن القوات التركية الموجودة في بلاد اليونان وفي تركيا الأوروبية لن تكون قادرة على المرور عائدة إلى آسية الصغرى، وبذلك سوف يكون بإمكان تيمور التعامل بشكل أفضل مع بايزيد وعلاوة على ذلك بعث اليونان إلى تيمور ووعدوه بمبلغ كبير من المال[4] ويبدو أن تيمور قد رحب بهذه الدعوة التي قد تساعده في تحقيق رغبته في الاستيلاء على ممتلكات الإمبراطورية الإيلخانية لأنه كان يعد نفسه الوريث الشرعي لها[5]، وفي الوقت نفسه كان طهارتن صاحب مدينة أرزنجان قد سمع بتيمور وبأعماله الجبارة وكيف خضع له جميع أمراء فارس وبناء عليه أرسل طهارتن رسلاً إلى تيمور مع هدايا ورسائل والتمس منه القدوم لمساعدته ضد الترك وعرض عليه أن يضع نفسه وأراضيه كاملة تحت تصرفه وبخدمته وبناءً على هذا أرسل تيمور رسولاً إلى السلطان بايزيد أخبره فيها بأن الأمير طهارتن أصبح من رعيته وتابعاً له ولذلك لا يمكنه أن يسمح بإلحاق الإهانة به[6].

يضاف إلى ذلك أنه في سنة (802هـ/1399م) لاذ أحمد جلاير حاكم العراق وقرا يوسف التركماني بالفرار من عساكر تيمورلنك والتجأ إلى بلاد السلطان بايزيد حتى بلغا أنقرة وحظيا بمقابلته فأكرم وفادتهما وأقطع أحمد جلاير أموال مقاطعة كوتاهية ليعيش منها وأقطع قرا يوسف أموال مقاطعة آق شهر[7]، ويبدو أن هذا الأخير كان السبب المباشر للحرب بين القوتين الإسلاميتين

---

(1) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج7، ص727 – 728.

(2) ابن الشحنة: روضة ج12، ص197.

(3) مقديش، محمد: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1988م، ج2، ص9. Kaiser Akbar, art. "Bayazid" EI2. T.1. 703.

(4) كلافيجو: سفارة إلى تيمورلنك (1403 – 1406)، ص152. ؛ ميخيل: قدوم الترك والمغول، ص140.

(5) برناردين: الإمبراطوريات الأسيوية في القرن الرابع عشر، ترجمة قاسم عبده قاسم، جامعة نابولي، ص118.

(6) كلافيجو: سفارة إلى تيمور لنك، ص148.

(7) البدليسي: شرفنامه، ج2، ص64 – 65.

الناشئتين حديثاً، فخلال سنة (802هـ/1399م) قام قرا يوسف بالهجوم على قافلة الحجاج المتجهة إلى الحرمين الشريفين وتعدى عليها وأزعجها فجاء آنذاك الناس إلى تيمور وطلبوا حمايته من جرائمه الوحشية ومظالمه في حينها اعتبر تيمور هذا الهجوم كأنه استفزاز لشخصه وأصبح من واجبه القيام بمطاردة قرا يوسف التركماني ومعاقبته وإيقاظ بايزيد من غفلته وتقصيره وإهماله[1]، فأرسل في البداية خطاباً قوياً إلى بايزيد يطلب منه معاقبة المعتدي وتسليمه في حين كان رد بايزيد قاسياً وقوياً حيث قال: «أو يخيفني بهذه الترهات ويستفزني بهذه الخزعبلات أويحسب أنني مثل ملوك الأعاجم أو تتار الدشت الأغتام... وخاطبه بالحرامي وسفاك الدماء رافضاً طلبه..» [2].

ثمة أسباب أخرى منها اقتصادية حيث كان يريد تيمور السيطرة على الطريق الممتد ما بين شمال فارس والأناضول ليربط بين المدن الكبرى في آسيا الوسطى وهو طريق الحرير الذي ينتهي عند تبريز والقسطنطينية في الغرب[3]، ومهما تعددت الأسباب والعوامل فقد كان تيمور يزعم أن الأخرين قد فقدوا حماستهم الدينية وأن عليه إعادتهم إلى جادة الصواب إلا أن قناعته تقول بحسب ما كان يعتقد: «لا يستحق العالم كله حاكمان»[4]، وبالفعل كان يطمح بأن يصبح سيد العالم، ويرى نفسه بوصفه صاحب السلطان المطلق على قبائل الترك أحق بأن يدين الناس له بالولاء من أتباع السلاجقة السابقين[5]، وربما كان يطمع بمنصب الخلافة الإسلامية ونقلها إلى سمرقند.

ب – استعداد العثمانيين للقتال:

شعر بايزيد بالأخطار التي تنتظر بلاده وما حولها من المناطق التابعة للدولة المملوكية ولاسيما بعد أن رفض تسليم أحمد بن أويس الجلائري وقرا يوسف لتيمورلنك اللذين كانا قد لجأ إليه أثناء هروبهما من بغداد بعد سقوطها في أيدي المغول عندها تأكد من أن القتال بينه وبين تيمور واقع لا محالة[6]، وبدأ بالفعل في اتخاذ بعض الإجراءات والتدابير اللازمة لمجابهة تيمور ولاسيما لما اجتاح تيمورلنك سيواس سنة (803هـ/1400م) حينها أرسل بايزيد وفداً إلى سلطان المماليك فرج بن برقوق يحذره من خطر تيمورلنك وفي الوقت نفسه يطلب التحالف بين العثمانيين والمماليك مقدماً عرضاً جاء فيه – أن يتقدم بقواته العثمانية إلى سيواس ليغير على

(1) تيمور: مذكرات تيمور ، ص52 – 53. ؛ الشامي: ظفر نامه، ص248. ؛ البدليسي: شرف نامه، ج1، ص388.

(2) ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص214 – 215.

(3) برناردين: الامبراطورية الأسيوية في القرن الرابع عشر، ص340

(4) بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ص228.

(5) فامبري: تاريخ بخارى، ص234.

(6) بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص420.

مؤخرة عساكر تيمورلنك في الوقت الذي يتصدى فيه نواب السلطان المملوكي في بلاد الشام له من الأمام[1]، فكان رد السلطان المملوكي فرج الرفض حيث قال: (يقاتل هو عن بلاده ونحن نقاتل عن بلادنا ورعيتنا) [2]، ومن هنا يمكن القول إن المصلحة عندئذٍ كانت تقتضي اجتماع الطرفين معاً وتناسي الخلاف لأنه لم يكن باستطاعة تيمور مقاومة الفريقين معاً، وقد ذكر يوسف بن تغري بردي نقلاً عن صديق له من رجال الحكومة هو اسنباي الظاهري الزردكاش أنه وقع أسيراً بيد تيمور فصرّح له الغازي الرّهيب أنه لم يكن يخشى سوى عسكرين فقط، عسكر المماليك وعسكر العثمانيين، يعلق ابن تغري بردي على هذا القول: «فلو اتفق هذان الجيشان أمام جيش تيمورلنك لاستطاعا صده!»، وهذا يُعد من المآخذ التي يراها بعض المؤرخين على السلطان فرج باعتباره أتاح فرصة ذهبية لتيمورلنك لمواجهة كل طرف على حدة، وفي الوقت نفسه فشلت المساعي العثمانية في ترميم الخلاف بين الطرفين وتحسين صورتها أمام المماليك الذين كانوا يتوجسون خيفة منها فينقل العسقلاني رأياً لابن خلدون يقول: ما يخشى على ملك مصر إلا من ابن عثمان[3].

ومن ضمن الإجراءات التي قام بها بايزيد هو رفع الحصار عن القسطنطينية والأمر بحشد كل جيشه والأسطول الأناضولي المؤلف من فرق ايدين Aydin وصرخانديا Sarkhandarya وكاريس Karesi وحميد Hamid وتكا Take وكرمان وجيرميان Germiyan وسيواس والقوات من روملي Rumleia الذين كانوا يحاصرون العاصمة البيزنطية واستدعى الجنود غير النظاميين Timariots والأمراء المسيحيين الأقصال – البلغار والصرب[4]، وشارك خمسة من أولاد بايزيد في معركة أنقرة بما يدل على الأهمية التي أولاها لهذه المعركة.

خطة بايزيد:

1 – حاول نقل المعركة إلى خارج منطقته لمنع تيمورلنك من التوغل في بلاده بهدف تجنيب البلاد الخسارة والخراب مع حلول موسم الحصاد ونضج المحصول[5].

2 – رفع الحصار عن القسطنطينية لكسب ود خصمه التقليدي لبعض الوقت والتفرغ لعدوه الجديد ومحاولة وضع الأوربيين في موقف المحايد[6].

---

(1) ابن دقماق: النفحة المسكية في الدول التركية، ص314.

(2) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج12، ص174 – 175.

(3) ابن حجر: أنباء الغمر في أنباء العمر، تحقيق حسن حبشي، ج1، ص492.

(4) ميخيل: قدوم الترك والمغول، ص183.

(5) ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص173. ؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج4، ص126.

(6) لامب، تيمورلنك، ص144.

3 – جعل معظم قادة عساكره من أولاده لكي يضمن تماسك عساكره وخوفاً من الخيانة والتمرد لأن عساكره كانوا من أعراق مختلفة[1].

4 – دراسة طرق المواصلات بين بلاده وأوروبا وإفريقيا لتأمين الإمدادات اللازمة عند الضرورة.

خطة تيمورلنك:

1 – إرسال عيون لجمع الأخبار عن المنطقة ووضع تصور للمعركة ومعرفة طبيعة الأرض وتقدير الموقف لتفادي التورط والدخول في مغامرة مما يؤدي إلى نتائج سلبية[2].

2 – التمويه والإيهام والتوجه إلى عكس ما تم الإعلان عنه[3]، لغرض إرباك معلومات عدوه وفي الوقت نفسه مفاجأته واستدراجه إلى المكان الملائم المخطط له سلفاً.

3 – التعبئة العامة للعساكر معنوياً ومادياً ونفسياً، بهدف الحرص على تنظيم القوات والزحف نحو العدو بثقة وعزيمة وأن لا يدير رؤوس خيولها ولا يحرفونها عن الاتجاه الذي هي زاحفة عليه[4].

4 – عقد اجتماع الشورى من ذوي الخبرة والدراية لاتخاذ القرار للحرب[5]، وبهذا كان القرار جماعياً ووفق مخطط وتكتيك عسكري وبعيداً عن القرار الفردي الارتجالي وربما يُعد هذا هو سر تفوق تيمورلنك في حروبه المختلفة.

ج – السير للقتال:

على هذا النحو شرع كل واحد منهما في تعبئة وحشد قواته من أجل المعركة لكن استعداد تيمورلنك كان الأفضل والأكثر قوة والأحسن استعداداً للحرب[6]، تحرك بقواته من أرضروم وأرزنجان نحو اجتياح قلعة كماخ[7] الخصبة الواقعة على المجرى الأعلى لنهر الفرات في شوال سنة

---

(1) يزدي: ظفر نامه، ج2، ص306. .Blewis, art "Bayazid" EI2. T. P.703

(2) تيمور: مذكرات تيمور، ص133 – 188. ؛ ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص283. ؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج9، ص100.

(3) ابن عربشاه: عجائب المقدور ، ص60. ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج12، ص210. ؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج9، ص100.

(4) تيمور: مذكرات تيمور، ص128.

(5) ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص283. ؛ ابن حجر: إنباء الغمر، ص17265. ؛ السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ص17302.

(6) كلافيجو: سفارة إلى تيمورلنك، ص152. ؛ بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص422.

(7) تقع قلعة كماخ على مسيرة يوم واحد من أرزنجان، الحموي: معجم البلدان، م4، ص479.

(804هـ/حزيران 1402م)[1] والتي كان قد استولى عليها بايزيد وأعادها إلى صاحبها طهارتن أمير أرزنجان الذي سبق وأن قبل بالحكم العثماني مكرهاً ثم عاد مجدداً إلى متبوعه الأول تيمورلنك[2]، تلا هذا انتقال العسكر التيموري إلى ضواحي سيواس والقيام باحتفال رسمي لقواتها أمام أنظـــار الوفــد العثماني الذي حمل إلى تيمور الرسالة الأخيرة ويبدو أن هذا الاستعراض للقوة العسكرية كان يهدف إلى إرسال تحذير وإرهاب للخصم قبل خوض المعركة الفعليــة وبالفعــل ســمح للوفــد العثمـــاني بالانصراف بعد أن تزوّد برسالة جاء فيها قول تيمور إن مملكة بايزيد هي مملكة غزو وجهاد ولذلك فهي عزيزة علينا وأن قواتنا التي تشكو الآن التعب تريد العبور من هذه البلاد للجهاد ولذلك فإن من واجب بايزيد أن يتساهل ويسلك مع هذه القوات العابرة طريق المجاملة مما ســيؤدي إلـــى انطفـــاء العداوة[3]، والذي يبدو من هذه الرسالة هو إخفاء النوايا الحقيقية لتيمور محاولاً كسب ود العثمـــانيين بينما بايزيد لما اطلع على أخبار تيمور واحتلاله لبعض أقاليمه وضع جانباً وعلى الفور الأعمال التي كانت بين يديه وحمل نفسه وتوجه أولاً إلى أنقرة حيث كانت هناك قلعة حصينة كان قد خزن ذخائره فيها للحرب وإمداداته ومن ثم زحف مسرعاً يريد الالتقاء بتيمور وما إن سمع تيمورلنك بتحرك بايزيد ترك الطريق الذي كان يسير عليه وانعطف نحو اليسار جنوباً للسير بين الجبال ووصل بايزيد إلـــى حيث اعتقد أنه سيجد تيمور لكنه عرف حينها أن تيمور قد غير طريقه وبتهور تصور أن تيمور قـــد لجأ إلى الفرار ولذلك سار خلفه بكل سرعة ممكنة غير أن تيمور بقي على طريقه خلال تلك المنطقة الجبلية وتابع ببراعة التقدم نحو الأمام متجنباً التصادم مع الأتراك والاشتباك ثم انعطف عائـــداً إلـــى السهل وزحف مباشرة نحو أنقرة حيث كان بايزيد قد ترك أثقاله وذخائره وحينها أدرك بايزيـــد بـــأن عدوه قد نجا منه بمكره وخداعه وهنا عبثاً زحف مسرعاً ليلتقي به قبل أن يصل إلى قلعة أنقـــرة[4]، ولما علم تيمور باقتراب بايزيد من أنقرة رفع الحصار عنها وانسحب إلى سهل جبوق جـــاعلاً نهـــر قزيل أمراق حداً فاصلاً بينه وبين عدوه[5]. ثم قام بردم كل منابع المياه الموجودة في الأطراف التي يمكن أن يستفيد منها عساكر بايزيد[6] كما عمل على نهب البلاد وإتلاف المزروعات التي كانت تمر بها بحجة جمع الأعلاف اللازمة للخيول[7] بالإضافة إلى كل هذا قام تيمور بمراســـلة التتـــار فـــي

---

(1) ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص167 – 168؛ يزدي: ظفر نامه، ج2، ص293.

(2) كلافيجو: سفارة إلى تيمورلنك، ص146 – 147.

(3) يزدي: ظفرنامه، ج2، ص296.

(4) كلافيجو: سفارة إلى تيمورلنك (1403 – 1406)، ص153؛ يزدي: ظفرنامـــه، ج2، ص298؛ ابـــن تغـــري بردي: النجوم الزاهرة، ج12، ص210.

(5) يزدي: ظفرنامة، ج2، ص298؛ ابن عربشاه: عجائب، ص175.

(6) الإنترنت: www.google.com. معركة أنقره.

(7) تيمور: مذكرات تيمور، ص53؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج4، ص126 – 127.

الأناضول قائلاً لهم نحن من جنس واحد وهؤلاء تركمان نرفعهم من بيننا ويكون لكم بـــلاد الـــروم فانخدعوا له ووعدوه أنهم عند اللقاء يكونون معه[1].

وبالفعل تعرض بايزيد للانتقاد لاستخدامه عساكر الإمارات العثمانية الأناضولية القديمة لعـــدم ولائها المطلق[2]، أما العساكر المسيحية الإضافية فلم تدخل المعركة تحت لـــواء بايزيـــد إلا علـــى كره[3].

اختلفت المصادر في رواياتها حول عدد المعسكرين المتحاربين فقد قدّر البعض منهـــا عـــدد القوات المتحاربة بمليون فارس[4]، أما تيمور فقد ذكر في مذكراته أنّ عـــدد قـــوات بايزيـــد تقـــدر بأربعمائة ألف رجل ما بين فارس وراجل[5]، في الوقت الذي قدر فيـــه شـــيلتبرجر الـــذي حـــضر المعركة مع الجانب العثماني بستمائة ألف فارس[6]، وقدر ابن الشحنة قوات تيمور في بـــلاد الـــشام بثمانمائة ألف فارس[7]، أما ابن خلدون فقد قدرهم في سياق حديثه عن المغول وقدر قـــواتهم بـــألف ألف أي مليون [8]، وقدرت بعض المصادر عدد قوات العثمانيين بمائـــة وعـــشرين ألـــف وقـــوات تيمورلنك بسبعمائة ألف[9]، ومهما يكون من أمر فهناك مبالغة كبيرة في هذه التقديرات.

---

(1) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج4، ص126.

(2)Grosset: L'Empir des Steppes. P. 529.

(3) بركلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص422.

(4) المقريزي: كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، ج2، ص411؛ ستوف، فلاديمير: حياة جنكيز خان، ترجمة سعد الغامدي، الرياض، 1983م، ص170.

(5) تيمور: مذكرات تيمور مدبر العالم، ص53.

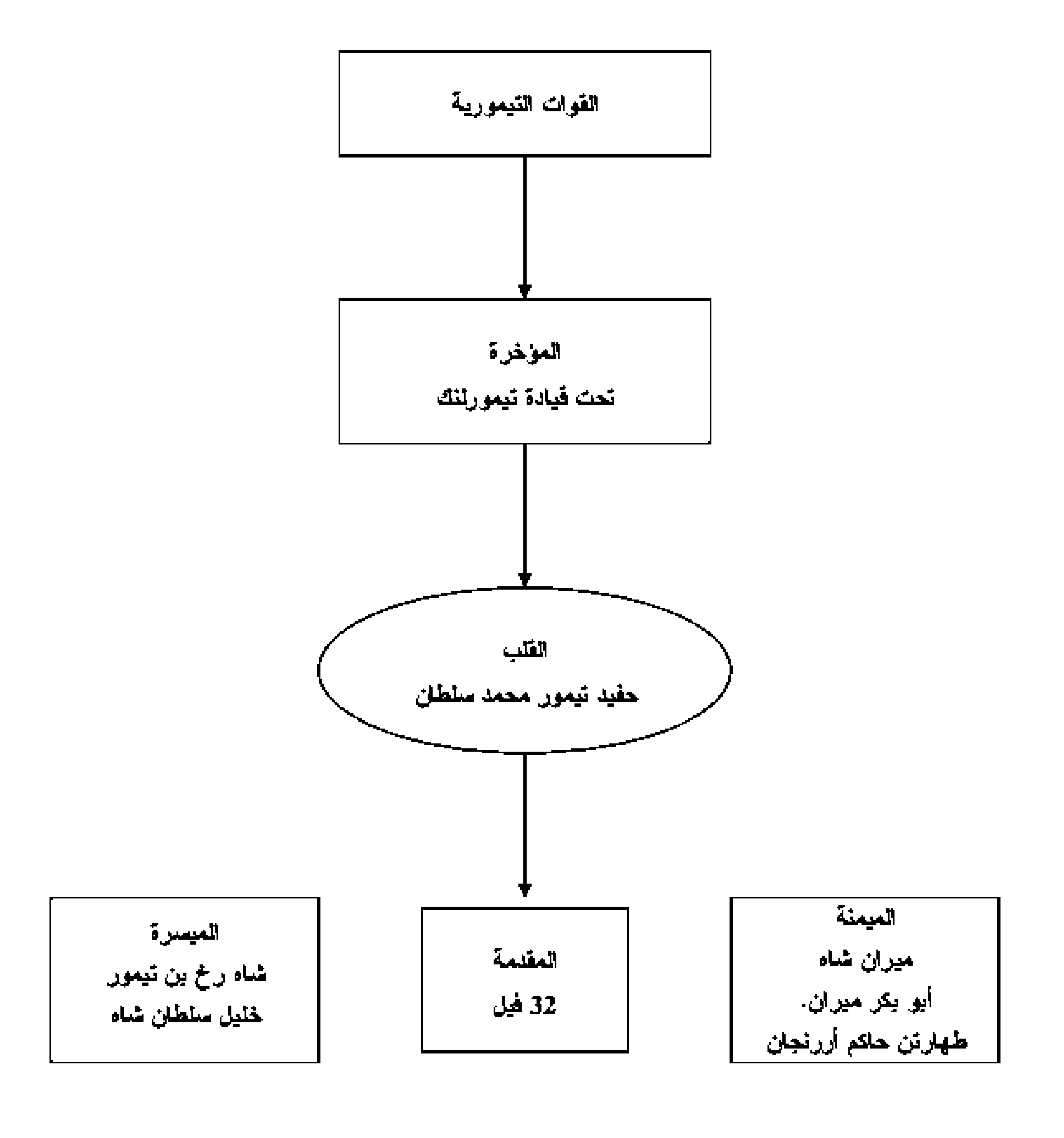
(6) شهاب: تيمورلنك، ص349.

(7) ابن الشحنة: روضة الناظر، ج12، ص190.

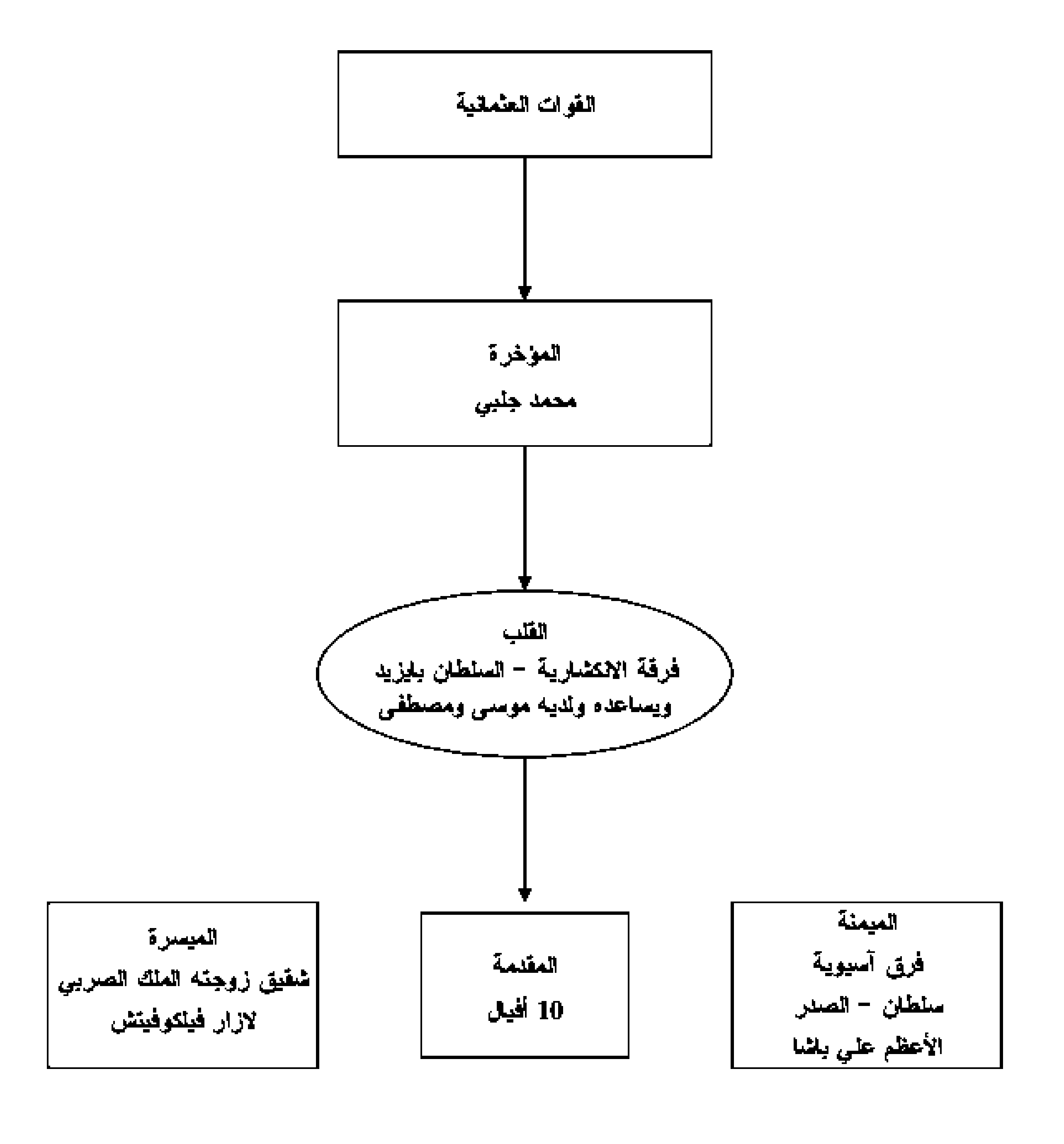
(8) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج7، ص741.

(9) حليم، ابراهيم بك: تاريخ الدولة العثمانية، ص70؛ الجوابرة: موسوعة الخلفاء، دار الـــصفا للنـــشر والتوزيـــع، عمان، ط1، ص2004م، ج2، ص196؛ لامب: تيمورلنك، ص144.

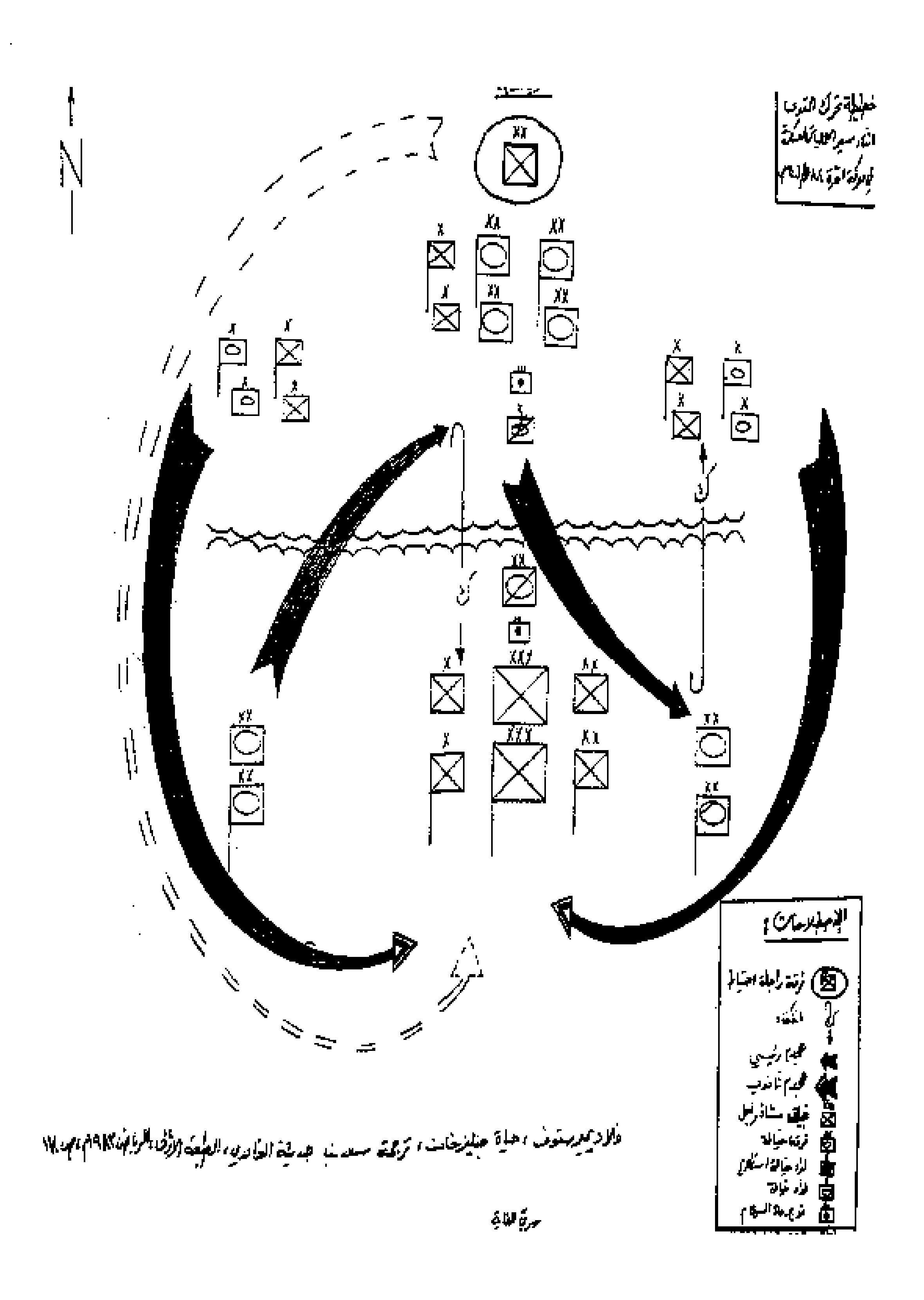
ترتيب القوات التيمورية:



ترتيب القوات العثمانية:



خطة تحرك القوى أثناء سير العمليات العسكرية في معركة أنقرة سنة 804هـ/1402م:



د – **أحداث المعركة:**

بدأت معركة أنقرة في فجر يوم 27 ذي الحجة سنة 804هـ/تموز 1402م، واستمرت حتى المساء[1]، كان تيمور يخشى من المعركة مع بايزيد لذلك قضى ليلة المعركة في التفكير والتضرع وفي الصباح أشرف بنفسه على ترتيب عساكره[2]، عندها سلم بايزيد للأمر الواقع حيث وجد نفسه مرغماً على خوض المعركة في أرض مكشوفة لم يكن يحسب لها حساباً ربما يعود لتقصير جواسيسه[3]، وعماله في كشف خطة تيمور الحربية قبل تطبيقها[4]، وكانت عساكره متعبة ومنهكة بعدما استدرجه تيمور عبر طريق ملتوية استغرقه في الوصول إلى أنقرة أسبوعاً كاملاً[5]، حينها ظهرت حنكة تيمور في تقدير الموقف ومعرفة جغرافية الأرض فقرر أن يتخذ لعساكره مكاناً ملائماً بالقرب من أنقرة حيث المرعى والكلأ والماء[6]، وهذا ينم عن الخبرة العسكرية التي كانت تتحلى بها القيادة التيمورية علاوة عن الانضباط والطاعة العمياء.

ويروي تيمور في مذكراته أنه أثناء اشتباكه مع بايزيد قد أمر ميران شاه قائد ميمنة قواته أن يزحف مباشرة على ميسره عساكر بايزيد وأمر سلطان محمود خان وسليمان اللذين كانا يقودان ميسرته بأن يهاجما ميمنة عساكر بايزيد وأصدر توجيهاته إلى أمير زاده أبي بكر الذي كان قائد الاحتياط في الميمنة بأن يزحف ويهاجم فوج بايزيد الذي كان متمركزاً فوق مكان مرتفع وأخيراً قام هو بنفسه مع قواته بالهجوم الشامل[7].

حينها كانت القيادة العثمانية تعاني من التفكك وعدم الانسجام في التخطيط للمعركة وكان يعوزهم في حربهم هذه ضد إخوانهم في الإسلام تلك الحماسة الدينية التي ألهبت نفوسهم في الحروب الأخرى التي خاضوها ضد أوروبا بمقدرة وشجاعة فائقتين شهدت لها المصادر الأوروبية علاوة عن هذا لم تدخل العساكر المسيحية الإضافية المعركة تحت لواء بايزيد إلا على كره[8]، وفوق هذا انفصال طوائف كرميان ومنتشالو[1] عن عساكر بايزيد والتحقت بعساكر تيمور

---

(1) ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص177؛ يزدي: ظفر نامه، ج2، ص314؛ البدليسي: شرفنامه، ج2، ص64 ؛ أقبال: تاريخ إيران، ص606.

(2) الشامي: ظفر نامه، ص255 ؛ يزدي: ظفرنامة، ج2، ص305.

(3) برجاوي: الإمبراطورية العثمانية، ص46. Houtsma, art. "Bayazid" EI2, T. I, P. 702.

(4) ستوف: حياة جنكيز خان، ص170.

(5) لامب: تيمورلنك، ص148 ؛ حطيط: حروب المغول، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1994، ص117.

(6) ستوف: حياة جنكيز خان، ص170.

(7) تيمور: مذكرات تيمور مدبر العالم، ص138.

(8) بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص422.

مما أضعف قوة بايزيد وفتور همتها ومن ثم هرب ابنه سليمان بعساكره وقصد مدينة برصا[2]، مما زاد في ارتباك عساكر بايزيد ولم يبقَ معه إلا نحو خمسة آلاف[3]، ولاسيما بعد فرار القوات الصربية أيضاً فغضب بايزيد وقامت قيامته لهذه الحال وقرر الاستمرار في الحرب بتهور دون تقدير للنتائج[4]، كما أساء توزيع جنده فلحقت به الهزيمة القاسية بعد أن استمات في القتال وبشجاعة فائقة بروايات المصادر الرسمية[5].

أما موسى الابن الثاني لبايزيد فقد كان حذراً في موقعه وسط عساكر والده وفضل أن يكون مجرى المعركة أمام صفوفه فيستدرج قوات العدو نحوه لا أن يتقدم إليها إلا أن مقتل بيتربيز لازاروس[6] وفرار عساكره الصربيين حالا دون ذلك، مما أرغم فوج سليمان على التراجع عندها قامت ميمنة المغول وميسرته بتطويق العساكر العثمانية كفكي كماشة وحاصروهم وفي الوقت نفسه كانت أفيال المغول تثير الرعب في نفوس العثمانيين[7]، ويمكن القول إن المغول طبقوا المبدأ القتالي المعروف وهو التراجع للوسط ثم التطويق والإطباق من الجانبين.

ولما رأى بايزيد كيفية تطور مسار المعركة ووصول النجدات المغولية أدرك صعوبة الوضع واستولى عليه اليأس ولاسيما بعد أن صرع حصانه ولم يعد بإمكانه الفرار عبر صفوف أعدائه[8]، وبدأ الوهن يصيبه وعساكره فلم يكن أمامه إلا أن اتخذ قراراً بالهجوم العام على أعدائه إلا أن

---

(1) كرميان: عشيرةٌ سكنت بجوار ملطيه وانتقلت إلى أنقرة وكوتاهيه وأول أمير منهم مظفر الدين غليشير ؛ أدهم، خليل: دول إسلامية، مطبعة استانبول 1928م، ص292 ؛ بنومنتيشا: أقاموا لهم دولة حوالي سنة (700هـ/1300م) أثناء انهيار دولة سلاجقة الروم في إقليم قاريا والذي يعرف حالياً بولاية منتشا ؛ أدهم: دول إسلامية، ص283.

(2) برصا أو بروصا: مدينة كبيرة في شمال بلاد الروم كانت مقر أولاد عثمان، انظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص326.

(3) ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص176 ؛ البدليسي: شرف نامه، ج2، ص64 ؛ بن تغري بردي: المنهل الصافي، ج4، ص127 ؛ البكري الصديق: المنح الرحمانية في الدولة العثمانية، تحقيق ليلى الصباغ، ص26.

(4) علي، رشاد: تاريخ عمومي، استانبول، 1348هـ، ص309 ؛ شهاب: تيمورلنك، ص347.

(5) كامل باشا: تاريخ سياسي دولة عليه عثمانية، بدون تاريخ طبعه، ص50 ؛ ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص177 ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج2، ص210 ؛ الصدقي: تاريخ دول الإسلام، مطبعة الهلال، مصر، 1325هـ/1907م، ج2، ص295 ؛ دائرة المعارف الإسلامية، م6، ص162.

(6) بيتر بيز لازاروس – لم أجد له تعريف بين المصادر التي لدي.

(7) ابن اياس: بدائع الزهور، ص659 – 660 ؛ لامب: جنكيز خان، ص68 – 71.

Hotsma, art "Bayazid" EI2. T. I, P. 703.

(8) مصطفى: موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها، ج3، ص1440.

الإخفاق كان نصيبه[1]، فقبض عليه أسيراً مع ابنه موسى دون أبنائه الآخرين سليمان ومحمد عيسى الذين نجحوا في الفرار[2].

وهكذا انتصر تيمور وأصيبت الدولة العثمانية بنكبة أوقفتها مؤقتاً عن النمو ودخل تيمور مدينة أنقرة وأرسل فرقاً من عساكره إلى مناطق على البحر لاجتياحها.

ويقال أن بايزيد أوصى تيمور بثلاث وصايا لما كان في أسره لإدارة البلاد:

1 – أن لا يهدم القلاع والحصون لأنها معاقل المسلمين والمجاهدين.

2 – أن لا ينكّل بالعثمانيين فإنهم ردءٌ في الإسلام، ولن يستفيد من هذا العمل إلا البيزنطيون وحلفاؤهم.

3 – أن لا يترك التتار بهذه البلاد فإنهم من أهل الفساد وأن لا يأمن لهم[3].

فقبل وصيته في الأمور الثلاثة وعمل حيلة قتل فيها غالب رجال التتار[4]، ويروى أنه أرجعهم إلى بلادهم وشتت بهم[5].

هذا وقد اختلفت المصادر التاريخية حول معاملة تيمور للسلطان بايزيد الأول حيث ذهب البعض منها إلى القول إن تيمور أكرمه وأحسن معاملته وأسف لموته في آق شهر بالأناضول في 14 شعبان 805هـ/9 آذار 1402م[6].

أمّا البعض الآخر فيقول إن تيمور وضع بايزيد مكبلاً في قفص من الحديد وأساء إليه فكانت مصدر ألم نفسي له فأخذت صحته في التدهور وأصيب بمرض ضيق التنفس[7]، وربما تعود حالته النفسية نتيجة لما كان يعانيه من حزن وقهر وشعور بالخجل لاسيما لما رأى زوجته وحاشيته يعملن كساقيات لتيمورلنك في مجالسه[8]، إضافة إلى الأخبار التي كانت تصله عن أبنائه ومنازعاتهم[9].

---

(1) القرماني، أخبار الدول وآثار الأوّل، م2، ص504 ؛ لامب: تيمورلنك، ص150.

(2) ابن عربشاه، عجائب المقدور، ص180.

(3) ابن عربشاه: المصدر السالف، ص192 – 193 ؛ القرماني: أخبار الدول، م4، ص504 ؛ مقديش: نزهة الأنظار، ج2، ص11.

(4) العسقلاني: أنبا الغمر، ج2، ص269 ؛ العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، ج2، ص256.

(5) يزدي: ظفر نامه، ج2، ص358.

(6) يزدي: المصدر السالف، ج2، ص349 ؛ ميخيل: قدوم الترك والمغول، ص183 ؛ دائرة المعارف الإسلامية، م6، ص162.

(7) ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج4، ص128.

(8) لامب: تيمورلنك، ص151.

(9) البدليسي: شرفنامه، ج2، ص64.

وثمة أسباب عديدة لهزيمة بايزيد منها اعتزازه العميق بالقوة العددية العسكرية الضخمة لديه فضلاً عن الثقة الزائدة بالنفس والتي تجلت في الاحتفالات والولائم باعتبار أن النصر قادم لا محالة[1]، سوء تقدير عيونه الاستكشافية المتقدمة لحركة الجيش التيموري كان له بالغ الأثر في تحديد نتيجة المعركة وكان التقويم الخاطئ من جانب سليمان بن بايزيد بشأن المعركة القادمة بين كل من والده وتيمور وجهل بايزيد بدهاء تيمور العسكري والإرباك العميق الناتج عن جهله لحركات تيمور الميدانية كلها أثرت في معنوياته وقدرته على المناورة.

وكان للنقص في التزود بالطعام والشراب لوجود جيش تيمور حائلاً بين جيشه ونهر هاليس والمناطق الزراعية وإقدامه على إحراق السهول ذات العشب خلفه أثناء التقدم كان له بالغ الأثر في خسارة بايزيد المعركة علاوة عن فقدان الوحدة الداخلية في صفوف جيشه ووجد تيارٌ من بين الأمراء العثمانيين يخالف نشوب الحرب ويعارضها ويرى أنه من الأجدى والأفضل حل المسألة بالطرق السلمية من خلال التضحية بالتنازلات السياسية وتيارٌ آخر يؤيد خوض هذه الحرب[2]، وانضمام قوات الإمارات التركية التي انضوت قبل برهة وجيزة تحت لواء الحكم العثماني لما شاهدت هذه القوات أمراءها السابقين يقاتلون في جيش تيمور وزاد الأمور سوءاً فرار القوات الصربية[3]، وانسحاب التتر من صفوف العثمانيين وهي جماعات من التتار استقرت في بعض مناطق آسية الصغرى منذ أيام الغزو المغولي[4].

أسباب انتصار تيمور:

1 – قدرة تيمور العسكرية والخبرة في المناورة والتي كان لها بالغ الأثر في خداع بايزيد وإدخاله في معارك فرعية أثرت على قوة عساكره.

2 – الحنكة السياسية لتيمور في إدارة الصراع من الناحية السياسية بالحديث عن السلم والمصالحة كان لها دور في التأثير على تيار داخل الصف العثماني.

3 – المهارة الاحترافية لعيون تيمور والقدرة الأمنية التي أعجزت بايزيد عن اكتشاف مراكز عساكره مما أدى إلى إنهاك عساكره من السفر.

---

(1) العسلي، بسام: الفاتح القائد، دار النفائس، ط1، بيروت، 1986م، ص208 ؛ الجمل: الفن العسكري المغولي، ص208.

(2) Crousset, L'Empir des Steppes, P. 532.

(3) كامل باشا: تاريخ سياسي دولة علية عثمانية، ص50 ؛ رشاد علي: تاريخ عمومي، ص309 ؛ شهاب: تيمورلنك، ص347.

(4) ابن عربشاه: عجائب المقدور في نوائب تيمور، 176.

4 – نقل المعركة إلى داخل أرض الخصم والتوغل في أراضيه فأثر معنوياً ونفسياً في جيش بايزيد.

5 – الخطة العسكرية المبنية على نظرية استدراج الخصم إلى أرض المعركة المحددة سلفاً والتي تعد النصر الأول على العدو[1].

هـ – نتائج معركة أنقرة:

إن انتصار تيمورلنك في معركة أنقرة سنة (804هـ/1402م) تعد من أكثر الحروب تأثيراً في تلك الحقبة أتاح للإمبراطورية البيزنطية مدة إضافية من الحياة بلغت زهاء خمسين سنة[2].

لما اضطر بايزيد أن يرفع الحصار عن القسطنطينية وكاد سقوطها يقع خلال فترة وجيزة بحسب رأي بعض المصادر التاريخية[3]، حينها كانت الإمبراطورية البيزنطية المستفيدة الوحيدة من انتصار تيمورلنك لذلك سارع إمبراطور بيزنطة مانويل باليولوغ بالعودة إلى بلاده بعد أن غاب عنها ثلاث سنوات وهو يستجدي ملوك أوروبا دون أن يحظى منهم بما كان يأمل به من مساعدات[4].

وكان لهزيمة العثمانيين صداها الواسع ولاسيما في أوروبا حيث سارعت بعض الدول الأوروبية التي كانت تخشى من عواقب التوسع العثماني في هذه القارة إلى تنشيط علاقاتها مع تيمور فقد أرسل ملكا فرنسا وإنكلترا التهاني لتيمور بهذا النصر وأوفد الملك الإسباني بعثة سفيره كلافيجو الشهيرة إلى سمرقند وكانت فرنسا تتوق منذ أمد إلى عقد تحالف مع تيمور ضد العثمانيين والمماليك ووجد تيمور بعد أنقرة أن يستجيب لذلك فأوفد بعثة زارت فرنسا وإنكلترا وإسبانيا سنة (805هـ/1402م) [5].

وفي الوقت نفسه كان انتصار تيمور قد انعكس سلباً على العلاقات بينه وبعض المراكز الصليبية التي كانت لا تزال قائمة على سواحل آسية الصغرى على بحر إيجة ويعود سبب ذلك لمخالفة إمبراطور القسطنطينية مع جنويي بيرا للاتفاق الذي عقدوه مع تيمور فسمحوا للقوات التركية التي كانت في أوروبا بالعبور فوق الدردنيل إلى آسية الصغرى وبعد المعركة ساعدوا

---

(1) بالفعل شهد العدو قبل الصديق على الحنكة العسكرية لتيمور حيث شهد أغلب انتصاراته وهو على أرض المعركة وبنى إمبراطورية خلال فترة وجيزة انتهت بنهايته.

(2) انخل: قدوم الترك والمغول، ص178.

Prawdin (M): L'Empir Mongol et Tamerlan, Paris, 1937, P249.

(3) ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص170 ؛ جودت: تاريخ جودت، مطبعة دار العامرة، 1257هـ، م2، ص7.

(4) برجاوي: الإمبراطور العثمانية، ص48 ؛ Grousset: op. cit. P532.

(5) سفارة إنريكي الثالث القشتالي إلى تيمورلنك، ص189 ؛ الموسوعة العربية، م7، ص258.

الأتراك أثناء فرارهم من معركة أنقرة بالعودة سالمين إلى تركيا الأوروبية وقد نقلهم اليونان ومكنوهم من العبور على سفنهم وفي الحقيقة بسبب هذه الخيانة كان تيمور في حالة عداء مع الإغريق ومنذ ذلك الوقت فصاعداً عامل الجماعات المسيحية في جميع أرجاء ممتلكاته بكثير من القسوة[1].

نجح تيمور بعد معركة أنقرة في تحقيق أهدافه السياسية والاقتصادية في الوصول إلى القسطنطينية وتقويض أركان الدولتين العثمانية والمملوكية، وبالفعل سارع الناصر فرج ابن برقوق إلى مراسلة تيمور وسلم للأمر الواقع وقد وصف تيمور بالكثير من الألقاب والتمجيد والشرف ووقع معاهدة سلام ختمت بقول فرج بن برقوق (بأول الصفو هذا آخر الكدر) وتوّجت المعاهدة بالقبض على ابن أويس وقرا يوسف وإطلاق سراح رجل تيمور أطلمش[2]، وتبودلت الهدايا بين الطرفين[3].

استولى تيمور بعد هزيمة بايزيد على أزنيق وبروسه[4] وغيرها من المدن والحصون ثم دك أسوار أزمير وخلصها من قبضة فرسان رودس وفرسان القديس يوحنا[5]، محاولاً بذلك أن يسوّغ موقفه أمام الرأي العام الإسلامي الذي اتهمه بأنه وجه ضربة شديدة للإسلام بانتصاره على الدولة العثمانية، كما حاول تيمور بقتله لفرسان القديس يوحنا أن يضفي على معارك الأناضول طابع الجهاد.

وأعاد تيمور أمراء آسية الصغرى إلى أملاكهم السابقة ومن ثم استرجاع الإمارات التي ضمها بايزيد كما بذر تيمور الشقاق بين أبناء بايزيد المتنازعين على العرش[6].

ولم تكن في خططه الإقامة والاستقرار في المناطق التي اجتاحها فبعدما قام عساكره بأعمال السلب والنهب وإنزال الدمار التام بهذه البلاد والعمل على إقامة حكم يدين له بالولاء والطاعة عندها رحل بعساكره إلى عاصمته سمرقند سنة (805هـ/1402م) [7].

---

(1) كلافيجو: سفارة إلى تيمورلنك، ص153.

(2) القلقشندي: صبح الأعشى، ج7، ص349 – 351.

(3) ابن الشحنة: روضة الناظر، ج12، ص197. ؛ كلافيجو: سفارة إلى تيمورلنك، ص19.

(4) أزنيق: كانت تعرف بنيقيه التي أخذها السلطان أورخان العثماني من الروم وقد لطلق عليها العرب بنيقية أما الترك فعرفوها باسم يزنيق أو أزنيق. لسترانج: بلدان الخلافة، ص190 ؛ بروسة: أو برصي مدينة بآسيا الصغرى تشتهر بجمالها وهوائها كانت عاصمة للدولة العثمانية. ؛ لسترانج: بلدان الخلافة، ص189.

(5) دائرة المعارف الإسلامية، ص162 ؛ الجوابرة، موسوعة الخلفاء، ص169 – 170. لم أجد تعريف لفرسان القديس يوحنا في المصادر التي بين يدي.

(6) الجوابرة: موسوعة الخلفاء، ص168.

(7) فامبري: تاريخ بخارى، ص235.

ثانياً: تنظيمات الدولة التيمورية

أ- التنظيمات الإدارية:

1 - نظام الحكم:

كيف حرص تيمورلنك حرصاً بالغاً على التمسك بالياسا تمسكاً شديداً وأصرَّ عليها برغم معارضة شيوخ المسلمين في ذلك(1).

إلى جانب هذا كان تيمورلنك ابن عصره فلم يختلف عن بني جيله فقد عاش في ظروف أينعت فيها أشكال الإقطاع التقليدية لذا كان الحامل النشط لها، ومن ثم جمع الأملاك الإقطاعية في دولة إقطاعية واحدة(2)، وبرغم تصريح تيمورلنك أنه قد اتخذ الشريعة الإسلامية التي كانت تسود في ما وراء النهر قبل قدوم المغول أساساً للدولة(3)، فإن هذه الشريعة ظلت في الغالب منطلقاً نظرياً وظلت شريعة الياسا التي وضعها جنكيز خان مقدمة في التطبيق على الشريعة الإسلامية في كثير من المجالات ولاسيما المجال العسكري(4) حيث أوجد نظاماً صارماً من الانضباط والطاعة مما أسبغ على نظام حكمه طابعاً دكتاتورياً لا سبيل إلى إنكاره(5). ولم تكن النظم الإدارية التي تدعى توزكات والتي ينسب وضعها إلى تيمورلنك نفسه إلا أنها إضافات على الشريعة المغولية.

2 - المبادئ التي اتخذها تيمورلنك دستوراً لشؤون دولته:

ذكر تيمور في مذكراته: «وليكن معلوماً بالنسبة لأبنائي ولأحفادي أنهم إذا ما التزموا مثلي بالاثني عشر ترتيباً التي وضعتها بمنزلة دستور لتصرفاتي في الحصول على العظمة الملكية التي تمكنت بمساعدتها من الاستيلاء على الممالك وحكمها وإذا عملوا أيضاً وفقاً لهذه الأحكام فإنهم سوف يحافظون على عظمتي وعلى ممالكهم»(6).

وتتلخص هذه المبادئ بما يلي:

1 - من الضروري أن تكون كل الأوامر والأفعال صادرة عن الحاكم نفسه وليس من الآخرين لكي لا يكونوا مساوين له.

---

(1) فامبري: تاريخ بخارى، ص215.

(2) يو - يكوبوفسكي: تيمورلنك، ص128.

(3) تيمور: مذكرات تيمور، ص55.

(4) فامبري: تاريخ بخارى، ص215.

(5) تيمور: مذكرات تيمور مدبر العالم، ص54.

(6) يو - يكوبوفسكي: تيمورلنك، ص129.

2 – يجب أن يلتزم الحاكم بالعدل[1]، وأن يتنبه في انتقاء وزرائه مراعياً شروط العدالة والإنصاف لأن الوزير الظالم سوف يترتب عليه انهيار لواجهة السلطة.

3 – من الضروري أن تكون أوامر الحاكم ونواهيه نافذة ولا يحق لأحد حق توقيفها أو تغييرها إلاّ بأمر آخر صادر من الحاكم.

4 – يجب ألا يقوم الحاكم باتخاذ أي إجراء ما لم يكن ضامناً له النجاح حتى لا يتعرض ما يصدره من أحكام إلى الاضطراب.

5 – يجب طاعة الأوامر الصادرة عن الحاكم وتنفيذها فوراً ولا يحق لأحد مناقشتها حتى لو سببت أضراراً أو مساوئ أثناء تنفيذها وتطبيقها، ويبدو أن هذا المبدأ طبق في الشؤون العسكرية بما تطلب الطاعة العمياء ومناقشة الأوامر بعد التنفيذ.

6 – من الكياسة أن لا تسلم مقاليد السلطة إلى يدٍ غريبة لأن العالم مليء بالغدر وللسلطة إغراءاتها ويخشى من أن يصل إليها شخص قوي فيستولي على العرش.

7 – على الحاكم أن يصغي إلى آراء أتباعه فما كان منها صالحاً أودعه في خزانة قلبه ومن ثم يقوم بالاستعانة بها وقت الحاجة.

8 – فيما يتعلق بأمور جنوده ورعاياه والدولة يجوز ألاّ يعول كثيراً لبعض الوشايات سواء كانت صالحاً أو سيئةً ويكون حذراً في إبرام قراره ومتروياً إلى أن يظهر الصدق.

9 – يجب أن يكون لسلطته هيبتها عند جنوده ورعاياه حتى لا يتجرأ أحد على عصيان أوامره وأحكامه.

10 – على الحاكم أن لا يتراجع عن أمر أصدره لأن الحزم والتصميم في الأوامر تشكل القوة الكبرى للحاكم وتكون له كالكنز أو كالجيش.

11 – يجب على الحاكم أن يحترس من أن يكشف قراراته ومراسيمه لأحد قبل أن يقوم هو بنشرها وعليه إذا ما اتخذ قراراته أن لا يتخذ له شريكاً أو زميلاً يشاركه في حكم دولته.

12 – على الحاكم أن يكون على دراية بالناس الذين يحيطون به وعليه أن يعمل بحذر وحيطة مع ضرورة مراقبة بعضهم بعضاً بصورة مستمرة[2].

3 – المؤسسات الإدارية:

– **الوزراء:** حدد تيمورلنك تسع صفات يجب أن تتوافر فيه، وهي:

---

(1) كيف يطلب تيمورلنك وجوب العدل على غيره ولم يطبقها على نفسه حيث يظهر في قواعده روح الاستبداد والفردية.

(2) تيمور: مذكرات تيمور مدبر العالم، ص78 – 79.

الأصالة والثبات والنجابة، والفهم والكياسة والعقل، والقدرة على أن يعيش بوئام مع الجنود والرعية، الصبر في ظل المصاعب والشدائد والقدرة على توفير السلم والاستقرار[1].

وكان على رأس الإدارة المركزية في العاصمة سمرقند سبعة من كبار الموظفين يحمل كل منهم لقب وزير ويتولى كل منهم ناحية من نواحي الإدارة.

منهم أربعة كانوا يقومون بأعمال ديوان السلطنة كالتالي:

1 – وزير البلاد والرعية: ووظيفته الإشراف على مهام ومعاملات البلاد وعلى أحوال الرعية وإيصال ذلك إلى تيمورلنك كما يتم الإشراف على أحوال الزراعة والإنتاج والضرائب إلى خارج البلاد.

2 – وزير الجيوش: وكانت وظيفته أن يعرض على تيمورلنك مقدار الميزانيات المستحقة لرواتب الجيش والتعيينات الممنوحة إلى العساكر والإطلاع على أحوال الجند وأحوالهم حتى لا يتعرضوا للضيق أو الظلم ويرفع بتقاريره عن أحوال الجيوش وقوتها إلى تيمورلنك.

3 – وزير السابر والهواي: ومن مهامه الإشراف على أموال الغياب والفارين والموتى وأن يتسلم أموال الزكاة والضرائب على المواشي والمراعي وعلى خزانات المياه والضرائب على البضائع المجلوبة والبضائع الذاهبة وتبقى في عهدته أموال الموتى والغياب من أجل الورثة الشرعيين.

4 – وزير دوائر بلاط السلطنة: ومن مهامه الإشراف على المداخل والمخارج وعلى توزيع النفقات للعامة[2]. ويبدو أن وزراء تيمورلنك كانوا وزراء تنفيذ وليس تفويض بسبب دكتاتوريته.

أما الوزراء الثلاثة الأخرون فكانوا يتولون الإشراف على الحدود أي الثغور وعلى الولايات التابعة لتيمورلنك ومن مهامهم تنظيم معاملاتها وشؤونها المالية[3].

وكان لتيمورلنك مجلسان خاص وعام ويُعد المجلس الخاص أعلى المؤسسات الإدارية في الدولة ويعقد برئاسته ويضم عدداً من كبار الأمراء الذين يطمئن إلى إخلاصهم وخبرتهم ويتولى

---

(1) تيمور: مذكرات تيمور، ص86.

(2) تيمور: المصدر السالف، ص103 – 104.

(3) ويذكر خواندمير في كتابه دستور الوزراء ص394 بعض أسماء ممن تم تعيينهم في بعض المناصب الوزارية وهم: الوزير عماد الدين مسعود السمناني وقد عمل في الوزارة لتيمورلنك لفترة طويلة وتوفى أثناء حصار بغداد بسم أصابه، والوزير جلال الإسلام وقد تم الوشاية به عند تيمورلنك فعزله وأودعه السجن فطعن نفسه في السجن بخنجر محاولاً الانتحار. والوزير الشيخ خسرو شاهي. والوزير كمال الدين محمود شهاب وكان يعد من الوزراء العظام لتيمورلنك والوزير غياث الدين سالار السمناني وقد تولى إدارة عظائم المسائل الديوانية.

ضبط أعمال المجلس كاتب للسر[1] يعهد إليه بتسجيل ما يجري فيه من مداولات والمحافظة على بقائه سرياً.

أما المجلس العام فكان له كاتبان أو منشئان ومهمتهما تدوين القرارات التي يتم مناقشتها في المجلس ويتم إدخالها في مذكرة الوقائع إلى تيمورلنك[2]، وكان في بلاط تيمورلنك مترجمه وإمامه الخاص[3]، وأطباؤه[4]، ومنجموه[5].

– **القضاة:** كان هناك نوعين من القضاء، القضاء الشرعي، والقضاء العسكري ويتولى الأول الفصل في القضايا الدينية بحسب أحكام الشريعة الإسلامية ويتناول الثاني الفصل في القضايا العسكرية أو بين الجند وغيرهم من الناس بحسب تعاليم الياسا[6].

وعادةً يجري تعيين القضاة من قبل تيمورلنك وحيثما سافر في البلاد الأجنبية كان قضاته يرافقونه ويتولون تطبيق القوانين على الجميع في كل من المعسكر والقصر وبالنسبة للأقاليم الخارجية يجري إرسال القضاة الذين يتولون تطبيق العدالة ويستمعون إلى الشكاوي والقانون الذي يطبقونه هو بحسب الطريقة التالية:

فبعض القضاة اختص بإصدار الأحكام المتعلقة بالقضايا الإجرامية وسفك الدماء الناجم عن الخصومات في حين يتولى بعض القضاة الآخرين معالجة ما يتعلق بالمشاكل المالية التي يمكن أن تؤثر في الحكومة وهناك القضاة المسؤولون عن التعامل مع مشاكل الحكومة وحماية الذين يسكنون في المدن وفي المناطق وخارجها والذين يأتون لعرض قضاياهم وشكاويهم على تيمورلنك، وكانوا حيثما نُصب المعسكر الملكي يعقدون جلسات القضاء، وكل فرع قضاء في إدارته الخاصة به حيث هناك ثلاث خيام كبيرة قد نصبت إليها يحضر جميع الخصوم والمجرمين حيث يجري سماع القضايا وإصدار الأحكام ولكن قبل صياغة ذلك وعمله يجب أن يذهبوا إلى تيمورلنك لعرض جميع القضايا عليه وحينها يجري تنفيذ الأحكام ستة في ستة وأربعة في أربعة، (على ستة بالتوالي أو أربعة) بعد المصادقة عليها من قبل تيمورلنك، ولما كان يجري تدوين أي مرسوم كتابة يأمر القضاة كتابهم بكتابة المرسوم بأحرف كبيرة، وتكون الكتابة موجزة وما إن يتم الفراغ من الكتابة حتى يجري نسخ المرسوم ووضعه موضع التنفيذ

---

(1) كاتب السر ويسمى منشئ ديوانه وقد تولاه مولانا شمس الدين قاضي زمانه. ابن عربشاه: عجائب المقدور في نوائب تيمور، ص293.

(2) تيمور: مذكرات تيمور مدبر العالم، ص104 – 105.

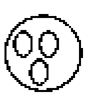
(3) هو عبد الجبار بن النعمان المعتزلي، ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص293.

(4) منهم فضل الله وجمال الدين رئيس الطب بالشام، ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص293.

(5) منهم أحمد الطيب النحاس، ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص294.

(6) شهاب: تيمورلنك، ص410.

ويختم بالختم الفضي في أسفله ثم حينها يأخذه موظف آخر ويسجله في دفتر سجلاته ثم يعاد بعد هذا إلى القاضي الذي يقوم أخيراً بوضع خاتمه الخاص بعد تحبيره وإذا كان أربعة أو خمسة من هذه المراسيم قد أنجزت يأخذونهم يختمونهم بختم تيمورلنك الرسمي الخاص الذي نقش عليه الشعار المعلن لهذه الكلمات هذا هو الحق وجاء هذا النص منقوشاً حول ثلاثة دوائر جرى صفها هكذا[1]:



ويصف كلافيجو الذي زار سمرقند كيف كانت تطبق العدالة العالية؟ بقوله: «جرت العادة بين المغول بتنفيذ حكم الإعدام بالشخصية ذات المقام السامي عن طريق الشنق لكن بالنسبة للناس العاديين كانوا يعدمونه بقطع رؤوسهم لأنهم اعتقدوا أن الإعدام بالسيف فعل شنيع وقضية فيها إهانة عظيمة»[2]. ويظهر في هذه الناحية تأثير شريعة الياسا التي كانت تعتبر دماء الأعيان هي دماء مقدسة لا يجوز إراقتها على الأرض[3].

ويشير تيمور في مذكراته عن عقوبات أولاده وأحفاده وأعوانه وأمرائه ووزرائه بالقول: «لقد أمرت أنه إذا ما تطلع أي واحد من أولادي إلى مرتبة السلطنة ينبغي عدم إعدامه ولا أن يوضع بالأغلال ولا أن يؤذوه في أعضائه أو أطرافه بل ينبغي أن يحبسوه في السجن إلى أن يعود عن طرقه الشريرة حتى لا تقوم الحروب الأهلية ولا ينتشر الفساد في الدولة وإذا ما ثار واحد من أحفادي أو أقربائي بعمل عدواني ضدي أمر أن يجرد من مرتبته وتخفض مرتبته إلى منزلة درويش، وإذا ما تمرد الأمراء الذين هم عماد السلطنة ورفضوا الطاعة وقت العمل أمر بأن يجري عزلهم من قياداتهم وتجريدهم من سلطاتهم ومن مراكزهم السامية وإذا تبين أن أحدهم مجرمٌ قد ينجم عنها صراع داخلي ينبغي تسليمه إلى المحاكمة من قبل نظرائه وأما الوزراء فأمر إذا ما عُدوا مجرمين بجرم الخيانة يحاكمون من قبل القضاء»[4].

ويصف كلافيجو محاكمة عمدة مدينة سمرقند وكان اسمه دينا Dina وقد اتهم بالظلم والإساءة للناس عندما تركه تيمورلنك والياً على سمرقند أثناء خروجه للغزو وبعد عودته أمر بإحضاره وحكم عليه بالموت شنقاً وشارك بالمصير نفسه صاحبه برندي Burundey وهو شخصية ذات امتياز في البلاط حاول التوسط عند تيمورلنك للحصول على العفو عن العمدة كما أمر تيمورلنك بإعدام أحد الجزارين لأنه مسك وهو يبيع اللحوم بسعر مرتفع، وأمر بإنزال العقوبات على عدد من الحذائيين

---

(1) سفارة إلى تيمورلنك (1403 – 1406)، ص321 – 322.

(2) كلافيجو: المصدر السالف، ص275.

(3) المغول في التاريخ، القاهرة، 1960م، ص175.

(4) مذكرات تيمور مدبر العالم، ص83.

الذين باعوا بضاعتهم وغشوا الناس وخدعوهم وتقاضوا منهم أرباحاً كثيرة مقابل مصنوعاتهم[1].
ويبدو أنه كان هناك نوع من الرقابة على الأسواق وكان يشرف على شؤون القضاء الشرعي أحد أفراد آل البيت ويحمل لقب الصدر وهو يتولى إدارة الأوقاف ويعين الموظفين الذين يشرفون على إدارة أملاكها ويدعى هؤلاء المتولون[2].

- **النظم المالية:** وضع تيمورلنك نظاماً لجباية الأموال من الرعية لا يؤدي إلى تدمير البلاد وخرابها لأنه سوف ينعكس سلباً على خزانة دولته مما يؤدي إلى اختلال السلطة[3]، وأبقى في بعض الولايات بالضرائب التي كانت مفروضة عليها قديماً مادامت متماشية مع رغبات الرعايا[4].

وتأتي الضريبة المفروضة على الأراضي الزراعية بالدرجة الأولى من الأهمية وكانت تجبى نقداً أو عيناً حيث أمر تيمورلنك بفرض ضريبة الخراج والجزية[5] وفقاً لكميات ناتج المحصول يتم تحديدها وتدوينها وفقاً لأنواع السقي فإذا كانت الأراضي المزروعة مروية بمياه الأقنية أو الينابيع أو الجداول أو الأنهار وكانت هذه المياه تتدفق بشكل مستمر يتوجب الإشراف عليها من قبل موظفين تابعين لتيمورلنك ويتم توزيع إنتاج هذه الأراضي بمنح ثلثي الناتج إلى ملاك الأراضي ويدفع الثلث المتبقي إلى خزانة الدولة، وتنخفض النسبة إلى الربع في الأراضي التي تروى بمياه الأمطار ويحظر جباية هذه الضريبة قبل موسم الحصاد[6].

وإذا أحيا أي شخص قطعة أرض موات وزرعها لا يؤخذ منه في السنة الأولى، أما في السنة الثانية فأي شيء يقدمه طواعية يقبل منه أما في السنة الثالثة فيتوجب عليه دفع الضريبة المقررة.

أما بالنسبة للضرائب المفروضة على التوابل والفواكه والبضائع الخارجية خزانات المياه وعلى الأراضي العامة فيتم تقديرها بما يتوافق والقرارات السابقة للضرائب[7].

وكانت السلطة التيمورية تتقاضى ضريبة من التجار لقاء استخدامهم الطرق والجسور التي تقيمها الدولة، وتمتعهم بالحماية والأمن[1].

---

(1) كلافيجو: سفارة إلى تيمورلنك، ص274 - 275.

(2) شهاب: تيمورلنك، ص411.

(3) تيمور: مذكرات تيمور، ص123.

(4) يو - يكوبوفسكي: تيمورلنك، ص130.

(5) الجزية: فرض تيمورلنك الجزية على الذميين في جهات إمبراطوريته حيث فرضها على الجورجيين الخاضعين لتيمورلنك، الشامي، ظفرنامة، ص243.

(6) تيمور: مذكرات تيمور مدبر العالم، ص124 - 125.

(7) تيمور: مذكرات تيمور، ص125. لا أعرف ماذا يقصد تيمورلنك بالأراضي العامة وضريبتها.

كما عين تيمورلنك كوتوالي في كل معسكر يكون برفقته حراس وشُرَطْ في سبيل جباية الرسوم من التجار في الأسواق[2]، حيث كانت أسواق سمرقند شغل بالمخازن المليئة بالبضائع المستوردة من بلدان أجنبية مختلفة وبعيدة فمن روسيا وبلاد التتار جاءت الجلود وأقمشة الكتان ومن الصين منسوجات الحرير التي هي الأفضل في جميع أنحاء العالم، مع الياقوت البلخشي والألماس واللؤلؤ والروائد مع التوابل وفي الحقيقة أن البضائع التي تستورد إلى سمرقند من الصين هي الأثمن والأعلى قيمة من جميع البضائع التي تستورد إلى سمرقند من البلدان الأجنبية لأن الحرفيين الصينيين أكثر براعة وكان يجلب من الهند إلى سمرقند التوابل الأندر والأغلى قيمة[3] وهذه المنتجات المختلفة كانت تعاد تعبئتها في أسواق سمرقند وتصدر من جديد إلى مدن آسيا وأوروبا سالكة طريقين مختلفين: الأول عن طريق خوارزم واستراباد ثم نشني نوفجورود وموسكو حتى تصل إلى أيدي تجار مدن ألمانيا.

الثاني: طريق قزوين وتبريز وطرابزون حيث كان يتلقفها تجار البندقية وجنوة وبيزا وينقلونها إلى أوروبا[4]، ومما لاشك فيه أن هذه التجارة كانت تعود بأرباح بعضها إلى الخزانة المالية للدولة التيمورية، لاسيما أن تيمورلنك حرص على حماية ومراقبة الطرقات والمحطات وضمان سلامة التجارة من محطة إلى محطة وكذلك أمتعة وأموال التجار والمترددين وإذا ما فقد أي شيء أو تم العثور على أي تقصير وإهمال سوف يكونون مسؤولين عن ذلك وتعويض قيمة المفقود أو المتضرر[5]، كما أمر بعدم فرض ضرائب الجزية وضريبة البيوت على أية بلدة أو مدينة مهما كانت وأن لا يحاول جندي الدخول بالقوة إلى أي مكان سكني أو الاستيلاء على ممتلكات الرعية[6].

أنواع الضرائب غير الشرعية:

ـ ضريبة مال الأمان، وهي ضريبة السلم فرضها تيمورلنك على سكان المدن التي دخلها صلحاً وذلك لقاء حفظ نفوسهم من القتل وأموالهم من النهب ومقدارها 4500 تومان[7].

---

(1) Lamp: Lavie de tamerlan, traduit de L'Anglais par pieere Jean Robert. Paris, 1931. P. 159 - 160.

(2) تيمور: مذكرات تيمور، ص102. وربما يعني كوتوالي المحتسب.

(3) كلافيجو: سفارة إلى تيمورلنك (1403 – 1406)، ص315 – 316.

(4) فامبري: تاريخ بخارى، ص254.

(5) تيمور: مذكرات تيمورلنك مدبر العالم، ص118 – 119.

(6) تيمور: المصدر السالف، ص119.

(7) المقريزي: السلوك، ج3، ق2، ص141.

ـ ضريبة التقوزات: وتعين الأشياء التسعة وهي أن يقدم سكان الولاية إلى تيمورلنك قبل حلوله بين ظهرانيهم تسعة أصناف من الحيوانات والمأكولات والتحف والنفائس التي تليق به[1].

ـ ضريبة البيشكشاي: أي الهدايا التي يتعهد الرعية بتقديمها إلى تيمورلنك وحاشيته عند حلوله ببلدتهم[2].

ـ ضريبة حق الضيافة: المسماه طوى فإنها كانت من الضرائب التي أثقلت كاهل السكان فقد ذكر تيمورلنك أن على أهالي البلد الذين يخضعون له أن يعدّوا مكاناً لنزول رسله وجنده ويهيئون الخدم لهم ويحافظوا على سلامتهم وأسباب معيشتهم[3].

ـ ضريبة باج: وتعني المكس وهي ضريبة تفرض على منتوجات الضواحي كالمواشي والأحطاب والدهون في حالة عرضها للبيع[4].

4 - إدارات الولايات أو الممالك التابعة للدولة التيمورية:

ظلت التقسيمات الإدارية في ما وراء النهر متأثرة بالوضع العشائري والإقطاعي الذي كان سائداً قبل العصر التيموري[5]، أما خارج بلاد ما وراء النهر فلم تكن هذه الإدارة تسير على أسلوب واحد وعلى الأعم فإن تيمورلنك في كل مملكة يستولي عليها كان يُعيد حكام تلك الممالك إلى الولايات التي كانوا فيها بعد أن يعلنوا الولاء والطاعة[6]، أما من يعاندون من الحكام فكان يجتث الأسرة بكاملها حتى لا يبقي من يطالب بالحكم ويعين والياً عليها من عنده كما فعل بالمظفريين والسربداريين.

---

(1) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج2، ص239.

(2) الغياثي: التاريخ الغياثي، ص166.

(3) الشامي: ظفرنامة، 145؛ مهاوي: تاريخ الغزو التيموري للعراق، ص407.

(4) مهاوي: تاريخ الغزو التيموري، ص407.

(5) بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ص221. يو - يكوبوفسكي: تيمورلنك، ص129 - 130.

(6) تيمور: مذكرات تيمور، ص118.

ب- التنظيمات العسكرية:

1 - تكوين الجيش وجنسياته:

سارت جيوش تيمورلنك في تنظيمها على تقاليد جنكيز خان[1]، وتألفت من جنسيات مختلفة واستندت إلى النظام العشري[2]، مع ملاحظة أن قاعدة الجيش الأساسية في عهد جنكيز خان كانت تتكون من الرحل وقليل من السكان الحضر من البلاد المختلفة الذين قسروا على الخدمة الإجبارية.

أما في عهد تيمورلنك فإن الحضر في الجيش وإن لم يشكلوا القسم الأساسي إلاّ أنهم لعبوا دوراً جوهرياً للغاية، لعله كان مساوياً لدور الرحل فيه وقدمت الأقاليم الحضرية الوحدات التي استعملت في حصار المدن أشبه بما تكون لذلك العهد بالمدفعية «أي المقاتلة الذين كانوا يعملون في المنجنيقات وآلات هدم الأسوار والآلات القاذفة بالسهام»[3].

وقد ذكر يزدي العنصرين الرئيسيين المتميزين في الجيش التيموري وهما الأتراك والتاجيك وميّز من بين فرق التاجيك الخرسانية[4]،ولاشك في أن الأتراك الجغتائيين كانوا أقرب إلى نفس تيمورلنك من التاجيك أصحاب القومية الإيرانية، حيث كان يقول: «إن الخصال العسكرية قاصرة على الترك»[5].

ويشير ابن عربشاه أن جيوش تيمورلنك التي أغارت على بلاد الشام كانت تضم جنسيات عديدة منها: الترك والفرس والقبجاق، والخطا، المغول والتركمان ومن رعاع العرب وعباد الأوثان[6]، ويذهب (Bouvat) إلى القول: إن جيش تيمورلنك كان يضم بعض العناصر الأوروبية ويشير إلى القس البافاري شيلتبرجر الذي كان ضابطاً في الجيش[7]، وكان تيمورلنك يُعد جنود كل مملكة خضعت له تحت خدمته توجيهاته[8].

وكانت تشكيلة الجيوش التيمورية كالتالي:

---

(1) بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الصغرى، ص221. يو - يكوبوفسكي: تيمورلنك، ص131 ؛ فامبري: تاريخ بخارى، ص215.

(2) العشري: يعني يقسم إلى تومونات - وألوف - وعشرات.

(3) يو - يكوبوفسكي: تيمورلنك، ص131.

(4) يزدي: ظفر نامه، ج2، ص27 ؛ يو - يكوبوفسكي: تيمورلنك، ص131.

(5) بارتولد: تاريخ الترك، ص230.

(6) عجائب المقدور ، ص117 - 118.

(7) Bouvat: L'Empir Mongol (2eme Phase Paris 1927, P. 10.

نقلاً عن شهاب: تيمورلنك، ص412.

(8) تيمور: مذكرات تيمور مدبر العالم، ص121.

يتم اختيار واحد من كل عشرة جنود وفق موافقة التسعة المتبقين ويطلق عليه أون باشي أمير عشرة وإذا ما اجتمع عشرة أمراء عشرة يعين واحداً منهم ويلقب يوز باشي أمير مائة وأثناء اجتماع عشرة أمراء مئات مع بعضهم يعين قائداً عليهم فيمن يتسم بالشجاعة والأهلية والجدارة ومن أصل رفيع وابناً لأحد المقدمين ويدعى منك باشي قائد ألف. وتكون سلطة أمراء الألوف نافذة وراسخة على أمراء المئات وتكون سلطة أمراء المئات نافذة على أمراء العشرات وكذلك سلطة العشروات على الجنود العاديين، كما يجب عليهم معاقبة العصاة والمتمردين من الجنود سواء كانوا في المعركة أو خارجها وينبغي طردهم ومن ثم تعيين آخرين مكانهم، وإذا مات جندي أو أمير أو فرّ يعين على الفور مكانه جندي أو أمير آخر ويعرض هذا بتقرير بأسماء الذين ماتوا أو فرّوا مع أسماء الذين حلّوا مكانهم إلى تيمورلنك[1].

2 - السلاح:

كان السلاح يوزع بحسب أنواع الفرق العسكرية حيث يعطى للجنود الخاصين لكل ثمانية عشر رجلاً خيمة واحدة ويجهز كل واحد منهم بفرسين وبقوس وبجعبة أسهم وبسيف ومنشار وفأس ومخرز وخيط وعشر إبر حقيبة ظهر، أما المقاتلون النخبة فكان يأخذ كل خمسة خيمة ويعطى لكل واحد خوذة رأس ودرع صدر وقوس وجعبة أسهم ويكون مع أون باشي خيمة واحدة وسابغة وسيف وقوس وجعبة وخمسة من الخيول، ومع يوزباشي خيمة واحدة وعشرة من الخيول وأسلحته مثل السيف والقوس والجعبة والرمح وهراوة وسابغة ودرع للصدر ويكون مع الينك باشي خيمة وسايباني[2]، وأسلحة ودروع للصدر وخوذة ورماح وسيف وجعبة وسهام[3].

وكان على كل جندي عادي أن يحمل معه من الأسلحة قوساً وثلاثين سهماً وكنانة وترساً ومعول ومنجل ومنشار وفأس ومخرز ومائة إبرة ونصف من الحبال من وزن الأسواق وجلد ثور وقدر كبير[4].

أما أمير أول مائة فيأخذ وعشرة خيول وأمير ثان مائة وعشرين فرساً وأمير ثالث مائة وثلاثين فرساً وأمير رابع مائة وأربعين فرساً وأمير الأمراء الذي ينبغي أن يأخذ معه أكثر من ثلاثمائة فرس[5].

---

(1) تيمور: مذكرات تيمور مدبر العالم، ص78 - 79.

(2) السايباني: هو نوع من السقوف العليا للخيمة حيث ينصب فوقها على ارتفاع قدمين أو ثلاثة ويغطي جميع جوانبها من أجل حماية صاحبها من الحر أو من الشمس ؛ تيمور: مذكرات تيمور، الحاشية، ص101.

(3) تيمور: مذكرات تيمور، ص100 - 101.

(4) يو - يكوبوفسكي: تيمورلنك، ص131.

(5) تيمور: مذكرات تيمور ، ص101.

وكان الجيش التيموري عندما يعسكر بالقرب من العدو يُحاط بالأسلحة الدفاعية حيث كان يخندق عليه ويقيم الأبراج المتحركة والمتاريس الضخمة المسماة الجبرهان وأنه في عهد تيمورلنك ظهرت لأول مرة بالشرق الإسلامي الأسلحة النارية، فمثلاً في وصف جيش السلطان محمود الدهلوي قبل المواجهة مع تيمورلنك عند سنة (801هـ/1398م) كان يوجد ننروز لدى الجيش الهندي وهي أسلحة نارية خاصة (قاذفات الرعد) أشبه ما تكون بمدافع بدائية وأصبحت لدى تيمورلنك أثناء محاصرة دمشق لها سنة (803هـ/1400 – 1401م)[1]، كما اهتم بنقل الصناع من آسيا الصغرى (الدولة العثمانية) الذين يصنعون البنادق والرجال العاملين بالمدفعية من النوعين: العاملين بالمجانيق وبالقصف وذلك إلى جانب الذين يعملون بالحبال التي تعمل بها آلات القذف وفي الجزء الأول من سمرقند تقف القلعة التي هي غير مبنية على موقع مرتفع لكنها محمية بوهاد عميقة من جميع جوانبها وخلال هذه الوهاد تتدفق المياه جاعلة موقع القلعة لا يمكن أن يرام وكان تيمورلنك يحتفظ بكنوزه ولا أحد من خارج المدينة يستطيع الدخول إليها باستثناء شحنة القلعة ورجاله وأبقى تيمورلنك داخل أسوار القلعة بشكل دائم وبالأسر ما يصل إلى ألف رجل من الصناع وكان هؤلاء الصناع يعملون الدروع والخوذ مع القسي والنشاب ولما انطلق تيمورلنك وغزا دمشق ونهب ما فيها وتوجه نحو الدولة العثمانية واستولى على أنقرة وأصدر أوامر بوجوب أن يصطحب الجند الذين سوف يرافقون الحملة زوجاتهم وأولادهم لأنه كان ينوي البقاء في الخارج بعيداً عن عاصمته لمدة سبعة أعوام كاملات وقد أقسم إنه لن يعاود الدخول إلى قلعته هذه في سمرقند إلاّ بعد سبع سنوات قد انقضت وأثناء عودته تم عرض أمامه الأسلحة والدروع التي صنعها العمال من أسراه وأكملوها، ومن بين الأشياء التي جلبوها ليراها ثلاثة آلاف سابغة مصنوعة من الألواح وهي من النوع الذي يحاط على بطانة من القنب الأحمر وعرض عدد هائل من الخوذ العالية المصنعة على شكل دائري وكان بعضها مستديراً من الخلف لكن من الأمام هناك قطعة تنزل نحو الأسفل لحماية الوجه والأنف[2].

والذي أدهش كلافيجو وأصحابه منظر أرض المعسكر العظيم خارج حدود مدينة سمرقند الذي قدّره في حينها أكثر من خمسين ألف خيمة كانت جميعها منصوبة وفق مخطط توافرت فيه الشوارع التي كان فيها كل نوعٍ من السلع للبيع[3]، ومصانع يمارس فيها الصناع حرفهم والحمامات الساخنة وأول خيام تضرب هناك هي خيام الأسرة المالكة وتتوسط في الغالب المعسكر الذي كان على هيئة المروحة وكان لكل أسرة ولكل وزير ولكل تومان أغاسي مكانه المخصص له

---

(1) يو – يكوبوفسكي: تيمورلنك، ص132.

(2) كلافيجو: سفارة إلى تيمورلنك، (1403 – 1406)، ص316 – 318.

(3) كلافيجو: المصدر السالف (1403 – 1406)، ص19.

فمنهم من كان ينزل ناحية اليمين أو ناحية الشمال أو في الصف الأول أو الثاني أو الثالث كل بحسب مكانته في نظام محكم لا يعرف الفوضى[1].

وكان للجند التيموريين ملابس موحدة يتألف من قلنسوة مخروطية ولباس رأس بحسب التقليد للأتراك الجغتائيين[2]، وأمر تيمورلنك أنه يتوجب في أوقات السلم على الجنود والأمراء والمينك باشي واليوزباشي والأون باشي عدم الظهور في ديوان مجلس السلطنة من دون ارتداء كُلاه (رداء) وموزه (حذاء) وسرموزه (حذاء جلدي لطيف يغطي الحذاء) وجامه (عباءة) وطوق وسيوفهم[3].

3 - الرواتب والمكافأة:

كان هناك نظام مالي يحدد فيه راتب كل جندي سنوياً وتاريخ استحقاقه لهذا الراتب وقد أطلق عليه ابن عربشاه اسم ديوان الجند[4].

ويقدر راتب الجندي قيمة فرس ويعطى كل واحد من المقاتلين النخبة والمختارين من قيمة فرسين إلى أربعة. أما راتب قائد العشرة فكان يعادل عشر مرات راتب الجندي وراتب أمير المائة يقدر براتب العشرة مرتين وراتب قائد الألوف ثلاثة أضعاف راتب قائد المائة[5].

والملاحظة المهمة هنا وجود فارق شاسع بين رواتب جنده وقادته وبين رواتب أبنائه وذريته وأقربائه بحيث يتضح لنا كيف كان نظاماً إقطاعياً صرفاً فقد أمر تيمورلنك بأن يتسلم ابنه الأكبر ولي عهده محمد جهانكير راتب عشرة آلاف فارس وجباية مناطق تتحمل النفقات نفسها بينما ابنه الثاني عمر شيخ فأعطاه راتب عشرة آلاف فارس مع أراضٍ تتوافق بالعطاء نفسه وأمر أن يتسلم ابنه الثالث ميران شاه راتب تسعة ألف فارس مع تعيين ولاية تدفع المبالغ نفسها، كما أمر بتسليم ابنه الرابع شاه رخ راتب سبعة ألف فارس مع تعيينات ولاية تدفع المبالغ نفسها وقرر أن يتسلم أحفاده رواتب وأراضي تتراوح بين ثلاثة آلاف إلى سبعة آلاف فارس لكل واحد وفقاً لمقدرته وإمكانياته، أما أقرباؤه فقد أمر بأن يعطى الرواتب والتعيينات من مرتبة أمير أول إلى مرتبة أمير سابع وفقاً لقدرات ومكانة ومرتبة كل واحد[6].

أما القواعد التي كان يجري على أساسها منح الرتب العسكرية فقد اقتبست هي ومراسم البلاط إلى درجة كبيرة مما كان عند الأسر الحاكمة كالسلاجقة والخوارزمشاهية فعن الخوارزمشاهية

(1) فامبري: تاريخ بخارى، ص245.

(2) ابن عربشاه: عجائب المقدور ، ص42.

(3) تيمور: مذكرات تيمور ، ص101.

(4) ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص42.

(5) تيمور: عجائب المقدور، ص80 - 81.

(6) تيمور: مذكرات تيمور ، ص82.

أخذت رتبة بكلربكي، أي أمير الأمراء وهي تعادل في العصر الحديث رتبة المشير وشـــارتها علــم أحمر طويل أما رتبة تومان أغاسي فشارته التوك وهو رمح طويل بطرفه نيــل حــصان، ورتبــة يوزباشي وشارتها طبلتان من طبول الموسيقى يحملها تابعه على جانبي سرجه[1].

ويشير تيمور في مذكراته: «أنه أمر بترقية ثلاثمائة وثلاثة عشر من خواص بطانته المتفوقين إلى المراتب الشرفية العليا وتوافر لهؤلاء الأصالة والنجابة والعقل والكياســة والــشجاعة والحــزم وعمق التفكير وقد عين كل واحد منهم شخصاً آخر حتى إذا ما مات يخلفه في مرتبته وإمارته ولقبه بالأمير المنتظر كما أمر بأن يجري انتقاء أربعة من الثلاثمائة والثلاثة عشر أميراً المتقــدم وعيــنهم بمناصب بكلربيك واختار واحد من الأربعة ومنحه لقب أمير الأمراء بحيث تكون له الــسلطة علــى سائر أمراء الجيش في الميدان والعمل أثناء حضور بمنزلة نائب له»[2].

وحدد للمبرزين من أفراد القوات المسلحة المكافآت التي كانت على شكل جــوائز رمزيــة أو تقديرات معنوية فتوزع على هؤلاء رايات محلاة بذيول الخيول أو طبول أو يمنحون لقب بهــادر أي شجاع إذا تميز أحد الجنود في معركة ما فيعطى مكافآته بترقيته إلى مرتبة أون باشي وفــي المــرة الثانية إلى مرتبة يوزباشي ولجهده الثالث إلى مرتبة مينك باشي كما أمر بترقية مينك باشي ولاســيما عندما ينتصر على خصمه بحد السيف إلى مرتبة أمير أول وفي الجهد الثاني إلى مرتبة أميــر ثــانٍ وهكذا، أما الجندي الذي يدير ظهره في ساعة العمل فأمر بأن لا يعطى أي فلس كورنش[3].

ويشير يزدي أن المقصود من هذه الإنعامات هو التقرب من قلوب الجند ورفع معنوياتهم[4].

4 - الروح المعنوية:

في الواقع أن تيمورلنك كان يولي الناحية المعنوية في جيشه جل اهتمامه حيث عامل جنــوده كأنه واحد منهم وكان يشجعهم بالمال والجواهر ولا يجلس إلى طعام إلا ومعه عدد من جنوده وقــد أفلح في حمل أتباعه على التعلق به إلى حد كبير[5].

وقد أكد الخبراء العسكريون أن البحث في أشكال الحرب يجب أن يكون متصلاً اتصالاً وثيقــاً بالبحث في صفات القائد العسكري النفسية[6]، وفي مفهوم العلم العسكري أن العنصر المسيطر فــي حقل المعركة هو دائماً عبقرية القائد العسكري والقدرة على اتخاذ القرارات الصائبة ويتجسد هذا في

---

(1) فامبري: تاريخ بخارى، ص215.

(2) تيمور: مذكرات تيمور، ص93.

(3) تيمور: مذكرات تيمور، ص94 - 96.

(4) يزدي: ظفر نامه، ج2، ص130.

(5) تيمور: مذكرات تيمور ، ص55 ؛ الخالدي: العالم الإسلامي والعالم المغولي، ص36.

(6) شنيدر، فرنان: تاريخ الفنون العسكرية، ترجمة فريد أنطونيوس، منشورات عويدات، بيروت، ص61.

معركة أنقرة حيث اتخذ تيمورلنك كامل الاستعدادات فلكي يرفع من معنوية جيشه أرسل لهم أعطياتهم قبل استحقاقها ولسنوات سبع جزئاً من ذلك كان مستحقاً والباقي سلفاً[1]، ويبدو أن معنويات المغول كانت أقوى بكثير من غيرهم حيث لم يفرق تيمورلنك في الحروب من أجل إدراك النصر بين كبير وصغير في القيام بالأعمال المختلفة مهما بلغت خطورتها فكان أولاده يشتركون مع الجند في نقب أسوار القلاع واقتحامها[2]، ومما زاد من رفع معنويات الجند التيموري هو شجاعة تيمورلنك وإقدامه في كثير من الأحيان حيث لم يكن الحاكم القابع في عاصمته وقادته هم الذين يحققون النصر بل كان في معظم انتصاراته المثل لجنده في الشجاعة ولاسيما عندما طلب منه أحد خصومه بالمبارزة فلم يجبن بل برز أمامه وهذا يعد أكبر محفز لمعنويات الجند، والحق أنه صنع مجده وهو على ظهر جواده في أغلب معاركة التي خاضها.

وكان يقول: «أنه من خلال التجربة بات معروفاً لدي أن الذي هو مؤهل لمنصب الإمارة والإيالة ولائق بها هو الشخص الذي على معرفة جيدة بفن الحرب وبمختلف الطرائق والمذاهب التي تؤدي إلى تمزيق الجيوش المعادية وإلحاق الهزيمة بها وفي ساعة المعركة لا يضعف نفسه ويبقى مسيطراً على قلبه ولا يسمح للخور والرعب بالسيطرة على نفسه ويمكنه أن يوجه جهود جنوده ويديرهم إذا ما اضطربت صفوفهم واختل نظامهم يمكنه بمقدرته أن يعيدهم إلى النظام»[3].

كان الجيش المغولي يسير والعساكر على ظهور الخيل والطبول السلطانية تقرع والطبلخاناه تدق النوبة لبث الحماس والاندفاع في نفوس المقاتلين[4]. وقد أمر تيمورلنك بإعطاء علم واحدة ونقارة واحد إلى كل واحد من الأمراء الاثني عشر المنتخبين ويعطى أمير الأمراء علماً ونقارة وتومان طوغ وجرطوغ وأن يسمح للمينك باشي بطوغ وبنفير وبطبل إلى أمير يوزباشي ومثله إلى أمير أون باشي[5]، وهكذا كان يتم توزيع هذه الأدوات التي تؤدي إلى رفع معنويات الجنود أثناء القتال.

5 - الاستطلاع وجمع المعلومات:

سبق تيمورلنك أهل عصره في بث عيونه على مناطق مختلفة[6]، ولعله سار على منوال جنكيز خان، ويقسم الاستعلام في المفهوم العسكري إلى ثلاثة أنواع:

---

(1) تيمور: مذكرات تيمور، ص71.

(2) يزدي: ظفر نامه، ج1، ص462.

(3) تيمور: مذكرات تيمور، ص92 ؛ فرج: قاهر العالم تيمورلنك، ص106.

(4) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج7، ص162 - 169.

(5) تيمور: مذكرات تيمور، ص99.

(6) تيمور: المصدر السالف، ص58 ؛ ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص281.

1 – الاستعلام التكتيكي، ويقصد به أن يكون القائد العسكري على معرفة بالعدو والمعالم الجغرافية، والطقس، وفي زمن يسبق المعركة بحيث يتمكن من التخطيط للعمليات القتالية وتنفيذها بنجاح.

2 – الاستعلام الاستراتيجي المرتبط بالسياسة الدفاعية والخطط العسكرية على مستوى كل جيش ويكون مبنياً على العقيدة القتالية للدولة.

3 – مكافحة الاستعلام المعادي ومحاولة شلّه وحجب المعلومات عنه[1].

وبالفعل كان الجيش المغولي من أوائل الجيوش التي طبقت هذه المبادئ العسكرية في العالم، وتعد هذه المبادئ من أنجح وسائل النصر في الحروب الحديثة.

وقد تجسدت هذه المبادئ في جيش تيمورلنك من خلال توجيهاته وما كان لتيمورلنك ليبلغ درجة غزاة العالم لولا ما كان له من عبقرية عسكرية لا تنكر إلى جانب مواهبه الشخصية العالية[2]، كما سوف نلاحظه من خلال توجيهه لأمرائه فقد أمر تيمورلنك نائبه أمير الأمراء أن يتنبه إلى أربعة أشياء قبل الدخول إلى ميدان المعركة وهي:

1 – توافر الماء الكافي.

2 – وجود قوة من الحرس تغطي ميمنته وميسرته وساقته.

3 – أن يكون موقعه في موضع مشرف وأكثر علواً من موقف العدو وأن لا تكون الشمس في وجهه.

4 – أن تكون الأرض أمام صفوفه مكشوفة[3].

وإذا التزم بتطبيق هذه الأشياء يستطيع القائد العسكري التحكم في تحديد موقع المعركة ويساعده في ذلك الكشافون الذين ينطلقون في مقدمة الجيش بتتبع الآثار التي يتركها العدو خلال سيره ويحاولون تقدير حجم قواته من دراسة هذه الآثار من خلال مواقد النار وغيرها[4]، ويسبق الكشافون العيون الذين يتجاوزون خطوط الأعداء ويتجولون في المدن والقرى على هيئة تجار أو متصوفين أو مهرجين كما استُخدمت النساء في أعمال التجسس وكانت تقارير هؤلاء ترسل مشحونة بالمعلومات عن الحكام والأغنياء والأسعار[5]. كما اهتم بجمع المعلومات واختار ألف سائق جمل سريع وألف فارس سريع وألف واحد من الرجالة الموائمين وكان هؤلاء يزودون أنفسهم بالمعلومات والأخبار حول وقائع الممالك وأخبارها والثغور والجبهات ونوايا وخطط سلاطين الجوار ويتم

---

(1) الجمل: الفن العسكري المغولي، الجامعة اللبنانية، بيروت، 2007م، ص83 – 84.

(2) فامبري: تاريخ بخارى، ص220 – 221 ؛ الموسوعة العربية، م7، ص259.

(3) تيمور: منكرات تيمور مدبر العالم، ص128.

(4) يزدي: ظفر نامه، ج1، ص371.

(5) ابن عربشاه: عجائب المقدور ، ص282 – 283.

توصيلها إلى تيمورلنك في أسرع وقت ممكن[1]. كما جند تيمورلنك ما يسمى الطابور الخامس أو العملاء فلمّا اتجه تيمورلنك نحو بلاد الشام كان قد بث عيونه وجواسيسه في المدن التي يزمع احتلالها والتي تقع ما بين النهرين وبلاد الشام[2].

6 - تشكيل جيوش تيمورلنك أثناء الدخول للمعارك:

كان تيمورلنك يشكل جيشه أثناء الدخول للمعركة عندما يكون تعداد الأعداء لا يتجاوز الاثني عشر ألف فارس على النحو التالي:

فوج الطليعة	
فوج المقدمة	
فوج مقدمة الميمنة	فوج مقدمة الميسرة
الفوج الأول من الميمنة	الفوج الأول من الميسرة
الفوج الثاني من الميمنة	الفوج الثاني من الميسرة
كتلة الجيش الرئيسية (قول)	

تشكيل الجيش التيموري عندما يكون جيش العدو أكثر من اثني عشر ألف وأقل من أربعين ألفاً[3]:

مقدمة	
طليعة مقدمة الميمنة	طليعة مقدمة الميسرة
فوج أول ميمنة	فوج أول ميسرة
فوج ثانٍ ميمنة	فوج ثانٍ ميسرة
مقدمة ساقة الميمنة	مقدمة ساقة الميسرة
فوج أول من ساقة الميمنة	فوج أول من ساقة الميسرة
فوج ثانٍ من ساقة الميمنة	فوج ثانٍ من ساقة الميسرة
كتلة الجيش الرئيسية (قول)	

تشكيل جيش تيمورلنك أثناء تجاوز تعداد العدو أربعين ألف فارس[1]:

---

(1) تيمور: مذكرات تيمور، ص120.

(2) برجاوي: الإمبراطورية العثمانية، ص45.

(3) تيمور: مذكرات تيمور، ص131 - 135.

طليعة احتياط الميمنة	طليعة احتياط الميسرة
مقدمة	
فوج: أول، ثانٍ، ثالث، رابع، خامس، سادس	
طليعة مقدمة الميمنة	طليعة مقدمة الميسرة
ميمنة	ميسرة
فوج: أول، ثاني، ثالث، رابع، خامس، سادس	فوج: أول، ثاني، ثالث، رابع، خامس، سادس
مقدمة ساقة الميمنة	مقدمة ساقة الميسرة
ساقة فوج الأمير زاده	ساقة فوج الأميرين
الكتلة الرئيسية من الجيش	
الأفواج الاثنا عشر أو يماقي الذين حصلوا على التمغا	
السلطان	

7 - الحرب النفسية:

كشفت الحروب التي خاضها تيمورلنك عن عبقرية عسكرية في التخطيط والتعبئة والحرب النفسية وما تهيأ له من جيش ثابت حسن التدريب ودرج أفراده على الطاعة العمياء وقواده على أعلى درجات الكفاية[2].

ولعل أهم ما يلفت النظر في أساليب تيمورلنك الحربية اعتماده على الحرب النفسية إلى حد كبير بهدف تبديد قوة أعدائه حينها لجأ في حروبه إلى استعمال قسوة غير معهودة لم يوجد في معظم الأحوال ما يسوّغها على الاطلاق ولا كيف يمكن تسويغ تشييده منارات من ألفين من الأحياء وضع بعضهم فوق بعض وعقدوا باللبن والطين عند استيلائه على اسفزار بأفغانستان الحالية أو القباب التي عملت من رؤوس سبعين ألفاً من القتلى عقب انتفاضة أصفهان التي أشرنا إليها فيما سبق ودفن أربعة آلاف من الأحياء عقب سيطرته على سيواس بآسيا الصغرى والأكثر فظاعة قتله مائة ألف من أسرى الهنود قبل معركته مع سلطان دهلي محمود دهلوي ولم يوجد بين أيديهم أي ضرب من السلاح[3].

---

(1) تيمور: مذكرات تيمور ، ص139.

(2) فامبري: تاريخ بخارى، ص221. الموسوعة العربية، م7، ص259.

(3) يو - يكوبوفسكي: تيمورلنك، ص133 - 134.

ولا يوجد مسوّغ لهذه الأفعال إلا أنه اتخذها حرباً نفسية ويصف فامبري هذه الأفعال بالقول: «أننا حين نبعد عن الهوى في حكمنا على تيمورلنك إنما يقع اللوم عليه بوصفه مخرباً قد عاث في الأرض فساداً وإنما لمجرد استغلاله حقوق الفتح استغلالاً جائراً عنيفاً»[1]. وبسبب تلك القسوة كانت المدن تفتح أبوابها قبل وصول الجيوش وتهزم روح العدو قبل اللقاء وكان تيمورلنك يتعمد أن تذاع أخبار فتوحه وما جرى لخصومه من مصائب وويلات حتى تهز هذه الأنباء كحرب نفسية قلوب الملوك والأمراء[2]، ولم يغفل تيمورلنك في إعداد قادته نفسياً فقد أشار في مذكراته: «أن من واجب القائد العام أن يعد نفسه والأفواج التسعة المشكلة لجيشه بمنزلة مصارع دخل ميدان الصراع عليه أن يقاتل بكل جزء من جسده بذراعيه وقدميه وبصدره ورأسه»[3]. وقد عمل تيمورلنك أثناء احتدام القتال في أذربيجان عندما تقابل مع قرا يوسف على بث الشائعات ولاسيما بعد أن ارتعبت فيها عساكره واضطربت فقام فوضع على سنان رمحه رأس واحد من قادة أعدائه وقال إنه رأس قرا يوسف وصرخ بصوت مرتفع إلى قواته بأن قرا يوسف قد قتل وحينها قويت قلوب جنوده وتشجعوا في القتال[4]، كما استعمل الحيلة في أكثر من معركة كما سلف إما بإحراق النيران لإيهام العدو بكثرة جيشه واستقبال كل من لجأ إليه من الأصدقاء أو الأعداء. وكل هذه لها انعكاسات نفسية عند أعدائه.

كما لجأ تيمورلنك في حروبه إلى استخدام الخداع والتمويه وفي أكثر من مكان وقد ظهر ذلك جلياً في معركة أنقرة ضد العثمانيين وأثناء غزو بغداد الأول ضد الجلائريين[5].

ويمكن أن أستنتج أن من أسباب انتصار تيمورلنك في حروبه على كل الجبهات:

1 – الطاعة العمياء من قبل قياداته وجنوده.

2 – التفوق العددي وروح الانضباط.

3 – خفة الحركة والروح الهجومية.

4 – استخدام عيونه في كل مكان.

5 – الروح المعنوية والنفسية العالية.

6 – كفاية الناحية الإدارية.

---

(1) تاريخ بخارى، ص242.

(2) فرج: قاهر العالم تيمورلنك، ص81.

(3) تيمور: مذكرات تيمور ، ص129.

(4) تيمور: المصدر السالف، ص96.

(5) ابن عربشاه: عجائب المقدور ، ص283.

7 – الخداع والتضليل والتمويه للعدو.

سمرقند في عهد تيمورلنك:

حفلت سمرقند على عهد تيمورلنك بأساتذة الصناعة والفنون من أصفهان وشيراز وحلب وغيرها من مدن الشام والعراق ومصر وآسيا الصغرى وأذربيجان وغيرها من البلدان التي غزاها وقد أوجد تيمورلنك لهم جميعاً العمل واستطاع أن يستفيد من كل منهم في بناء عماراته سواء كانت من الأبنية الشاهقة كالقصور والمساجد والمدارس والأضرحة أو البساتين والمتنزهات أو مصانع السلاح أو حوانيت البيع والشراء وبناء تحصينات جديدة للمدن. هذا الافتتان بأعمال البناء والأبعاد الضخمة لعماراته أذهل كلافيجو والوفد المرافق له ولم يكن اعتباطاً أن كرّس أفضل صفحات كتابه لوصف عمارات تيمورلنك بسمرقند ميّز تيمورلنك ما وراء النهر عن بقية إمبراطوريته المترامية الأطراف بجعلها ملكه الخاص المرفه وينوه كلافيجو في مذكراته بأن الاجتياز إلى الضفة الشمالية لنهر لأموريا جيحون أي إلى ما وراء النهر كان مسموحاً به لكل من يريد ذلك. وخلاف ذلك لم يكن بمقدور أحد مغادرة ما وراء النهر دون إذن من تيمورلنك ذلك أنه لم يرد أن يفقد شخصاً واحداً من أهل الفن[1]، ويشير تيمور في مذكراته إلى: «أنه أقام في كل بلدة وفي كل مدينة مسجداً ومدرسة وخانكاه لإيواء الفقراء والمساكين ومشفى من أجل المرضى والعاجزين وعمل رواتب للأطباء شهرية كما أمر ببناء دار للإمارة ودار للعدل وعين مشرفين لمراقبة الأراضي المزروعة والمزارعين»[2]، وأصبحت سمرقند عاصمة هذه الإمبراطورية التي كونها تيمورلنك وقد عمل على ألا تساويها مدينة في قدرها وجمالها لذا لزم أن تكسف جميع العواصم المعروفة قبلها ويحكي ابن عربشاه أن تيمورلنك أنشأ في ضواحي سمرقند قصبات سماها بأسماء كبار البلدان كمصر ودمشق، وبغداد، وسلطانية، وشيراز، عرائس البلاد[3]، ويكمن وراء هذه التسمية فكرة سياسية معينة مفادها أن رواءها جميعاً يتضاءل أمام رواء سمرقند[4].

كما أصدر أمره إلى كل الأقاليم التي تضمها دولته بجمع كل المتسولين لمنحهم المساعدات والخبز يومياً وقرر لهم تعيينات حتى يتوقفوا عن التسول وإذا ما استمروا بعد ذلك بالتسول بعد أخذهم التعيينات فيجب بيعهم إلى البلدان الخارجية أو نفيهم من الولاية حتى يتم زوالهم والتخلص

---

(1) سفارة إلى تيمورلنك (1403 – 1406)، ص313 – 314 ؛ ابن عربشاه: عجائب المقدور في نوائب تيمور، ص291 – 292 ؛ فامبري: تاريخ بخاري، ص253.

(2) تيمور: مذكرات تيمور ، ص126.

(3) عجائب المقدور، ص291 – 292.

(4) يو – يكوبوفسكي: تيمورلنك، ص137.

منهم تماماً[1]. وفي كل سنة كان يصل إلى سمرقند كثير من التجار والتجارات من جميع المناطق من الصين، والهند، وبلاد التتار، وأصدر أوامره ببناء شارع يعبر سمرقند كلها تفتح الحوانيت فيه من الجانبين وتعرض فيه كل نوع التجارات[2].

لم يكتفِ تيمورلنك بتزيين المدينة بالمباني الجديدة بل أعاد في الواقع بناء المدينة نفسها إلى حد كبير فزودها بأسواق حفلت بالسلع القيمة ملأ محلاتها بمختلف الحرف والصناعات، ولا يزال عدد من هذه الأبنية ماثلاً للعيان من أهمها الأضرحة المهيبة في شاه زنده والمسجد الجامع المعروف حالياً باسم خانوم وضريح كوارامير الذي دفن به تيمورلنك وبعض أفراد أسرته التيموريين من أبنائه وأحفاده[3].

وفي كش شهر سبز لا تزال تقف الآن أطلال مدخل قصره البديع آق سراي وغيره من الأبنية والآثار المرموقة في مجال المعمارمنها مسجد خواجه أحمد يسوي بمدينة البستان، ما حاط سمرقند بساتين ومنتزهات تحيط بالقصور الواقعة خارج المدينة[4].

ويشير بارتولد: «أن تيمورلنك استدعى العلماء من كل مكان إلى سمرقند وحفر القنوات وشيد المباني حتى لقد كانت أفعاله في التعمير لا تقل أثراً في نفوس معاصريه عن أعماله في التخريب والتدمير»[5].

ويرى فامبري أنه يعود الفضل إلى تيمورلنك في إشاعة الاهتمام الجدي بالحركة العقلية والعلمية بالبلاد حتى بلغ بذلك العنصر التركي درجة من العزة لم يعرفها من قبل[6]، ويقدر كلافيجو عدد السكان في سمرقند بنحو مائة وخمسين ألف نسمة من الأتراك، والعرب، والمغاربة، والإغريق، والأرمن ومن الهند وغيرها[7].

والحقيقة أن الأسعار كانت منخفضة جداً في سمرقند علاوة بسبب وفرة الأغذية والأطعمة وأنواع الصناعات مثل حياكة الحرير من النوعين اللذين يعرفان بالصيني والكينكوب وكذلك السجاد والحرائر والأقمشة والتي تنتج هنا بأعداد كبيرة إضافة إلى البطائن الخاصة من الفرو للثياب

---

(1) تيمور: مذكرات تيمور ، ص123.

(2) كلافيجو: سفارة إلى تيمورلنك، (1403 – 1406)، ص304.

(3) الملحق رقم (6).

(4) يو – يكوبوفسكي: تيمورلنك، ص137.

(5) تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ص226.

(6) تاريخ بخارى، ص254.

(7) كلافيجو: سفارة إلى تيمورلنك (1403 – 1406)، ص314 – 315.

الحريرية وينسجون أقمشة ملونة بالذهب وهناك التوابل التي اهتم يتمورلنك بجلبها مع فكـــرة جعـــل عاصمته الأفخم.

وأينما ذهب إلىحيث وصل كان يحمل معه أفضل الناس لإسكانهم في سمرقند[1].

(1) كلافيجو: المصدر السالف، ص314.

الخاتمة

يمكن إيجاز مضمون البحث في النتائج الآتية:

1 – بيّنت الدراسة كيف تمكّن تيمورلنك من الاستيلاء على السلطة في بلاد ما وراء النهر ونجاحه في القضاء على منافسيه وتوجيه شعبه نحو الغزو الخارجي، واستغلاله حالة الفوضى والاضطراب السائدة في غرب آسيا بين حكام وأمراء الدويلات المستقلة على أنقاض الدولة الإيلخانية ولاسيّما بين حكّام آل مظفر في بلاد فارس، مما أدى إلى ضعف بلادهم ووقوعها فريسة سهلة بيد قوات تيمورلنك، ومن ثم شروع تيمورلنك في تأسيس إمبراطورية مغولية سارت على منوال سياسة الإمبراطورية المغولية التي أسسها جنكيز خان من قبل، وهي السياسة العنصرية القائمة على الغزو والتوسع واجتياح الدول وإرهاب الشعوب في محاولة للسيطرة على العالم تحت مسوغات مختلفة.

2 – أوضحت الدراسة أن السبب المباشر لتوتر العلاقات بين تيمورلنك وأحمد بن أويس الجلائري هو رفض الأخير الانصياع لتيمورلنك وعدم بعثه من بغداد رسولاً وعدم رفعه الراية البيضاء ولم يذكر اسم تيمورلنك في خطبة الجمعة ولم يضرب النقود باسمه عنواناً لخضوعه وانقياده. كما كشفت الدراسة عدم مقدرة أحمد بن أويس على إدارة الصراع السياسي والعسكري مع تيمورلنك، وإخفاق سياسته الداخلية حيث بالغ في قتل أمراء وأكابر دولته وامتد ظلمه حتى شمل سكان بغداد ما دفع بعض أعيان وأمراء بغداد إلى مكاتبة تيمورلنك يحرضونه على أحمد ابن أويس.

3 – أثبتت الدراسة أن الاضطراب السياسي والاقتصادي لدولة المماليك الجراكسة لاسيّما في عهد السلطان فرج بن برقوق كان له انعكسات سلبية على المنطقة، وظهر ذلك واضحاً في تواطؤ بعض أمراء ونواب الشام مع الغازي تيمورلنك لكي يحافظوا على مراكزهم في الشام ونكاية بالمماليك الجراكسة، علاوة على ضعف شخصية الناصر فرج بن برقوق، وسيطرة الأمراء عليه وعجزه العسكري عن إدارة الصراع في المنطقة، بل عجزه السياسي ورفضه التحالف مع السلطان العثماني بايزيد الأول، مما مكّن تيمورلنك من مواجهة كل فريق على حدة وإنزال الهزيمة بهما.

4 – برهنت الدراسة أنه لم يكن وراء غزو تيمورلنك لبلاد الشام أي دافع إصلاحي لرفع الظلم وإحلال العدالة والاقتصاص من قتلة رسله، بل كان هدفه الحقيقي الرغبة في إخضاع سلطنة المماليك لنفوذه وضمّها إلى إمبراطوريته، وقد اتضح ذلك أيضاً من خلال سيطرته على أموال بلاد الشام والتهجير القسري للخبرات العلمية والحرفية إلى عاصمته سمرقند، مما أدى إلى تدهور الحياة الاقتصادية والثقافية والعملية في بلاد الشام جراء ذلك الغزو التيموري الذي هدم القلاع وأحرق الجوامع، والمكتبات ونهب الأموال وعطل الزراعة، وأباد الإنسان.

5 – شكلت معركة أنقرة انعكاسات سلبية على العثمانيين على الصعد السياسية والاقتصادية وانتصاراً للبيزنطيين، حيث كانت عاصمتهم القسطنطينية محاصرة وتحت رحمة بايزيد العثماني فتنفست الصعداء لنصف قرن آخر، وعمّت الفرحة أرجاء القارة الأوروبية وأسرع حكام أوروبا الذين كانوا يخشون من عواقب التوسع العثماني نحوهم إلى تنشيط علاقاتهم مع تيمورلنك، فأرسل له كل من ملك فرنسا وإنكلترا برسالتي تهنئة، وكان لملك إسبانيا مراقبان حضرا المعركة في صفوف الجيش التيموري وأعقب ذلك إرسال بعثته الشهيرة إلى البلاط التيموري في سمرقند تحت إمارة كلافيجو.

6 – أظهرت الدراسة نجاح تيمورلنك في تحقيق أهدافه السياسية والاقتصادية، فعلى الصعيد الاقتصادي سيطر على الطريق التجاري الممتد من سمرقند حتى البحر المتوسط وأوقف النشاط التجاري على الطريق البحري الشمالي بين الشرق والغرب عبر أراضي القبيلة الذهبية.

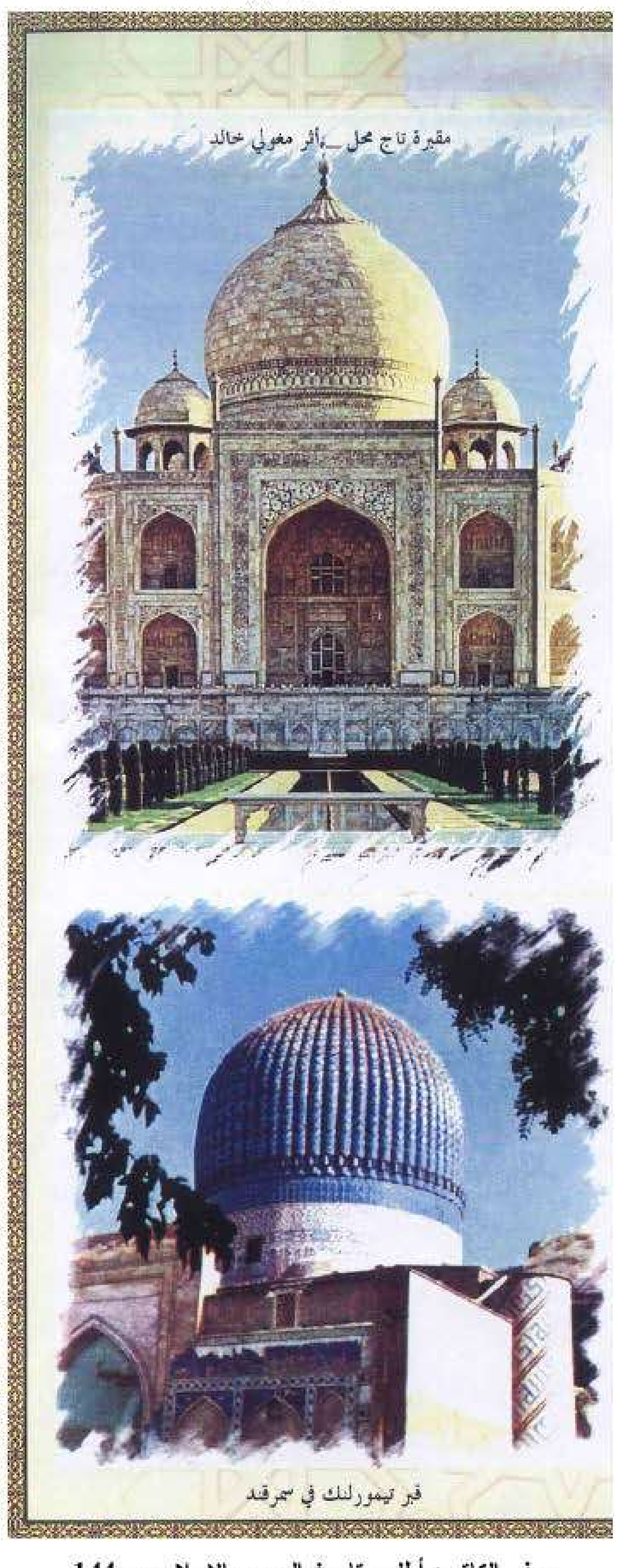
أما على الصعيد السياسي فكان انتصاره على العثمانيين نقطة تحول لتيمورلنك لاسيّما وهي آخر الدول الكبيرة المنافسة له على مستوى العالم الإسلامي بعد اجتياح الهند وخضوع المماليك الجراكسة في الشام ومصر فتوجه بأنظاره نحو غزو الصين.

7 – كشفت الدراسة تمتع تيمورلنك بشخصيةعسكرية وميدانية فريدة وقدرة كبيرة في التنظيم العسكري والإداري لدولته، حيث استطاع تأسيس إمبراطورية مترامية الأطراف في أقل من نصف قرن شهد لها الأعداء قبل الأصدقاء.

8 – وصوّرت الدراسة أسلوب تيمورلنك في الخداع والمكر والمراوغة السياسية وحبه الشديد للتدمير وابتزاز الأموال وسفك الدماء في سبيل الوصول إلى غايته وتحقيق طموحه في حكم العالم وإقامة عاصمته، التي جمع إليها الصناع وأصحاب الحرف والعلماء والفنانين من كل الدول التي غزاها، فكانت الخسارة كبيرة على العالم العربي والإسلامي اقتصادياً واجتماعياً وحضارياً جراء الخراب والدمار، بسبب طموح تيمورلنك اللامحدود تحت مظلة الإسلام.

الملاحق

ملحق رقم (1)

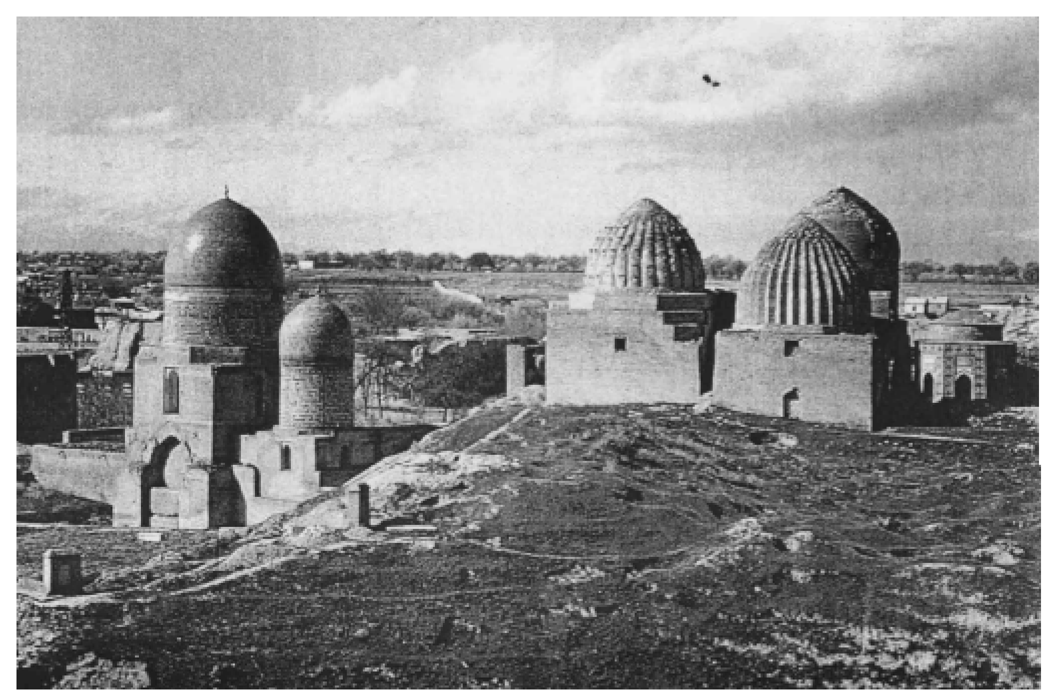


سيف الكاتب: أطلس تاريخ العرب والإسلام، ص144.

ملحق رقم (2)



تيمورلنك على عرشه منمنمته من القرن الثامن عشر، المكتبة الوطنية – باريس.
ابن خلدون والبحر والأبيض والمتوسط، ص185.



منظر لسمرقند في القرن الرابع عشر الميلادي

ابن خلدون والبحر والأبيض والمتوسط، ص119.

ملحق رقم (3)



La rout do Samarkand ou temps de tamerlan Run Goonazlez de Clavijo Traduit

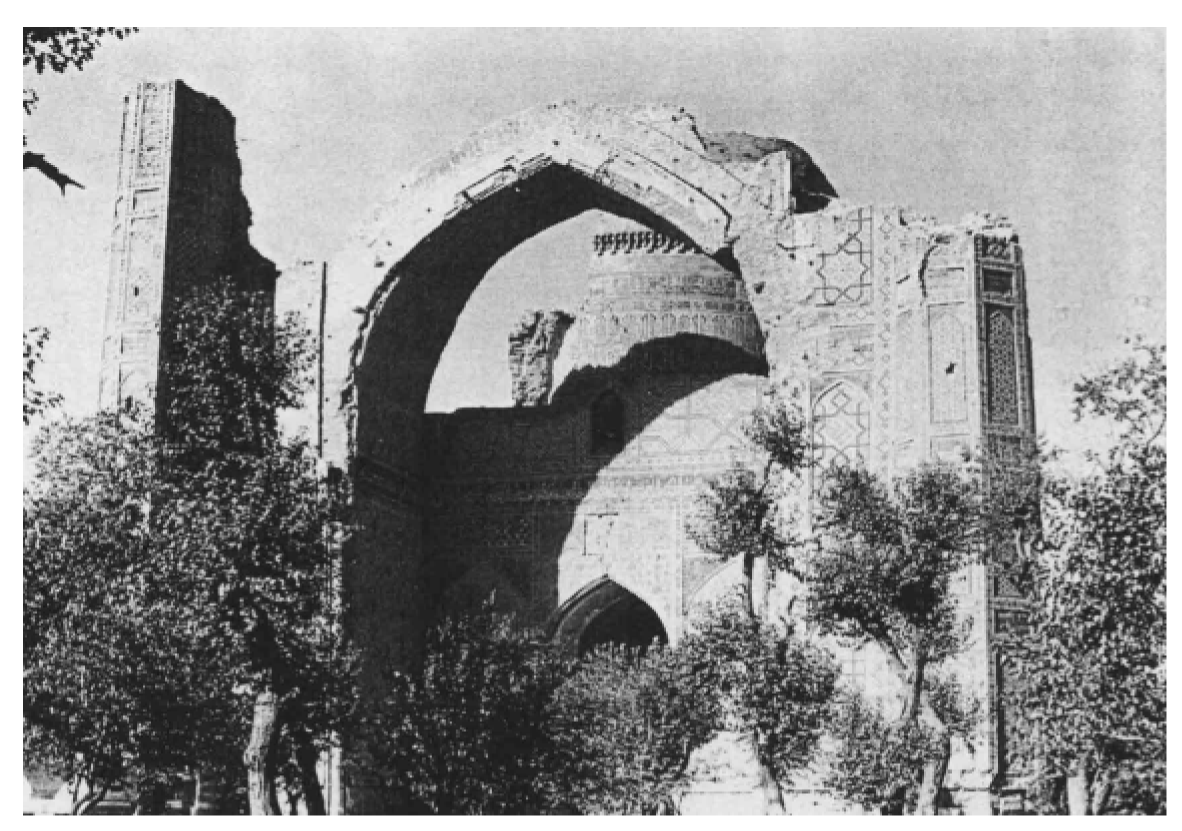
Parlucien. P. 121.



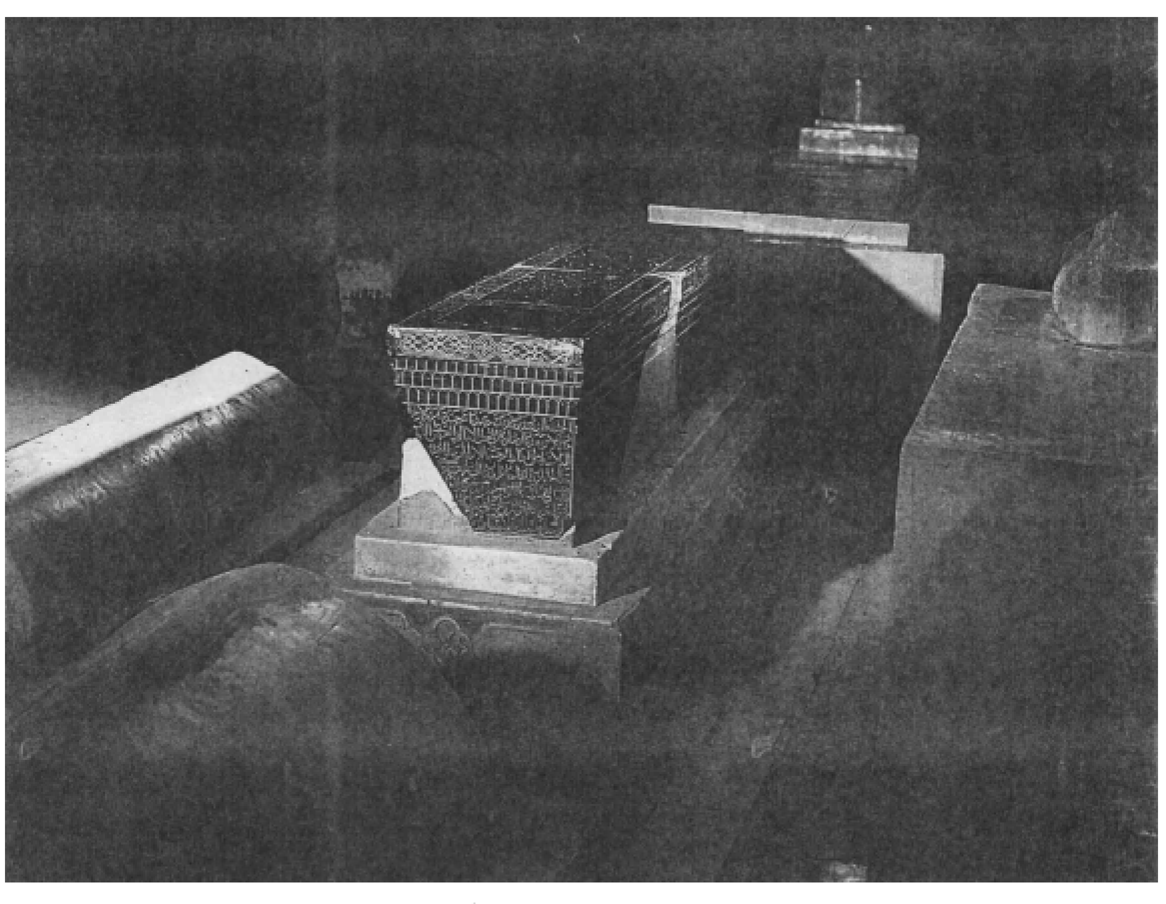
تصور لتيمور بناءاً على رفاته - تيمور www.google.com



Lucien Kehren: Tamerlan, L'Empire du Seigneur



Defer Ala Baconniére, neuchatel 1978. P 165.



قبر تيمورلنك في سمرقند - بأوزبكستان

قائمة بالمصادر والمراجع

القرآن الكريم

المخطوطات:

البغدادي: أحمد بن عبد الله (ت 1102هـ/ 1690م).

1 – عيون أخبار الأعيان ممن مضى من سالف العصور والأزمان مخطوط مصور بدار الكتب، القاهرة، برقم 3810.

ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي بن محمد (ت 852هـ/ 1448م).

2 – المجمع المؤسسي بالمعجم المفهرس، مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم 2260.

العيني: بدر الدين أبو محمد بن شهاب الدين (ت 855هـ/ 1451م).

3– عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، مخطوط الجزء التاسع عشر مصورة عن مكتبه أحمد الثالث باستانبول، مركز البحث العلمي وأحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، حوادث، 803هـ.

4 – مجهول: قطعة من تاريخ القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي نسخة من المخطوط في الجامعة الأردنية مركز الوثائق المخطوطات تحت رقم 4125.

المصادر العربية:

الإدريسي: محمد بن أحمد بن عبد الله.

6– نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية ط1، عالم الكتب، بيروت، 1409هـ/ 1989م.

الاصطخري: أبو إسحاق بن محمد الفارسي (ت 336هـ/ 917م).

7– المسالك والممالك، تحقيق، جابر عبد العال الحسيني، الجمهورية العربية المتحدة، 1961م.

ابن إياس: محمد بن أحمد بن إياس الحنفي (ت 930هـ/ 1523م).

8– بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط2، 1403هـ/ 1983م.

ابن بطوطة: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الطنجي (ت 779هـ/ 1377م).

9– رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، حققه، عبد الهادي التازي، أكاديمية المغرب، 1971م.

البغدادي: صفي الدين عبد المؤمن عبد الحق (ت 739هـ/ 1339م).

10- مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1373هـ/ 1954م.

البكري: أبي عبيد.

11- كتاب المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان، الدار العربية للكتاب 1992م.

ابن تغري بردي: جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت 874هـ/ 1469م).

12- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - دار الكتب العلمية ببيروت، 1992م.

ابن تغري بردي:

13- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق نبيل عبد العزيز، مركز تحقيق التراث.

ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي بن محمد (ت 852هـ/ 1448م).

14- أنباء الغمر بأنباء العمر، تحقيق محمد دهمان، وتحقيق حسن حبشي، القاهرة، 1969م - 1971م.

ابن حجر العسقلاني:

15- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد سعيد جاد الحق، القاهرة، دار الكتب، 1966م، وطبعة دار الكتبة العلمية بيروت 1992م.

ابن حجي: شهاب الدين أبي العباس أحمد (ت 816هـ/ 1413م).

16- الذيل على تاريخ ابن كثير، تحقيق الشامي، رسالة لنيل درجة الماجستير جامعة اليرموك، الأردن، 1999م.

ابن حوقل: أبو القاسم بن حوقل النصيبي (ت 381هـ/ 991م).

17- صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، لبنان، 1979م.

الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد العزيز الرومي (ت626هـ/ 1229م).

18- معجم البلدان، خمسة مجلدات، دار أحياء التراث العربي، بيروت.

الحميري: محمد بن عبد المنعم (ت 900هـ/ 1495م).

19- الروض المعطار في خير الأقطار، بيروت.

الحنبلي: أبو الفلاح عبد الحي بن العماد (ت 1089هـ/ 1668م).

20- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1413هـ/ 1993م.

ابن خردانبة: أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت 280هـ/ 893م).

21- المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد.

الخزرجي: أبو الحسن علي بن الحسن (ت القرن التاسع الهجري).

22- العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تحقيق محمد بسيوني، القاهرة، 1914م.

ابن خطيب الناصرية: علي بن محمد بن سعد (ت 843هـ/ 1439م).

23- الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب، تحقيق خليل الحسين رسالة لنيل درجة الماجستير، جامعة دمشق، كلية الآداب، 2004 - 2005م.

ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ/ 1405م).

24- تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر من تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط حواشيه خليل شحادة، دار الفكر، دمشق.

ابن خلدون:

25- التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً، تعليق الطنجي، لجنة التأليف والنشر، القاهرة، 1951م.

ابن دقماق: صارم الدين إبراهيم بن محمد (ت 809هـ/ 1406م).

26- الجوهر الثمين في سيرة الخلفاء والملوك والسلاطين، تحقيق عاشور، جامعة أم القرى، السعودية.

الرمزي: م.م.الشيري.

27- تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار، تحقيق، إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2002م.

ابن سباط: حمزة بن أحمد بن عمران (ت 926هـ/ 1519م).

28- صدق الأخبار تاريخ ابن سباط، تحقيق عبد السلام تدمري، طرابلس.

السخاوي: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت 902هـ/ 1496م).

29- الضواء اللامع لأهل القرن التاسع، دار مكتبة الحياة بيروت، 1966م. الموسوعة الشاملة، زكار، ج 47، 2005م.

السخاوي: الذيل التام على دول الإسلام للذهبي، تحقيق حسن إسماعيل مروة دار ابن العماد، بيروت، 1992.

30- وجيز الكلام في ذيل دول الإسلام،تحقيق بشار معروف وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1995م.

ابن الشحنه: أبو الوليد مجد الدين محمد بن محمود (ت 815هـ/ 1412م).

31- روضة الناظر في أخبار الأوائل والأواخر في حاشية ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج11، 12، القاهرة، د.ف 1303هـ/ 1883م.

الشوكاني: محمد بن محمد (ت 1250هـ/ 1834م).

32- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع، تحقيق حسين العمري، دار الفكر، دمشق، ط1، 1419هـ/ 1998م.

الشهرستاني: أبي الفتح محمد عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (548هـ/ 1153م).

33- الملل والنحل، دار الفكر، ط1 1419هـ/ 1999م.

الصدفي: رزق الله منقريوس.

34- تاريخ دول الإسلام، مطبعة الهلال، مصرن 1325هـ/ 1907م.

الصديق: محمد البكري.

35- المنح الرحمانية في الدولة العثمانية، تحقيق ليلى الصباغ، دار البشائر، دمشق، 1995م.

ابن صصري: محمد بن محمد 0ت 799هـ/ 1396م).

36- الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية، تحقيق وليم بريبنز جامعة كاليفورنيا، 1963م.

الصيرفي: للخطيب الجوهري علي بن داود (ت 900هـ/ 1494م).

37- نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق حسن حبشي مطبعة دار الكتب، القاهرة، 1970م.

الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت 310هـ/ 922م).

38- الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة.

الطرسوسي: نجم الدين إبراهيم بن علي الحنفي (ت 758هـ/ 1357م).

39- تحفة الترك، تحقيق عبد الكريم الحمودي، دار الشهاب، دمشق، ط1، 1421هـ/ 2000م.

ابن عربشاه: شهاب الدين أحمد بن محمد عبد الله الدمشقي (ت 854هـ/ 1450م).

41- عجائب المقدور في نوائب تيمور، تحقيق سهيل زكار، دمشق، 2005م.

42- وتحقيق أحمد الحمصي، مؤسسة الرسالة، 1985م.

العيني: بدر الدين أبو محمد محمود بن شهاب الدين(ت 855هـ/ 1451م).

43- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (السلطان برقوف) من 784 - 801هـ - مكتبة مدبولي، مصر، 2002م.

الغزي: كامل حسين محمد الحلبي.

44- كتاب نهر الذهب من تاريخ حلب، تصحيح شوقي شعث، دار القلم العربي، حلب، 1993م.

الغياثي: عبد الله بن فتح الله البغدادي (ت 891هـ/ 1486م).

45- التاريخ الغياثي، تحقيق طارق الحمداني، مطبعة أسعد، بغداد 1975م.

ابن الفرات: ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (ت 803هـ/ 1401م).

46- تاريخ ابن الفرات، تحقيق قسطنطين زريق وزميله، بيروت المطبعة الأميركية، 1936م.

ابن فضلان: أحمد بن العباس بن راشد بن حماد (ت 309هـ/ 921م).

47- رسالة ابن فضلان، تحقيق شامي الدهان، مديرية أحياء التراث العربي، دمشق.

ابن الفقيه: أحمد بن إبراهيم الهمذاني (ت 290هـ/ 902م).

48- مختصر البلدان، مكتبة المثنى، بغداد، 1302هـ.

ابن قاضي شهبه: تقي الدين أبو بكر أحمد بن محمد الدمشقي (ت 851هـ/ 1447م).

49- تاريخ ابن قاضي شهبة، تحقيق عدنان درويش، دمشق، 1977م، ج3 من 781 - 800هـ - أحداث سنة 803هـ الموسوعة الشاملة. سهيل زكار، ج47، 2005م.

ابن قاضي شهبه: تقي الدين أبو بكر أحمد بن محمد الدمشقي (ت 851هـ/ 1447م).

50- الإعلام بتاريخ أهل الإسلام، تحقيق حسن عبد الرحيم سليمان، رسالة لنيل الماجستير، كلية الأدب عين شمس، القاهرة، 1971م.

القرماني: أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي (ت 1019هـ/ 1707م).

51- أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، تحقيق أحمد حطيط، وفهمي سعيد، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1412هـ/1992م.

القزويني: زكريا بن محمد بن محمود (ت 682هـ/ 1283م).

52- آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1960م.

القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي (ت 821هـ/ 1418م).

53- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تعليق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987م.

القلقشندي:

54- مآثر الأناقة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار فرج، الكويت، 1964م.

ابن مفلح: برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد (ت 884هـ/ 1479م).

55- المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، تحقيق، عبد الرحمن العثيمين، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1410هـ/ 1990م.

المقدسي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن البناء البشاري (ت 380هـ/ 990م).

56- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار التراث العربي، بيروت، 1987م.

مقديش: محمد بن سعيد ت (1228هـ/ 1813م).

57- نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1988م.

المقريزي: أحمد علي بن عبد القادر (ت 845هـ/ 1441م).

58- السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق حسن حبشي، القاهرة، دار الكتب، 1970م. وتحقيق سعيد عاشور، دار الكتب، 1971م، وتحقيق مصطفى زيادة.

المقريزي:

59- المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، تحقيق أيمن فؤاد، مؤسسة الفرقان، لندن، 2002م.

ابن الوردي: سراج الدين أبي حفص عمر (ت 861هـ/ 1456م).

60- خريدة العجائب وفريدة العجائب، تحقيق محمد فاخوري، دار المشرق العربي، بيروت، 1411هـ/ 1991م.

المهلبي: الحسن بن أحمد (ت 380هـ/ 990م).

61- الكتاب العزيزي (المسالك والممالك) علق عليه تيسير خلف، التكوين للطباعة والنشر، ط1، 2006م.

المصادر الأجنبية:

(فارسية – تركية – صينية – أوروبية).

الاسترابادي: عبد العزيز اردشير (ت 801هـ/ 1398م).

62- بزم ورزم، استانبول، مطبعة الأوقاف سي، 1928م.

البدليسي: (ت 1005هـ/ 1596م).

63- شرفنامة، ترجمة محمد عوني، دار إحياء الكتب العربية، 1962م.

بياني شيرين:

64- تاريخ آل جلاير، تهران، دانشكاة تهران، 1345م.

تيمور: (807هـ/ 1405م).

65- مذكرات تيمور مدبر العالم، نقله إلى العربية سهيل زكار، دمشق 1425هـ/ 2005م.

الجويني: عطا ملك (ت 679هـ/ 1280م).

66- تاريخ فاتح العالم جهانكشاي، نقله إلى العربية محمد التونجي، دار الملاح للطباعة والنشر، 1405هـ/ 1985م.

حافظ آبرو: شهاب الدين عبد الله بن لطف الله الخوافي (ت 834هـ/ 1430م).

67- زبدة التواريخ، بايسنقري، تحقيق فلكس تاور، براغ، 1956م.

حافظ آبرو:

68- بنج رسالة تاريخي، تحقيق فلكس تاور، براغ، 1965م.

حافظ آبرو:

69- ذيل جامع التواريخ، دشيدي بسعي خانبابياني، طهران، شركة تضامني على، 1317هـ.

خواندامير: غياث الدين بن همام (ت 942هـ/ 1535م).

70- حبيب السير في أخبار أفراد البشر، خيابان نصر خسرو، 1323هـ.

خواندامير:

71- دستور الوزراء، ترجمة حربي سليمان، الهيئة المصرية للكتاب، 1980م.

دميجنانللي:

72- حياة تمرلان، ترجمة أحمد سليمان ضمن كتابه تيمورلنك ودولة المماليك الجراكسة، دار النهضة العربية، مصر، ط1، 1405هـ/ 1985م ؛ وترجمة سهيل زكار في الموسوعة الشاملة، ج 47، دمشق، 2005م.

الشامي: نظام الدين (ت 814هـ/ 1411م).

73- ظفر نامة، تحقيق فلكس تاور، بيروت، 1937م.

شكيب أرسلان:

74- تاريخ الدولة العثمانية، تحقيق حسن سويدان، دار ابن كثير دمشق، ط1ن 1422هـ/ 2001م.

فريدون: بيك أحمد (ت 991هـ/ 1583م).

75- مجموعة منشأت السلاطين، استانبول، ط5، 1265هـ - طبعة القسطنطينية 1264هـ.

كامل باشا:

76- تاريخ سياسة دولة عليه، بدون تاريخ طبعه.

كلافيجو: روي دي كونزالس.

77- سفارة إلى تيمورلنك (1403 - 1406) نقله إلى العربية، سهيل زكار، دمشق، 1426هـ/ 2005م.

لي شه شانغ:

78- رحلة الراهب الطاوي شان شن إلى هندكوش بناءً على دعوة جنكيزخان، الموسوعة الشاملة، ج47، دمشق، 2005م.

مجهول.

79- التاريخ السري للمغول، نقله إلى العربية، سهيل زكار، دمشق 1342هـ/ 2005م. المصدر صيني كتب بالصينية.

ميرخوند: مير بن محمد سيد برهان الدين خواوند شاه (ت 903هـ/ 1497م).

80- روضة الصفاقي سيرة الأنبياء والملوك والخلفاء، طهران، كتاب فروشبهاي، 1339هـ.

النرشخي: أبو بكر محمد بن جعفر (ت 348هـ/ 959م).

81- تاريخ بخاري، تعريب وتحقيق أمين بدوي، ونصر الله الطرزي، دار المعارف بمصر، 1965م.

نطنزي: معين الدين (ت 816هـ/ 1413م).

82- منتخب التواريخ، تحقيق جين أوبن، طهران، مكتبة الخيام، 1957م.

الهمذاني: رشيد الدين فضل الله (ت 717هـ/ 1318م).

83- جامع التواريخ، نقله إلى العربية فؤاد الصياد، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1683م.

الهمذاني:

84- التاريخ الغازاني من جامع التواريخ، تحقيق سهيل زكار، دمشق 1425هـ/ 2005م.

يزدي: شرف الدين علي (ت 858هـ/ 1454م).

85- ظفر نامة، بتصحيح واهتمام محمد عباس، طهران، جزئين، 1336هـ.

المراجع الأجنبية:

86 – ادهم، خليل: دول إسلامية، استانبول، من مطبعة، 1927م.

87 – اوزتونا، يلماز: تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة، عدنان محمود سليمان، تركيا، منشورات، مؤسسة فيصل للتمويل، استانبول، 1988م.

88 – استرداد، فرانسيسكو: سفارة إنريكي الثالث القشتالي إلى تيمورلنك في الفترة الأخيرة من زمن ابن خلدون، ترجمة إبراهيم سعيد فهيم، جامعة كومبلتز، مدريد.

89 – إقبال، عباس: تاريخ إيران بعد الإسلام، نقله إلى العربية، محمد منصور، دار الثقافة والنشر، القاهرة، 1989م.

90 – إقبال، عباس: تاريخ المغول، نقله إلى العربية، عبد الوهاب علوب، المجمع الثقافي أبوظبي، الإمارات المتحدة 2000م.

91 – انخل، ميجيل: قدوم الأتراك والمغول، ترجمة إبراهيم سعيد فهيم، معهد التاريخ مدريد.

92 – بازوكي، رضا: تاريخ إيران، إز مغول نا آقشارية، ارزوي برنامة وزارلت معارف جاب أول رد مادي ماه، 1316هـ.

93 – باشا، جودت: تاريخ جودت، 12 مجلد، دار الطباعة العامرة، 1257هـ.

94 – بالنسيا، رافيل: ابن خلدون وتيمورلنك، ترجمة أحمد نبيل، جامعة سابيا.

95 – برتولد، فاسيلي فلاديميروفتش: تاريخ الترك في أسياد الوسطى، ترجمة أحمد سليمان، مكتبة الأنجلو المصرية، 1958م.

96 – برتولد، فاسيلي فلاديميروفتش: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ترجمة، صلاح الدين عثمان، الكويت، 1981م.

97 – بروكلمان، كارل: تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه فارس ومنير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، 1968م.

98 – برنارنتين، ميشيل: الإمبراطورية الأسيوية في القرن الرابع عشر، ترجمة، قاسم عبده قاسم، جامعة نابولي.

99 – بيتر، جاكسون: سلطنة دلهي تاريخ سياسي وعسكري، ترجمة فاضل جتكر، مكتبة العبيكات، السعودية، ط1، 2003م.

100 – بيكان، جان: تاريخ أدبيات إيران، ترجمة عيسى الشهابي، طهران، 1328هـ.

101 – ستوف، فلاديمير: حياة جنكيزخان، ترجمة، سعد الغامدي، الرياض، 1983م.

102 – شنيدر، فرنان: تاريخ الفنون العسكرية، ترجمة انطونيوس، منشورات، عويدات، بيروت.

103 – علي، رشاد: تاريخ عمومي، استانبول، 1341هـ.

104 – غروسيه: جنكيزخان قاهر العالم، نقله إلى العربية، خالد عيسى صححه، سهيل زكار.

105 – فالتر، هنس: المكاييل والأوزان الإسلامية، ترجمة، كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان 1970م.

106 – فامبري: تاريخ بخاري، ترجمة أحمد الساداتي، مطبعة، شركة الإعلانات الشرقية.

107 – فيشل: لقاء بن خلدون تيمورلنك، ترجمة محمد توفيق، دار مكتبة الحياة، بيروت.

108 – لامب، هارولد: تيمورلنك، ترجمة عمر أبو النصر، المطبعة الوطنية، ط1، بيروت، 1934م.

109 – لامب، هارولد: جنكيزخان، ترجمة بهاء الدين نوري، مطبعة السكك الحديدة، العراقية، بغداد 1946م.

110 – لسترنج، كي: بلدان الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية، فرنسيس كوركيس المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1981.

111 – لين بول، ستانلي: الدول الإسلامية، نقله إلى العربية، محمد صبحي، مطبعة فلاح، دمشق، 1974م.

112 – نومكين، فيتالي: سمرقند، ترجمة صلاح، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط1، 1996م.

113 – يوسيكوبوفسكي: تيمورلنك، ترجمة صلاح هاشم، مجلة الدراسات التاريخية، م 15، العدد السابع، الأردن، 1988م.

المراجع العربية:

114 – أبو الفضل، سميحة: السامانيون ودولتهم فيما وراء النهر، رسالة دكتوراه، جامعة دمشق، 1992.

115 – أحمد، محمد: الغزو التيموري لبلاد الشام وآثاره، دار الهداية للطباعة، والنشر، مصر، 1986م.

116 – إسماعيل، اكتمال: الآثار الاجتماعية والاقتصادية، للحملات المغولية على بلاد الشام، دار رسلان، دمشق، ط1، 2008م.

117 – أمين، محمد: الغزو المغولي لديار الإسلام، والأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، 2005م.

118 – برجاوي، سعيد: الإمبراطورية العثمانية، الأهلية للنشر، بيروت، 1993م.

119 – الجوابرة، فاطمة: موسوعة الخلفاء، دار الصفا للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2004م.

120 – الجمل، محمود: الفن العسكري المغولي، الجامعة اللبنانية، بيروت، 2007م.

121 – حطيط، أحمد: دراسة في الإستراتيجية العسكرية للمغول من أيام جنكيزخان حتى عهد تيمورلنك، دار الفكر، بيروت، ط1، 1994م.

122 – الحلبي، راغب: أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، دار القلم العربي، حلب، ط2، 1988م.

123 – حليم، إبراهيم بك: تاريخ الدولة العثمانية، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت، ط1، 1421هـ/ 2000م.

124 – الخالدي، إسماعيل: العالم الإسلامي والعالم المغولي، مكتبة الفلاح، الكويت، 1984م.

125 – الخوري، منير: تاريخ حمص، نشر مطرانية حمص، الأرثوذكسية ط1، 1984م.

126 – خطاب، محمد شيت: بلدان الخلافة الشرقية، دار قتيبة، دمشق، 1411هـ/ 1990م.

127 – خطّاب، محمد شيت: قادة الفتح الإسلامي، دار الفكر، ط3، 1974م.

128 – خلوصي، إحسان: الطريق إلى سمرقند، مطبعة هاشم الحديثة، 1990م.

129 – خليل، شوقي: فتح سمرقند، دار الفكر المعاصر، لبنان.

130 – خليل، انطوان: الدولة المملوكية التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري دار الحداثة، بيروت، ط1، 1982م.

131 – دائرة المعارف الإسلامية، دار المعرفة، بيروت.

132 – الديوجي، سعيد: جوامع الموصل في مختلف العصور، مطبعة شفيق، بغداد، 1963م.

133 – رافق، عبد الكريم: بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت، دمشق، ط1، 1968م.

134 – الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية، القاهرة، 1957م.

135 – سعيد، عاشور: العصر المملوكي في مصر والشام، ط1، القاهرة، 1965م.

136 – سليمان، أحمد: تيمورلنك ودولة المماليك الجراكسة، دار النهضة العربية، ط1، 1405هـ/ 1985م.

137 – شاكر، مصطفى: موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1993م.

138 – شبارو،عصام: تاريخ المشرق العربي والإسلامي، دار الفكر، لبنان، ط1، 1999م.

139– شلبي، أحمد: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ط1، مطابع سجل العرب، 1983.

140 – الشلي، فيصل: بلاد الشام في ظل الدولة المملوكية الثانية، دار الزمان، دمشق، ط1ن 2008م.

141– – شهاب، مظهر: تيمورلنك، جامعة القديس يوسف، بيروت، 1981م.

142 – الشواربي، إبراهيم: حافظ الشيرازي، دار المعارف، 1944م.

143– الشيبي، كامل: الفكر الشيعي والنزعات الصوفية، بغداد، مطبعة عاني، 1966م.

144 – شيخو، أمين: حقيقة تيمورلنك، تحقيق الديراني، دار نور البشير، دمشق، 2006م.

145 – صفا، محمد: تيمورلنك، دار النفائس، بيروت، ط1، 1410هـ/ 1990م.

146 – طرخان، إبراهيم: مصر في عهد المماليك الجراكسة، القاهرة، 1965م.

147 – طقوش، محمد: تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند، دار النفائس لبنان، ط1، 2007م.

148 – العزاوي، عباس: تاريخ الفيلية، المجمع اللغوي، بغداد، 2003م.

149 – العزاوي، عباس: تاريخ العراق بين احتلالين، الدار العربية للموسوعات، بغداد 1935 – 1956م.

150 – علي، أحمد علي: تاريخ بلاد الشام في العصر المملوكي، دمشق، 2000م.

151 – علي، كرد: خطط الشام، بيروت، 1389هـ/ 1969م.

152 – العسلي، بسام: الفاتح القائد، دار النفائس، ط1، بيروت، 1986م.

153 – العلبي، أكرم: تيمورلنك وحكايته مع دمشق، دار المأمون للتراث، ط4، 1987.

154 – فرج، السيد: قاهر العالم تيمورلنك، دار الفكر، القاهرة، ط2، 1957م.

155 – الفقي، عصام: بلاد الهند في العصر الإسلامي، عالم الكتب، القاهرة، 1980م.

156 – فياض، محمد: تيمورلنك، مطبعة المعارف، القاهرة، 1980م.

157 – الكاتب، سيف الدين: اطلس التاريخ الحديث، دار المشرق العربي، لبنان، 1427هـ/ 2006م.

158 – موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين، الدار العربية طبعة جديدة.

159 – الموسوعة العربية، دمشق، ط1، 2003م.

160 – مهاوي، جاسم: تاريخ الغزو التيموري للعراق والشام، بغداد، 1979م.

161 – مهنا، أسامة: نشاط الخوارزميين في الشام والجزيرة، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، 2007م.

162 – هاني، أبو غضب أطلس تاريخ العالم، المكتبة الجامعية، عمان، 2004.

163 – وجدي، محمد فريد: دائرة معارف القرن العشرين، دار الفكر.

الدوريات:

164– الحوليات الأثرية العربية السورية، م 35، 1985م.

165 – خليل نوري: حملات تيمورلنك على بغداد، المورد، م 8، عدد 1979م.

166 – الندوة الدولية دمشق في التاريخ، 2006م.

المصادر والمراجع الأجنبية:

167 - Aubin (J.): Tamerlana, Bagdad, Arabica Special, Tomeb, Fase 3. 1962.

168 - Barthold (W.): Turksentan down to the Mongol Invasion, London, 1988.

169 - Barthold (W.): Four studis on the history of Central, Asia, from Russian by Minorsky, Volume Leiden, 1962.

170 - Barthold (W.): Ulgh Beg, translated from the Russian v.and T. minorsky. London, 1963.

171 - Bouvat (L.): L'Empir mongol (2eme) phase Paris. 1927.

172 - Browne (A.): Aliterary history of pexsia the tartar dominio -1262 - 1502 Combridge university press. 1951.

173 - Blochet (E.) Instructional a l'hsitoire des Mongols London, 1910.

174 - Budge (E.): Chronograph y of Abu -L- Faragr Bar Hebraeus, Oxford, 1932.

175 - Cahn (M.) Formation territoriale de l'Asie, Timour et le second Empire Mongol histoire du IV siècle à nos jours publiée sous la direction du Lavisse et Ram Baud tome III Paris. 1931.

176 - Chambdor: Tamerlan, Paris. 1942.

177 - Fourstudis on the history of Central, Asia, tr From Russian by Minorisky Leidn Brill, 1962.

178 - Grousset (R.): the Empire of the steppes, Ahistory of Central Asia. Translated from the French, by Nami Walford, New Brunswick, Newjersey. l'Empir des steppes 4em dition, Paris, 1980.

179 - Holt (P.): Cambridge history of Islam, vol, I, (Cambride university press, 1970).

180 - Hook ham, Hilda: Tamburlaine, the Conqueror, London, 1962.

181 - Houtsma (m.) The Aat, Bayazid.

182 - Howrth: History of Mongol From th 19th century part III the Mongols of Parsia. London 1888.

183 - Howrth: History of the Mongols, vol 111 London. New York Burt Franklin. 1888, 1927.

184 - Islam Ansiklopedis, (Istanbul, Maurif Baieri 1955.

185 - Lamp (H.): Lavie de Tamerlan (traduit de L'Anglais par pieer Jean Robert). Paris 1931.

186 - Lucien (Bourat): L'Empir Mongol, Paris. 1927. Malcolm (S.): The History of persia. Vol 1. London.

187 - Mirza (Haider): Tarkhi Rashidi, rr. From, Persian. 1815 B.E.D.Ross. LLodo press. 1973.

188 - Otakar (K.): Histiry of Iranian Liteatur, 1960.

189 - Prawdin (M.) The Mogol Empir Its Ries and Legacy Traslated by. Eden and cedar paul- London.

190 - Prawdin: L'Empir Mongol et Tamerlane, Paris. 1937.

191 - Sanjian (Krikor): Colophons of Armenian Manuscripts (1301-1480) London. 1969.

192 - Schitberger (J.): the Islmic word in Fotign Travek account the Bondag and travls in Eurpe, Asia, and Africal (1396-1427) Repint of the Edition, London. 1879-1995.

193 - Stwart (S.): The Mulfuzat Timury ot Autobiog raphical Memoirs of the Mongol Emperor Timur written in the Turky Longuage. London. 1830.

194 - Sykes (Sir percy) History of parsia. tow volumes. London. 1958-1969.

195 - Takindag: beruk Memluk sultaligi cxir yuzyil Misir dair arastiralar Istan bul Edebiyat Fakules Matbsi. 1961.

196 - The Encyclopadia Britannica, Eleventh Edition 1911.

197 - Tony bee (A): A study of history (x Volums) oxford New York, Toronto. 1963.

198 - Unknown: Modrn History Bieng A continuation of the Uniaersal History, London, pubished 1923.

199 - Uzunarsili: Osmanli tarihi, Igilt, 2 baski Ankara turk tarihi Kuruma Basimeri, 1961.

200 - Verndisky (G.): A history of Russia Vol. 111, The Mongol and Russia (New Haven Yale university. Press. 1959).

201 - Wilber (N.): Iran past and present Princeton 1967.

202 - www. Google. Com.

compulsory deportation of scholars and artisans to his capital Samarkand, which led to the deterioration of economic, cultural and scientific life in Bilad Al-Cham due to Tamarlan's invasion which destroyed forts and set mosques and libraries on fire; and vandalized public funds and paral)'zed agriculture and exterminated Man.

Ankara Battle left negative effects on the Ottomans on political and economic levels on the one hand; and it was a victory for the Bezantines, on the other; whose capital Constantinople was besieged and under the control of Bayzid the Ottoman. So, it breathed relief for another half a century. Rejoice prevailed Europe as a whole and European rulers, who were afraid of the repercussions of Ottman expansion, hurried to activate their relations with Tamarlan. Kings of France and England sent messages of congratulation to him. Spain's king had observers who attended the battle with the Tamarlan's army. This was followed by sending his famous missionary to Tamarlan's royal court in Samarkand headed by Klafigo.

The study showed Tamarlan's success in the achievement of his political and economic goals. On the economic level, he dominated the trade route extending from Samarkand to the Mediterranean. He stopped the commercial activity on the North Sea route between the East and the West via the Golden Tribe territories.

On the political level, his victory over the Ottomans constituted a turning point for Tamarlan; as it was the last big rival country on the Islamic world level after incursion into India and the submission of the Cerkes Mamalik in al-Cham and Egypt. So, he thought about the invasion of China.

The study has showed that Tamarlan enjoyed a unique military and filed character, as well as a great ability in military and administrative planning for his state as he established an extensive empire in less than half a century which friends and foes admitted.

The study has showed Tamarlan's style of double-dealing, guile and political maneuvering, as well as his love for destruction, blackmail and blood-letting for achieving his objectives and ambitions regarding ruling the world and setting his capital to which he brought artisans, scholars and artists from allover the states he had invaded. This was a big loss for both the Arab and Islamic worlds; economically and socially, as well as culturally. This is caused by the destruction and vandalism brought in because of the unlimited Tamarlan's ambition under the umbrella of Islam.

Summry

TAMARLAN: HIS POLITICAL AND MILITARY CHARACTER

Conclusion

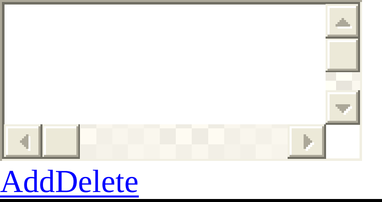
The study has explained how Tamarlan seized power beyond the River and how he succeeded in knocking down his rivals and sending his people go to external invasion. The study also explained how he made use of the state of chaos and disorder which prevailed in West Asia among rulers and princes of independent states in the aftermath of the Elekhanite state; particularly among the rulers of Mudhafars in Persia which led to the weakness of their country and making it fall an easy prey in the hands of Tamarlan. Then, Tamarlan set up a Mongol Empire which followed suit of the Mongol Empire policy which was already established by Jenkiz Khan; and which is a racial policy based on invasion, expansion and incursion into other states, and teuorizing peoples in an attempt to control the world under different pretexts...

The study explained the direct reason for the tense relations between Tamarlan and Ahmad bin Owess Al-Jalaeri; which is the rejection by the latter to subdue to Tamarlan. He did not send a messenger from Baghdad, neither he raised white banners (ofsuuender). He did not mention his name at Friday sermons, or strike coin in his name as a signal of his submission and capitulation.

The study also showed the inability of Ahmad bin Owess to manage political and military conflict with Tamarlan, and the failure of his domestic policy as he had gone too far in killing the princes and senior officials of his state. His unjust policy extended to include Baghdad's population; which prompted some dignitaries and princes of Baghdad to write to Tamarlan instigating him against Ahmad bin Owess. It (the study) showed the political and economic chaos in the Cherkes Mamalik state; particularly under the reign of Sultan Faraj bin Barkok. This had had negative effects on the region; and it was clear through the collusion of some princes and dignitaries of Al- Cham with the invader Tamarlan to maintain their positions in Al-Cham on the one hand; and to annoy the Cherkes Mamalik on the other. This is in addition to the weak character of Al-Nasser Faraj bin Barkok and the control by princes on him, as well as his military inability in the management of conflict in the region and his political inability; which was clear when he rejected to make alliance with the Ottoman Sultan Bayzid I. This enabled Tamarlan to confront each party separately and defeat them.

The study proved that Tamarlan's invasion of Bilad Al-Cham (Proper Syria) had had no reformatory motive to lift injustice and support justice, as well as punish the killers of his messengers. Its real purpose was to make the Mamalik sultanate submit to his rule and annex it to his empire. This was clear

through his control of the Mamalik empire and annexing it to become under his reign; as well as through his control of the funds of Bilad Al-Cham, the



AddDelete

